

خمسُ حالاتٍ من التحليل النفسي



تأليف

سيجموند فرويد

ترجمة

عبدہ میخائیل رزق

صلاح مخيمر

تقديم

مصطفى زيور



مكتبة الأنجلو المصرية

خمس حالات من التحليل النفسي

تأليف

سيجموند فرويد

ترجمة

صلاح مخيمر عبده ميخائيل رزق

مراجعة

مصطفى زيبور



مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ ش محمد فريد - القاهرة

أسم الكتاب: خمس حالات من التحليل النفسي
تأليف : سيجموند فرويد
ترجمة : صلاح مخيمر & عبده ميخائيل رزق
تقديم : مصطفى زيور
الناشر: مكتبة الانجلو المصرية
سنة الطبع: ٢٠٠٧
رقم الايداع: ٤٢٨٤
الترقيم الدولي: ٦-٠٥٦٧-٠٥-٩٧٧

تقديم الكتاب

بقلم

مصطفى زيور

نقدم في هذا الجزء الأول من كتاب « خمس حالات من التحليل النفسي » ثلاث حالات هي حالات « دورا » و « هانز الصغير » و « رجل الفئران » أما الحالتان الأخيرتان : « شريير » و « رجل الذئب » فستنشران في الجزء الثاني وهو تحت الطبع .

وقد نشر فرويد هذه الحالات الخمس فيما بين سنة ١٩٠٥ وسنة ١٩١٨ . ويتضح من قراءة هذه الحالات الخمس تقدم فرويد في شحذ فنيات التحليل في ضوء تجاربه المتزايدة وما وفرت له من أضواء أكثر شمولا وأعظم نفاذا من خلال المحاولة والخطأ . ومن أجل ذلك فان الحالة الخامسة أعنى حالة « رجل الذئب » أكثر الحالات عمقا من حيث العمل التحليلي وأفضلها ثراء من حيث المعطيات الناجمة من عمق الفطنة بالبنيان السيكولوجي التحتاني . وغنى عن البيان أن هذه الحالات الخمس اختيرت من بين عشرات الحالات التي قام بتحليلها فرويد وذلك لأسباب تعليمية من ناحية وديونولوجية (واجب السرية) من ناحية أخرى .

وسبق أن ذكرت في تصدير كتاب « تفسير الأحلام » أننا نزمع أن ننشر في مجموعة « المؤلفات الأساسية في التحليل النفسي » هذه الحالات الخمس وذلك لأنه يكاد يستحيل على غير الاخصائي أن يتبين من قراءة الكتب التي تعرض قضايا التحليل النفسي عرضا نظريا مصدرها من الوقائع العيانية الاكلينيكية التي تتيحها عملية التحليل النفسي لمريض نفسي . وما يدور أثناءها من حوار يدور شهورا أو سنوات ، بحيث يدرك صدق الاستنباط والاستقراء اللذين يسفران عن قضايا نظرية التحليل النفسي .

(ب)

وأرأى مضطرا أن ألح على قضية كررت بيانها في أكثر من موضع ، وذلك لما يبدو لي من أن النسيان يغلفها لدى الكثيرين وأعنى بها : أن الحق في ابداء الرأي في مبحث علمي ليس حقا طبيعيا وإنما هو حق يكتسب ، واكتساب هذا الرأي بصدد قضايا التحليل النفسي لا يتم الا بممارسة مايمارسه المحلل النفسي محلا ثم محلا • ومن أجل ذلك فلن يدهشني أن القارئ المتعجل لهذه الحالات الخمس قد يشيح بوجهه في موضع أو آخر منكروا أو مستنكرا • غير أن نشر هذه الحالات قد يتيح لقارئ متأن بسمة الصمود نعم أقول الصمود أزاء بعض الوقائع التي تستثير قلقا قد يكون خفيا عتيا معا ، ولكنه مع ذلك الثمن الذي لا بد من بذله أن تستحيل لديه المجهولة معرفة •

ولا يظن القارئ أننا معشر المحللين النفسيين نلزمه أن يخضع نفسه لتحليل نفسي على يد محلل نفسي قبل أن يقول لا أو نعم ، وإنما نفرض ذلك فقط على طلاب التأهيل لمهنة التحليل النفسي حتى يزيلوا « النقط العمياء » فإذا هم مبصرون مستبصرون • أما القارئ الذي لا يطلب الا معرفة فيوسعه — مستضيئا بما قرأ في هذه الحالات الخمس — أن يقوم بتجربة أعلم أنها ليست هينة وإنما تقتضى غالبا • وأعنى بهذه التجربة أن يحزم أمره على التصدي لفلتات لسانه وما يأتيه من نسيان طارئ وما الى ذلك ويخضعها في صبر لمنهج التداعي الحر • فإذا أضاف الى ذلك اخضاع أحلامه بضعة شهور لهذا المنهج فسيبتين صدق القضية التي نعتبرها ذروة قضايا التحليل النفسي أعنى أن « الأنا مجهولة » •

فإذا كان الأنا — وخاصة بصدد نفسه — مجهولة فإن كل مبحث في النفس لا يصدر الا عن الشعور لا يمكن في أحسن تقدير أن يكون الا علما بنتائج المجهولة • وهل يغيب عن فطنة القارئ الذي يستطيع اخلاصا مع نفسه المعنى في عملية التكوين العكسي أي أن يكون المرء في أعماقه كارها فإذا هو من حيث لا يدري محبا بالقياس الى الشعور المباشر • والواقع أن حصيلة العلاج بالتحليل النفسي هو أن يمس

(د)

الانسان في أعماقه محبا أكثر منه كارها ، بعد أن كان في أعماقه كارها أكثر منه محبا .

وأن قضية الأنا مجهلة يلزم عنها أن اليقين الشعوري مهما استخدمنا من عدد وأدوات نصلها من حيث « الثبات » و « الصدق » - أقول أن هذا اليقين الشعوري شيء والحقيقة في مبحث النفس شيء آخر . ولا مفر من ذلك مادما نستجوب الشعور وحده ، سواء أكان هذا الاستجواب في إطار معمل علم النفس أو في إطار المعالجة الاحصائية أو في إطارها معا بحيث تبدو اثنائا وكأنها ضد النموذج الفيزيائي الرياضي .

فاذا أضفنا الى ثنائية الوجدان Ambivalence (الكراهية والحب معا) ثنائية المعنى Ambiguity بحيث يكون الرأي عذل نقيضه ، لاتضح لنا أن التناقض ليس كذلك بالقياس الى أعماق الأنا ، حتى صح القول أنه لا وجود لحرف النفي « لا » في النشاط اللاشعوري كما أن هذا النشاط لا زمانى . وبعبارة أخرى فإن الانسان فيما يبدو لنا منه لا ينطبق على نفسه ، فهو ما ليس هو ، وهو ليس ما هو (اذا صحت استعارة هذه الصياغة الوجودية) .

وقد لفتت هذه النتائج للخبرة التحليلية النفسية انتباه جمهرة الفلاسفة المعاصرين المعنيين بالاستمولوجيا وفلسفة العلوم ، من حيث أن هذه النتائج تقوض نظريات المعرفة من أساسها ، بحيث أصبح الكوحييتو الديكارتي بما كان يحمله من يقين موضع تساؤل واستشكال على نحو أكثر عمقا واختلافا عما قام به كمنط وهيجل وهوسرل .

وهل هناك ما يقض مضاجع اليقين أكثر من القول بأن معطيات الأنا الشعوري مطبوعة بطابع المجهلة والمبهمة ، وهي قضية سبق للماركس أن طرحها في ميدان الاقتصاد الاجتماعى ، ونييتشه في ميدان

القيم . ولكن طرح هذه المشككة من خلال قضايا التحليل النفسى كان أكثر ازعاجا وأعظم أرهاقا لذهن الباحث عن الحقيقة ، وذلك لأن قضية المجهولة الناجمة من الفحص التحليلى النفسى تحمل طابع الخبرة الواقعية الامبيريقية المتاحة لأي انسان يشاء أن يعيشها . وليس هذا مقام عرض المحاولات المعاصرة فى اقامة ايستومولوجيا جيدة تأخذ فى الاعتبار ديالكتيك الشعور واللاشعور وخاصة فى العلوم الانسانية . وتكفى الاشارة الى بزوع النهج البنينى المعاصر بدأ فى الليموسيقا ثم انتقل الى الأنثروبولوجيا وغيرها من علوم الانسان ، فانبتق من هذه الدراسات « مقال » آخر لوغوس آخر ينبعث من أعماق النفس نقيا بريئا من شوائب المجهولة ، وبالتالي أدق اعرابا عن حقيقة الانسان بما هو الانسان وشروط صدق الاعرفة وكذلك حدودها لديه .

فاذا كان هذا حال فلاسفة الايستومولوجيا وحال الكثير من علماء مباحث الانسان فما بال بعض علماء النفس يتباطؤون وينتسبون بمناهج البحث التى تبين قصورها فى ميدان النفس اذا هى انطلقت من معطيات الشعور وحده ، فأذا قيل أن قضايا التحليل النفسى لاتصلح لصياغة اجرائية تسمح بالتحقيق التجريبي والمعالجة الاحصائية فاننا نذكرهم بما قام به جون دولارد ، ونيل ميلر ، وماورد ، وروبرت سيرز ، وكارل هوفلاند ومعاونوهم وأتباعهم من صياغة اجرائية لمفاهيم التحليل النفسى فى اطار نظريات التعلم ، وما حصلوا عليه من التجريب المعملى من نتائج ألفت أضواء جديدة على بناء الشخصية غنم منها علم النفس الاكاديمى تقدا وثناء ، ثم ماقام به رايموند كاتل من استخدام مفاهيم التحليل النفسى على نطاق واسع فى قياس « أبعاد » الشخصية بأسلوب التحليل العاملى الاحصائى ، ثم ماتوفرنا لنا من معطيات من خلال التجريب المعملى الفسيولوجى باستخدام جهاز التسجيل الكهربى لنشاط المخ (E. E. G) اثناء النوم ومايتخلله من أحلام وما أسفر عنه هذا التجريب من أن وظيفة الحليم أنه حارس

التنويم كما قال بذلك فرويد — منذ سبعين عاما — من حيث أن الحلم يقوم بخفض التوترات الناجمة عن ضغوط الرغبات في أشباع هلوسى محرف .

وعلى هذا النحو من البحث تستطيع ميادين علم النفس أن تسير قدما متجهة نحو « وحدة علم النفس » كما ناقشها البروفسور لاجاش في مناقشته الافتتاحية عام ١٩٤٧ (١) وذلك من خلال ضرب من « التغذية الراجعة » وحوار ديالكتيكى صادق بين المشتغلين بالتجريب والمعالجة الاحصائية والمشتغلين بعلم النفس الدينامى الاكلينيكى الذى يفيد من منجزات التحليل النفسى .

ويسعدنى هنا أن أقرر أنه يغير الجهد الأكاديمى الصادق الذى بذله زميلاى الأستاذ الدكتور صلاح مخيمر والأستاذ عبده رزق لما غنمت المكتبة العربية هذا الكتاب النفيس . ولايد من أن أثبت لكل ذى حق حقه . فبدون الخلفيه الثقافية الواسعة فى علوم الانسان بما فى ذلك قضايا التحليل النفسى التى اكتسبها الزميل الدكتور صلاح مخيمر أثناء دراسته بالسوربون (٢) ، لما جاء هذا الكتاب ترجمة دقيقة وواضحة مما لما كتبه فرويد عن الحالات الخمس .

مصطفى زيور

دكتور فى الطب

رئيس عيادة الأمراض النفسية بكلية الطب بباريس سابقا

أستاذ علم النفس بجامعة عين شمس سابقا

عضو الجمعية الدولية للتحليل النفسى

(١) راجع : دانييل لاجاش : وحدة علم النفس ، ترجمة الاستاذ الدكتور صلاح مخيمر والاستاذ عبده رزق . مكتبة الأنجلو المصرية . الطبعة الثانية سنة ١٩٦٥ . وانظر أيضا تقديمنا لكتاب انحراف الاحداث تأليف كمال جندى أبو السعود ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٧١ .

(٢) دكتوراه الدولة فى الاداب جامعة السوربون ، عضو الجمعية الفرنسية الروشاخ ، عضوية الجمعية المصرية للمعالجين النفسيين ، عضو القطاع التربوى للمجلس الاعلى للجامعات ، عضوية لجنة علم النفس للمجلس الاعلى للاداب والفنون والعلوم الاجتماعية .



تصدير

بقلم

مصطفى زيور

أن العثور - بعد وفاة فرويد - على مجموعة خطاباتته الى صديقه الطبيب « فليس » أمارط اللثام عن كثير من الوقائع والظروف التي صاحبت ميلاد التحليل النفسى . فها هو فى خطاب بتاريخ ١٤ أكتوبر سنة ١٩٠٠ يخبره أنه بدأ علاج فتاة فى الثامنة عشرة نعرف الآن أنها « دورا » التي يناقش حالتها ويعرض أهم تفاصيل علاجها بالتحليل النفسى فى هذا المقال الأول من المقالات الخمس التي نقدمها فى هذا الكتاب .

وقد انتهت المريضة علاجها فى ٣١ ديسمبر من نفس العام ، أى بعد أحد عشر أسبوعا من بدء العلاج . وقد أنجز فرويد كتابة هذا المقال فى يناير سنة ١٩٠١ ، ولكنه لم ينشره الا سنة ١٩٠٥ ، لأسباب تتصل بالحذر الذى يمليه الحرص على اخفاء شخصية المريضة .

ويبدو التحليل النفسى لحالة المريضة وأعراضها وبخاصة السعال العصابى والأفونيا ، (انحباس الصوت) حول تفسير حلمين أعانا فرويد على النفاذ الى انصراعات اللاشعورية وفهم بنيانها ، فضلا عن الكشف عن خبرات فى الطفولة غلفتها الامنيزيا (النسيان) الطفولية بفعل الكبت . ومن ثم فان هذا المقال يعتبر - كما يقرر فرويد فى خطابه الى فليس بتاريخ ٢٥ يناير ١٩٠١ - أمثداً لكتابه والذى يسجل أعظم كشفه أعنى « تفسير الأحلام » الذى صدر عام ١٩٠٠ وهذا يبين لنا لم كان عنوان هذا المقال فى بادىء الامر « الأحلام والهستيريا » ، كما يقرر فرويد فى الملاحظات التصديرية لهذا المقال (ص ٧) .

ويؤيد ببيان هذا المقال ما سبق أن قرره فرويد في صدر كتابه « تفسير الأحلام » (الترجمة العربية ، دار المعارف بمصر ، صفحة ٣١) : « وأن من قصر عن أن بين منشأ صور الحلم ليجهد عبثا في أن يفهم المخاوف المرضية والأفكار القهرية والهجاسية أو في أن يؤثر فيها تأثيرا شافيا » .

والبواقع أن هذه القضية نفوت الكثيرين ، أعنى أن الدراسة المتعمقة الشاملة لسيكولوجية الأحلام هي الشرط الضروري Sinc qua non لفهم « العمليات الأولية » اللاشعورية التي ينسج على منوالها الأحلام والعصاب والذهان جميعا . ومن أجل ذلك فإن المحللين النفسيين ينصرفون عن التصدي لأي ناقد لم يبيّن ما ينبغي من الجهد في دراسة تفسير الأحلام نظريا وعمليا .

ومع ذلك تتبغى الإشارة إلى تكتيك « فنيات » التحليل النفسي حاليا ، أي بعد انقضاء نحو سبعين عاما على تحليل « دورا » ، تطورا تطورا كبيرا بحيث لم يعد تفسير الأحلام يحتل مكان الصدارة كما هو الحال في هذا المقال . وقد أرسى فرويد الأسس الأولى لفنيات التحليل النفسي في مجموعة من المقالات ، نذكر منها مقالة « المرتقب في المستقبل من العلاج بالتحليل النفسي » (عام ١٩١٠) ، ثم مقالة : « في استخدام تفسير الأحلام في التحليل النفسي » (عام ١٨١٢) . ثم مقالة : « في ديناميات التحويل » (عام ١٩١٢) ، ثم مقالة : « توصيات للأطباء عن منهج العلاج بالتحليل النفسي » (عام ١٩١٢) ، ثم سلسلة من المقالات بعنوان « توصيات إضافية في فنيات التحليل النفسي » في سنوات ١٩١٣ و ١٩١٤ و ١٩١٥ ، ثم مقالة « تحولات في أساليب العلاج بالتحليل النفسي » (عام ١٩١٩) وأخيرا مقالته « التحليل (النفسى) القابل للتمام وغير القابل للتمام » (عام ١٩٣٧) ومقالته في نفس العام « التثبيد في التحليل النفسي » .

وغنى عن البيان أن فنيات التحليل النفسي لم يتوقف تطورها منذ وفاة فرويد عام ١٩٣٩ . وأخص بالذكر المتقدم في فهم ومعالجة التحويل ومضاد التحويل وها هو فرويد يقرر في تذييل هذا المقال (صفحة ١٠١) :

«ان أكبر ميزة في هذه الحالة من التحليل، وهي على التحديد، وضوحها غير
ميزة في هذه الحالة من التحليل ، وهي على التحديد وضوحها غير
العادى الذى يجعل منها حالة جد ملائمة لان تكون أول عمل ينشر كمدخل
للتحليل النفسى ، لهى جد وثيقة الارتباط بأكبر عيب لها ، والذى يؤدى
الى توقف التحليل قبل أوانه • لم أنجح فى السيطرة على التحويل فى
الوقت الملائم • وعندما جاء الحلم الاول ، وهو الذى أعطت فيه لنفسها
انذارا بأنه من الأفضل لها أن تترك العلاج على يدي ، كان يتحتم على
أن أصغى أنا نفسى لهذا الانذار وهكذا اخذنى التحويل على
غرة ، وبسبب هذا القدر المجهول فى شخصى الذى يذكر دورا بالسيدك،
انتقمتم منى اذ أرادت أن تنتقم منه ••• فما عساه كان هذا
« المجهول ؟ انى بالطبع لا أعرف » فى هذه العبارات يتبين بوضوح
التقصير فى الفطنة الى التحويل فى الوقت المناسب ، وعلاقة هذا التقصير
بانعدام الفطنة الى مضاد التحويل • ولكن هذا التقصير يحمل معان
نفيد، منها لايصدد فنيات التحليل وحسب ، وانما يصدد أحوال الانسان
بعامة ، تلك التى يجهد التحليل النفسى فى فض معمياتها ، وبخاصة
طبيعة تلك الحرب الضروس بين ارادة المجهلة فى مقابل ارادة المعرفة •

وجدير بالذكر أن حالة دورا اذا كانت تعتبر امتدادا ، كما سبق
القول ، لكتاب «تفسير الأحلام» فهى فى نفس الوقت ارهاص لكتاب
فرويد : « ثلاث مقالات فى نظرية الجنس » (الترجمة العربية : دار
المعارف بمصر) وهو الكتاب الذى سجل فيه كشوفه الثورية عن الحياة
الجنسية لدى الأطفال ، وعلاقة ماقد، يكتنفها من الثعثر باثدلاع
العصاب فى سن الرشد •



١

جزء من تحليل لحالة هستيريا

(دورا)

(١٩٠٥)



جزء من تحليل لحالة هستيريا (١)

ملاحظات تصديرية

في عامي ١٨٩٥ و ١٨٩٦ قدمت آراء معينة عن النشوء المرضي للأعراض الهستيرية ، وعن العمليات النفسية التي تحدث في الهستيريا ومنذ ذلك الوقت مضت سنوات عديدة • وعليه ، فانني أذ أعترم الآن

ظهر أولا في :

(1) Bruchstück Einer Hysterie - Analyse Monatschrift Fur Psychiatrie und Neurologie, Bd. Xxviii, Heft 4 nud 5/1905.

ثم نشر من جديد في :

Freud, Sammluna Kleinr Schriften, II, 1909.

ثم أعيد نشره بتصريح من الناشر Deuticke في الاعمال المكتملة لسجيموند فرويد Gesammelte Schriteten حيث يشكل مع أربع حالات تحليلية أخرى المجلد الثامن المعنون Krakengeschichten

ولقد تمت ترجمته الى عدة لغات ، وخاصة الى الانجليزية على يد اليكس وجييمس ستراشي ، الطبعة الاولى ، لندن ، وولف ١٩٢٥ ، وهو يشكل المجلد الثالث من المقالات المجموعة اسيجمند فرويد Collected Papers

المجلد الخامس من Cesammelte Werke المجلد السابع من The Complete Psychological Works. of S. Freud Standard Edition

وتمت ترجمته الى الفرنسية على يد ماري بونارت و رليفشتاين عن النص الالمانى في Gesammelte Schriften ، وظهرت الترجمة الفرنسية أولا في المجلة الفرنسية للتحليل النفسى عام ١٩٢٨ :

Revue Francaise de Psychanalyse, t. II. Fase. I, 1928.

وهذه الترجمة الفرنسية ، والتي راجعتها أن برمان ، هي نفسها التي

ظهرت عام ١٩٥٤ في كتاب بعنوان :

Cinq Psychanalyses. Prsres Univers itaire de France

تأييد الآراء بتقديم تقرير مفصل عن تاريخ حالتها وعلاجها ، فليس في وسعي أن أتجنب تقديم بضع ملاحظات تمهيدية ، وذلك من ناحية كيما أبرز من زوايا مختلفة الخطوة التي أقدم عليها ، ومن ناحية أخرى كيما أجد من التوقعات التي يمكن أن تطلقها الآمال في هذا التقرير .

ولقد كان غريبا ولاشك اننى اضطررت لن نشر نتائج أبحاثى دون أن تكون هناك أية أمكانية للزملاء من الاخصائيين لفحصها والتحقق من صحتها وخاصة وأن هذه النتائج كانت تبعث على الدهش وليست بحال مما يبعث على الرضا ولايكاد الأمر يقل غرابة حين أبدأ الآن بتقديم بعض من المعطيات التي أقمت عليها نتائجى ، فأجعلها في متناول حكم الجميع . فلن أكون بذلك في مأمن من النقد .

وكل ما هنالك أنه وأن كان قد عيب على فى الماضى عدم تقديم أية معلومات عن مرضى ، فسوف يعاب على الآن أننى صرحت بمعلومات ما كان ينبغى التصريح بها عن مرضى . وكل ما أتوقعه هو أن القائمين بنقدى هم هم فى الحالين نفس الأشخاص وقد بدلوا فحسب من أسانيدهم ، فان كان الأمر كذلك ، فلا يسعنى إلا أن أسلم مقدا باستحالة أية امكانية لوضع حد لانتقاداتهم .

وحتى لو تجاهلت سوء قصد النقاد ضيقى العقول من أمثال هؤلاء ، فان عرض تواريخ الحالات سوف يظل بالنسبة لى مشكله يصعب حلها . وهذه الصعوبات ترجع من ناحية الى طبيعة الفنيات ، ولكنها ترجع من ناحية أخرى الى طبيعة الظروف ذاتها . فاذا كان صحيحا أن أسباب الاضطرابات الهستيرية توجد فى الدخائل الحميمة للحياة النفسجنسية للمرضى ، وأن الاعراض الهستيرية هى التعبير عن رغباتهم المكبوتة الأيمن سرية ، فعندئذ يتحم على العرض المكتمل لحالة هستيريا أن ينطوى على كشف لهذه الدخائل الحميمة وفضح لهذه الأسرار . ومن المؤكد أن المرضى ماكانوا لييوحوا بشيء لو خطر ببالهم أن أقوالهم يمكن أن تكون يوما موضع استغلال علمى ، ومن المؤكد أيضا أنهم ماكانوا ليوافقوا بحال لو طلبنا اليهم أن يأذنوا لنا بنشر

حالاتهم • ففى مثل هذه الأحوال فان المتزمتين وانهيابين سوف يقدمون على ماعداه واجب الكتمان الطبي ، معلنين فى أسف أن الأمر من طبيعة تحول بينهم وبين خدمة العلم بتتويره فى هذه الظروف • ومع ذلك فانى أعتقد أن على الطبيب واجبات ليس فحسب تجاه مريضه المفرد بل أيضا تجاه العلم ، وبأن واجباته تجاه العلم لا تعنى فى نهاية الأمر شيئا غير واجباته تجاه الكثرة من المرضى الآخرين الذين يعانون ، أو سوف يعانون يوما ، نفس الاضطراب • وهكذا يصبح من واجب الطبيب أن ينشر ما يعتقد أنه يعرفه من أسباب الهستيريا وبنيتها ، ويصبح امتناعه عن ذلك جانبا يبعث على الخزي ، طالما كان بوسعه أن يتجنب الحاق أية اساءة شخصية بالمريض المفرد • انى لأعتقد بأننى قد اتخذت جميع الاحتياطات لأحول بين مريضتى وبين أن تتعرض لاية اساءة من هذا القبيل • لقد انتقيت حالة جرت مشاهد حياتها ، لا فى فينا ، بل فى بلدة اقليمية نائية ، ومن ثم فان ظروفها الشخصية لابد وأن تكون من الناحية العملية غير معروفة فى فينا • وحرصت منذ البداية على أن أبقي على واقعة علاجها عندى سرا. أحرص عليه ، بحيث أن طبيبا واحدا آخر لا غير — ممن أثق كل الثقة فى كتمانهم — هو وحده الذى يستطيع أن يعرف أن الفتاة كانت أحد مرضاى • وقد انتظرت أربع سنوات كاملة بعد توقف العلاج ، مؤجلا النشر ، حتى علمت بأن المريضة قد طرأ على حياتها تغير من طبيعة تسمح لى بالاعتقاد بأن اهتماماتها بالأحداث والوقائع السيكلوجية التى سوف أرويها هنا قد غدت الآن شاحبة • ولا حاجة بى الى القول بأننى لم أبق على اسم يتيح لأى قارئ عادى بأن يقتفى أثرا ، هذا الى أن نشر الحالة فى مجلة علمية فنية صرفة من شأنه أن يقدم ضمانا ضد الأقرء غير المتخصصين من هذا القبيل • ولكننى بطبيعة الحال لا أستطيع أن أحول بين مريضتى وبين أن تأثم لو أن تاريخ حياتها وقع صدفة فى يدها • ولكنها لن تجد فيه شيئا لا تعرفه من قبل ، وقد نتساءل من عداها يستطيع أن يكتشف من تاريخ الحياة هذا أنها هى موضوع هذا المقال •

وانى أعرف بأنه ، فى هذه المدينة على الأقل ، ثمة كثرة من الأطباء - وهو أمر يبعث على الحنق - سوف يقبلون على قراءة تاريخ حياة من هذا القبيل لا على أنه اسهام فى سيكوبا ثولوجيا العصاب ، بل على أنه « رواية ذات لغز ينحل » من أجل تسليتهم . وأستطيع أن أوكد لمثل هذا النفر من القراء بأن كل تاريخ حياة سيتاح لى نشره فى المستقبل سوف يكون فى مأمن من فطنتهم ، بفضل نفس ضمانات السرية ، وان كان فى هذا التصميم ما ينطوى على قيود غير عادية تحد من حرية انتقائى للمعطيات .

هنا ، فى تاريخ هذه الحالة - وهى الوحيدة اثبتى نجحت حتى الآن فى أن أمضى بها عبر القيود التى يفرضها الكتمان الطبى وتفرضها الظروف غير المواتية - سوف تجرى بأقصى صراحة مناقشة العلاقات الجنسية ، وسوف نسمى الأعضاء الجنسية والوظائف الجنسية بأسمائها ، وفى وسع القارئ المحيى أن يخلص من عرضى الى أننى لم أتردد فى أن أتحدث فى مثل هذه المسائل بمثل هذه اللغة حتى مع فتاة شابة . أياكون على اذن أن أتولى الدفاع عن نفسى فى هذا الأمر أيضا ؟ اننى ببساطة أطلب لنفسى بالحقوق التى لطبيب النساء - أو بحقوق أكثر تواضعا منها بكثير - وأضيف بأنها لعلامة غسق فريد شاذ الافتراض بأن أحاديث من هذا القبيل تمثل وسيلة ناجعة لاهاجة الرغبات الجنسية أو لاشباعها . هذا الى اننى أستشعر ميلا للافصاح عن رأيى فى هذا الأمر فى كلمات قليلة مستعارة :

« أنه لما يبعث على الاسى أن يكون على المرء فى عمل علمى أن يفسح مكانا لاحتجاجات وبيانات من هذا القبيل ، ولكن ليس لأحد أن يلومنى على ذلك ، بل ليتهم بالحرى روح العصر ، التى بلغنا بفعلها الى هذه الحالة التى لم يعد فيها من الممكن لأى كتاب جاد أن يطمئن على بقائه (١) » .

وسوف اصف الآن الطريقة التي تغنبت بها على هذه الصعوبات الفنية في صياغة التقرير الخاص بتاريخ هذه الحالة • والصعوبات هي جد هائلة حين يكون على الطبيب أن يياشر في اليوم الواحد من ست الي ثمانى جلسات من حالات العلاج النفسى ، ولا يستطيع تدوين ملاحظاته أثناء الجلسة مع المريض مخافة أن يزعزع ثقة المريض وأن يرتبك هو نفسه في امسائه بالمادة التي يلاحظها • والواقع أننى لم أنجح حتى الآن فى حل المشكلة الخاصة بكيفية الاحتفاظ بالمعلومات من أجل النشر ، وفى حائة تاريخ علاج طويل الأمد • وفيما يتعلق بالحالة الراهنة ، ثمة عاملان قد اعاننى : أولهما أن العلاج لم يطل لأكثر من ثلاثة أشهر ، وثانيهما أن المعطيات التي أنارت الحالة انتظمت حول حلمين (أحدهما جاءت روايته فى منتصف العلاج والآخر فى نهايته) • والصيغة اللفظية لهذين الحلمين قد تم تدوينها عقب الجلسة مباشرة ، مما جعلهما محورا أكيدا لسلسلة التأويلات والذكريات المنبعثة عنهما • أما تاريخ الحالة نفسه فهو وحده الذى أعتمدنا فى كتابته على الذاكرة بعد ما بلغ العلاج الى نهايته ، وكانت ذكرياتى عن الحالة ما تزال نضره ، وقد شحذها عزمى على نشرها • وهكذا فان تقريرى ليس دقيقا بشكل مطلق كنسخة صوتية ، ولكنه مع ذلك جدير بدرجة عالية من الثقة • ما من شىء ذى قيمة تعرض فيه للتغيير اللهم الا تفسيرات تغير ترتيبيها فى بضع مواضع ، وقد تم ذلك حتى يكون عرض الحالة أكثر تماسكا فى شكله •

والآن ابين على وجه التخصيص ما يوجد فى هذا المقال ، وما لا يوجد فيه • كان عنوان القال فى الأصل • « الاحلام والهستيريا » ، اذ بدا لى أنه جد ملائم لبيان كيف أن تفسير الأحلام يدخل فى تاريخ العلاج ضمن نسيج واحد ، وكيف يمكن لتفسير الاحلام أن يصبح الوسيلة لسد فجوات الذاكرة (الأمنيزيات) وفهم الأعراض • ولم

يكن بغير أسباب وجيهة ، أننى فى عام ١٩٠٠ أعطيت أسبقية للدراسة العميقة المضميه للأحلام (١) على ماكنت انتوى نشره فى سيكولوجيه الأعصبة . وقد استطعت أن أتبين من الطريقة التى استقبل بها (كتاب تفسير الأحلام) مدى ضآلة التفهم التى تلقاها مثل هذه الجهود من جانب الزملاء فى أيامنا - ففى هذه الحالة لم يكن ثمة ما يسند الاعتراض بأن المعطيات التى أقيمت عليها نتائجى لم يتم تقديمها ، ويأنه بالتالى من المستحيل التحقق من صحتها عن طريق فحصها والتثبت منها ، فبوسع أى شخص أن يخضع أحلامه للفحص التحليلي ، وفتيات تفسير الأحلام يمكن بسهولة تعلمها بالرجوع الى التعطيمات والأمثلة التى قدمتها . ومرة أخرى يتحتم على هنا أن أؤكد ما سبق أن أكدته آنذاك ، من أن الشرط السابق الذى لا غنى عنه للوصول الى أى فهم للعمليات النفسية فى الهستيريا والأعصبة النفسية الأخرى هو : الدراسة العميقة لمشكلات الأحلام . فما من أحد يتنصل من هذا الجهد الاعدادى يستطيع أن يتقدم ولو لبضع خطوات فى هذا الميدان . وعليه فما دام تاريخ الحالة هذا يفترض مسبقا معرفة بتفسير الاحلام ، فسوف يكون جد بعيد عن أن يبعث الرضا فى أى قارئ لا تتوفر له هذه المعرفة . مثل هذا القارئ لمن يجده فى هذه الصفحات الأخيرة بدلا من الفهم الذى يرجوه ، وسوف يكون دون شك نزاعا الى أن يسقطا مسبب حيرته على المؤلف ، والى أن يرمى آرائى بالخيالية المرفرة . والواقع هو أن هذه الحيرة تنتمى الى ظواهر العصاب ذاتها ، ولكن وجودها تحجبه فحسب ألفة الطبيب بالوقائع ، بينما تبرز هذه الحيرة من جديد مع كل محاولة لتفسير هذه الوقائع . ولا يمكن القضاء عليها تماما الا عندما ننجح فى أن نرد كل واقعة جزئية فى العصاب الى عوامل كانت مألوفة بالفعل لنا . ولكن كل شئ يميل على العكس الى أن يظهرنا على أن دراسة الاعصبة سوف تجرنا الى التسليم بكثرة المعطيات الجديدة التى يمكن أن تصبح شيئا فشيئا موضوع معرفة يقينية . فالجديد هو الذى يثير دائما الحيرة والمقاومة .

ومع ذلك فمن الخطأ الاعتقاد بأن الأحلام وتفسيراتها تشغل

مثل هذا المكان البارز في كل التحليلات النفسية على النحو الذي هي عليه في هذا المثال .

وبينما تاريخ الحالة الذي أمامنا يبدو موفقا بصفة خاصة من زاوية استخدام الاحلام ، فإنه قد تكشف من زوايا أخرى أفقر مما كنت أرجوه . ولكن معانيه تتصل بنفس تلك الظروف التي جعلت نشره ممكنا . فكما قلت من قبل ، ماكنت لأدرى كيف تناول المعطيات التي ينطوي عليها تاريخ علاج يمتد لعام كامل مثلا . فالتاريخ الذي أمامنا ، والذي يمتد ثلاثة اشهر فحسب ، يمكن تذكره والاحاطة به في جملته ، ولكن نتائجه تظل قاصرة من أكثر من وجه . فالعلاج لم يتم المخي به الى نهايته المرسومة ولكنه توقف بناء على رغبة المريضة بعد أن بلغ نقطة بعينها . عند هذه النقطة ، لم تكن بعض مشكلات الحالة قيد بلغها مجرد التناول ، ولم يكن بعضها الاخر قد حظى الا باستيضاح قاصر ، بينما لو كان العمل قد تواصل لكنا حصلنا ولا شك على أعظم استيضاح ممكن لكل واقعة جزئية في الحالة . وعليه فكل ما استطيع تقديمه في الصفحات التالية هو تحليل جزئي .

أن القراء الذين يألفون فنيات التحليل على النحو الذي عرضت عليه في كتاب « دراسات في الهستيريا » (١) ربما يدهشون كيف أنه لم يكن ممكنا في ثلاثة أشهر الوصول الى حل مكتمل على الأقل لتلك الأعراض التي تم تناولها وسوف يعدو ذلك مفهوما عندما أوضح كيف أنه منذ تاريخ صدور « دراسات في الهستيريا » تعرضت فنيات التحليل لثورة جذرية ففي ذلك الوقت كان عمل التحليل يبدأ من الاعراض ، ويستهدف القضاء عليها الواحد بعد الآخر . ولكني تخليت عن تلك الطريقة منذ ذلك الحين ، لأنني وجدتها غير ملائمة بالمرّة لتناول البنية المرهفة للعصاب فاني الآن أترك للمريض أن يختار بنفسه موضوع عمل اليوم ، وبهذه الطريقة أبدأ من أي سطح يتفق

Breuer und Freud. Studien Uber Hysterie, 4 op ed. Leirzig (١)

& Vienne, Deutieke 1895. Freud, Ges. Werke (Complete Works) Vol. I. Standard Edition Vol. II.

ثلاثشعوره أن يتيحه لتبنيه آنذاك • ولكن بهذه الطريقة فان كل ما من شأنه أن يعين عن القضاء على عرض بعينه يبرز على أجزاء ، تنتمي الى سيقاقات مختلفة ، وتتوزع على فترات زمنية جد متباعدة • وعلى الرغم من هذا العيب الظاهر ، فان الطريقة الجديدة تفضل القديمة بكثير ، وليس ثمة شك في الواقع في أنها الوحيدة الممكنة •

وأزاء عدم اكتمال نتائج التحليلية ، لم يكن أمامي الا أن أقتني مثال أولئك المستكشفين الذين يكون من حسن طالعهم أن يخرجوا الى النور ، بعدما طال انطمارها ، هذه المتخلفات الأثرية التي لا يمكن تقديرها بثمن • وأن تكن مبتورة • ولقد قمت بتريميم ما كان مبتورا ، مقتنيا أفضل النماذج التي التقيت بها في تحليلات أخرى ، ولكنني كعالم آثر أمين لم يفتني أن أبين في كل حالة أين تنتهي الأجزاء الأصلية وأين تبدأ انشاءاتي •

وثمة نوع آخر من عدم الاكتمال أقحمته بنفسى عن قصد ، فكقاعدة عامه لم أورد عملية التأويل التي كان ينحنم اجراؤها على تداعيات المريضة وأقوالها ، وانما أوردت فصيب نتائج عملية التأويل هذه • ففيما عدا الأحلام ، لم يتم ايراد فنيات العمل التحليلي الا في مواضع جد قليلة • كان هدفي في تاريخ الحالة هنا وهو الكشف عن البنية الخبيثة لاضطراب عصابى والعوامل المحددة لأعراضه • وئو أننى حاولت الاضطلاع بالمهمة الأخرى في نفس الوقت لما كان من الممكن أن يتمخض ذلك عن شيء ، اللهم الاعماء لارجاء منه • فقبل أن يكون من الممكن أن نضع على نحو صحيح قواعد الفنيات ، وهى التي تم الوصول الى معظمها عن طريق الخبرة ، كان من الضرورى أن تجتمع معطيات من عدد كبير من تواريخ العلاجات • ومع ذلك فان الاقتضاب الناجم عن اغفال الفنيات لاينبغى المبالغة في تصوره في هذه الحالة خاصة • فجانب العمل التحليلي الاكثر صعوبة لم يتح له على وجه التحديد أن يبدأ مع هذه المريضة ، اذ أن عامل « الطرح » الذى تجرى مناقشته في نهاية تاريخ الحالة لم ينجح في أن يزدهر خلال هذا العلاج القصير •

أما عن النوع الثالث من عدم الاكتمال في هذا التقرير ، فلا المريض ولا المؤلف بمسئولين عنه . فمن البديهي أن تاريخ حياة واحد ، حتى لو كان مكتملا ولا يفتح لأي شك ، لا يستطيع أن يجيب على جميع الاسئلة التي تثيرها مشكلة الهستيريا ، فليس في وسعه أن يقدم استبصارا بجميع أشكال هذا الاضطراب ، بجميع الاشكال التي تتخذها البنية للعصاب ، بكل العلاقات الممكنة بين النفسى والبدنى التي يمكن أن نجدها في الهستيريا . ليس من المعقول أن نتوقع من حالة واحدة أكثر مما يمكن أن تقدمه . وأي شخص لم يكن حتى الان متهيئا للاقتناع بأن التعليل النفسجنى للهستيريا هو صحيح بصفة عامة وبلا استثناء ، يندر أن يتهيأ للاقتناع بهذه الحقيقة حين يتزود بمعطيات تاريخ واحد . يجدر به أن يعلق حكمه حتى نتيج له ممارساته الخاصة الحق في أن يقتنع (١) .

(١) (ملاحظة اضافية عام ١٩٢٣) - ان العلاج الوارد في هذا المقال قد توقف في ٣١ ديسمبر عام ١٨٩٩ (الصحيح ١٩٠٠) وقد دونت تقريرى عنه في الاسبوعين التاليين مباشرة ولكنه لم ينشر حتى عام ١٩٠٥ . وليس من المتوقع بعدما يزيد على عشرين عاما من العمل المتصل أن لا أجد في ارأى عن هذه الحالة ، وفي عرضي لها ما تحتاج الى تعديل ، ولكن يكون من السخف الواضح أن أحاول ، بالتصحيجات والاضافات . جعل تاريخ الحالة مسائرا لمعارف « الحالية » . ومن ثم فقد تركته على حاله ، وفي كل أساسياته ، ولكنى فقط صححت في النص أخطاء قليلة من السهو وعدم الدقة نبهني ائها مترجمائ الانجليزيان والممتازان ، مستتر ومستر جيمس ستراشي . وفيما يتعلق بالملاحظات النقدية التي اعتقدت أن هناك ما يبرر اضافتها فقد أوردتها في ملاحظات اضافية بحيث يكون القارئ محقا في أن يفترض بأنى ما أزال أتمسك بالآراء الواردة في النص اللهم الا أن يجد ما ينقضها في ملاحظات الهامش . أما مشكلة الكتمان الطبى التي ناقشتها في هذا التصدير فلا محل لها في تواريخ الحالات الباقية التي يشتمل عليها هذا الكتاب ، فثلاثة منها نشرت بموافقة صريحة من أصحابها (أو بالجرى ، فيما يتصل بهانز الصغير ، بموافقة من ابيه) ، بينما في الحالة الرابعة (حالة شريير) لم يكن موضوع التحليل شخصا بل كتابا كتبه المريض . وفي حالة دورا ظل السرطى الكتمان حتى هذا العام ، لقد انقطعت صلتى بها منذ أمد طويل ، =

= ولكن بلغنى منذ قليل أنها قد وقعت أخيرا في المرض من جديد لاسياب
أخرى وأنها أسرت الى طبيبها بأنها قد عولجت بالتحليل على يدى وهى
شبابه . وهذا الافشاء من جانبها هو الذى أتاح لزميلى هذا أن يتعرف فيها
على دورا ١٨٩٩ . وما من حكم عادل على العلاج التحليلى يجد موضعا
للملامة في أن علاج الثلاثة أشهر الذى تابعته المريضة في ذلك الحين لم
يتمخض عن شيء أكثر من حل صراعها القائم ، دون أن يفتنر على أن يجعلها
في مأمن من الامراض اللاحقة .

اللوحة الكلينيكية

في كتابي « تفسير الأحلام » ، الذي نشر عام ١٩٠٠ . أوضحت أن الأحلام بصورة عامة تنفتح للتفسير ، وأن العمل التفسيري متى اكتمل فإن الأحلام يمكن أن تقام في مكانها ، بشكل صحيح ومكتمل ، أفكار تجد مكانها الطبيعي في سياق النسيج النفسي . وأود في الصفحات التالية أن أقدم مثالا للاستخدام العملي الوحيد الذي يسمح به فيما يبدو فن تفسير الأحلام . ولقد سبق لي أن ذكرت في كتابي (١) كيف تأتي لي أن اتناول مشكلة الأحلام . فقد اعترضت المشكلة طريقي بينما كنت أحاول شفاء الأعصاب النفسية باستخدام طريقة خاصة في العلاج النفسي . فعندما كان مرضاي ، ضمن الأحداث الأخرى من حياتهم النفسية ، يسردون أحلامهم ، وكانت هذه الأحلام توحى بأنها تتطلب الاندراج ضمن السلسلة الطويلة للتداعيات ، والتي تبرز في نسيج يمتد ما بين عرض مرضى وفكرة مولدة للمرض ، تعلمت عندئذ، أن اترجم لغة الحلم الى أسلوب التعبير العادي والباشر لتفكيرنا . واستطيع أن أجزم بأن هذه المعرفة لاغنى عنها للمحلل النفسي ذلك أن الحلم هو واحد من الطرق التي يمكن أن تسلكها الى الشعور المواد النفسية ، هذه التي ، بسبب المعارضة التي يثيرها مضمونها ، منعت عن الشعور وكبتت ، ومن ثم أصبحت مولدة للمرض . وباختصار . فإن الحلم هو واحد من المنعطفات التي يمكن بها تفادي الكبت ، أنه واحد من الوسائل الرئيسية التي تستخدم فيما يعرف بالأسلوب غير المباشر للمثول في الذهن . والقطعة التالية من تاريخ علاج فتاة هستيرية تستهدف ايضاح الكيفية التي بها يلعب تفسير الأحلام دورا في العمل التحليلي . كما أنها تتيح لي في نفس الوقت فرصة أولى لأن أدمع ، في تفصيلات تكفي للحيلولة دون مزيد من اساءة لفهم بعض آرائى عن العمليات النفسية في الهستيريا ، وعن محدداتها

Die Traumdeutung (rgoo) 1900

(١) الترجمة العربية : تفسير الاحلام ، دار المعارف بمصر ، الفصل

للثانى .

العضوية • فاذا ماأفضت في هذا الموضوع ، فما أحسبني بحاجة الي الاعتذار عن ذلك ، اذ من المتفق عليه الان أن ماتلح الهستيريا في تطلبه من الطبيب والباحث انما يمكن الوفاء به فحسب بروح البحث المتعاطفة الي أقصى حد ، وليس بروح التعالي والازدراء •

« لا العلم يكفي ولا الفن وحده

بل على الصبر أيضا أن يلعب دوره ! (١) »

فلو أنى بدأت بتقديم تاريخ حياة مكتمل ومتماسك ، لكان من شأنه أن يضع القارئ في موقف جد مباين لموقف الطبيب الملاحظ • أن تقارير أقارب المريض - في الحالة التي أمامنا تسلمت تقريبا من والد المريضة ذات الثمانى عشر عاما - عادة ماتقدم عن مسار المرض صورة شديدة البعد عن الوضوح • أننى أبدأ العلاج في الواقع بأن أطلب الي المريض أن يقدم لى القصة الكاملة لحياته ومرضه ولكن حتى مع ذلك ، فان المعلومات التى اتلقاها لاتكون بحالة كافية لأن أتبين طريقى • فهذا السرد الأول أشبه مايكون بنهر تستحيل الملاحه فيه ، أحيانا ماتخفق مجراه الصخور ، وأحيانا مايتفرق ضائعا في مستنقعات وجزر من الرمال • ولا يسعنى الا أن أعجب كيف يتيسر للمؤلفين تقديم تواريخ حياة بهذه الدرجة من الدقة والصقل في حالات الهستيريا • ففى واقع الأمر ، يعجز المرضى عن أن يقدموا مثل هذه التقارير عن أنفسهم • انهم يستطيعون حقا تزويد الطبيب بالوفير من المعلومات المتناسفة عن هذه الفترة أو تلك من حياتهم ، ولكن من المؤكد أنه تعقب ذلك فترة أخرى تصبح فيها ادلاءاتهم ضحلة ، تتخللها فجوات بغير ملء ، والغاز بغير حل ، ثم تعقبها مع ذلك فترة

Nicht Kunst und Wissenschaft allein

(١)

Geduld will bei dem werke sein !

Goethe, Faust, I, Hexenkueke.

(جوته ، فاوست ، الجزء الاول ، مطبخ الساحرة ، قارن الفكرة

المشهورة « العبقرية صبر طويل » ، هامش الترجمة الفرنسية •

أخرى تظل غامضة تماما لاتضيؤها حتى ولا قطعة واحدة من معلومات يمكن الافادة منها . أن العلاقات — حتى الظاهرة — تكون في معظمها غير متماسكة ، وتتابعات الأحداث المختلفة تكون غير مؤكدة . وحتى أثناء سردهم لقصه حياتهم ، لايفتأ المرضى يصحون واقعه جزئية أو تاريخا ، وربما يعودون ، بعد فترة من التردد ، الى توكيدهم الاول . أن عجز المرضى عن أن يقدموا بشكل مرتب تاريخ حياتهم ، من حيث أنه يمثل مرضهم ، لهو أمر لا يخص العصاب (١) . فهذا العجز ينطوى أيضا على دلالة نظرية هائلة . إذ أن هذا العجز يرتكز على الدعائم التالية : فشئ المقام الاول ، فان المرضى يحتجزون عن وعي وعن قصد جانبا مما ينبغي سرده — أشياء معروفة لديهم تمام المعرفة — لأنهم لم يتغلبوا بعد على شعورهم بالحياء والخجل (أو شعورهم بالتكتم حين يتعلق حديثهم بالآخرين) ، وذلك هو الدور الذي تلعبه المراوغة الشعورية . وفي المقام الثاني ، فان جانبا من معطيات ماضى المريض وتاريخ مرضه ، مما يجده المرضى في متناولهم في ظروف أخرى ، يغيب عنهم حين يقومون بالفعل بسرد قصتهم ، ولكن دون أن يرجع ذلك الى أية تحفظات مقصودة من جانبهم ، وذلك هو الدور الذي تلعبه المراوغة اللاشعورية . وفي المقام الثالث ، توجد دائما أمنيذات

(١) بعث الى طبيب بشقيقتة للعلاج النفسى ، واخبرنى بانها تتابع منذ سنوات وبغير طائل ، علاجها كحالة هستيريا (آلام ومشية مضطربة) : بدت الصورة المقتضبة التى أمدنى بها مسابرة تماما لهذا التشخيص . ولكنى طلبت الى المريضة فى الجلسة الاولى ان تسرد لى بنفسها تاريخ حياتها . فلما جاءت قصتها مكتملة فى وضوحها وتماسكها على الرغم من النوعية الخاصة للأحداث التى تنطوى عليها ، قلت لنفسى أن هذه الحالة لايمكن أن تكون هستيريا ، وقمت على الفور بإجراء كشف طبي دقيق . وقد تمخض هذا الفحص عن التشخيص : خراج Tabes فى مرحلة متقدمة نوعا ، وقد جرى علاجها فيما بعد بحمض الزئبق H. G injections الزيت السنجانى huile grise على يد الاستاذ لانج . وحققت تحسنا ملحوظا .

(٢) أن الامنيذات والبراميتزيات ترتبط فيما بينها بعلاقة تتنام فحيث تكبر الفجوات فى الذاكرة ، ثقل الذكريات الكاذبة وبالعكس فان الذكريات الكاذبة هذه يمكن ، بالنسبة للنظرة الاولى ، أن تحجب وجود الامنيذات .

حقه - فجوات في الذاكرة تغيب منها ليس فقط ذكريات قديمة ، بل حتى ذكريات جد حديثة - وبارامنيزيات ، هي خداعات ذاكرة أو ذكريات كاذبة ، تكونت بصفة ثانوية لتماماً تلك الفجوات (٢) . بل أنه عندما تكون الأحداث ذاتها باقية في الذاكرة ، فإن الهدف الذي تسعى اليه الأمنيزيات يمكن أن يتحقق بشكل أكسيد أيضاً متى أنمحت علاقة ، والعلاقة تنمحي بأقصى درجة من التأكيد متى تغير الترتيب الزمني للأحداث . ومن ثم فإن هذا الترتيب الزمني يكون دائماً أكثر العناصر في محتويات الذاكرة تعرضاً للإصابة ، وأكثرها سهولة في التعرض للكبت . ونحن نلتقى بكثرة من الذكريات هي في المرحلة الأولى من الكبت أن جاز القول ، فهي ذكريات مبعأة بالشكوك . وهذه الشكوك يمكن في مرحلة لاحقة أن تخلق مكانها لنسيان أو لذكرى كاذبة (١) .

وثمة اعتبارات من طبيعة نظرية تحملنا على أن نعتبر هذه الحالة التي عليها الذاكرة خاصية لازمة للأعراض الهستيرية . وفي مسار العلاج يدلى المريض بالوقائع ، التي ، وان تكن معروفة لديه طوال الوقت ، كان يحتجزها ، أو لم تخطر بباله . فالبارامنيزيات تتكشف استحالة التمسك بها ، وفجوات الذاكرة تمتلئ ولن يكون من الممكن الاقرب نهاية العلاج ، أن نجد أمامنا تاريخ حياة مكتمل ، يتتابع في منطقية ، وينفتح للفهم . وبينما للهدف العملي للعلاج هو ازالة كل ما يمكن ازالته من أعراض ، واضعين في مكانها أفكاراً شعورية ، فثمة هدف آخر ، الهدف النظري ، وهو اصلاح كل ما لحق بذاكرة المريض من تلف . والهدفان متساوقان ، فعندما نبليغ الى الواحد نبليغ الى الآخر ، واليهما يؤدي طريق واحد بعينه .

وتلزمنا طبيعة الوقائع التي تشكل مادة التحليل النفسي أن

(١) حين يكشف مريض عن شكوكه أثناء سرده ، فقد علمتنا الخبرة قاعدة يتحتم بمقتضاها أن لالتقى بالا على الاطلاق لمثل هذه الاموال التي يعبر بها عن حكمه . أما اذا تارجح في سرده بين روايتين ، فينبغي أن نميل الى أن نعتبر روايته الاولى هي صحيحة ، وان نعتبر الثانية ناجمة عن الكبت .

نبدل ، في تواريخ الحياة التي ندرسها ، من الاهتمام بالظروف الانسانية والاجتماعية الصرفة لمرضانا ، بقدر ما نبدل من اهتمام بالمعطيات البدنية وبالأعراض المرضية . وأكثر من أى شئ سوف يتجه اهتمامنا الى ظروفهم العائلية - وليس ذلك فقط ، كما سيتضح فيما بعد ، لجرد تقصى وراثتهم .

أن مريضتنا - موضوع هذا المقال - ، وهى شابة فى الثامنة عشرة من عمرها ، تتألف عائلتها فضلا عنها من أبويها وآخ يكبرها بعام ونصف . كان أبوها هو الوجه المهيمن فى هذه العائلة ، ويرجع ذلك الى ذكائه وشخصيته ، بقدر ما يرجع الى ظروف حياته . وكانت تلك الظروف هى نفسها التى شككت للمريضة اطار طفولتها ومرضاها . وفى الوقت الذى بدأت فيه علاج الفتاة كان أبوها فى أواخر الأربعينات ، رجلا متدفق النشاط ، ينعم بمواهب غير عادية ، وكان من كبار رجال الصناعة ، ويعيش فى ظروف مادية ناعمة . كانت ابنته أشد ما تكون حنانا فى تعلقها به ، وبسبب ذلك فان قدراتها النقدية ، التى استيقظت مبكرة ، قد تأذت ، بنفس الدرجة من القوة والتبكير ، من جراء أفعاله وسماته الشخصية .

بل ان حبها لأبيها قد تزايد منذ عامها السادس بسبب الامراض الشديدة التى تعرض لها . ففى ذلك الوقت أصيب بمرض أنسل ، فانتقلت العنقه بسبب ذلك الى بلدة صغيرة تمتاز بطيب مناخها ، وتقع فى إحدى مقاطعاتنا الجنوبية . وهناك تحسن سريعا مرضه الرئوى ، ولكن بالنظر الى الاحتياطات التى كانت ما تزال تعد ضرورية ، فقد استمر الأبران والطفلان ، لعشر سنوات تالية ، يقيمون بصفة أساسية فى هذا المكان ، الذى سوف أسميه ب - : وعندما تحسنت صحة أبيها كان من عادته أن يرحل بين حين وآخر يتفقد مصانعه . وفى آخر فترة فى الصيف اعتادت العائلة أن ترحل الى منتجع صحى فى الجبل .

وحين كانت الفتاة فى العاشرة من عمرها تقريبا ، كان على أبيها أن يتابع دورة علاجية فى غرفة مظلمة بسبب انفصال شبكى . وقد تمخض هذا الحدث التعس عن قصور دائم فى بصره . ولكن أخطر

مرض عاناه وقع له بعد عامين تقريبا . كانت نوبة من الخلط العقلي ،
أعقبتها أعراض شلل واضطرابات نفسية طفيفة .

ولقد اقنعه صديق له (يلعب دورا في القصة سوف نعرض له
فيما بعد) ، حين بدأت صحته بالكاد تتحسن ، أن يسافر الى فينا مع
طبيبه ويحضر لى للاستشارة . ترددت بعض الوقت فيما ان كانت
المحالة لا ينبغي اعتبارها شللا راجعا الى الخراج ، ولكنى أنتهيت
آخر الأمر الى تشخيصها على أنها اصابة عامة في الجهاز الوعائى ،
وحيث أن المريض قد صرح بأنه بتعرضه قبل الزواج لعدوى متعينة
(بالزهرى) فقد وصفت له دورة من العلاج الشديد الفاعلية ضد
الزهرى ، كان من نتيجتها أن انحسرت جميع الاضطرابات التى كانت
ما تزال باقية . وليس من شك فى أن هذا التدخل الموفق من جانبى
هو الذى حدا به بعد أربعة أعوام أن يجيء الى بابنته ، التى كانت
قد غدت ، خلال هذه الفترة ، عصابية بشكل أكيد ، وبعد عامين
آخرين ، الى أن يسلمها الى العلاج النفسى .

وخلال هذه الفترة أيضا كنت قد تعرفت فى فينا بشقيقة له ، كانت
تكبره بقليل . وكانت لديها شواهد تقطع بوجود شكل خطير من
العصاب النفسى دون أية أعراض هستيرية مميزة . وبعد حياة
أسقمها زواج تعس ، توفيت من هزال استنفط فى سرعة ، ظلت
أعراضه فى الواقع غير مستجلاة تماما . وثمة شقيق أكبر لوالده
الفتاة ، تصادف لى أن التقيت به مرة ، كان أعزب ويعانى من
الهيوكوندريا (توهم المرض) (١) .

(١) (لنتنبه الى وجود عديد من الاقرباء الاخرين لدورا سوف يتتابع
ذكرهم . فالمؤلف يتحدث مثلا فى ص ١٨ عن « عمها وبناته » الامر الذى
ينضح منه وجود عم آخر لها غير هذا العم الاعزب . وفى ص ٨١ يأتى
الحديث عن ابن عم شاب ثم عن ابن عم آخر ، وفى ص ٤٦ تبرز . ابنة
خالة لها . . الخ وثمة صعوبة فى الاستنباط الدقيق للعمومة أو الخثولة
فى بعض المواضع بالنظر الى التعبير عن القرابين بكلمة واحدة فى اللغات
الاروبية . المترجمون)

كانت الفتاة التي أصبحت ، كما أشرت ، مريضتي وهي في الثامنة عشرة ، تتجه دائما بعواطفها الى أسرة ابيها ، ومنذ أصابها المرض اتخذت من عمته السالفة الذكر مثلها الأعلى . ولم يكن أيضا ثمة شك في أن الفتاة قد أخذت عن أسرة أبيها ليس فحسب مواهبها الطبيعية وتفتحها العقلي الباكر ، وإنما أخذت عنها أيضا الاستعداد للمرض . لم أتعرف قط على أمها . ولكني من أقوال الفتاة وأبيها تصورت أنها امرأة غير مثقفة ، وعلى الأخص عديمة الفطنة ، ركزت اهتماماتها في الأعمال المنزلية ، وخاصة منذ مرض زوجها وما أدى إليه من تباعد بينهما . كانت في الواقع تقدم لوحه لما يمكن أن نسميه « ذهان الزوجة - الخدامة » لم يكن بوسعها أن تتفهم آمال طفليها ، وكان شغلها الشاغل طوال اليوم هو تنظيف البيت ، آثاثه وأدواته وأوانيها ، والابقاء على كل شيء نظيفا الى حد يكاد يستحيل معه استخدامه أو الاستمتاع به . وهذه الحالة التي غالبا ما نجد ملامح منها عند ربات البيوت العاديات ، تذكرنا ولا شك بأشكال الاغتسال العصابي القهري ، وبصور أخرى من النظافة القهرية العصابية . ولكن ربات البيوت هؤلاء (وهذا يصدق على أم المريضة) ليس لديهن أى استبصار بمرضهن ، ومن ثم تغيب عندهن خاصية أساسية « للعصاب القهري » . كانت العلاقة بين الفتاة وأمها يعوزها منذ سنوات الطابع الودى . كانت الفتاة لا تحفل بأمرها ، وكان من عاداتها أن تنهال عليها بالنقد في غير رحمة ، وكانت بمنأى تماما عن تأثيرات أمها (١) .

(١) صحيح أننى لا أتبنى الرأى القائل بأن الوراثة هي العامل الوحيد المسبب للهستيريا ولكنى من ناحية أخرى - وأنى أقرر ذلك بالرجوع بصفة خاصة الى بعض كتاباتى السابقة « الوراثة والاسباب المولدة للاعصاب » ١٨٨٦ ، المقالات مجلد 1 Collected Papers التي حاربت فيها هذا الرأى - حريص على أن لايفهم من ذلك أننى أقلل من قيمة الوراثة فيما يتصل بالاسباب المولدة للهستيريا ، أو أننى أؤكد امكانية الاستغناء عنها وبالنسبة الى مريضتنا الحالية ، فان المعلومات التي قدمتها عن أبيها وشقيقه وشقيقته تشير الى وراثة لها ثقلها ، والواقع أنه اذا كان لنا أن نعتقد بأن الشواهد المرضية من قبيل مانجده عند أمها ينبغى أن =

وخلال السنوات الباكرة ، كان أخوها الوحيد (أخوها الذي يكبرها بعام ونصف) هو المثل الأعلى الذي تتجه مطامحها اليه . التشبه به . ولكن العلاقات بين الأخ وأخته قد اخذت في السنوات الأخيرة تتباعد أكثر فأكثر . كان من عادة الأخ الشاب أن يحاول ما وسعه الأمر أن يكون بمنأى عن المنازعات العائلية ، ولكنه عندما كان يجد نفسه مضطرا لأن يتخذ جانبا في النزاع كان يقف بالحرى الى جانب أمه . وهكذا فان التجاذب الجنسي المألوف قد قرب من ناحية بين الأب والأبنة ، ومن ناحية أخرى بين الام والابن .

والمريضة ، التي سوف أشير اليها باسم دورا ، بدأت تظهر عندها ، منذ عامها الثامن ، أعراض عصابية . فقد اعتراها في ذلك الوقت عسر تنفس مزمن ، مع نوبات بين حين وحين ، كان المرض أثناء يستفحل جدا . حدث الظهور الاول لهذا المرض عقب نزهة قصيرة في الجبل ، ومن ثم كانت نسبته الى الانهك الزائد . وخلال ستة أشهر ، كانت فيها ملزمة بالراحة وموضع عناية فائقة ، انحسر

= تنطوي أيضا على استعداد وراثي ، فعندئذ يمكن النظر الى العوامل الوراثية عند المريضة على أنها متلافية . وفي تصوري ، فان هناك مع ذلك عاملا آخر أعظم دلالة بالنسبة للاستعداد الوراثي أو بتعبير ادق الاستعداد الجيلي عند هذه الفتاة : فقد ذكرت ان أباها أصيب بالزهري قبل زواجه . وقد تبين لي أن نسبة مئوية عالية بشكل لافت من بين المرضى الذين عالجتهم بانتحييل النفسى ينحدرون من آباء سبق أن أصيبوا بالخراج أو ذهان الشلل العام . وسبب مايطبع طريقتي في العلاج من جدة فأنى لا أرى من الحالات ألا أخطرها وهي التي ظلت تحت العلاج سنوات دون طائل . وبحسب نظرية أرب - فورنيه Erl - Fournier يمكن النظر الى الخراج أو الشلل العام عند الآباء الذكور أنه بمثابة دليل على أصابة باكرة بالزهري والورم التي انتهت اليها من حيرتى كطبيب لامراض الجهاز العصبى ، ألا وهي عدد من المقالات . وفي أحداث البحوث على نسل الآباء المصابين بالزهري (المؤتمر الدولى الطبى الثالث عشر المنعقد في باريس ما بين ١ أو ٩ أغسطس ١٩٠٠ : أبحاث فنجر وشارنوفكس وجوليان الخ ، لم أجد إشارة الى النتيجة التي انتهت اليها من خبرتى كطبيب لامراض الجهاز العصبى ، ألا وهي أن الزهري عند الاب المذكور هو عامل جد فعال في تشكيل الجبلة العصبية الباثولوجية للاطفال .

عنها المرض شيئاً فشيئاً • ويبدو أن طبيب العائلة لم يتردد لدخلة واحدة في تشخيص الاضطراب على أنه عصبى صرف ، وفى استبعاد أى سبب عضوى لعسر التنفس ، ولكن من الواضح أنه اعتبر هذا التشخيص مسائرا لاعتقاده بأن السبب المولد للمرض هو الانهالك الزائد (١) •

وقد أجتازت الفتاة الصغيرة الأمراض المعدية المألوفة للطفولة دون أن يخلف ذلك عندها أى ضرر • وكما قالت لى بنفسها — وكانت كلماتها تستهدف الايحاء بمعنى أعمق — فإن أباها كان دائما يسبقها فى الإصابة بالمرض ، يعتريه عادة فى صورة جد هينة ، وبعدئذ كانت تتبعه إلى المرض فى صورة خطيرة منه • وعندما بلغت الثانية عشرة تقريبا بدأت تعاني من صداع نصفى ومن نوبات سعال عصبى • فى البداية كان هذان المرضان يظهران دائما معا ، ولكنهما أصبحا بعد ذلك منفصلين ومضى كل فى مسار مختلف • فالصداع النصفى مضى أندرا فأندر ، واختفى عندما بلغت السادسة عشرة • أما نوبات السعال العصبى ، التى كان يطلقها بغير شك زكام عادى فقد استمرت حدوثها طوال الفترة كلها • وعندما حضرت الى العلاج ، وهى فى الثامنة عشرة ، كانت تجتاز نوبة وما تزال تسعل على نحو متميز • وهذه النوبات لم يكن من الممكن تحديد مداها ، فقد كانت تمتد من ثلاثة الى خمسة أسابيع ، بل لقد امتدت مرة بضعة أشهر • كان أكثر الأعراض ازعاجا فى النصف الأول من نوبة من هذا القبيل ، وذلك على الأقل فى السنوات القليلة الأخيرة ، ينحصر فى فقدان تام للصوت • كان التشخيص منذ وقت طويل هو : ان الأمر يتعلق هنا أيضا بحالة « عصبية » ، ولكن مختلف طرائق العلاج المألوفة ، بما فى ذلك المعالجة بالأياه والمعالجة الموضوعية بالكهرباء ، لم تتممخض عن أية نتيجة • فى مثل هذه الظروف استحالت الطفلة الى شابة ناضجة تتميز باستقلالية شديدة فى أحكامها وقد ألفت السخرية من جهود الأطباء ، وانتهت آخر الأمر ، الى رفض معونتهم ، كانت ترفض دائما

(١) وسوف نعرض فيما بعد السبب الذى أثار هذا المرض الاول •

الاستشارة الطبية ، وان لم يكن لديها أى شىء ضد شخص طبيب العائلة . كان كل اقتراح باستشارة طبيب جديد يستثير عندها المقاومة ، وكانت سلطة أبيها ليس غير ، هى التى جاءت بها الى . رأيتها أول مرة فى بداية الصيف عندما كانت فى السادسة عشرة من عمرها . كانت تعاني من السعال ومن بحمة فى الصوت ، وقد نصحت لها حتى فى ذلك الوقت بالعلاج النفسى . ولكن نصيحتى لم تقبل ، اذ أن النوبة كغيرها اختلفت تلقائيا ، وان استمرت على غير العادة طويلا . وفى شتاء العام التالى قدمت الى فيينا وأقامت فيها مع عمها وبناته (١) ، وذلك بعد موت العممة التى كانت الفتاة جد مولعة بها . فى ذلك الحين أصيبت بخمى جرى تشخيصها : التهاب الزائدة الدودية (٢) . وفى الخريف التالى ، اذ كانت صحة أبيها تسمح بذلك رحلت الاسرة بصفة نهائية عن ب - موطن الاستشفاء . أقامت أولا فى البلدة التى بها مصنع الاب ، ولم يكد يمضى عام حتى انتقلت نهائيا الى فيينا .

فى ذلك الوقت كانت دورا قد بلغت زهرة الشباب ، فتاة تنطق ملامحها بالذكاء والجادبية . ولكنها كانت مصدر نكد شديد لأبويها . كانت الاعراض الاساسية لحالتها هى الاكتئاب (العصابى) واضطراب الشخصية . كان واضحا أنها لم تكن راضية لا عن نفسها ولا عن عائلتها ، كان اتجاهها من أبيها غير ودى ، وكانت علاقتها شديدة السوء مع أمها ، التى تريد فى اصرار أن تستدرجها الى الاسهام فى أعمال المنزل . كانت تحاول تجنب العلاقات الاجتماعية ، وكانت تشغل نفسها - ما سمح لها التعب والعجز عن التركيز اللذان كانت تشكو منهما - بحضور محاضرات للنساء وبمتابعة دراسيات جادة بدرجة أو اخرى . وذات يوم استولى الفرع على أبويها عندما عثرا فى مكتب الفتاة أو فوقه على خطاب تودعهما فيه لأنها -

(١) فى الترجمة الفرنسية « وبنات عمومته » اذ أن العم الوحيد الذى سبقته الاشارة اليه أعزب ، المترجمون .

(٢) فيما يتصل بهذه النقطة ، انظر تحليل الحلم الثانى .

كما قالت — لم تعد تستطيع أن تحتل حياتها (١) • والواقع أن اباهما ، بفكره الثاقب ، أحس بأن الفتاة ليست لديها نية جادة للانتحار • ولكن الأمر مع ذلك قد هزم بشدة ، وذات يوم ، وعلى أثر مناقشة هينة بينه وبين ابنته ، اذ انتابها أول نوبة أعماء (٢) — واقعة حجبها فيما بعد أمفزييا — قرر الاب على الرغم من المعارضة التي أبدتها ، ضرورة حضورها الى العلاج •

وليس من شك أن تاريخ الحالة هذه على نحو ما أوجزته ، لا يبدو في جماته جديرا بال نشر • فهي ليست غير حالة « هستيريا صغرى » (Petite Hystérie) بأعراضها البدنية والنفسية الأكثر شيوعا • عسر التنفس ، والسعال العصبى ، وفقدان الصوت ، وربما الأصدعة النصفية مع الاكتئاب المصابى والاجتماعية الهستيرية ، والتبرم بالحياة هذا الذى يحتل أن لا يكون مكتمل المصدق • فئمة حالات من الهستيريا أكثر طرافة ولا شك قد سبق نشرها ، وكانت فى الأغلب أفضل فى عرضها ، اذ لن نلتقى فى الصفحات التالية بشيء عن مياسم (٣) الحساسية الجلدية ، أو عن انكماش الحقل البصرى ، أو ما شابه ذلك • ومع ذلك فقد أجتريء على القول بأن تلك المجموعات كلها من الظواهر غير المألوفة والعجيبة للهستيريا لم تتقدم الا قليلا بمعارفنا عن مرض ما يزال كما كان دوما

(١) كما سبق ان اوضحت ، فان علاج الحالة ، وبالتالي فان استبصارى بالاحداث العديدة المتشابهة • قدبقى جزئيا ومن ثم فهناك كثرة من الاسئلة التى لا يستطيع أن أقدم لها جوابا ، أو التى لا أستطيع ان أعول فيها الا على تلميحات وفروض • وقد وردت مسألة الخطاب هذه خلال احدى جلساتنا ، وأبدت الفتاة علامات الدهشه • تساءلت • « كيف بالله عثر على هذا الخطاب ؟ لقد أغلقت عليه داخل مسكنى • » ولكن حيث انها كانت تعلم أن ابويها قرأ مسودة خطاب الوداع ، فأنى استنتج انها كانت قد رقت الامر بحيث يقع فى أيديهما •

(٢) كانت النوبة فيما أعتقد مصحوبة بتشنجات وهذيانات • ولكن نظرا لان التحليل لم يبلغ الى هذه الواقعة هى الاخرى ، فليس بين يدي فى هذا الموضوع ذكريات اكيدة يمكن التحويل عليها •

لغزا هائلا . فما نحتاج اليه هو على التحديد ايضاح للحالات الأكثر شيوعا ، ولاعراضها الاكثر تواترا ونمطية . وكنت اخون جد مغتصب لو ان الظروف أتاحت لى أن أقدم ايضاحا مكتملا لهذه الحالة من « الهستيريا الصغرى » ، وخبرتى مع المرضى الآخرين لاتجعلنى أشك بحال فى أن طريقتى التحليلية كانت ستمكنتنى من ذلك .

وفى عام ١٨٩٦ ، وبعد قليل من ظهور كتابى « دراسات فى الهستيريا » (وهو الذى كتبته بالاشتراك مع الدكتور ج . بروير) ، سألت شخصية مبرزة من الزملاء الاخصائيين عن رايه فى النظره السيكولوجية فى الهستيريا ، والتي جاءت فى ذلك الكتاب . أجابنى بصراحة أنه يعتبرها تعميما غير شرعى لنتائج قد تصدق على عدد قليل من الحالات . ومنذ ذلك الوقت رأيت كثرة من حالات الهستيريا ، وقضيت مع كل حالة أياما من العمل أو أسابيع أو أشهر أو سنوات فما من حالة واحدة لم أعثر فيها على المخدرات السيكولوجية المبينة فى « دراسات فى الهستيريا » ، ألا وهى صدمة نفسية وصراع وجدانات ، وعامل آخر — كشفت عنه فى مؤلفات لاحقة — هو اضطراب فى مجال الجنسية . ومن الطبيعى أن لا نقوع من المريض أن يسعى الى الطبيب ، يلتقى به فى منتصف الطريق ، ليقدم اليه مادة غدت — بسبب جهادها نفسه لأن تبقى خبيثه — مولدة للمرض ، كما لا ينبغى على الباحث أن يقتنع بأول « لا » .^(١)

(١) مثال على ذلك : زميل طبيب فى فيينا ، ربما كان اقتناعه بعدم أهمية العوامل الجنسية فى الهستيريا قد تدعم الى حد بعيد بخبرات من هذا التبل ، عرضت عليه حالة صبية فى الرابعة عشرة كانت تعاني من قسى هستيرى خطير . عقد عزمه على أن يلتقى اليها بهذه السؤال الاليم عما أن حانت قد سنحت لها على الاطلاق علاقة عاطفية مع رجل أجابت الصبية « لا ! » فى تصنع للدهشة ولاشك ، ثم قالت بعد ذلك لامها بطريقتها غير المهذبة : « تصورى ! » أن هذا العجوز الغبى سألنى ما أن كنت عاشقة : ، وحضرت الى فيينا بعد للعلاج . وقد تبين ولم يكن ذلك بالتأكيد فى الجلسة الاولى — أنها كانت خلال سنوات عديدة تستمنى ، وكان استمناؤها مصحوبا بلوكوريات (افرازات بيضاء) غزيرة (وهى وثيقة الصلة بالقى =

في حالة دورا ، - وفضل ما كان لأبيها من فكر ثاقب اشيرت
اليه أكثر من مرة - لم أكن بحاجة الي أن أفتش عن مواطن الارتباط
بين أحداث حياتها ومرضاها ، على الأقل في أحدث صورة له . قال لي
أبوها أنه أثناء اقامته ببلدة ب - ربطته هو وعائلته صداقة حميمة
مع زوجين كانت اقامتها هناك قد امتدت سنوات عديدة . كانت
مدام ك - قد قامت بتمريضه الطويل ، واستحقت بذلك ، على حد
قوله ، عرفانه الأبدي . أما السيد ك - فقد كان دائما أعظم ما يكون
رعاية لدورا . كان يخرج في نزاهات معها عندما يكون بالبلدة وكان
يقدم لها هدايا صغيرة ، وما كان لأحد أن يجد في ذلك أي ضرر .
وكانت دورا تعنى أعظم عناية بطفلى عائلة ك - ، فكانت تقريبا
أما لهما . وعندما حضرت دورا مع أبيها لرؤيتي قبل ذلك بعامين
أثناء الصيف ، كانا في طريقهما للحاق بالسيد ك - وقرينته الذين
كانا يقضيان الصيف على شواطئ إحدى بحيرتنا في الألب . كان
على دورا أن تقضى بضعة أسابيع مع عائلة ك - بينما كان أبوها
ينتوى أن يرحل عنهم بضعة أيام وخلال تلك الفترة كان السيد ك -
يقيم هناك أيضا . وعندما بدأ أبوها يتهيأ للرحيل أعلنت الفتاة
فجأة ، وفي اصرار شديد ، أنها سترحل معه ، ونفذت في الواقع
ما أصرت عليه . وعلى هذا التصرف الغريب من جانبها ، لم تلق
دورا أي ضوء قبل مضي بضعة أيام . عندئذ قالت لأبها - وكانت
تقصد أن يبلغ ما تقوله الي أبيها - أن السيد ك - قد اجترأ على
أن يطارحها حبه وهما يسيران بعد نزهة على البحيرة . وفي اللقاء
التالى طلب الأب والعم من السيد ك - أن يقدم ايضاحا عن الأمر ،
ولكنه أنكر في أشد الكلمات حسما أن يكون قد صدر عنه أي شيء
يمكن أن يفهم على هذا النحو . ثم بدأ يلقي ظلال الشك على الفتاة ،

= عندما) ثم تخلصت أخيرا من تلك العادة ، ولكنها ظلت تتعذب ، فيامتناعها ،
بأقصى احساس بالاثم ، الي حد أنها كانت تعتبر كل النكبات التي تحيق
بعائلتها عقوبة سماوية على انتهاكاتها السابقة ، هذا الي أنها قد انفلتت
بقصة خالة لها غير متزوجة كان حملها (وهو عامل ثان للقيء عندها)
قد أخفى عنها أمره بنجاح فيما يظن . كانوا يتوهمون الفتاة « مجرد
طفلة ، ولكن اتضح أنها خبرت كل أساسيات العلاقة الجنسية

قائلا بأنه كان قد سمع من مدام ك — بأنها لم تكن تهتم بشيء الا بالمسائل الجنسية بل أنه كان من عاداتها ، وهي في بيتهم على شاطئ البحيرة ، أن تقرأ كتاب مانتيجازا Manteggazze « فسيولوجية الحب » ، وكتبا أخرى من هذا القبيل . وأضاف قائلا بأن الفتاة في أغلب الظن قد أثارتها هذه القراءات الى أبعد حد فتخيلت — ليس الا — كل المشهد الذي وصفته .

ومض الأب في حديثه قائلا : « ليس لدى شك في أن هذه الحادثة هي السبب في اكتاب دورا وانفعالها وأفكارها الانتحارية . لقد مضت تلح على بأن أقطع صلتي بالسيد ك — وعلى الأخص بمدام ك — التي كانت من قبل تجلها بشكل ايجابي . ولكن ذلك مالا أستطيعه . أولا ، لأني أنا نفسي أعتقد أن حكاية دورا عن التصرفات اللا أخلاقية للرجل هي مجرد أخبولة استولت على عقلها ، وثانيا ، فاني تربطني بمدام ك صداقة نبيلة ولست أحب أن أؤذي مشاعرها . فهذه المرأة المسكينة هي أتس ماتكون مع زوجها ، هذا الذي فكرتني عنه ليست جد عالية . فقد عانت هي نفسها كثيرا من أعصابها وأني سندها الوحيد ولست في حاجة — بالنظر الى حالتي الصحية — أن أؤكد لك ما من شيء غير مشروع يشوب علاقتنا . اننا لسنا غير كائنين تعيسين يتعزيان ماوسعهما الامر اذ يتبادلان التعاطف المودود . فأنت على علم من قبل بأن زوجتي لاتمثل شيئا بالنسبة لي . ولكن دورا التي ورثت عنادى يستحيل زحزحتها عن كراهيتها لعائلة ك — ، فقد اعترتها النوبة الأخيرة على أثر حديث ألفت على فيه من جديد أن أقطع صلتي بهم . أرجوك أن تحاول ، وأن تردنا الى الصواب » .

لم تكن أحاديث أبيها تتفق تماما على الدوام مع هذه الكلمات ، ففي مناسبات أخرى كان يحاول أن يلقى بمسئولية سلوك دورا الذي لا يطلق على أمها ، التي كانت غرائبها تجعل الحياة في البيت مستحيلة على الجميع . ولكنني قررت منذ البداية أن لا أصدر حكما على حقيقة الأمر حتى أستمع الى الطرف الآخر أيضا .

أن التجربة مع السيد ك — مغالته لها وما ينطوى عليه ذلك من جرح لشرفها — تشكل على ما يبدو الصدمة النفسية في حالة دورا ،

هذه الصدمة التي سبق لبرويرولي أن أعلن منذ وقت طويل أنها
للشريط الضروري السابق لحدوث اضطراب هستيري . ولكن هذه الحالة
الجديدة تنطوي أيضا على كل الصعوبات التي حملتني منذ ذلك الوقت
على أن اتخطى هذه النظرية (١) ، هذا إلى صعوبة إضافية من طبيعة
خاصة . ذلك أن الصدمة التي تبدو لنا في حياة دورا ، كما يحدث
غالبا في تواريخ الحالات الهستيرية ، تنقصر عن تفسير أو تصديد
الطابع المميز للاعراض ، ففهمنا للامر كله ما كان ليزيد أو ينقص لو
أن الصدمة قد تمخضت عن أعراض أخرى تماما غير السعال العصبي،
وفقدان الصوت والاكنتاب ، والتبرم بالحياة . وينبغي أن نضيف
هنا أيضا أن جانبا من الأعراض - السعال وغقدان الصوت - كان
قد سبق ظهوره عند المريض قبل الصدمة بسنوات ، وأن ظهوره الأول
ينتسب إلى طفولتها ، من حيث أنه ظهر في عامها الثامن . وعليه فإذا
كان علينا أن لا نتخلى عن نظرية الصدمة ، من المحتمل أن نرجع إلى
الوراء ، إلى طفولتها ، مفتشين فيها عن أية تأثيرات أو انطباعات كان
من الممكن أن يكون لها أثر شبيه بأثر الصدمة . ومما هو جدير أيضا
بالملاحظة أنني حتى في دراستي للحالات التي لم يسبق فيها أن ظهرت
الاعراض الأولى . ابان الطفولة ، وجددتني منساقا إلى أن أرجع إلى
الوراء ، إلى السنوات الأولى من تاريخ حياة المرضى (٢) .
فعندما تم التغلب على الصعوبات الأولى في العلاج ، روت لي

(١) أنني تخطيت تلك النظرية ، ولكني لم أتخل عنها ، بمعنى أنني
اليوم لا أعتبر تلك النظرية خاطئة بل غير مكتملة . فإني لم أعد بالاهمية
على « حالة شبه النوم المغناطيسي » المزعومة ، والتي كان يعتقد بأنها تظهر
عند المريض أثر الصدمة ، وكان يعتقد انها المسئولة عن كل مايلي من ظواهر
سيكولوجية شاذة . وإذا كان من الجائز في عمل مشترك تحديد الانصبه فيما
بعد ، فإني أنتهز هذه الفرصة لأقرر أن الغرض الخاص « مجاله شبه النوم
المغناطيسي » - وهو الذي يميل كثير من النقاد إلى اعتباره محور كتابنا -
كان بكلية نتاج مبادرة من بروير فإني من جانبي أعتبر أن استخدام هذا
المصطلح لا لزوم له وأنه مفضل لانه يقطع تواصل المشكلة ، التي تنحصر
في تبين العمليات السيكولوجية الخاصة بتكوين الاعراض الهستيرية .

CF: The Aetiology of Hysteria (1896). Collected

(٢)

دورا حدثا أبكرَ مع السيد ك - هو الاجدر من الحادث الاخر بان يفعل فعل الصدمه . كانت اذ ذلك في عامها الرابع عشر .

وكان السيد ك - قد رتب معها ومع زوجته ان تحضرا اليه عصر يوم في محل عمله بالميدان الرئيسي ببلده ب - لمشاهدة موكب ديني ولكنه اقنع زوجته بالبقاء في البيت ، وصرف مساعديه ، بحيث كان بمفرده عندما وصلت الفتاة . وعندما اقترب موعد الموكب ، طلب الي انفتاة ان تنتظره عند باب السلم المؤدى الى الطابق العلوى ، ريثما يعلق ارباب الخارجى لصلته . ثم عاد اليها ، وبدلا من يخرج معها من انبواب المفتوح ، ضم الفتاة فجاة اليه وقبلها على شفئها . كان ذلك بالتاكيد وعلى التحديد، موقفا من شأنه أن يثير شعورا متميزا من الهياج الجنسى عند فتاة في الرابعة عشرة لم يسبق قط أن اقترب منها رجل . ولكن دورا اعترافا في تلك اللحظة شعور جارفا بالاشمئزاز ، فانترعت نفسها بشدة متملصة من الرجل ، وتجاوزته مهولة الي بئر السلم ومنه الي باب الشارع . ولكنها مع ذلك استمرت لتلتقى بالسيد ك - ولم يشر أحدهما قط الي هذا المشهد الصغير ، وعلى حد قولها فقد احتفظت بالأمر سرا حتى اعترفت به أثناء العلاج . ولكنها على أية حال ظلت بعد ذلك فترة من الزمن تتجنب البقاء منفردة مع السيد ك - . وكان السيد ك - وقرينته قد رتبا قبيل ذلك مشروع رحلة لبضعة أيام ، وكان من المتفق عليه أن ترافقهما دورا . ولكنها ، بعد حادث القبله ، رفضت الاشتراك في الرحلة ، دون أن تبدى أى سبب لذلك .

في هذا المشهد - وهو الثانى في ترتيب السرد والاول في الترتيب الزمنى - كان سلوك هذه الصبية ذات الأربعة عشر عاما يعد بالفعل هستيريا تماما . فأنى دون أدنى تردد ، أعتبر هستيريا كل شخص تولد عنده فرصة الاثارة الجنسية الاشمئزاز (١) ليس غير ،

(١) في الاصل الالمانى وفي الترجمة الانجليزية حرفيا « مشاعر غير

سارة » - المترجمون)

أو على وجه الخصوص ، وذلك سيان ظهرت لديه أو لم تظهر أعراض
بدنية • أن استجلاء ميكانيزم انقلاب الوجدان هذا لهو مشكلة من
أهم المشكلات وهو في نفس الوقت من أعسرها في سيكولوجية
الأعصاب • وفي اعتقادي أنني مازلت بعيدا عن بلوغ هذه الغاية ،
وأضيف بأنني ، ضمن الحدود الضيقة لهذا المقال ، لن يكون بوسعي
الا أن أقدم جانب من معارف التي ماتزال قلصرة •

ولتخصيص حالة دورا لا يكفي أن نقتصر على مجرد ابران
انقلاب الوجدان فينبغي أن نضيف أنه يوجد أيضا « نقل »
للإحساس • فبدلا من الإحساس الانساني الذي كان من المؤكد أن
تستشعره في هذه الظروف (١) فتاة سوية ، اجتاح دورا ذلك الشعور
الكدر الخاص بالغشاء المخاطي عند مدخل القناة الهضمية : ونعني
الاشمئزاز • وليس من شك في أن اثاره شفتيتها بقل القبله كانت لها
أهميتها في تحديد موضع الشعور في هذا المكان بالذات ، ولكني
أستطيع فيما اعتقد أن أتبين أيضا عاملا آخر يعر عمله (٢) •

فالاشمئزاز الذي استشعرته دررا في هذه المناسبة ، لم يتحول
الى عرض دائم ، وحتى في وقت العلاج لم يكن له من وجود الا
بالقوة ، ان جاز القول • كانت مقلة في طعامها ، واعترفت بأن لديها
بعض النفور من الطعام • ولكن ذلك المشهد ، من ناحية أخرى ، قد
خلف وراءه أثرا ثانيا في صورة هلوسة حسية تعاود الظهور بين حين
وحين ، بل لقد ظهرت وهي تسرد على حكايتها • فقد صرحت بأنها
تستشعر « الآن » أيضا على الجزء العلوي من بدننا ضغط ذلك
العناق • وبمراعاتي بعض ما سبق لي كشفه من قوانين تكوين

(١) سوف يتضح حكينا على هذه الظروف عندما نلتق عليها مزيدا من الضوء •

(٢) لم يكن اشمئزاز دورا بفعل القبله بالتاكيد راجعا الى اسباب عارضة ، والا لما
عجزت عن أن تذكرها وتسردها . فقد تصادف لي أن تعرفت على السيد ك - إذ كان
هو الشخص الذي حضر مع أبيبا لزيارتي ، وكا رجلا مايزال في شبابه خلاب الظهر •

الأعراض ، وفي نفس الوقت بغقدى الصلة مع بعض الغرائب الأخرى للمريضه ، والتي كان يستحيل بغير ذلك تفسيرها — من قبيل عدم رغبتها في أن تمر بجوار رجل نراه منهمكا مع سيدة في حديث فيسه لهفة أو عاطفية — ، تمكنت من أن أعيد في ذهني بناء المشهد على النحو التالي • أعتقد أنها ، وهى بين أحضان الرجل المتلهفة ، قد أحست ، ليس فقط على شفيتها بقبلته ، بل أيضا على بدننها بضغط عضوه المنتصب • كان هذا الاحساس صادما لها ، فانطرد من ذاكرتها وانكبت ، وحل محلها هذا الاحساس البرئ بضغط على صدرها ، وهو احساس يدين بشدته المسرفة الى كبت الحفزة الأصلية • ومرة أخرى من جديد نجد « نقلا » من الجزء السفلى للبدن الى جزئه العلوى (١) • ومن ناحية أخرى فان ما سبق أن ذكرت من قدر من السلوك القهري لديها يبدو وكأنه يصدر عن ذكرى المشهد في غير تحريف • فهى لم تكن ترغب في أن تمر بجوار أى رجل تعتقد أنه في حالة هياج جنسى ، لأنها لم تكن ترغب في أن تشهد مرة ثانية العلامة البدنية لهذا الهياج •

ومما تجدر ملاحظته أننا هنا أمام ثلاثة أعراض — الاشمئزاز ، والاحساس بالضغط على الجزء العلوى من البدن ، وتجنب الرجال المنهمكين في حديث عاطفى — وكلها ترجع الى تجربة واحدة بعينها ، وأننا ان لم نضع في اعتبارنا العلاقة المتبادلة بين هذه الظواهر الثلاث فلن نستطيع أن نفهم الكيفية التى بها يتم تكون الأعراض • فالاشمئزاز هو العرض المناظر لكبت المنطقة الشبكية الفموية ، هذه المحس من أجل اللذة وضغط انقضيب المنتصب. يحتمل أن يكون قد أدى الى تغير مماثل في العضو الأثنوى المناظر ، البظر ، واثارة هذه المنطقة

(١) ان النقل من هذا القبيل ليس مرضا أممناه خصيصا لتفسير هذه الواقعة وحدها ، فهذا الفرض قد تأكد من لاغنى عنه لتفسير فئة نسيحة من الامراض • فمهند علاوى لدورا التقيت بمثال آخر لعناق (يغير تبلة في هذه المرة) تسبب عنه رعب • كانت حالة سيدة شابة ولها بخطيبتها ، ولكنها فجأة بدأت تشعر تجاعة ببرود مصحوب باكتئاب شديد ، وعندئذ حضرت الى للعلاج • ولم تكن هناك صعوبة في ارجاع هذا الرعب الى انتصاب من جانب الخطيب أحست به ولكنها طردته من شعورها •

انثبقيية الثانية ، قد احييت — عن طريق عملية نقل — الى الضغط المصاحب على الصدر ، حيث تثبتت هناك • وتجنبها للرجال الذين يحتمل أن يكونوا في حالة هياج جنسى يتبع ميكانيزم رهاب (فوبيا) ، فهدفه حمايتها ضد أى بعث جديد للادراك المكبوت •

وكيما أتأكد من صحة هذه الاستنتاجات ، سألت المريضة في حيطة شديدة ما ان كانت لديها فكرة عن العلامات ائبدنية للهياج في جسم الرجل • كان جوابها : عن الوقت الحاضر « نعم » ، وعن وقت الحادث « لا أعتقد » • وقد اتخذت مع هذه المريضة منذ البداية أقصى الحيطة حتى لا أقدم لها أية معلومات جديدة في مجال الحياة الجنسية ، وقد فعلت ذلك ، لا بدافع من تزمت الضمير ، بل لأئى كنت شديد الرغبة في هذه الحالة في أن أخضع فروضى للضبط الصارم • ومن هنا ، فأئى لم أقم بتسمية شئ باسمه ، الا بعد أن تصبح اشارتها اليه من الموضح بحيث لم تكن هناك مخاطرة تذكر في ترجمتها الى الاسم الصريح • كانت دائماً تجيب في التو ، وفي صراحة ، أنها تعرف ذلك من قبل • ولكن من أين جاءت هذه المعرفة ؟ ذلك لغز لم تستطيع ذكرياتها حله • فقد نسيت مصادر كل معلوماتها عن هذا الموضوع (١) •

واذا كان لى أن أفترض أن مشهد القبلة قد جرى على هذا النحو، فبوسعى أن أبلغ الى التفسير التالى لنشأة مشاعر الاشمئزاز (٢) • هذه المشاعر يبدو أنها في الأصل استجابة لرائحة البراز (وفيما بعد أيضا لمشهد البراز) • ولكن أعضاء التناسل يمكن أن تذكر بالوظائف الاخراجية ، وهذا يصدق بصفة خاصة على عضو التناسل الذكرى ، لأن هذا العضو يضطلع بوظيفة التبول ، كما يضطلع أيضا بالوظيفة الجنسية • والواقع هو أن وظيفة التبول هى أبكر الوظائف الى

(١) قارن الحلم التانى •

(٢) هنا ، كما هو الشأن في الحالات المشابهة ، ينبغى أن يكون القارىء مهيا لان يلتقى لأسبب واحد ، بل بعدة أسباب — بالتحتميم بأكثر من سبب •

معارفنا ، بل هي الوحيدة في معرفتنا طوال الفترة قبل الجنسية (١) .
بهذه الطريقة تصبح مشاعر الاثمئزاز وسيلة من وسائل التعبير الوجداني
في مجال الحياة الجنسية . وعبارة أحد آباء الكنيسة *inter urinas et faeces nascimur* (ما بين البول والبراز نولد) تنصب على الحياة
الجنسية ولا يمكن فصلها عنها ، على الرغم من كل المحاولات لاسباغ
المثالية . ومع ذلك فأني أود أن أؤكد في صراحة اعتقادي بأن المشكلة
لا تنحل بمجرد ائعثور على هذا المر للتداعي . فكون هذا التداعي يمكن
ابتعائه لا يدل على أنه بالفعل سوف يتم ابتعائه . والواقع أنه في الظروف
السوية لن يتم ابتعائه . ومعرفة ممرات التداعي لاتقل من ضرورة
معرفة القوى التي تجتازها (٢) .

ومهما يكن من أمر ، فلم يكن يسيرا على أن أوجه أنتباه مريضتي
الى علاقاتها بالسيدك — فقد صرحت بأنها قد انتهت منه . فانطابقة
العليا لكل تداعياتها أثناء انجلسات ، وكل ما كان يصبح عندها في يسر
شعوريا ، وما تتذكر أنها كانت تعيشه في اليوم السابق ، كله كان يرتبط
دائما بأبيها . لقد كان من الصحيح تماما أنها لم تكن تستطيع أن تغفر
لأبيها استمرار علاقته بالسيدك — ، وعلى الأخص بمدامك — .
كانت تنظر الى هذه العلاقات في ضوء يباين تماما هذا الذي كان الأب
يرغب في أن تبدو فيه . فلم يكن ثمة شك في تصورهما في أن الذي يربط
أباها بهذه السيدة المثابة والجميلة هو علاقة غرامية مبتذلة . وما من
شيء يمكن أن يؤيد هذه النظرة استطاع أن يفلت من ادراكها ، هذا

(١) (المتصود هنا قبل الانسالية *Pregenita* ، اذ تبدأ الجنسية بمعناها انعام مع

بداية حياة الطفل — المترجمون) .

(٢) كل هذه المناقشات تشتتل على كثير مما هو نمطى وبمدق على الهستيريا بمامة .
موضوع الانتعاب يقدم الحل لبعض من أكثر الاعراض الهستيرية طرانة . . والانتباه الذي
توليه النساء لعالم الاعضاء التناسلية للرجال ، على نحو ما ترسم من وراء ملابسهم ، يصح
مضى انكبت اصلا للحالات جد الشائعة من تجنب المحبة والارتعاب من الاجتماعات .
والرباط النسبى الذى يضم الجنسى والاخراجى يكاد يكون من المستحيل أن نغالى فيها
له من أهمية في توليد المرض ، فهو رباط يوجد في أساسه عدد هائل من الفوبيات الهستيرية .

الذى كان في هذا الصدد ثاقب لايرحيم ، فها هنا لم تكن ثمة فجوات في ذاكرتها • كانت عائلتها قد تعرفت على عائلة ك — قبل المرض الخطير لابيها ، ولكن العلاقة لم تصبح حميمة الا بعد أن اضطلعت السيدة الشابة رسميا أثناء ذلك المرض بوظيفة الممرضة ، بينما بقيت أم دورا بعيدة عن حجرة المريض • وفي أول اجازة صيف بعد شفائه حدثت أشياء من شأنها أن تفتح عين كل انسان على الطابع الحقيقي لهذه « الصداقة » • فقد استأجرت العائلتان جناحا مشتركا في فندق • وذات يوم أعلنت مدام ك — أنها لا تستطيع الاستمرار في غرفة النوم التي كان أحد طفليها حتى ذلك الوقت يشاركها اياها • وبعد أيام قليلة تخلى أبو دورا عن غرفة نومه ، وانتقل الاثنان الى غرفتين آخريين تقعان في أقصى الداخل ولا يفصلهما غير ممر ، بينما لم يكن يتوفر للغرفتين اللتين تخليا عنهما مثل هذا الضمان ضد الازعاج • وفيما بعد ، عندما كانت دورا تنتقد أباها بخصوص مدام ك — كان من عادته أن يردد أن ليس في وسعه أن يفهم عدائيتها ، وأنها وأخاها على العكس لديهما كل سبب للاحساس بمشاعر الامتنان لمدام ك — • وعندما طلبت من أمها ايضاحا لما تعنيه هذه الاشارة الغامضة من أبيها ، أجابتها بأن أباها كان من التنعاسة في ذلك الوقت الى حد أنه صمم على أن يمضى الى الغابة ويقتل نفسه ، ولكن مدام ك ، وقد ساورها القلق ، لحقت به ، فيما يقال ، وأقنعتة بتوسلاتها بأن يبقى على حياته من أجل أسرته • وبطبيعة الحال لم تصدق دورا هذه القصة ، فلم يكن لديها شك في أن البعض قد رآهما معا في الغابة ، وعندئذ ابتدع أبوها من خياله قصة الانتحار هذه ليبرر لقاءهما (١) •

وعندما عادت الأسرة الى بلدة ب — كان الأب يزور مدام ك — كل يوم في ساعة معينة أثناء وجود زوجها في عمله • كان الجميع يتحدثون عن ذلك ، وكانوا يسألون دورا عن الأمر بطريقة لها مغزاها •

(١) ترتبط هذه النقطة بتبليتها الخاصة بالانتحار ، والتي يمكن اعتبارها تعبيرا عن

حساسة الى حد من نفس هذا النوع •

والسيدك — نفسه كثيرا ما شكنا بمرارة الى أمها ، وان حرص على أن يجنب دورا أية إشارة الى هذا الأمر — وذلك في رأيها بدافع من رقة مشاعره • وعندما كانوا يخرجون جميعا في نزهة ، كان أبوها ومدامك — يعرفان دائما كيف يرتبان الأمر بحيث ينفردان معا • ثم يكن هناك أى شك في أنها كانت تتلقى منه نقودا ، لأنها كانت تتفق أكثر مما كان يمكن أن تتيحه امكانياتها أو امكانيات زوجها • وأضافت دورا أن أباه بدأ في تقديم هدايا ثمينة الى مدامك — ، وأنه تغطية لهذا الأمر بدأ في الوقت نفسه يصبح شديد الكرم مع زوجته ومع دورا نفسها • وبينما كانت مدامك — فيما مضى عليلة الى حد أنها اضطرت الى أن تقضى شهورا في احدى المصحات بسبب اضطرابات عصبية أعجزتها عن المشي ، فقد غدت الآن موفورة الصحة تفيض بالحوية •

وحتى بعد أن رحلت الأسرة عن بلدة ب — الى بلدة المصنع ، فان هذه الغلظة ، التي كان لها من العمر سنوات ، قد استمرت • كان من عادة أبيها ، بين حين وحين ، أن يعلن عجزه عن تحمل قسوة الجو ، وأن عليه أن يهتم بنفسه ، ثم يبدأ في السعال والشكوى ، حتى يرحل فجأة الى بلدة ب — ، ومن هنا كان يبعث اليهم بخطابات تفيض بالبهجة الى أقصى حد • ثم تكن كل هذه التوجعات الا تعللات ليبتقى بصديقته من جديد • وذات يوم تقرر أن تنتقل الأسرة الى فيينا ، وبدأت دورا تشك في وجود سبب خفي لهذا القرار • والواقع أنه لم تكذ تمضى عليهم ثلاثة أسابيع في فيينا حتى سمعت دورا بأن عائلة ك — قد انتقلت هي الأخرى الى فيينا • كانوا جميعا في فيينا في نفس الوقت الذي كانت دورا تجدثنى فيه بذلك وكثيرا ما كانت تلتقي في الطريق بأبيها مع مدامك — • وكانت هي أيضا كثيرا ما تلقى السيدك — ، وكان من عادته دائما أن يتابعها بنظراته ، وحين راها بمفردها تبعها مسافة طويلة ، حتى يتبين الى أين تذهب ، ويطمئن الى أنها ليست ذاهبة الى موعد •

وخلال فترة علاجها ، حدث أن ساءت من جديد صيحة أبيها ، فسافر الى بلدة ب - لقضاء بضعة أسابيع ، وما لبثت دورا بثاقب بصيرتها أن استخضت أن مدام ك - قد رحلت الى نفس البلدة في زيارة لأقاربها هناك . كانت لانتقادات دورا لإبيها في ذلك الوقت قد بلغت أقصاها : انه ليس صادقا ، شخصيته تتسم بالخداع ، لا يفكر الا في متعته ، وهو فذ في ترتيب الأمور بحيث تكون في صالحه على أحسن نحو .

لم أستطع أن أعترض بشيء على اللوحة العامة التي قدمتها لى دورا عن أبيها . فمن زاوية بعينها كان من اليسير أن نتبين أن الانتقادات الفتاة كان لها ما يبررها . فحين كانت تفيض مراره كأن يغلبها الاعتقاد بأن أباهما قد سلمها للسيد ك ثمنا لتعاضد عن العلاقة بين أبيها وزوجته ، وكان حنقها من استغلال أبيها لها على هذا النحو يتبدى من وراء حبها له بينما كانت في لحظات أخرى تشعر تماما بأنها قد أذنبت بمعالجاتها في التحدث على هذا النحو . فالرجلان بالطبع لم يعقدا قط اتفاقا سميما يجعلها موضوع مناقضة ، وان أباهما بصفة خاصة ليرتاع من مثل هذا الافتراض . ولكنه كان واحدا من هؤلاء الذين يقندرون على الاغلات من مزق يتزيف حكمهم الخاص على أحد النقيضين . فلو نبهه أحد ما يمكن أن يكون من خطر على فتاة شابة من صحبتها الدائمة ، ودون رقابة ، لرجل لا يحصل على أى أشباع من زوجته ، لكان من المؤكد أن يجيب على ذلك بأنه واثق من ابنته ، أو بأن رجلا كالسيد ك - لا يمكن بحال أن يكون من خطر على فتاة شابة من صحبتها الدائمة ، ودون رقابة ، لرجل تقصد ، أو بأن دورا ماتزال طفلة وأن السيد ك - يعاملها كطفلة .

ولكن الأمور كانت في الواقع على نحو بحيث يتجنب كل من الرجلين أن يستخلص من سلوك الآخر أية نتائج من شأنها أن تفسد عليه خطئه . ومن هنا كان من الممكن للسيد ك - مدام بالبلدة أن يبعث الى دورا بالزهور كل يوم طوال سنة كاملة ، وأن ينتهز كل فرصة ليقدّم إليها هدايا ثمينة ، وأن يقضى كل أوقات فراغه في صحبتها ، دون أن يلحظ أبواها أى شيء في سلوكه ينتسب لى تودد المغازلة .

و حين يقدم المريض ، أثناء العلاج التحليلي ، سلسلة من الحجج الرصينة الدامغة ، فقد تستولي على الطبيب لحظة ارتباك ، وقد يسارع المريض إلى استغلالها فيسأله : « كل ذلك صحيح وصادق تماما ، اليس كذلك ؟ فماذا تريد الآن تغييره في ذلك بعد ، ان ذكرته لك ؟ » ولكن لانايب حتى نتبين أن المريض يستخدم أفكارا من هذا النوع الذي يستحيل مهاجمته بالتنطيل ، ليحجب أفكارا أخرى تتوق للافلات من النقد ومن الشعور . ان سلسلة من الانتقادات ضد الآخرين تحمل على افتراض وجود سلسلة انتقادات من نفس النوع ضد الذات . كل مايلزم هو أن تدير كل نقد من الانتقادات ضد المتحدث ذاته . ثمة شيء آلى ولاشك في هذا الأسلوب من الدفاع عن الذات ضد نقد ذاتي بتوجيه نفس النقد إلى شخص آخر . وثمة نموذج لذلك في حجج الأطفال « أنت أيضا ! » tu quoque ، فاذا ماتعرض طفل للتهام بأنه كذاب فسوف يجيب دون لحظة تردد : « أنت أيضا ! » أما الراشد فهو اذ يجاهد في رد اساءة ، لايجعل همه ترديد نفس مضمون الاساءة ، بل يفتش في خصمه عن موطن ضعف حقيقي . وفي البرانونيا يكون اسقاط النقد على آخر ، دون أى تغيير في مضمون هذا النقد ، ومن ثم دون أى اعتبار للواقع ، هو التعبير الصريح عن عملية تكوين الهذيانات .

كذلك انتقادات دورا ضد ابيها كن لها دائما بطانتها ومنهلها من من الانتقادات الذاتية التي لها نفس المضمون ، كما سأوضح بالتفصيل . كانت عني حق في اعتفادها بان أبها لم يكن راغبا في أن يدفق النظر في سلوك السيدك — تجاة أبنته خشية أن يعكر ذلك علاقتة العشقية مع مدامك — . ولكن دورا نفسها فعلت على التحديد نفس الشيء . فقد جعلت من نفسها شريكه متآمرة في هذه العلاقة ، واستبعدت من وعيها كل شيء من شأنه أن يكشف عن الطبيعة الحقيقية لهذه العلاقة . ولم يبدأ وعيها بالأمر ، وحسابها العسير لأبيها ، إلا أثر المغامرة التي تعرضت لها عند شاطئ البحيرة . فطوال السنوات انسابقة كلها كانت تقدم كل تأييد ممكن للعلاقة بين أبيها ومدامك —

لم تكن تذهب قط إلى مدام ك — مني اعتقدت أن أباها هناك ، ولكنها
اذ كانت تعرف بأن الطفلين في هذه الحالة لا بد وأن يكونا خارج
المنزل ، فانها كانت تتجه بخطواتها اثني حيث تلتقي بهما ، فتمضي معهم
في نزها . وكانت بالمنزل شخصية شديدة أرغبة منذ وقت باكر في أن
تفتح عين دورا على طبيعة العلاقة بين أبيها ومدام ك — وفي أن
تستحثها على أن تتخذ موقفا ضد هذه السيدة . تلك كانت مربيتها
الأخيرة ، آنسة تقدمت بها السن ، واسعة الاطلاع متحررة التفكير (١)
ووقد ظلت المعلمة والتلميذة على علاقة ممتازة خلال فترة من الوقت ،
الى أن شعرت دورا فجأة بالكراهية لها وأصرت على طردها . وطوال
الفترة التي كن فيها للمربية شيء من النقود ، لم تدخر وسعا في
تحريك المشاعر ضد مدام ك — كانت توضح لأم دورا أنه مما لا يليق
بكرامتها أن تسمح بمثل هذه العلاقة الحميمة بين زوجها وامرأة
أخرى ، وكانت توجه انتباه دورا الى كل المظاهر المريبة لهذه العلاقة .
ولكن جهودها ذهبت سدى . فقد ظلت دورا على اخلاصها لمدام ك — ،
لا ترغب في الاستماع الى شيء من شأنه أن يعكر نظرتها الى العلاقة
بين مدام ك — وأبيها . وكانت دورا من ناحية أخرى تتبين في يسر
طبيعة الدوافع التي تحرك المربية . كانت عمياء في اتجاه ، ولكنها
كانت حادة البصر بدرجة كافيها في الاتجاه الآخر . كانت تتبين أن
المربية تعشق أباها . ففي حضوره كانت المربية تبدو شخصا آخر تماما ،
كانت تعرف في هذه الحالة كيف تكون مرحة ومتفانية . وعندما كانت
الأسرة تعيش في بلدة المصنع ولم تكن مدام ك — في الأثيق ، كانت
كراهية المربية تنتجها الى أم دورا ، التي كانت عندئذ غريمتها الماثلة .
والى هنا لم تحمل لها دورا حقدا . فهي لم تحقد عليها الا حين
تبينت أنها لم تكن بالنسبة للمربية شيئا على الاطلاق ، وأن ما ادعته

(١) كان من عادة هذه المربية أن تقرأ أى نوع من الكتب عن الحياة الجنسية
والموضوعات المشابهة ، وكايت تتحدث عنها الى الفتاة ، طالبة اليها في نفس الوقت وفي
صراحة أن لا تنقل شيئا من أحاديثها الى أباها ، لاستحالة معرفة ما يمكن أن يكون
عليه موقفها من هذه الامور . وقد ظلت بعض الوقت أعتبر هذه المرأة مصدر كل مالمدى
دورا من معارف سرية ، وربما لم أكن مخطئا تماما في ذلك .

من حب لها كان في النواضع الأمر لأبيها فعندما كان أبوها بعيدا عن بلدة المصنع لم تكن المربية تمنح شيئا من وقتها لدورا ، فلم تكن ترغب في أن تخرج معها للنزهة ، ولم تكن تحفل بدراسيتها . ولا يكاد أبوها يعود من بلدة ب — حتى تعود المربية من جديد متأهبة لتلبية أى مطلب وتقديم أية مساعدة لها . عندئذ أسقطتها دورا من حسابها .

لقد ألقت المربية المسكينة ضوئا كريها على جانب من سلوك دورا . فما كانته المربية بين حين وحين بالنسبة الى دورا ، كانته دورا بالنسبة الى طفلى السيدك — كانت أما لهما ، قامت على تعليمهما ، خرجت معهما في نزهات ، وقدمت لهما تعويضا كاملا عن ضآلة الاهتمام الذى كانا يلقيانه من أمهما . وكثيرا ماتحدث السيدك — وزوجته في أمر الطلاق ، ولكنه لم يتحقق قط ، لان السيدك — ، وهو أب حنون ، لم يكن ليقبل التنازل عن أحد طفليه . كان الاهتمام المشترك بالطفلين منذ البداية رباطا يربط بين السيدك ودورا . وكان من الواضح أن اهتمام دورا بطفليه هو مجرد قناع يحجب شيئا آخر تحرص دورا على أن تخفيه عن نفسها وعن الآخرين .

وسواء من سلوك دورا تجاه الطفلين — عند النظر اليه في ضوء سلوك المربية تجاهها — أو من موافقتها الصامتة على علاقة أبيها بمدام ك — ، نستخلص النتيجة نفسها ، ألا وهى أنها كانت طوال تلك السنوات فى عشق للسيدك — . وعندما أخبرتها بهذه النتيجة لم تتقبلها . صحيح أنها أضافت فى التوربان آخرين (على سبيل المثال احدى بنات عمومتها ، وكانت قد مكثت عندهم فترة فى بلدة ب —) قالوا لها : « ما هذا ؟ انك مجنونة بهذا الرجل ! » ، ولكن لم تستطع هى نفسها أن تتذكر أية مشاعر من هذا النوع . وفيما بعد ، حين توفرت من المعطيات المتبعة كمية جعلت من الصعب عليها أن تستمر فى الإنكار ، سلمت

بأنها ربما كانت عاشقة للسيدك — في بلدة ب — ، ولكنها أعلنت بأن كل شيء قد انتهى منذ مشهد البحيرة (١) • وعلى أي حال ، كان من المؤكد أن الانتقاد الذي وجهته انى أبيها ، من أنه كان يصر اذنيه عن أكثر بداءات الواجب المزما ، ومن أنه كان يرى الامور من أكثر الزوايا ملاءمة لهواه ، هذا الانتقاد كان ينصب على شخصها هي (٢) • أما انتقادها الآخر ضد أبيها فكان مؤداه أن اعتلال صحته ثم يكن غير تعلقة ، وأنه كان يستغله لاغراضه الخاصة • وهذا الانتقاد هو الآخر يخفى قطاعا بأسره من تاريخ أسرارها • فذات يوم شكت بشكل ظاهر من عرض جديد ينحصر في آلام قعدية حادة • سألتها : « ترى من الذي تحاكيه الآن ؟ » وتبينت انى قد أصبت الهدف • كانت الصغرى قد خطبت ، وبهذه المناسبة وقعت الكبرى مريضة بالآلام معدية ، وكانت على وشك ترحيلها الى سمرنج Semmering (٣) • وقد اعتقدت دورا أن الآن هو أن تكون بعيدة عن البيت ، حتى لا يكون عليها أن تشهد سعادة أختها (٤) • ولكن آلام دورا المعدية كانت دثيلا يشهد بتواجدها مع أبنة عمتها ، هذه التي كانت — بحسب قولها — كثير التمارض • وكان أساس هذا التوحد اما أنها كانت هي الاخرى تحسد الفتاة الاسعد حظا عثى حبها ، واما أنها رأت قصتها تتكرر في قصة الاخت الكبرى ، هذه التي كانت منذ قليل في قصة

(١) قارن الحلم الثانى .

(٢) هنا يبرز السؤال : اذا كانت دورا عاشقة للسيدك — فما العلة في رفضها له في مشهد البحيرة ؟ او على الاقل ، لماذا اتخذ رفضها هذا الشكل الوحشى ، وكأنها كانت تفيض حنقا عليه ؟ وكيف لفتاة عاشقة أن تستشمر الاهانة من دعوة جاءت في أسلوب بعيد عن عدم الكياسة أو جرح الاحسان ؟

(٣) (ملجأ صحى عصرى الطراز في الجبال ، على مسافة خمسين ميلا تقريبا الى

الجنوب من فينا — هامش الترجمة الانجليزية) .

(٤) تلك ظاهرة تتكرر يوميا بين الشقيقات .

الامر كله لم يكن الامجرد غيره من جانب الاخت الكبرى ، فقد كانت دائما تقع مريضه كماله رغبت في شيء ما ، وما كانت ترغب فيه

حب أنتهت نهاية تسعة (١) . ولكنها كانت أيضا قد تعلمت من ملاحظتها لمدام ك - كيف ان تحون الامراض اثـيـاء نافعة ، فقد كان انسيديك - يقضى جانبا من العام فى السفر . وكان من المألوف لديه كلما عاد من السفر أن يجد زوجته مريضة ، على الرغم من أنها - ودورا تعلم ذلك - كانت فى أتم صحة فى اليوم السابق مباشرة . لقد تبينت دورا أن حضور الزوج يتسبب فى جعل زوجته مريضة ، بل وكان يسرها أن تكون مريضة لتتمكن من الافلات من واجباتها الزوجية التى كانت شديدة المقت لها . وعند هذه النقطة من الحديث اقحمت دورا فجأة اشارة الى ما كان يتناولها فى بلدة ب - من صحة واعتلال خلال السنوات الاولى من شبابها ، وقد جرنى ذلك الى انظن بأن أحوالها الصحية ينبغى النظر اليها على أنها تتوقف على شىء آخر ، بنفس الطريقة التى عليها فى حالة مدام ك - (ثمة قاعدة فى فنيات التحليل تقتضى بأن الرابطة الداخلية التى ما تزال خبيثة تفصح عن وجودها عن طريق تجاوز - تقارب زمنى - للتداعيات ، وكما هو الحال فى الكتابة ، فعندما نضع أ بجانب ب فمعنى ذلك أن المقطع « أ ب » ينبغى أن ينتج عنهما (فدورا انتابها عدد هائل من نوبات السعال المصحوبة بفقدان الصوت . أكان من الممكن أن يكون لحضور أو لغياب الرجل الذى كانت تحبه أثر فى ظهور واختفاء أعراض مرضها ؟ لو كان الامر كذلك ، فينبغى أن يكون من الممكن الكشف عن تلازم أو آخر ينطق بذلك . سألتها عن متوسط طول تلك النوبات . أجابت : « من ثلاثة الى ستة أسابيع تقريبا » . وما طول الفترة الواحدة من غيابات السيدك ؟ - اضطرت الى أن تسلم : « من ثلاثة الى ستة أسابيع أيضا » . وعليه فقد كان مرضها تعبيرا عن حبا للسيدك - تماما كما كان مرض زوجته تعبيرا عن كرها له . وكل ما كان يلزما هو أن نفترض بأنها تصرفت على النحو المضاد لتصرف مدام ك - ، فكانت تمرض أثناء

(١) وسوف أبن فيما بعد أية نتيجة أخرى استخلصها من هذه الامام العديبة .

غيابه ، وتعود اليها صحتها عندما يعود ، ذلك ما بدأ أنه تحقق في
الواقع ، على الاقل في الفترة الاولى للنوبات . وفيما بعد ، كان من
الضرورى ولاشك ازالة التلازم بين نوبات مرضها وغيابات الرجل
الذى كانت تحبه سرا ، حتى لا يؤدي التواتر المنتظم لهذا التلازم
الى فضح سرها . وعندئذ يكون طول فائرة المنوية قد بقى أثرا
متخلفا لدلالته الاصلية .

أذكر أنني منذ وقت طويل ، عندما كنت أعمل في عيادة
شاركو ، رأيت وسمعت كيف أن الكتابة في حالات الخرس الهستيرى
تعمل بشكل تعويضى في مكان الكلام . كان بوسع المرضى من
أصحاب هذه الحالات أن يكتبوا بصورة أيسر وأسرع وأفضل
من الآخرين ، بل وأفضل مما كانوا هم أنفسهم يكتبون قبلا .
وقد حدث نفس الشيء مع دورا . ففي الايام الاولى من نوبات
فقدان الصوت عندها « كانت الكتابة تواتيها دائما ميسرة بشكل
خاص » . ولم تكن هناك حاجة في الواقع لتفسير سيكولوجى
لهذه الظاهرة الغريبة ، التى كانت مجرد تعبير عن وظيفة
فسيولوجية بديلة حتمتها الضرورة ، ومع ذلك فجدير بالملاحظة
أنه كان من اليسير العثور على هذا النفسير . كان من عادة
السيدك - أن يكتب اليها في افاضة أثناء غيابه وأن يبعث اليها
ببطاقات بريدية مصورة . وكان من المؤلف أن تكون هى الوحيدة
التي تعرف موعد عودته ، وأن يكون وصوله مفاجأة لزوجته .
ولأن يتراسل المرء بالكتابة مع صديق غائب لا يستلزم التكلم
معه فذلك ما يساوى في معقوليته رغبة السوء فى أن يعبر عن
نفسه بالكتابة عندما يفقد صوته . وعليه فان فقدان الصوت
عند دورا قد أتاح التأويل الرمضى التالى : عندما كان الشخص الذى
تحبه غائبا كانت تتخلى عن الكلام لقد فقد الكلام قيمته ما دامت
لا تستطيع أن تتكلم « معه » . ومن ناحية أخرى فان الكتابة
قد ازدادت أهمية ، اذ غدت الوسيلة الوحيدة للتخاطب مع
الحبيب الغائب .

أترانى الآن أمضى فأقرر بأن كل حالة تنتابها نوبات دورية من فقدان الصوت يكون تشخيصها أن شخصا حببنا يغيب عن المريض بين حين وحين ؟ ما أبعد ذلك عن قصدى ! ان الاسباب المحددة للعرض فى حالة دورا هى من الامعان فى النوعية بحيث لا يمكن أن نتوقع التكرار المتواتر لنفس هذه الاسباب العارضة المولدة للمرض . ولكن اذا كان الامر كذلك ، فما قيمة تفسيرنا لفقدان الصوت فى الحالة التى أماننا ؟ ألم نسلم أنفسنا ببساطة لخدعة اللعب بالالفاظ ؟ لا أعتقد ذلك . ها هنا يتحتم علينا أن نثير من جديد السؤال ، الذى كثيرا ما أثير ، عما ان كانت أعراض الهستيريا نفسية الاصل أم عضوية الاصل ، وعما اذا كانت الاعراض - اذا ما سلمنا بصحة الاصل النفسى - ترجع كلها بالضرورة الى أصل نفسى . هذا السؤال - كما هو شأن الكثير من الاسئلة التى يعود البحاث الى تناولها المرة بعد المرة دون جدوى - ساء الصياغة . فطرفا الخيار فى هذا السؤال لا يجيب أيهما على جوهر المشكلة . فكل عرض هستيرى ، بقدر ما أعلم ينطوى على اسهام من كليهما . فالعرض الهستيرى لا يمكن أن يحدث دون أن يتوفر قدر معين من « المهاددة البدنية » نتيجة عملية سوية أو مرضية فى عضو من أعضاء البدن أو فى ارتباط معه . وهو لا لا يمكن أن يحدث أكثر من مرة - فقدره العرض على أن يكرر نفسه هى احدى الخصائص المميزة للعرض الهستيرى - الا اذا انطوى على دلالة نفسية ، على معنى والمعرض الهستيرى لا ينطوى بذاته على هذا المعنى ، بل انه يعار له ، ويلصق به ان جاز القول . وفى كل حالة من التحالات يمكن أن يختلف المعنى تبعا لطبيعة الإشكر المكبوحة التى تجاهد للتعبير عن نفسها . ومع ذلك فهناك عدد من العوامل النعالة من شأنها أن تجعل العلاقات بين الافكار اللاشمورية والعمليات البدنية - التى تجدها تحت تصرفها كوسائل تعبير بها عن نفسها - أقل تعسفية وأقرب ما تكون الى عدد قليل من الائتلافات النمطية . ومن زاوية العلاج النفسى تكون أكثر العوامل أهمية فى تحديدها

الاعراض هي تلك التى تزودنا بها المعطيات النفسية الطارئة ،
فتفسير الاعراض يتم بالبحث عن دلالتها النفسية • وعندما يتم
التخلص من كل ما يمكن التخلص منه بالتحليل النفسى - نكون فى
وضع يمكننا من اقامة أية فروض - يمكن أن تجيب على الوقائع -
عن الاساس البدنى للأعراض ، والذي هو كقاعدة عامة جبرى
وعضوى • وهكذا فاننا فى حالة دورا لن نقنع بتأويل من التحليل
النفسى لنوبات السعال وفقدان الصوت عندها ، بل سوف نبين
أيضا العامل العضوى الذى كان سبب « المهاددة البدنية » التى
مكنتها من التعبير عن حبها لرجل يغيب بين الحين والحين • وإذا كان
العلاقة بين الاعراض التعبيرية والمضمون النفسى اللاشعورى أن
تدهشنا بما تنطوى عليه فى هذه الحالة من براعة الاحتيال ، وسوف
يكون من دواعى سرورنا أن نتبين أن هذه العلاقة تولد
ذينا نفس الانطباع فى كل حالة أخرى ، وفى كل مثال من الامثلة
الممكنة •

وانبى أتوقع هنا اعتراضا يوجه الى بأن ليس هناك من نفع كبير
فيما تمخض عنه التحليل النفسى من أن لغز الهستيريا ينبغي البحث
عن حله ، لا فى « شكل خاص من عدم استقرار الجزيات العصبية » ،
ولا فى قابلية الفرد « لحالات شبيهة النوم المغناطيسى » ، بل فى
« مهادة بدنية » • وفى اجابتي على هذا الاعتراض أود أن أبين بأن
هذه النظرة الجديدة ، نيس فقط ، قد دفعت باللغز الى الوراء بعض
الشيء ، بل انها أيضا قد اضطلعت الى حد ما بتبسيطه • فلن
يكون علينا بعد أن نتناول اللغز كله ، بل فقط هذا الجزء منه الذى
ينطوى على الخاصية المميزة للهستيريا ، التى تجعلها متميزة عن
جميع الاعصبة النفسية الأخرى • فالعمليات النفسية فى كل
الاعصبة النفسية تمضى مسافة طويلة فى نفس الطريق ، قبل أن يبرز
أى تساؤل عن « مهادة بدنية » يمكن أن تتيح للعمليات النفسية
اللاشعورية منفاذا بدنيا • وعندما لا يبرز هذا العامل على المسرح
فأن شيئا آخر غير العرض الهستيرى سوف يتولد من الموقف

التخلى ، ولكنه سوف يكون شيئاً من طبيعة متجانسة — ربما كان ذهاباً (فوبيا) أو حصاراً — باختصار ، عرضاً نفسياً •

اعود الآن الى تهمة انتماض التي وجهتها دورا الى أبيها •
نرسس ما أتضح أن هذا الانتقاد كان راجعاً الى انتقادات ذاتية لا تنصب فحسب على حالاتها المرضية الباكرة ، بل أيضاً على الحالية • في مثل هذه الظروف تقع على عاتق الطبيب عادة مهمة الحدس والكمال ما يقدمه اليه التحليل في صورة اشارات وتلميحات • كان علي أن ابنه المريضة الى أن مرضها الحالّي كانت تحركة من الدوافع وكان يخفى من الاغراض ، مثلما كان مرض مدام ك — تماماً ، وهو المرض الذي استطاعت أن تنتنهمه جيداً • قلت لها أن ليس من شك في أنها كانت تستهدف شيئاً تأمل في تحقيقه عن طريق مرضها • وهذا الشيء لم يكن من الممكن أن يكون غير صرف أبيها عن مدام ك — فقد فشلت في البلوغ الى ذلك بالتوسلات والمناقشات ، فربما كانت تأمل في البلوغ اليه بارهاب أبيها (يؤيد ذلك خطاب الوداع) أو باستثارة شفقتة (تؤيد ذلك نوبات الاعماء) ، أو ان فشلت في كل ذلك ، فهي على الاقل تنتقم منه • واستطردت قائلاً بأنها كانت تعرف جيداً مدى تعلق أبيها بها ، وأن الدموع كانت تترقرق في عينيه كلما سأله أحد عن صحة ابنته • كنت أشعر باقتناع تام بأن شفاءها كان يمكن أن يتحقق في التو لو أن أباهما قال لها منقده بأنه قد ضحى بدمام ك — من أجل صحتها • ولكنني أضفت بأنني آمل بأن لا ينتهي به الامر الى الاقتناع بضرورة هذا العمل ، إذ سوف تتبين هي عندئذ أي سلاح خطير تملكه في يدها ، وسوف لا تتردد بالتأكيد ، في كل فرصة مقبلة في أن تستغل من جديد قابليتها للمرض • ومع ذلك فاذا رفض أبوها أن يسلم لها بما تطلبه ، فإني كنت على ثقة من أنها لن تسمح لنفسها بأن تتخلى عن مرضها بسهولة •

سوف أغفل انتقاصيات التي أثبتت لي كيف كان ذلك كله صحيحاً تماماً ، وسأضيف بدلاً من ذلك بضعة ملاحظات عامة عن

الدور الذى تلعبه فى الهستيريا **دوافع** المرض . ان الدافع الى المرض ، ينبغى تمييزه بشكل قاطع ، بما هو تصور ، عن القابلية للمرض ، أى عن المادة التى تتكون منها الاعراض . فالدوافع ليس لها أى اسهام فى تكوين الاعراض ، وهى فى الواقع لا تكون موجودة فى بداية المرض . فهى لا تظهر الا بعد المرض بشكل ثانوى ، ولكن المرض لا يكتمل صرحه الا بعد ظهور هذه الدوافع (١) . فالدوافع يمكن التأكد من وجودها فى كل حالة يطول أمدها ، وتتطوى على معاناه حقيقية . فالعرض فى البداية يقحم نفسه على الحياة النفسية للمريض كضيف غير مرغوب فيه ، غكل شئ يناهضه ، وذلك هو السبب فى أنه يحتمل أن يختفى بسهولة — من تلقاء نفسه فى الظاهر — بمرور الوقت . فهو فى البداية لا يجد لنفسه وظيفة يؤديها فى الاقتصاديات العادية للنفس ، ولكنه غالبا جدا ما ينجح فى العثور بصفة ثانوية على وظيفة له . فان اتجاها نفسيا أو آخر

(١) (ملاحظة اضافية عام ١٩٢٣) ليس هذا صحيحا تماما . فالقول بأن دوافع المرض لا تكون موجودة فى بداية المرض وانما تظهر بعده بشكل ثانوى ، هذا القول لا يمكن أن نستمر فى الاخذ به . ففى الفقرة التالية مباشرة يدور الحديث عن دوافع الى المرض كانت موجودة قبل تفجر المرض ، واسمها جزئيا فى تفجره . لقد اهدت فيما بعد الى طريقة تجيب على الوقائع بشكل أفضل ، وذلك بالتمييز بين الكسب الاولى **Pranosic** والكسب الثانوى **epinosic** المستمد من المرض . فالدافع الى المرض هو دائما بلا شك تحقيق كسب ما . وما سيلي من عبارات فى الفقرة الحالية يصدق على الكسب الثانوى . ولكن فى كل مرض عصابي ينبغى أن ننتبه أيضا الكسب الاولى ، أن الواقع ينطوى فى المقام الاول على توفير فى الجهد النفسى ، فالمرض يبرز كافضل حل ممكن من الزاوية الاقتصادية متى كان هناك صراع نفسى (فنحن نتحدث عن « هروب فى المرض ») حتى وأن تكشف فيما بعد عدم فاعلية مثل هذا الهروب فى الغالبية العظمى من الحالات . هذا الجانب فى جانب الكسب الاولى يمكن نعتة بالكسب الداخلى أو النفسى ، وهو كسب دائم أن جاز القول . ولكن بالاضافة الى ذلك ، فان العوامل الخارجية (من قبل المثال الذى قدمناه عن موقف امرأة مضطهدة من جانب زوجها) يمكن أن تهيب دوافع الوقوع فى المرض ، وعده الدوافع هى الجانب الخارجى فى الكسب الاولى .

يمكن أن يجد العرض ملائما للاستفادة منه ، وبهذه الطريقة يبلغ
العرض الى الحصول على وظيفة ثانوية له ، ويظل وكأنه ، ان جاز
القول ، يضرب بجذوره في الحياة النفسية للمريض . وهكذا نجد
أن أى شخص يحاول أن يشفيه من مرضه يصطدم . ندهشته ،
بمقومة عاتية ، نعلمه أن رغبة المريض في التخلص من علة ليست
من الصدق والتجديه على النحو الذى تبدو عليه (١) . فلنتصور
عاملا من عمال البناء مثلا ، وقع من أعلى منزل وأصبح مقعدا ،
ويكسب عيشه الآن من التسول عند ناصية طريق . ولنتصور
أن رجلا من صناعات المعجزات يحضر اليه ، ويعده بتقويم ساقه
المعوجة بحيث يعيد اليه قدرته على المشى . من غير المعقول في
تصورى أن نتوقع رؤية السعادة المفرطة ترتسم على ملامح الرجل .
ليس من شك فى أنه قد شعر وقت الحادث بأقصى التعاسة ، عندما
تبين أنه لم يعد قادرا على أداء أى عمل ، وأن عليه اما أن يموت
جوعا أو أن يعيش على الصدقة . ولكن منذ ذلك الحين تحول
نفس هذا الشئ الذى كان قد أبعدته عن امكانية العمل فأصبح
المصدر لدخله ، فهو يتعيش من عاهته . فلو سلبناه اياها فقد يصبح
ولا حول له على الاطلاق . فهو فى الفترة الفاصلة قد نسى مهنته ،
وفقد عادة الكدح وألف بالتدريج حياة الكسل وربما الشراب
أيضا .

ان الدوافع الى المرض غالبا ما تبدأ فاعليتها حتى منذ الطفولة .
فالطفل فى شرهه للحب لا يسعده أن يكون عليه أن يقتسم مع اخوته
وأخواته حب أبويه . وهو يلاحظ أن حبهما كله ينهال من جديد عليه كلما
أثار فيهما ثقل بوقوعه فى المرض . انه يكون بذلك قد اكتشف وسيلة
لاستدرار حب أبويه ، ولسوف يستخدم هذه الوسيلة بمجرد أن يجد
تحت تصرفه المادة النفسية الضرورية لاستحداث مرض . ومتى كبرت
طفلة من هذا القبيل وصارت امرأة فقد تجد كل المتطلبات التى كانت

(١) هناك كاتب أديب هو الى ذلك أيضا طبيب ، ويدعى آرثر شنتزلى
A Schnitzler عبر أصدق تعبير عن هذه الفكرة فى كتابه Paracelsus

تألفها في طفولتها معوقة عن الاشباع بسبب زواجها من رجل لا يحفل بها ، يلغى ارادتها ، ويستغل في غير رحمته قدرتها على العمل ، ولا يبذل لها من حبه أو من مائه • في هذه الحالة يصبح المرض سلاحها الوحيد لتوكيد ذاتها في الحياة • وسوف يتيح لها الرعاية التي تصبو اليها ، وسوف يرغم زوجها على أن يضحى بالمال من أجلها ، وعلى أن يبذل لها الاهتمام ، مما كان يستحيل أن يفعله عندما كانت تنعم بصحتها ، وسوف يرغمه المرض ، اذا ما برئت ، على أن يكون حذرا في معاملته لها ، والا فان السقوط في المرض من جديد يتربص له • وسوف تبدو حالتها المرضية موضوعية ولا ارادية ، وسوف يكون الطبيب نفسه الذي يقوم على علاجها الشاهد على ذلك ، وبفضل ذلك لن تعاني أحاسيس الندم الشعورية بسبب استخدامها الناجح لوسيلة تبيئت فاعليتها في سنوات طفولتها •

ومع ذلك فالامراض من هذا القبيل هي نتيجة قصد • فهي كقاعدة عامة تستهدف شخصا بعينه ، وهي بالتالى تختفى باختفاء هذا الشخص • ان أكثر الآراء فجاجة وشيوعا عن طبيعة الاضطرابات الهستيرية — من قبيل مانسمعه من أقارب المرضى وممرضيهم من محدودى الثقافة — لهى من وجه ما صادقة • فمن الصحيح أن المرأة المشلولة طريحة الفراش تثب منتصبه على قدميها لو أن طفلها وقع فريسة مرض خطير أو لو أن كارثة تهددت ظروفها الاسرية • فالناس الذين يتحدثون عن المرضى بهذا الأسلوب هم على حق اللهم الا في نقطة واحدة : فهم يغفلون التفرقة السيكلوجية بين ما هو شعورى وما هو لا شعورى • وهذا الاغفال يمكن أن يكون جائرا في حالة الأطفال ، ولكنه غير جائز في حالة الراشدين • ذلك هو السبب في أن كل التوكيدات بشأن « المسألة هي مجرد ارادة » ، وكل عبارات التشجيع ، وكل كلمات الاتهام بسوء الاستغلال التى توجه الى المريضة ليس لها من جدوى • فلا مناص من أن نضطلع أولا بمحاولة — بالطرق الانتقافية للتحايل — لاقتناع المريضه نفسها بأن لديها فى أعماقها قصدا لأن تكون مريضه •

ان النضال ضد الدوافع الى المرض لهو ممكن بالضعف بالنسبة الى كل الطرائق العلاجية في حالة الهستيريا • يصدق ذلك تماما بصفة عامة، كما يصدق أيضا على التحليل النفسى ومن هذه الزاوية فان مهمة التقدر أيسر بكثير فهو ليس بحاجة الى أن يشغل نفسه ، لاجبلة المريض ولا بالأحداث المولدة لمرضة ، فكل ما عليه أن يزيل دافعا الى المرض • فيبراً المريض من مرضه بصفة مؤقتة ، وأحيانا بصفة دائمة • ما أكثر ما كانت تقل الشفاءات الاعجازية ، والاختفاءات التلقائية للأعراض ، التى كان علينا نحن الأطباء أن نسجلها في حالات الهستيريا ، لو أنه قد أتيت لنا في الغالب نظرة الى الاهتمامات البشرية التى يحتفظ بها المرضى خبيثة عنا ، ففى حالة ، فترة بعينها من الوقت قد انقضت، وفى حالة ثانية ، اهتمام بشخص ما قد توقف ، وفى حالة ثالثة ، الموقف — بفعل حدث خارجى — قد تغير بصورة أساسية — وعندئذ فان الاضطراب برمته ، الذى كان حتى الآن مستعصيا الى أقصى حد ، يختفى دفعة واحدة ، وذلك فى الظاهر من تلقاء نفسه ، ولكن فى الواقع لأنه فقد أقوى دافع له ، ونعنى احدى الوظائف التى كان يضطلع بها فى حياة المريض •

ان الدوافع التى تدفع المريض الى أن يمرض قد يمكن العثور عليها فى جميع الحالات التى اكتمل تطورها • ولكن ثمة حالات تكون فيها الدوافع داخلية صرفه — من قبيل الرغبة فى معاقبة الذات ، أى الرغبة فى الندم والتكفير — وسوف نجد أن المشكلة العلاجية تكون أيسر بكثير على الحل فى مثل هذه الحالات عنها فى الحالات التى يكون فيها المرض مرتبطا بتحقيق هدف خارجى • ففى حالة دورا كان ذلك الهدف ، بشكل واضح ، هو أن تحرك قلب أبيها وان تبعده عن مدامك لئلا يامن شيء من أبيها أثار شعور المرارة عندها كما أثاره فيما يبدو تشبته باعتبار مشهد البحيرة من صنع خيالها • كانت تكاد تفقد صوابها كلما خطر لها ظن أبيها بأنها أنت من محض خيالها بشيء فى هذه المناسبة • ولقد ظلت مدة طويلة متحيرا فى تبين ما عساه أن يكون هذا اللوم الذاتى الذى يختفى وراء دحضها الحار لهذا التأويل للحدث

كان من حقنا أن نشك في وجود شيء خبيء ، إذ إن التهمة التي لا يكون هناك مايسند لها لاتحدث اهانة يطول استمرارها • ومن ناحية أخرى فإني خلصت الى أن رواية دورا لايد وأنها تطابق الواقع في كل تفصيلاتها • فلم تكده تدرك مقصد السيد ك — حتى سارعت ، دون أن تتيح له أن يكمل كلامه ، فصفعته على وجهه وهولت مبتعدة • ولايد وأن سلوكها قد بدأ للرجل بعد ، أن تركته ، مستغلقا على فهمه استغلاقه على فهمنا ، إذ لايد وأنه كانت قد اجتمعت له منذ وقت طويل من الدلائل الصغيرة التي لاحصر لها ماجعله على ثقة من حب الفتاة له • وعندما نتناول الحلم الثانى لدورا فسوف نعثر على حل هذا اللغز ، كما سنعثر أيضا على اللوم الذاتى الذى فشلنا حتى الآن في الكشف عنه •

وحيث أنها ظلت تكرر اتهاماتها ضد أبيها في رتبة تبعث على التعب ، وحيث أن سعالها ظل مستمرا في نفس الوقت ، فقد تأديت الى الاعتقاد بأن هذا العرض يمكن أن ينطوى على دلالة ترتبط بأبيها • وفيما عدا ذلك فإن الشروط التى درجت على اعتبارها ضرورية لتفسير عرض ما ، كانت ماتزال بعيدة عن أن تتوفر بشكل يبعث على الرضا • وبحسب قاعدة أكدتها لى الخبرة ، المرة تلو المرة وأن لم اجترىء بعد على تنصيتها مبدأ عاما ، فإن العرض يعنى تمثيل — تحقيق — أخبولة مضمونها جنسى ، أى أنه يعنى موقفا جنسيا • وبتعبير أدق فإن دلالة واحدة على الأقل من بين دلالات العرض هى تمثيل أخبولة جنسية ، ولكن تحديدا كهذا لا يفرض نفسه على مضمون الدلالات الأخرى • وكل من يمارس التحليل النفسى سرعان ما يكتشف أن للعرض أكثر من دلالة ، وأنه يضطلع في نفس الوقت بتمثيل عدة عمليات نفسية لاشعورية • وأود أن أضيف بأنه في تقديري يندر أن عملية نفسية لاشعورية أو أخبولة لاشعورية تكفى بمفردها لتوليد عرض •

وسرعان ما سنحت فرصة لتفسير سعال دورا العصبى بهذه الطريقة ، أى بالرجوع الى موقف جنسى أخبولى • فلقد عادت تلح

من جديد على أن مدام ك — لم تكن تصب أباهما الا لأنه كان
ein vermogender Mann رجل قدرة) • ولقد تأدت بي بعض دقائق
طريقتها في الكلام (مما أغفله هنا ، اغفالي لمعظم العناصر الأخرى من
الفنيات النصفة للتحليل) الى أن أثبتن من وراء هذه العبارة أن
نقيضها يكمن مختبئا ، وهو على وجه التحديد، أن أباهما كسان
(رجلا بلا قدرة) (١) • لم يكن من الممكن فهم ذلك الا بالمعنى الجنسي
— أى أن أباهما كرجل كان بلا قدرة ، كان عاجزا جنسيا • ولقد أيدت
دورا هذا التفسير استنادا الى معارفها الثشعورية ، وعندئذ أبرزت
لها ما كانت فيه من تناقض ، اذ أنها من ناحية استمرت تصر على أن
علاقة أبيها بمدام ك — هى علاقة عشق مبتذلة ، واذ أنها من ناحية
أخرى قررت أن أباهما كان عاجزا جنسيا ، أو بعبارة أخرى كان عاجزا
عن الاضطلاع بعلاقة من هذا النوع • ولقد كشفت اجابتها عن أنها
لم تكن بحاجة ائى التسليم بهذا التناقض • فقد قالت أنها تعرف
تماما أنه توجد أكثر من طريقة للحصول على الاشباع الجنسي •
(ومع ذلك فان مصدر هذه المعلومات قد عجزنا مرة أخرى عن تبينه)
سألتها ما أن كانت تقصد استخدام أعضاء غير الأعضاء التناسلية في
الاتصال الجنسي ، فأجابت بالايجاب • وعندئذ كان بوسعى أن
أضيف بأنه لا بد وأنها تفكر — فى هذه الحالة — على وجه التحديد فى
هذه الأجزاء من البدن التى كانت عندها فى حالة استثارة : الحلق
والتجويف الفمى • وبكل تأكيد لم تكن لترغب فى المضى الى هذا الحد
فى التعرف على أفكارها ، والواقع أنه اذا كان للعرض أن يتحقق على
الاطلاق فقد كان من الضرورى أن لا تكون على بينة تماما من هذا
الأمر • ولكن النتيجة اللازمة لم يعد منها مناص ، فقد كانت بسعالها

(١) (كلمة Unvermogen تمنى حرفيا « عدم القدرة » ويشيع
استخدامها فى المعنيين كإيهما : « عديم القدرة ماليا » و « عديم القدرة جنسيا »
— هامش الترجمة الانجليزية •)
(فى الالمانية كلمة Vermogen تمنى حرفيا « عدم القدرة » ويشيع
و « قدرة جنسية » هامش الترجمة الفرنسية •)

التشنجى — الذى كان كما هو مألوف راجعا من حيث سببه المثير الى تهيج فى حلقها — تمثل لنفسها مشهد اشباع جنسى عن طريق الفم Per os بين الشخصين اللذين كان عشقهما يشغل ذهنها بلا انقطاع . وبعد وقت جد قصير من تقلبها الصامت لهذا التفسير اختفى سعالها الأمر الذى يتفق تماما مع وجهة نظرى ، ولكنى لأرغب فى أن أعطى أهمية زائدة لهذا التطور ، إذ أن سعالها كثيرا ما كان يختفى من قبل بصورة تلقائية .

هذا الجانب الصغير من التحليل ربما أثار فى القارئ الطبيب — بالاضافة الى عدم التصديق الذى هو حق له — مشاعر الدهشة والاستنناع . وانى على استعداد الآن لتفحص هاتين الاستجابتين ، كيما نتبين ما أن كان هناك ما يبررهما . فالدهشة ترجع الى اجترائى على التحدث فى مثل هذه الموضوعات الحساسة والكريهة مع فتاة يافعة — أو حتى أية امرأة تمارس الحياة الجنسية . أما الاستنناع فيرجع بالتأكيد الى أن فتاة عديمة الخبرة يمكن أن تكون على علم بمثل هاتيك الممارسات ويمكن أن ينشغل خيالها بذلك . وبالنسبة الى هاتين النقطتين فانى أوصى بالحرى بالاعتدال والتأمل . فليس فى الواحدة أو الأخرى ما يبعث على الحقن . فبوسع الرجل أن يتحدث الى الفتيات والنساء فى المسائل الجنسية من كل نوع ، دون أن يسبب لهن أذى ، ودون أن تلحق به أية شبهة ، طالما انتهج فى المقام الأول أسلوبا معيننا فى الاضطلاع بذلك ، واستطاع فى المقام الثانى أن يبلغ بهن الى الاقتناع بأن الأمر لا مناص منه . ان طبيب أمراض النساء لا يتردد فى مثل هذه الظروف فى أن يفرض عليهن كل ما يمكن من ضروب التعرية ، وخير أسلوب للتحدث فى مثل هذه المسائل هو الجاف المباشر ، وهو فى نفس الوقت أبعد ما يكون عن الأسلوب الداعر الذى يتم به تناول هذه المسائل فى « المجتمع » ، والذى تألف تماما الفتيات والنساء على السواء سماعه فى العادة . انى أسمى أعضاء البدن والعمليات البدنية بمصطلحاتها الفنية ، وأقدم للمريضة هذه المصطلحات اذا

ماكانت غير معروفة لديها : J'appelle un chat un chat (١) (أنى أسمى القطة قطة — أى أسمى الشيء باسمه) • لقد سمعت بانتاكيد عن البعض — من الأطباء وغير الأطباء — الذين يستشعرون العار إزاء طريقة علاجه تجرى فيها مثل هذه الأحدث ، والذين على ما يبدو يحسدونني ومرضى على التلذذ الشهوى الذى لا يد وأن تنتج مثل هذه الطريقة • ولكن « وقار » هؤلاء السادة أعرفه الى الحد الذى لا يحرك فى ساكننا • ولسوف اتجنب مااستشعره من غواية الكتابة للسخرية منهم • وحسبى أن اذكر شيئاً واحداً • بعدما أقضى فترة من الوقت فى علاج مريضة لم يكن من التيسير عليها فى البداية أن تتقبل التحدث فى المسائل الجنسية ، فغالبا ما كان يتاح لى الاستماع اليها وهى تتعجب : « ولم لا؟ أن طريقتك هى فى نهاية الامر أكثر وقارا من حديث السيد س ! »

مامن أحد يستطيع أن يضطلع بعلاج حالة هستيريا مالم يكن مقتنعا باستحالة تجنب الحديث فى المسائل الجنسية ، أو مالم يكن على الأقل منفتحا لأن يقتنع بالخبرة • فى الاتجاه الصحيح هو :

Pour faire une omelette, il faut casser des oeufs

(٢) (لصنع عجة لا بد من كسر بيض) • والمرضى أنفسهم يقتنعون فى بيسر • وليست الفرص لتحقيق ذلك أثناء العلاج الا أكثر مما يلزم • ليس هنالك من داع لاستشعار أى حرج من مناقشة وقائع الحياة الجنسية السوية أو غير السوية معهم • وباتباع قليل من الحرص ، يكون كل ما يحدث هو أننا نترجم الى أفكار شعورية ماكان بالفعل معروفا فى الملتشعور ، هذا الى أن كل فاعلية العلاج تتوقف فى نهاية الأمر ، علن معرفتنا بأن الوجدان المرتبط بفكرة لاشعورية يعمل بصورة أكثر قوة ، وبالنظر الى استمالة كفة — بصورة أكثر ضررا ، من الوجدان المرتبط بفكرة شعورية • فليس هناك على الاطلاق خطر

(١) (العبارة بالفرنسية فى الاصل الالمانى — المترجمون)

(٢) (العبارة بالفرنسية فى الاصل الالمانى — المترجمون)

افساد فتاه عديمة الخبرة • فحيث لا توجد معرفة بالعمليات الجنسية ، حتى في اللاشعور ، فلن ينشأ أى عرض هستيرى ، وحيث توجد الهستيريا فلن يكون هناك عندئذ أى « طهر فى المشاعر » بالمعنى الذى يقصده الآباء والمربون : فمع أطفال العاشرة أو الثانية عشرة أو الرابعة عشرة ، من الصبية ومن البنات على السواء ، اقتنعت بأن صدق هذه القاعدة يمكن التعميل عليه بلا استثناء •

وفيما يتصل بالاستجابة الانفعالية الثانية ، استجابة الاستئناس وهى غير موجهة ضدى هذه المرة ، بل ضد مريضتى — على فرض أن نظريتى صحيحة وهى الاستجابة التى تعتبر الطبيعة المنحرفة لاخبايلها امرا شنيعا ، فانى أود أن أؤكد القول بأن ليس لرجل الطب أن يزوج بنفسه فى مثل هذه الأدانة الحماسية • وأود أن أضيف بهذه المناسبة بأن ليس هناك من داع حين يكتب طبيب فى انحرافات الغزائر الجنسية لأن ينتهز كل فرصة ليزج فى النص بعبارات تنطق بتقزز الشخى من مثل هذه الأمور المحنقة • اننا أمام واقعة ، د المأمول مع الوقت أن نألفها متى طرحنا جانبها مذاقاتنا الشخصية • يتحتم علينا أن نتعلم كيف نتحدث فى غير تخرج عن مانسميه بالانحرافات الجنسية — وهى الحالات التى تنتهك فيها الوظيفة الجنسية حدودها ، سواء فيما يتصل بالعضو البدنى المعنى أو بالموضوع الجنسى المنتقى • أن ميوعة الحدود التى تحدد ماينبغى تسميته بالحياة الجنسية السوية ، عندما نضع فى اعتبارنا مختلف الشعوب ومختلف العصور ، ينبغى أن تكون بذاتها كافية لتهدئة المغالين فى الحماسة • وليس لنا بالتأكيد أن ننسى أن أكثر الانحرافات اشارة لاشمئزازنا ، وهو الحب الشهوى بين رجل ورجل ، لم يكن فحسب يلقي التسامح من شعب تغلو ثقافته على ثقافتنا بكثير ، وهو الشعب الأغريقى ، بل كان يضطلع عندهم بوظائف اجتماعية هامة • وكل واحد منا فى حياته الجنسية الخاصة ينتهك بدرجة طفيفة — حيناً فى هذا الاتجاه وحيناً فى ذاك — هذه الحدود الضيقة المفروضة عليه بوصفها معيار السوية • ان الانحرافات لاهى بالحيوانية ، ولاهى بالانحلالية ، بالمعنى الانفعالى الكلمة • فهى

صور متطورة لبذور ينطوى عليها الاستعداد الجنسى اللامتياز عند الطفل وهى البذور التى ينتهى بها الأمر ، متى قمعت أو حرفت الى أهداف أعلى لاجنسية أى متى أعثيت - الى توفير الطاقة اللازمة لعدد كبير من اجازاتنا الحضارية . وعليه ، فعندما يصبح شخص ما بشكل صريح وخشن منحرفا ، فمن الأصح أن نقول انه قد ظل منحرفا ، لأنه يكشف عن توقف النمو عند مرحلة بعينها ، وكل العصابين هم أشخاص لديهم ، بشكل جد بارز ، نزعات انحرافية تعرضت للكبث أثناء نموهم فغذت لاشعورية . ومن هنا فان اخايائهم اللاشعورية تكشف على وجه التحديد عن نفس المضمون الذى تكشف عنه الأفعال الواقعية التى سجلتها الدراسات عند المنحرفين ، حتى وأن لم يكن قد أتيح لهم أن يقرأوا كتاب كرافت ابنج

Psychopathia Sexualis

(السيكوباتية الجنسية) هذا الذى يعزو اليه السذج من الناس مثل هذا المقدر الهائل من المسئولية فى احداث النزعات المنحرفة . فالأعصبة هى أن جاز القول ، الوجه السلبي للانحرافات . فعند العصابين تعمل جبلتهم الجنسية ، بما فيها من تأثيرات الوراثه فى أتتلاف مع أية تأثيرات عارضة فى حياتهم قد يكون من شأنها أن تنال بالاضطراب نمو الجنسية السوية . فالمايه عندما يعترضها عائق فى مجرى النهر تنسد وتفيض مرتده الى الوراء فى مجار قديمة ، كان من المفروض فيما مضى أن الأمر سينتهى بها الى جفاف . ان القوى الدافعة التى تؤدى الى تكوين الاعراض الهستيرية تستمد طاقتها ليس فحسب من الجنسية السوية المنكبته بل أيضا من نزعات الانحراف اللاشعورية (١)

(١) كتبت هذه الملاحظات عن الانحرافات الجنسية قبل ظهور المؤلف الممتاز لبلوغ بسنوات .

Bloch, J .. Beirsage Zur Attologie der Psychopathia Seualis, 1902 - 3 (بلوغ . أسهام فى الاسباب المولدة للسيكوباتية الجنسية) . انظر أيضا كتابى ثلاث مقالات فى نظرية الجنس ، الذى نشر هذا العام (١٩٠٥) . (وانظر الترجمة العربية بقلم د . سامى محمود على ، دار المعارف ، ١٩٠٥ - المترجمون)

ان أقل الأشكال اثارة للاشمئزاز من بين مايسمى بالانحرافات الجنسية هي ظواهر واسعة الانتشار جدا بين جميع السكان ، كما نعلم نحن جميعا باستثناء الاطباء الذين يكتبون في الموضوع • أو ، هم جميعا على علم بها أيضا ، ولكنهم فقط يحرصون على نسيانها في اللحظة التي يتناولون فيها اقلامهم للكتابة عنها • ومن هنا فليس هناك مايبعث على العجب في أن فئاتنا الهستيرية ذات التسعة عشر عاما ، وقد سبق لها أن سمعت عن استخدام مثل هذا الأسلوب في الاتصال الجنسي (مص القضيب) ، قد استحدثت أخيوالة لاشعورية من هذا القبيل ، وترجمت عنها بتتهيج حلقها بسعالها • قل وليس هناك أيضا ما كان ممكن أن يبعث على العجب الشديد ، لو أنها قد تأدت الى مثل هذه الأخيوالة ، حتى دون أن تحصل على أية استثارة من مصادر خارجية— وهو أمر تبينته بكل تأكيد عند مريضات أخريات • ذلك أنه في حالة دورا كانت هناك واقعة جديدة بالملاحظة ، هيأت الشرط البدني الضروري السابق للظهور التلقائي الأخيوالة تتطابق مع ممارسات المنحرفين • كانت تذكر جيدا أنها كانت في طفولتها « مصاصة ابهام » • وقد تذكرها أبوها ، هو الآخر ، أنه قد خلصها من هذه العادة بعد ما تشبثت بها حتى عامها الرابع أو الخامس • وكانت دورا نفسها تحتفظ بصورة حية لمشهد من طفولتها الباكرة حيث كانت تجلس على الارض في زاوية تمص ابهامها الأيسر ، بينما كانت في نفس الوقت تجذب بيدها الأيمنى بشكل ايقاعى حلمة اذن أخيها الذي يجلس في هدوء اثنى جوارها وهذا مثال على شكل مكتمل للاشباع الذاتى عن طريق المص ، على نحو ماوصفته لى أيضا مريضات أخريات ممن أصبحن كذلك فاقدمات للحساسية الجنسية وهستيريات وقد قدمت لى واحدة من أولئك المريضات معلومات تلقى ضوءا واضحا على أصل هذه العادة العجيبة • لم تكن هذه المرأة الشابة قد توقفت قط عن عادة المص • كانت تحتفظ بذكرى من طفولتها ، ترجع بحسب رأيها الى النصف الاول من عامها الثانى، حيث رأت نفسها تمص ثدى مرضعتها ، وفي نفس الوقت تشد بشكل ايقاعى حلمة اذن مرضعتها • وما من أحد فيما أعتقد يميل الى أن يجادل في أن الغشاء المخاطى للشفتين

والفم ينبغي اعتباره منطقة شبقية أولية ، بالنظر الى أنها تظل تحتفظ بهذه الدلالة الباكرة في فعل التقبيل ، هذا انذى يعتبر سويا . وهكذا فان النشاط الغريزي لهذه المنطقة الشبقية في سن باكر يحتتم الظهور اللاحق لهاودة بدنية في مجرى الغشاء المخاطى المذى يبدأ من الشفتين . ومن هنا ، ففى الوقت الذى يصبح فيه الموضوع الجنسى الحق - أى القضيب - معروفا بالفعل ، يمكن أن تتشأ ظروف تعمل مرة أخرى على الزيادة من استثارة المنطقة الفمية ، التى احتفظت - كما رأينا - بطابعها الشبقى . عندئذ لا يحتاج الامر الا لاقل القليل من قوة الابداع لاحتلال الموضوع الجنسى الحالى (القضيب) محل الموضوع الاصلى (الحلمة) ، أو محل الاصبع الذى كان قد حل محل الحلمة بعد ذلك ، ولوضع الموضوع الجنسى الحالى فى ذلك الموقف الاصلى الذى تحقق فيه الاشباع فى البداية . ومن ثم نرى أن هذه الاخيوالة المنحرفة والمنفرة الى أبعد حد ، أخيوالة مص القضيب ، ترجع الى أصل أشد، ما يكون طهرا . فهى طبعة جديدة لا يمكن وصفه بالانطباع قبل التاريخى لمص ثدى الام أو المرضة - وهو انطباع يتم فى العادة انبعائه برؤية الاطفال يرضعون . وكثيرا ما يلعب ضرع البقرة بشكل فعال دور الصورة الوسيطة بين الحلمة والقضيب .

أن التفسير الذى عرضنا له الان لاعراض الحلق عند دورا ، يمكن أيضا أن يثير ملاحظة أخرى . فمن الممكن أن نتساءل كيف لهذا الموقف الجنسى الاخيوالى عندها أن يتناغم مع تفسيرنا الآخر للاعراض . والتفسير الآخر - كما نذكر - مؤداه أن ظهور واختفاء الاعراض كانا ترجمة عن غياب وحضور الرجل الذى كانت تحبه ، وكان ذلك ، بالمقارنة مع سلوك زوجته ، يعبر عن الفكرة الثالية : « لو أننى كنت زوجته ، لاحبته بشكل مختلف تماما . لكنت أقع مريضة (من الصبابة) عند غيابيه ، ولكنت أعود الى العافيه (من الفرحة) عندما يعود الى من جديد . » على مثل هذا الاعتراض يتحتم على أن أجيب بأن خبرتى فى تفهم الاعراض انهستيرية قد كشفت لى عن أنه ليس من الضرورى أن تلتئم كلها فى كل مترابط .

فيكفي أن تكون الوحدة هي وحدة الموضوع الذي تولدت عنه كل
الآخيل المبانية • ومع ذلك ، فحتى التناغم من النوع الاول ليس
بمنعدم في الحالة التي نحن بصدددها • فاحدى الدالتين تنتسب
بدرجة أكبر الى السعال بينما تنتسب الاخرى بالحرى الى فقدان
الصوت والطابع الدورى للاضطراب • وربما كان بوسع تحليل أمعن
أن يكشف عن عدد أكبر بكثير من العوامل النفسية المحددة لدقائق
المرض • ولقد تبينا من قبل أن عرضا واحدا وبعينه يترجم في نفس
الوقت ، وبصورة منتظمة تماما ، عن دلالات عديدة • ويمكننا الآن أن
نضيف أن العرض يمكن أن يترجم على المتعاقب عن دلالات عديدة فعلى
مر السنين يمكن للعرض أن يغير دلالاته ، أو يغير ، دلالاته الاساسية
أو يمكن للدور القيادي أن ينتقل من دلالة
الى أخرى • ويبدو الامر وكأن هناك نزعة الى المحافظة في طبيعة
العصاب من شأنها أن تضمن لعرض ، متى تكون ، أن يستمر — ما أمكن
— في البقاء ، حتى وان كانت الفكرة اللاشعورية التي كان العرض
يترجم عنها قد فقدت أهميتها • ولكن ليس ثم صعوبة في تقديم
تفسير لمثل هذه النزعة الى استبقاء العرض على أساس ميكانيكى •
ان استحداث عرض من هذا القبيل لهو من الصعوبة ، اذ أن ترجمة
استثارة نفسية صرفه الى اللغة البدنية — وهى العملية التي اسميتها
التبدين — تتوقف على توفر عدد عديد من الشروط المواتية ، واذا أن
المهاودة البدنية اللازمة لهذا التبدين هى من صعوبة المنال ، بحيث أن
الحفزة الى أفراغ استثارة لاشعورية تحاول ما أمكن الافادة من أى
مسرب للافراغ يكون قائما بالفعل • فيبدو أن استحداث عرض تبدينى
جديد هو أصعب بكثير من إقامة ممرات من التداعى بين فكرة
جديدة تتطلب الافراغ والفكرة القديمة التي لم تعد بحاجة
للافراغ • وتتسبب الاستثارة من مصدرها
الجديد عبر هذه الممرات التي تكونت الى المنطق القديم للافراغ
فتصب في العرض ، وكأنها بلغة الانجيل نبيذ جديد في زقاق عتيقة •
وقد توحى هذه الملاحظات بأن الجانب البدنى من العرض الهستيرى
هو أكثر جانبية استقرارا وأستعصاء على الأبدال ، بينما جانبه

النفسي هو الأكثر تغيرا وسهولة في العثور له على بديل • ومع ذلك فلا ينبغي لنا أن نحاول استخلاص شيء من هذه المقارنة ، عن الأهمية النسبية لكل من الجانبين • فمن زاوية العلاج النفسي يتحتم أن يكون الجانب النفسي هو الأكثر أهمية •

ان التكرار الذي لم ينقطع من جانب دورا لنفس الأفكار عن علاقة أبيها بمدام ك — قد أتاح للتحليل أن يبلغ الي كشف آخر جديد وهام •

مثل هذه السلسلة من الأفكار يمكن أن نصفها بأنها قهارة ، أو علي نحو أفضل ، بأنها تتسم بالتعزيز ، أو بأنها « متسلطة » بحسب تعبير فرنيكه Wernicke • فهي تكشف عن طابعها المرضي ، علي الرغم من مضهونها المعقول في الظاهر ، بهذه الخاصية الثفريدة ، وهي أنه مامن جهد شعوري وأرادي كائنا ماكان قدره من جانب المريضة يستطيع أن ينال منها أو يزيلها • أن سلسلة سوية من الأفكار ، مهما كانت شدتها ، يمكن في نهاية الأمر التحكم فيها • كانت دورا تشعر تماما بأن أفكارها عن أبيها تحتاج الي طريقة خاصة في الحكم عليها • ولطالما تردد أنينها : « ليس بوسعي أن أفكر في شيء آخر • اني أعرف مايردده أخي من أننا نحن الاطفال ليس من حقنا أن نتقد هذا السلوك من أينا • فهو يعلن بأن ليس لنا أن نشغل أنفسنا بذلك ، بل وربما كان لنا أن نسعد بأنه قد عثر علي امرأة يستطيع أن يحبها ، مادامت ماما تسيء فهمه الي هذا الحد • بوسعي تماما أن أفهم ذلك ، وكان بودي أن أفكر بنفس الطريقة كأخي ، ولكنني لأستطيع • لايمكنني أن أغفر له ذلك • » (١)

والآن ، ما الذي يمكن فعله في مواجهة فكرة متسلطة كهذه ، بعد ماعرفنا الأسس الشعورية التي تستند اليها ، وعدم جدوى الاحتجاجات الموجهة ضدها ؟ ان التأمل ينادي بنا الي أن هذه السلسلة من الأفكار

(١) أن فكرة متسلطة من هذا النوع غالبا ما تكون ، بالاضافة الي اكتئاب عميق ، العرض الوحيد للحالة المرضية التي عادة ما تسمى « السوداوية » والتي يمكن مع ذلك استبحلاؤها بالتحليل النفسي كالهستيريا •

القاهرة لابد، وأن يكون تعزيزها راجعا الي اللاشعور . فلا يمكن لأي جهد فكري أن ينال منها ، أما لأنها هي نفسها ترجع بأصلها عميقا في اللاشعور الى أفكار مكبوتة ، وأما لان فكرة لاشعورية أخرى تكمن خبيئة وراءها ، وفي الحالة الأخيرة تكون الفكرة الخبيئة في العادة مضادة بشكل مباشر لفكرة المتسلطة . والفكرتان المتضادتان تكونان دائما في صلة وثيقة الواحدة بالأخرى ، وغالبا مايتزاوجان على نحو بحيث تكون احدهما شعورية بشكل مسرف ، بينما تظل قرينتها المضادة مكبوتة ولاشعورية . وهذه العلاقة بين الفكرتين هي نتاج عملية الكبت ذلك أن الكبت غالبا مايتحقق عن طرق تعزيز مسرف للفكرة المضادة لفتك التي يتحتم كبتها . وأنبى اسمى هذه العملية تعزيزا مضادا ، كما اسمى الفكرة التي تلقى التوكيد بشكل مسرف في الشعور ، والتي (كما هو الحال في الأحكام القبالية) يستحيل زحزحتها ، فكرة مضادة وعندئذ فان الفكرتين المتضادتين يكون عمل أحدهما من الأخرى أشبه ما يكون بأبرتنى جلفانومتر عديم التأثير بالجاذبيه الارضية من جراء تناظرهما . فالفكرة المضادة تبقى على الفكرة المتهجنة تحت الكبت عن طريق زيادة معينة في الشدة ، ولكنها هي نفسها بسبب ذلك « تتوطد » وتتحصن ضد الجهود الشعورية للفكر . ومن ثم تكون الوسيلة لتجريد الفكرة المتسلطة من شدتها هي أن نجلب الى الشعور الفكرة اللاشعورية التي تضادها .

وينبغي أيضا أن نكون على استعداد لأن نلتقى بحالات ترجع فيها الشدة المسرفة للفكرة ، لا الى واحد فقط من هذين السببين ، بل الى تآزرهما معا . ويمكن أيضا لتعقيدات أخرى أن تحدث ، ولكن يظل ممكنا ادخالها بسهولة ضمن هذا المخطط العام . . .

لنطبق الآن نظريتنا على المثال الذي تقدمه لنا حالة دورا . ولنبدأ بالفرض الأول ، وهو ، على التحديد ، أن أنشغالها بعلاقة أبيها بمدام ك - يدين بطابعه الحضارى الى أن أصل هذا الانشغال غير معروف

لربها ، اذ يكمن في اللاشعور • وليس من العسير أن نحدس طبيعة هذا الاصل ابتداء من ظروفها وسلوكها فسلوكها قد أسرف بشكل واضح في تجاوزه لما يمكن أن تكون عليه اهتمامات ابنة • • كانت في شعورها في تجاوزه يمكن أن تكون عليه اهتمامات ابنة • • كانت في شعورها مفهوما من جانب أمها • فبانذارها النهائي لأبيها (« أما هي وأما أنا ») ، وبالمشاجرات التي كان من عاداتها أن تثيرها ، وبعزمها على الانتحار وهو الذي أتاحت له أن ينكشف — بكل ذلك كانت بشكل واضح تضع نفسها موضع أمها • واذا كنا قد أصبنا الحقيقة في حدسنا طبيعه الموقف الجنسي الاخيولى الذى يكمن وراء سعالها ، فانها كانت ولا بد في هذه الأخيولة تضع نفسها موضع مدام ك — • وعليه فقد كانت تتوحد في نفس الوقت مع المرأة التي أحبها أبوها يوما ، ومع المرأة التي يحبها الآن • من ذلك تخلص لنا نتيجة واضحة ، هي أن حبها لأبيها كان أقوى بكثير مما كانت تعسى ، أو مما كانت على استعداد للتسليم به باختصار ، كانت تعشق أباه •

لقد تعلمت أن أنظر الى علاقات الحب اللاشعورى من هذا القبيل (وهى التى يمكن التعرف عليها من عواقبها اللاسوية) — بين أب و ابنته ، أو بين أم وابنها — على أنها ابتعاث لمشاعر برعمية في الطفولة • لقد أبننت باستنفاضة في موضع آخر (١) ، في أى سن باكرة بيرغ الشعور بالجابضية الجنسية بين الآباء والأطفال ، وأوضحت أن أسطورة أوديب ربما ينبغى اعتبارها ترجمة شعرية لما هو نمطى في هذه العلاقات • وربما نعثر عند الغالبية العظمى من الناس على متخلفات قاطعه لهذا الانحياز الباكر — من جانب الابنة لأبيها ، ومن جانب الابن لأمه • ولكن ينبغى أن نفترض أن هذا الانحياز يكون أكثر شدة منذ البداية الأولى عند أولئك الاطفال الذين تهيئوهم

(١) فى كتابى Traumdeutung (١٩٠٠) (تفسير الاحلام دار المعارف بمصر) الطبعة السابعة ، ص ١٨١ ، وفى المقال الثالث من كتابى Drei Abhandlungen Zur Sexualtheorie (١٩٠٥) (ثلاثة مقالات فى نظرية الجنس دار المعارف بمصر)

جبلتهم للعصاب ، والذين يتميز نموهم بنضج سابق لأوانه الشرم للحب . عند هذه النقطة تدخل الى المسرح تأثيرات أخرى معينة ، لأجل هنا لتحديث عنها ، من شأنها ان تؤدي الى تثبيت الحب البرسنى هذا أو الى تعزيزه ، ومن ثم يتحول هذا الحب (أما والطفل مايزال صغيراً ، وأما فقط ابتداء من سن البلوغ) الى شيء ينبغي اعتباره معادلاً لانجذاب جنسى ، من حيث أنه — كهذا الانجذاب — يملك تحت امرته كل قوى الليبيدو (١) . ولم تكن الظروف الخارجية لمريضتنا بحال غير مساييرها للثل هذا الافتراض . فاستعدادها بطبيعته قد جعلها دائماً منجذبة الى ابيها ، كما كان ولا بد لامراضه العديدة من أن تزيد من حبها له . وفى كثير من هذه الأمراض لم يكن يسمح لأحد سواها بأن يؤدي له الواجبات الهينة للتمريض . وكان هو من الاعتزاز بذكائها الباكر التفتيح الى حد أنه اتخذ منها ، وهى ماتزال طفله ، كاتمة سره . كانت فى الواقع هى ، وليس أمها هى التى أدى ظهور مدام ك — الى اجلائها عن أكثر من موقع .

وعندما أخبرت دورا بأنه لايسعنى الا أن افترض بأن حبها لأبيها لا بد وأن يكون قد تصاعد فى وقت جد باكر الى حد أنها أصبحت فى عشق كامل له ، اجابتنى بالطبع اجابتها المألوفة « لا أتذكر ذلك » . ولكنها أردفت مباشرة تحكى لى شيئاً مماثلاً عن صببية فى السابعة تقريباً ، هى ابنة خالتها ، كانت دورا غالباً ماتعتقد أنها ترى فيها نوعاً من المرأة لطفولتها . كانت هذه الصببية الصغيرة (ولم يكن ذلك للمرة الأولى) قد شهدت مشاجرة عاصفة بين أبويها ، وعندما حدث بعد ذلك بقليل أن حضرت دورا فى زيادة ، همست الصببية فى أذنها « لايمكنك أن تتصورى كم أمقت هذه المرأة ! » (مشيرة الى أمها) ، « وعندما تموت سوف أتزوج بابا » . ومن عادتنى أن أنظر الى مثل هذه التدايعيات ، التى تقدم شيئاً يتشوق مع مضمون ماذكرته ، على

(١) أن العامل الحاسم فى هذا السبب هو بلاشك الظهور الباكر لاحاسيس انسالیه حقه ، أما بصورة تلقائية ، وأما نتيجة غوابة أو استنماء .

أنها تأييد من اللاشعور لما قلته • فما من « نعم » من شكل آخر يمكن
للاشعور أن يقدمها ، وما من شيء على الاطلاق يوجد بوصفه « لا »
لاشعورية (١) •

وطوال سنوات بلا انقطاع لم تعبر عن هذه العاطفة المشبوبة
نحو أبيها • وعلى العكس من ذلك ظلت دورا زمنا طويلا على أوتق
علاقة مع المرأة التي حلت محلها في علاقتها مع أبيها • وعليه فان حبها
لأبيها قد ابتعث حديثا من جديد ، فان كان الأمر كذلك يبرز السؤال عن
الهدف الذى من أجله حدث هذا الابتعاث • من الواضح أنه حدث
كعرض مضاد ، حتى يكبح شيئا آخر — شيئا كان مايزال يمارس فعالية
في اللاشعور • وبالنظر الى واقع الأحداث ثم يسعنى الا أن أفترض ،
لوهلة الأولى ، أن ما انتبج كان هو حبها للأسيد ك — • ولم يكن بوسعى
أن أتجنب الاعتراض بأنها كانت ماتزال تحبه ، وبأن حبها ، لأسباب
غير معروفة ، منذ مشهد البحيرة ، قد أثار فيها مشاعر عاتية من
المعارضة ، وبأنها قد ابتعثت وعززت حبها القديم لأبيها حتى لاتحتفظ
بأية فكرة شعورية عن هذا الحب الذى استشعرته فى السنوات الأولى
من شبابها ، والذى غدا الآن أليما بالنسبة لها • وبهذه الطريقة تحقق
الى استبصار بهذا الصراع الذى كان من شأنه أن يدخل تغييرا جذريا
على نفسية الفتاة • فهى من ناحية قد غمرها الأسف لرفضها مطارحة
الرجل ، وغمرها الحنين الى صحبته والى الشواهد الصغيرة الناطقة
بحبه ، ولكن من ناحية أخرى ، كانت هذه المشاعر من الحب والحنين
تتأهضها قوى عاتية ، كان كبرياؤها من أبرزها وضوحا • وهكذا
نجحت فى أن تقنع نفسها بأن الأمر قد انتهى مع السيد ك — وتلك
كانت الميزة التى حصلت هى عليها من هذه العمئية النمطية من الكبت •
ولكنها مع ذلك كانت مضطرة الى ابتعاث حبها الطفلى لأبيها ، والى

(١) ملاحظة اضافية عام ١٩٢٣ — ثمة شكل آخر من التأييد اللاشعورى
جد جدير بالاعتبار وبالثقة التامة ، لم أكن قد تبينته وقتما كتبت ذلك :
هو على التجديد تعجب من جانب المريض « لم يخطر لى ذلك » أو « لم أفكر
فى ذلك » مما يعنى صراحة نعم كان ذلك « لاشعوريا بالنسبة لى » •

أن تباغخ فيه ، حتى تحمي نفسها ضد مشاعر الحب التي كانت يشكل
متصل تتدافع قدما إلى شعورها • أما الواقعة الأخرى التي مؤداها
أنها كانت دائما تقريبا فريسة لأشد مشاعر الغيرة مرارة ، فيبدو
وأنها ترجع الى سبب آخر أيضا (١) •

لم يخطيء توقعي بأى حال عندما قابلت دورا هذا التفسير من
جانبي بأقصى نفي قاطع • ان كلمة « لا » التي ينطق بها مريض بعد
ماتقدم له لأول مرة بحدة مكبوتة إلى ادراكه الشعوري ، ليست غير
دليل على وجود كبت ، وعلى شدته ، فهذه الـ « لا » هي ، أن جاز
القول • مقياس لشدة الكبت • وهذه الـ « لا » — بدلا من اعتبارها
تعبيرا عن حكم موضوعي ، وهو أمر لا يقتدر عليه المريض في واقع
الأمر — لو أننا تجاهلناها ، ومضينا في العمل التحليلي ، فسرعان
ما يبدأ في الظهور الدليل الأول على أن « لا » في مثل هذه الحالة تعني
« نعم » التي نتوقعها • فلقد اعترفت دورا بأنه لم يكن في وسعها أن
تغضب من السيد ك الغضب الذي كان يستحقه • قالت لي انها
التقت ذات يوم بالسيد ك — في الطريق أثناء سيرها مع ابنة عم لها
لم تكن تعرف الرجل • ولقد تعجبت ابنة العم هذه على حين فجأة :
« ما هذا يادورا ؟ ماذا أصابك ؟ لقد غدوت شاحبة كقماش- أبيض ! »
أما هي نفسها فلم تستشعر شيئا من هذا الشحوب • ولكنني أوضحت
لها أن التعبير عن الانفعال وتغييرات الملامح تخضع للاشعور بأكثر مما
تخضع للاشعور ، وأن هذه الظواهر هي وسيلة تفصح للاشعور (٢) •
وفي مرة أخرى حضرت الى دورا ، وكان مزاجها أسوأ ما يمكن ، بعدما
كانت مرحلة بصورة منتظمة لبضعة أيام • لم تستطع أن تقدم أي
تفسير لذلك • قالت : « كل شيء اليوم يثير سخطى » • كان ذلك يوم

(١) سوف نعرض لذلك فيما بعد •

(٢) قارن هذين السطرين من شيلر

“Ruhig meg ich euch erscheiuen”

Ruhig gehen sebn. ” Schiller, “Riter Toggenburg.”

(بهدوء استطيع أن ارتقب مجيئك وبهدوء ارتقبك تنصرف)

عيد ميلاد عمها ، ولم يكن بوسعها أن تعقد العزم على تهنئته ، ولم تكن تعرف سببا لذلك • جف معين تفسيراتي في ذلك اليوم ، فتركها تمضي في الحديث ، وفجأة تذكرت أن ذلك اليوم كان أيضا عيد ميلاد السيد ك — وهو أمر لم يفتنى أن استخدمه ضدها • وعندئذ لم يعد من العسير تفسير العلة في أن الهدايا الأنيفة التي تلقتها في عيد ميلادها قبل ذلك بأيام قليلة لم تحدث عندها أى سرور • كانت هناك هدية تنقصها ، هي هدية السيد ك — ، وهي الهدية التي كانت بالطبع ذات يوم أعز الهدايا عندها •

ومع ذلك فقد ظلت دورا متشبثة فترة أخرى من الوقت بأنكارها لما أوعية ، حتى خرج الى النور ، قرب نهاية التحليل ، الدليل القاطع على صحته •

ويتحتم على الآن أن اتجه الى تناول تعقيد آخر ، ماكنت بالتأكيد لافسح له أى مكان لو أننى كنت أديبا يصور حالة نفسية من هذا النوع في قصة قصيرة ، بدلا من كونى طبيبا بعكف على تشريحها • فالعنصر الذى يتحتم أن أشير اليه الآن ليس بوسع الا أن يلقى بظلمة من العتامة ، ويأتى على تلك المعالم الشاعرية للصراع الذى استطعنا أن نتبينه عند دورا • هذا العنصر كان ولا بد من التضحية به ، وعن حق ، من جانب الرقابة عند الأديب ، لان الأديب في نهاية الامر يعمل التبسيط والتجريد عندما يقوم بدور النفسانى • ولكن في عالم الواقع ، وهو الذى أحاول تصويره هنا ، يكون تعقد الدوافع ، وتراكم وتداخل النزعات النفسية ، وباختصار يكون التحتيم بأكثر من سبب هو القاعدة • ذلك أنه وراء سلسلة الأفكار المتسلطة عند دورا عن علاقة أبيها بمدام ك — كانت تكمن حبيسه مشاعر غيرة تتخذ من تلك السيدة مروض حجب — بمعنى أنها مشاعر لم يكن من الممكن أن يكون لها من أساس ألا الحب من جانب دورا لواحدة من بنات جنسها • فمن المعروف منذ زمن بعيد ، وما حظى كثيرا بالابراز ، أن الصبيان والبنات في سن البلوغ يبدون ، حتى في الحالات السنوية ، علامات واضحة على وجود حب عندهم

لأناس من جنسهم • فالصداقة العاطفية الرومانتيكية مع زميلة في
الدراسة ، بما فيها من قطع العهود ، والقبيلات ، والوعود بالتراسل
مدى الحياة ، وكل حساسيات الغيرة ، هي الطليعة التي تسبق عادة
عند البنت حبها الأول المشبوب لرجل • وبعد ذلك فإن مجرى
مشاعر الجنسية المثلية غالبا ماينضب تماما في الحالات المواتية • ولكن
انفتاة حين لا يكتب لها التوفيق في حبها للرجل ، فإن ذلك المجرى غالبا
مايعود اليه الليبيدو من جديد ، حتى في السنوات المتأخرة من العمر •
وتزداد شدته بدرجات متفاوتة • فاذا كان ذلك هو مانقبينه بسهولة
عند الأسوياء ، واذا وضعنا في اعتبارنا ماسبق أن قلناه عن التطور
الأمعن عند العصابين للبذور العادية للانحراف ، فانتا نتوقع أن
تنطوى جبلتهم عن استعداد من الجنسية المثلية أكثر شدة • ذلك
مايتحتم أن يكون في الواقع ، فأننى حتى الآن ماتناولت حالة واحدة
من التحليل النفسى ، لرجل أو امرأة ، دون أن يكون على أن احسب
حساب نزعة جد قوية من الجنسية المثلية • فعند المرأة أو انفتاة
الهستيرية ، متى تعرض الليبيدو المتجه الى الرجال للقمع الشديد ،
فإن الليبيدو المتجه الى النساء يتدعم ، بصورة منتظمة وبشكل
تعويضى ، بل والى حدما على نحو شعورى •

ثن أمضى هنا الى أكثر من ذلك في هذا الموضوع الهام ، وهو بصفة
خاصة موضوع لاغنى عنه في فهم الهستيريا عند الانسان ، ذلك أن
تحليل دورا قد توقف قبل أن يتاح له أن يلقي أى ضوء على هذا
الجانب من حياتها النفسية ولكنى أحب أن أعود بالذاكرة الى المربية
التي أشرنا اليها من قبل ، والتي استمتعت معها دورا في البداية بأقصى
تفاهم فكرى ، حتى اكتشفت أن اعجاب المربية وتعلقها بها لم يكن من
أجلها هى ، بل من أجل أبيها ، وعندما ارغمت المربية على أن ترحل •
يكان من عادة دورا أيضا أن تسهب بتواتر ملحوظ ، وبالاحاح خاص ،
في حديثها عن حكاية نفور أخرى بدت بغير تفسير حتى بالنسبة لها •
كانت دائما على علاقة طيبة بشكل خاص مع الصغرى من ابنتى عمتها
وهى الفتاة التي تمت خطبتها بعد ذلك - وكانت تشاركها كل مايمكن

من الأسرار ، وعندما عاد الاب إلى بلدة ب — لأول مرة بعد قطع الإقامة على شاطئ البحيرة ، رفضت دورا أن تصاحبه ، وعندئذ دعت ابنة عمتها إلى أن تصحبه بدلا منها فقبلت الدعوة . ومنذ ذلك الحين فصاعدا ، شعرت دورا بفتور نحوها ، وكانت هي نفسها تعجب من اللامبالاة التي أصبحت عليها تجاه ابنة عمتها ، ولو أنه ، كما أعترفت ، لم يكن هناك شيء كثير يمكن أن تأخذه عليها . هذان المثالان من سرعة التأثير دفعانى إلى تقصى ماكانت عليه . علاقتها مع مدام ك — إلى أن انقطعت العلاقة . وعندئذ تبين أن السيدة الصغيرة والفتاة التي كانت بالكاد شابة قد عاشتا سنوات في أوثق علاقة حميمة . وعندما أقامت دورا ، مع أسرة ك — كانت تشارك مدام ك — غرفة نومها ، بينما كان الزوج يقضى إلى غرفة أخرى . وكانت موضع سر الزوجة لطفليها ، ولم تفعل مدام ك — شيئا بالتأكيد لتعكر علاقة الفتاة بوالد لم يتحدثا فيه ، كانت ميديا (١) الرضية كل الرضا من مصادقة كريوز لطفليها ، ولم تفعل مدام ك — شيئا بالتأكيد لتعكر علاقة الفتاة بوالد طفليها أما كيف أن دورا استطاعت أن تقع في حب الرجل الذى كان ندى صديقتها الحبيبة عنه مثل هذه الكثرة من المآخذ ، فتلك مشكلة سيكولوجية طريفة . لن نكون بعيدين عن حل هذه المشكلة إذا ماتينا أن الأفكار في اللاشعور تتعايش في ارتياح تام جنبا إلى جنب ، وحتى المتناقضات تمضى معا بلا صدم — وتلك حالة غالبا ماتستمر بدرجة كافية حتى في الشعور .

عندما كانت دورا تتحدث عن مدام ك — كان من عاداتها أن تمتدح « بشرة بدننا ذات البياض الساحر » ، وذلك على نحو أجدر بعاشق منه بغريمة مهزومة . وفي مناسبة أخرى قالت لى ، وهى آسفة أكثر منها غاضبة ، أنها كانت على ثقة من أن الهدايا التي كان أبوها قد قدمها لها كانت من اختيار مدام ك — لأنها تعرفت فيها على ذوقها .

(١) ميديا امرأة في الاساطير اليونانية أحبت بطلا يونانيا يدعى جاسون وانجبت منه طفلين . وعندما انصرف عنها جاسون ليتزوج كريبوزا دفعها اليأس إلى قتل طفليها منه ، المترجمون .

وفي مناسبة أخرى أيضا ذكرت لى أنها تلقت - وكان ذلك بشكل واضح يتدخل من مدام ك - هدية من الحلوى تشبه تمام الشبه قطعة من الحلوى سبق أن رأتها بين حلوى مدام ك - فعبرت عندئذ صراحة عن رغبتها في مثلها • وأستطيع في الواقع أن اقرر بصفة عامة أنني ما سمعت منها قط كلمة قاسية أو غاضبة في حق هذه السيدة ، وأن كان من المفروض ، من زاوية فكرتها المتسلطة، أن تعتبرها المسئولة الاولى عن تعاستها . كان سلوكها يبدو غير منطقي ، ولكن هذه اللامنطقية الظاهرة كانت على وجه الدقة تعبيراً عن تيار من المشاعر بالغ التعميد • فهذه السيدة ، ألتى كانت دوراً متفانية في اخلاصها لها ، كيف كان سلوكها نحوها ؟ فبعدها التقت دوراً باتهامها ضد السيد ك - وكتب أبوها اليه يطلب منه ايضاحاً ، بادر السيد ك - بالرد عليه معترضاً باسمى مشاعر التقدير لها ، ومقترحاً مايرام من ضرورة حضوره الى بلدة المصنع لازالة كل سوء فهم • ولكن بعد ذلك بأسابيع قليلة عندما تحدث أبوها اليه في بلدة ب لم يعد الامر على الاطلاق أمر تقدير • بل على العكس تحدث عنها السيد ك - حديث تحقير ، متخذاً ورقته الرابعة من أن دةاة تقراً مثل هذه الكتب وتتهم بمثل هذه الاشياء ليس لها بحال أن تكون جديرة بالاحترام من رجل • وعليه فان مدام ك - قد فضحت سرها وشوهت سمعتها ، فهي لم تقراً منتيجازا Mantegazza الا معها، ولم تتناقش في الموضوعات المشينة الا معها • كان ذلك تكراراً لما سبق حدوثه مع المريية : فثم تكن مدام ك - تحبها لذاتها بل لحساب أبيها • لقد ضحت بها مدام ك - دون لحظة تردد ، حتى لا تتعكر علاقتها مع أبيها • أن هذه الجرح لمشاعرها قد نال منها ربما بدرجة أعمق ، وربما كان أكثر فاعلية في توليد المرض بالقياس الى الجرح الآخر - وهو تضحية الاب بها - وهو الجرح الذى حاولت أن تتخذ منه شعاراً حاجباً لانجراحها من مدام ك - الم يكن تشبثها العنيد بنسيان مصدر معلوماتها المشينة يرجع مباشرة الى ما توليه من أهمية أنفعالية بالغة للاتهام الموجه ضدها في هذه المسألة ، وبالتالي لخيانة مدام ك - لسرها ؟ •

ومن هنا ، فلست أرانى مخطئا إذ افترض أن سلسلة الانكسار المتسلطة عند دررا ، وهى الخاصة بعلاقة ابيها مع مدام ك — لم يكن الهدف منها هو فقط كبح حبها للسيد ك — وهو الحب الذى كان يوما ماشعوريا بل أيضا حجب حبها لمدام ك وهو الحب الذى كان لاشعوريا وعلى مستوى أعمق • كانت تلك السلسلة من الأنسكار المتسلطة هى المعكوس تماما لجرى المشاعر الأخيرة • كانت تحدث نفسها بلا انقطاع بأن أباهما قد ضحى بها من أجل هذه السيدة ، وتبدى من المظاهر المصاحبة ماينم عن حسدها لها على امتلاكها لأبيها ، وبهذه الطريقة كانت تحجب عن نفسها الواقعة التى هى عكس ذلك ، وهى أنها كانت تحسد أباهما على امتلاكه لحب مدام ك — ، وأنها لم تغتفر للمرأة التى أحببتها الى هذا الحد خيبة الامل التى سببتها بخيانتها لسرها • أن غيرتها من هذه المرأة كانت ترتبط فى اللاشعور بغيرة من قبيل مايمكن أن يستشعره رجل • هذه المشاعر المذكورة ، أو بتعبير أصبح مشاعر « الولع بالنساء » من جانب المرأة ، ينبغى اعتبارها خاصة تمطية للحياة الشبقية اللاشعورية عند الفتيات الهستيريات •

الحلم الأول

الحلم الأول

وعند هذه اللحظة بعينها أتى لاح فيها أن المعطيات اثنتى تتوارد للتحليل نوشك ان تلقى الضوء على نقطه غامضة من طفوله دورا ، ذكرت لى أنها منذ بضعه ليال رأت من جديد حلما سبق أن رأته بنفس الصورة تماما فى مناسبات سابقة عديدة . ان حلما يتكرر بين الحين والحين لهو بنفس خاصيته هذه جدير بأن يثير بشكل خاص استطلاعىتى ، ومهما كانت الحالة ، فقد كان من حقنا لصالح العلاج أن نتفحص الكيفية التى اضطلع بها هذا الحلم بدوره فى السياق الكلى للتحليل . ومن ثم عقدت العزم على أن أقوم ببحث هذا الحلم بعناية خاصة .

وها هو الحلم كما روته دورا : « منزل كان يحترق (١) . وكان أبى واقفا بجوار سريري وأيقظنى . ارتديت ملابسى على عجل . ارادت أمى أن تتوقف لتتنفذ علبه حليها ، ولكن أبى قال : (أنى أرفض أن أدع نفسى وطفلى نحترق من أجل علبه حنيك) . وهرولنا نازلين على السلم ، وما أن صرت فى الخارج حتى استيقظت » .

وبالنظر الى أن الحلم كان حلما متكررا ، فقد كان من الطبيعى أن أسالها متى راته أول مرة . أجابتنى أنها لاتدرى . ولكنها تذكرت أنها رأت هذا الحلم ثلاث ليال على التعاقب فى بلدة ل - (عند شاطيء البحيرة ، حيث وقع المشهد مع السيد ك) - وقد عاد اليها الحلم الآن من جديد منذ بضعة ليال هنا فى فينا (٢) . وقد زادت بطبيعة الحال توقعاتى

(١) فى اجابتها على نقص منى ، قالت لى دورا أنه لم ينشب قط فى الواقع حريق فى منزلهم .

(٢) ان مضمون الحلم يجعل من الممكن أنه حدث لأول مرة فى بلدة ل .

التي كنت أرجوها من استجلاء الحطم عندما سمعت عن ارتباطه بأحداث بلدة ل — ولكني أرغب أولاً في أن أتبين السبب المباشر في تكرره أخيراً ، ومن ثم سألت دورا أن تتناول الحطم قطعة قطعة ، وأن تخبرني عما حدث لها مرتبطاً بكل قطعة • كانت دورا قد حصلت من قبل على شيء من التدريب في تفسير الاحلام ، فقد سبق أن حللنا بعضاً من الأمثلة البسيطة •

— قالت : شيء يخطر ببالي ، ولكنه لا يمكن أن ينتسب الى الحطم ، لأنه حديث جداً بينما رأيت الحطم قبله بكل تأكيد •
— أجبت : هذا لا يهم • استمرى ! سوف يتضح ببساطة أن أحدث شيء هو الذي يلتئم مع الحطم •

— قالت : حسناً • فقد تشاجر أبي مع أمي في الأيام القليلة الماضية ، لأنها تغلق باب غرفة الطعام أثناء الليل • وغرفة أخي كما تعلم ليس لها مدخل مستقل ، بل لا يمكن الدخول إليها إلا عن طريق غرفة الطعام • وأبي لا يجب أن ينحبس أخي على هذا النحو أثناء الليل ، قائلًا « هذا لا يجوز أبداً : فقد يحدث شيء أثناء الليل يحتم الخروج من الغرفة » •

— قلت : وهذا جعلك تفكرين في خطر الحريق •

— قالت : نعم •

— قلت : والآن ، أريدك أن تنتبهى تماماً الى كلماتك بالتحديد • فقد نحتاج ليرجوع اليها • فقد قلت : « فقد يحدث شيء أثناء الليل يحتم الخروج من الغرفة » (١) •

(١) الحث بالاهمية على هذه الكلمات لانها ادهشتني • كانت توحى =

ولكن دورا قد اكتشفت الآن نقطة الموصل بين السبب الحديث
الذى أطلق الحلم والسبب الأصلي ، فقد مضت تقول :

— عندما وصلنا ، أبى وأنا ، إلى بلدة ل — فى ذلك الوقت ، قتل
أبى بصراحة أنه كمن يخشى من حريق • فقد وصلنا أثناء عاصفة رعدية
عاتية ، ووجدنا البيت الخشبي الصغير خاليا من أى مانع للصواعق •
ومن ثم كان قلته طبيعيا تماما •

عندئذ كان على أن أقيم الصلة بين الاحداث التى وقعت فى بلدة ل
— وبين الحلم الذى كانت قد تكررت رؤيتها له هناك •

— فمضيت أسأل : هل رأيت الحلم فى لياليك الأولى ببلدة ل —
أم فى لياليك الاخيرة ؟ وبعبارة أخرى : قبل أو بعد مشهد الغابة عند
شاطئ البحيرة ، وهو المشهد الذى كثر الحديث عنه ؟ (وينبغى أن
أوضح باننى كنت أعرف أن المشهد لم يحدث فى اليوم الأول مباشرة •
وأنها قد مكثت فى بلدة ل — لبضعة أيام بعد هذا المشهد دون أن تبدى
أية إشارة الى هذا الحادث) •

كانت اجابتها الأولى : « لأدرى » ، ولكنها أضافت بعد برهة :
« نعم • أعتقد أن ذلك كان بعد المشهد » •

وهكذا عرفت الآن أن الحلم كان استجابة لتلك التجربة • ولكن
لماذا تكرر الحلم هنالك ثلاث مرات ؟ وتابعت أسئلتى :
— كم من الوقت بقيت فى بلدة ل — بعد ذلك المشهد ؟ •

= بالقياس ليست هناك مطالب بدنية معينة تشير إليها نفس هذه
الكلمات ؟ فى سلسلة من التداعيات تعمل الكلمات المتبسة (أو كما يمكن
أن نسميها « كلمات مفاتيح التحويل ») كنقطة للوصل • فإذا ما « تحولت »
هذه النقط فى اتجاه آخر غير هذا الذى بدت عليه فى الحلم ، اننا نجد أنفسنا
عندئذ على « سكة » جديدة • وعلى طول هذا الخط الجديد تجرى الافكار
التي نبحت عنها ، والتي ما تزال بعد خبيثة وراء الحلم •

— أجابت : أربعة أيام (١) أخرى • وفي اليوم الخامس رحلت

مع أبي •

— قلت : أننى على ثقة الآن من أن الحلم كان نتيجة مباثرة لتجربتك مع السيد ك — وأنتك قد رأيت هذا الحلم أول مارأيته في بلدة ل — وليس قبل ذلك • ولكنك فقط أضيفت عليه عدم التأكد في ذاكرتك حتى ترمى في ذهنك علاقته بالمشهد (٢) • ولكن الأرقام ليست بعد منسجمة بالقدر الذى يرضينى مادمت قد بقيت في بلدة ل — أربعة أيام أخرى ، فقد كان من الممكن للحلم أن يتكرر أربع مرات • ربما كان الأمر كذلك ؟ •

ثم تعدد دورا تعترض على ما أقوله ، ولكنها بدلا من أن تجيب على سؤالى مضت تقول (٣) :

— في عصر ذلك اليوم ، بعد نزهتنا على البحيرة ، وكنا قد عدنا (السيد ك — وأنا) في الظهيرة ، ذهبت كعادتى لأغفائة قصيرة ، استلقى على الأريكة في غرفة النوم • وفجأة صحت لأجد السيد ك — يقف بجوارى •

سألته : تماما كما رأيت أبك يقف الى جوار سريرك في الحلم ؟

— قالت : نعم • وسألته في احتداد ماذا جاء يفعل هنا • قال من قبيل الرد أن ما من شيء يمنعه حين يشاء من أن يدخل غرفة نومه ، وفضلا عن ذلك فقد كان هناك — على حد قوله — شيء يفتش عنه • وهذه الحادثة جعلتني احترز ، فسألت مدام ك — ما أن كان هناك مفتاح لباب غرفة النوم • وفي صباح اليوم التالى (اليوم الثانى للمشهد) أغلقت الباب على نفسى بينما كنت أرتدى ملابسى • ولكن

(١) المقصود أربع ليال • ويوم المشهد هو الليلة الاولى ، واليوم الثانى للمشهد — حيث ضاع المفتاح في العصر هو الليلة حيث ظهر الحلم الاول وتكرر في الليلتين الثالثة والرابعة ليكمل مراته الثلاث — المترجمون • (٢) تارن ما قلناه على ص ١٨ في موضوع الشك المصاحب لذكرى • (٣) حدث ذلك بسبب قطعة جديدة من المعطيات كان يتحتم أن تبرز من الذكرة قبل أن يكون من الممكن الاجابة على سؤالى •

عندما أردت في العصر أن أغلق الباب على نفسى لأستلقى على الأريكة مرة أخرى ، كان المفتاح قد اختفى • وأنى على ثقة من أن السيد ك — هو الذى أخفاه •

— قلت : واذن فما نحن هنا أمام مشكلة إغلاق أو عدم إغلاق غرفة . وسى المشكلة التى ظهرت من التدايعات الأولى للحلم ، والتى تصادف أن وقعت بأسهت كسبب مباشر فى تكرار الخيم حديثا (١) • وأنى لإتساءل ماأن كانت العبارة « أرتدى ملابسى على عجل » لاتتنمى أيضا الى نفس هذا السياق ؟ •

— قلت : وعندئذ كان أن صممت على أن لأقيم مع السيد ك — بغير أبى • وفى صباح الأيام التالية لم أكن أستطيع أن أعاب خوى من أن يفاجئنى السيد ك — وأنا أرتدى ملابسى : فقد كنت دائما أرتدى ملابسى على عجل جدا • فقد كان أبى كما تعلم ينزل بالفندق ، وكان من عادة مدام ك — أن تبكر فى الخروج صباحا لتذهب فى نزهة معه • ولكن السيد ك لم يعد الى مضايقتى مرة أخرى •

— قلت : انى أفهم ذلك • ففى عصر اليوم الثانى للمشهد صممت على أن تفتنى من مضايقاته ، وكانت الفرصة أمامك خلال الليلة الثانية والثالثة والرابعة لتكررى هذا التصميم أثناء نومك • (وفى عصر اليوم الثانى للمشهد كنت تعلمين بالفعل ، أى قبل الحلم اذن ، أن المفتاح لن يكون فى حوزتك فى صباح اليوم التالى — الثالث للمشهد — حتى تغلقى به عل نفسك أثناء ارتدائك للملابسك ، ومن هنا كان تصميمك أن ترتدى ملابسك بأقصى عجلة) • ولكن الحلم تكرر فى كل ليله ، وذلك على

(١) انى افترض ، وأن لم أخبر دورا حتى الان بذلك ، أنها قفزت على هذا العنصر بالنظر الى ماله من دلالة رمزية • فالغرفة Zimmer كثيرا جدا ماتكون فى الاحلام رمز « المرأة » Frauenzimmer وهى كلمة ازداراء هينة تعبر عن « المرأة » وتعنى حرفيا « غرف النساء » • ومسألة ما أن كانت المرأة « مفتوحة » أو « مغلقة » لايمكن بالطبع أن تكون مسألة عديمة الاهمية • وجد معروف أيضا نوع « المفتاح » الذى يحقق الفتح فى مثل هذه الحالة •

وجه الدته لأنه كان يعبر عن تصميم • فالتصميم يستمر في البقاء حتى يتم تنفيذه • • وكأني بك قلت لنفسك : « لن أعرف الراحة ، ولن أذوق النوم الهادئ الا بعد أن أصير خارج هذا البيت » • وفي حكايتك للحلم قلت الامر فقلت : « وما أن صرت في الخارج حتى استيقظت » (١)

* * *

عند هذه النقطة أقطع حديثي عن التحليل كيما أقارن هذا الجزء الصغير من تفسير الحلم بالقواعد العامة التي وضعتها عند ميكانزم تكوين الأحلام • فمضى حتى (١) نامحت عن ان كل حلم هو رغبة متحققه ، وأن هذا التمثل الذي تظهر عليه يحقق التموية إذا ما كانت الرغبة مكتوبة ، تنتمي الى اللاشعور ، وأنه باستثناء حالات أحلام الأطفال ، فإن الرغبة اللاشعورية ، أو الرغبة التي غاصت عميقا في اللاشعور ، هي وحدها التي تملك القوة اللازمة لتكوين حلم • وكانت نظريتي فيما أتصور ستلقى بالتأكيد تقبلا عاما لو أنني قنعت بالقول بأن كل حلم له معنى ، ويمكن الكشف عنه باستخدام عملية تفسير معينة ، وأن التفسير متى أكتمل ، يكون من الممكن أن نضع في مكان الحلم أفكاراً لها مكانها عند نقطة يسهل التعرف عليها من الحياة النفسية اليقظة للحالم • وكان بوسعي عندئذ أن أمضي الى القول بأن معنى الحلم قد تكشف متباينا في أنواعه تبين العمليات الفكرية في اليقظة ، ففي حالة يتكشف رغبة متحققة ، وفي حالة أخرى خوفا متحققا ، وفي حالة أخرى أيضا تفكيرا يثابر مستمرا في النوم ، أو تصميميا (كما في حالة حلم دورا) ، أو قطعة من الفكر الخلاق أثناء النوم ، وهكذا • أن نظرية كهذه كانت ولاشك ، بسبب بساطتها المسرفة ، تكون جذابة ، وكان من الممكن تدعيمها بكثرة من الأمثلة من الأحلام التي أحسن تفسيرها ، من قبيل هذا المثال الذي قمنا بتحليله في هذه الصفحات •

(١) (تفسير الاحلام دار المعارف بمصر • الفصل السادس)

ولكنى بدلا من ذلك قمت بصياغة تعميم يجعل معنى الأحلام
قاصرا على شكل واحد ، هو تمثيل الرغبات ، فاستثرت بذلك ميلا عاما
الى معارضتى • ولكن يتحتم على أن أضيف أنني لم أعتبر من حقى
ولا من واجبى أن ألجأ الى تبسيط عملية سيكولوجية كيما أجعلها
بذلك أكثر تقبلا عند قرائى ، بينما كشفت فى أبحاثى عن أن هذه
العملية تنطوى على تعقيد يستحيل خفضه الى الشكل الواحد قبل أن
ينتقل البحث الى حقل آخر • ومن هنا فانه لما ينطوى على أهمية
خاصة بالنسبة لى أن أكشف عن أن الاستثناءات الظاهرة — من قبيل
حلم دورا هذا ، الذى بدأ لأول وهنة استمرارا خلال النوم لتصميم
أثناء النهار — يقدم مع ذلك تأييدا جديدا للقاعدة موضوع النزاع •

وعلى أية حال ، فأغلب الحلم ما يزال باقيا بغير تفسير ، فمضيت
أسأل :

— قلت : وماذا لديك عن علبة الحلوى التى أرادت أمك أن تنقذها ؟

— قالت : أمى شديدة الولع بالحلى ، وكان لديها الكثير مما قدمه
أبى لها •

— قلت : وأنت ؟

— قالت : كنت فى وقت ماشديدة الولع بالحلى أنا الاخرى ، ولكنى
منذ مرضى لم أعد أضع أى حلى • — وذات مرة منذ أربع سنوات
(قبل الحلم بعام) ، وقعت مشاجرة كبيرة بين بابا وماما حول قطعة
حلى وكانت ماما تريد منه قطعة بعبئها قرط دلالية من « نقط » (١)

(١) (فضلنا كلمة « نقط » على كلمة « حبات » لان الكامة الافرنجية
تصلح فى نفس الوقت لاستخدامات أخرى : نقط بول ، نقط افرازات بيضاء ،
••• ومن هنا كان استخدامها فى حلم ككلمة وصل — المترجمون) •

اللؤلؤ ترضه في أذنيها • ولكن بابا لا يجب هذا النوع من الحلوى ، فأحضر لها سوارا بدلا من دلالية الأذن : أستشاطت غضبا وقالت له و أما وأنه قد أنفق كل هذا المال في هدية لا تريدها ، فالأجدربه أن يقوم هذه الهدية الى أخرى •

قلت : يخيل لى أنك قلت لنفسك عندئذ أنك ستقبلينها بسرور •
— قالت : لا أدرى (١) • بل ولا أدرى سبب دخول ماما في هذا الحلم ، فهي لم تكن معنا في بلدة ل — في ذلك الوقت (٢) •

قلت : سوف أفسر لك ذلك فيما بعد • ألا يخطر ببالك شيء آخر يرتبط بعلة الحلوى ؟ فحتي الآن تكلمت عن الحلوى فقط : ولكنك لم تذكرى شيئا عن العلة •

— قالت : نعم • فقبل ذلك بوقت قصير أهدى ألى السيد ك — عاية حلوى غالية الثمن •

— قلت : وعندئذ. والرد على الهدية بهدية يمكن أن يكون جد ملائم • ربما لاتعلمين أن علة الحلوى Schmuckkasten هي تعبیر شائع عن نفس هذا الشيء الذى أشرت اليه أنت منذ وقت غير بعيد بكيس النقود الذى كنت تحملينه (٣) — أى تعبیر شائع عن الأعضاء التناسلية الأنثوية •

قالت : كنت أعرف أنك ستقول ذلك (٤) •

(١) تلك كانت في ذلك الوقت صيغتها المألوفة للاعتراف بفكرة مكبوتة؟
(٢) هذه الملاحظة تشهد بانعدام تام لفهم قواعد تفسير الاحلام ، مع أن دورا كانت في مناسبات أخرى على دراية تامة بها • هذه الواثقة ، بالاضافة الى التردد وضالة التدايات عن علة الحلوى ، كشفت لى عن أننا كنا ازاء عادة سبق أن أصابها كبت شديد جدا •
(٣) هذه الاشارة الى كيس النقود سوف يأتى أيضاها فيما بعد (ص ٩٢) •

(٤) تلك طريقة جد شائعة لابعاد بعض المعطيات التى تنبثق من المكبوتات •

— قات : أى أنك كنت تعرفين ذلك • — بل أن معنى الحلم يغدو الآن أكثر وضوحا • قلت لنفسك : « ان هذا الرجل يضايقنى ، أنه يريد أن يدخل عنوة فى غرفتى • فعلبة حايبي فى خطر ، وإذا حدث أى شىء فالعنة علة ابنى » • ومن أجل هذا السبب قمت فى الحلم باختيار موقف يعبر عن الضد — خطر منه ينفذك أبوك • ففى هذا الجزء من الحلم كل شىء مقلوب إلى الضد ، وسوف نتبين حالا سبب ذلك • وكما قلت فان الغموض ينصب على أمك • اذ تتساءلين : ماسبب دخول ماما فى هذا الحلم ؟ ان ماما كما تعرفين هى غريمتك السابقة فى حبك لأبيك • ففى واقعه السوار كنت تكونين مسرورة بقبول هذا الذى رفضته أمك • والان دعينا فقط بدلا من كلمة « قبول » هذه نضع كلمة « اعطاء » : وبدلا من كلمة « ترفضه » نضع كلمة « تمنعه » • وعندئذ يكون المعنى أنك كنت على استعداد لاعطاء أبيك هذا الذى كانت أمك تمنعه عنه ، وهذا اثنى المعنى يرتبط بالحلى (١) • والآن ، عودى بالذاكرة إلى علبة الحلى التى أهداها اليك السيد ك — ، فهى منطلق لسلسلة موازية من الافكار ، التى فيها ينبغى وضع السيد ك — بدلا من أبيك ، تماما على نحو ماكان عليه الوقوف بجوار سيريك • لقد قدم اليك السيد ك عليه حلى ، ومن ثم يكون عليك أن تقدمى اليه علبة حليك • هذا هو السبب فى أننى تحدثت ، منذ برهة عن « الرد على الهدية بهدية » • وفى هذه السلسلة من الأفكار ينبغى وضع مدام ك — بدلا من أمك • (فلن يكون بوسعك على أى حال أن تتكرى وجودها فى ذلك الوقت •) وهكذا فأنت على استعداد لاعطاء السيد ك ماتمنعه عنه زوجته • هذه هى الفكرة التى كان يتحتم كتبها بكل هذه الشدة ، والتى جعلت من المحتم على كل عنصر من عناصرها أن ينقلب الى ضده • فالحلم يؤكد من جديد ماسبق أن قلته لك قبل رؤيتك لهذا الحلم — وهو أنك تبنتين حبك القديم لأبيك كيما تدافعين به عن نفسك ضد حبك للسيد ك — • ولكن ما الذى تكشف عنه كل هذه

(١) بل سيكون بوسعنا فيما بعد تفسير « نقط » اللؤلؤ على نحو ينسجم مع السياق الكلى •

الجهود؟ ليس فقط أنك تخافين من السيد ك — ، ولكن أيضا وبدرجة
أعظم تخافين من نفسك ، ومما تستشعريه من غواية الاستسلام له •
وباختصار فإن هذه الجهود تكشف مرة أخرى عن عمق حبك له (١) •

لم ترغب دورا بطبيعة الحال في تقبل هذا الجزء من التفسير •
ومع ذلك ، فقد تمكنت أنا نفسى من أن أمضى بالتفسير خطوة أبعد ، وهى
خطوة بدت ، وهى خطوة بدت لى ولا غنى عنها ، سواء بالنسبة الى
تاريخ الحالة أو بالنسبة الى نظرية الأحلام • فوعدت دورا بـان
أخبرها بذلك فى الجلسة التالية •

لم يكن بوسعى فى الواقع أن أتغاضى عن التلميح الذى تراءى لى
من هذه الكلمات المتبسة التى سبقت الاشارة اليها — فقد يكون من
الضرورى الخروج من الغرفة ، فقد يحدث حادث أثناء الليل • أضف
الى ذلك أن تفسير الحلم كان يبدو لى غير مكتمل ، طالما أن شرطا ،
بعينه لم يتم الوفاء به ، فانى وأن لم اتمشأ أن أوكد التعميم العادى
المطلق لهذا الشرط الا أننى أستشعر ميلا قويا للعثور على وسيلة للوفاء
به فالحلم العادى التكوين يقف أن جاز القول على ساقين، أحدهما ترتبط
بالسبب المباشر الأساسى الحديث ، والاخرى ترتبط بحادث عظيم الاهمية
فى سنوات الطفولة ويقيم الحلم ارتباطا بين هذين العاملين — بين الحادث
الذى وقع فى الطفولة ، والحادث الذى وقع فى الوقت الحاضر —
ويحاول الحلم أن يعيد تشكيل الحاضر وفق أنموذج الماضى البعيد •
فالرغبة التى تولد الحلم تنبعث دائما من فترة الطفولة ، تحاول بلا
انقطاع أن تنبعث الطفولة من جديد فى الواقع ، وأن تصحيح الحاضر

(١) وأضيف أيضا مايلى : « هذا الى أن عودة الحلم الى الظهور منذ
أيام قليلة يرغمنى على أن استنتج أنك تعتبرين الموقف نفسه قد أنبعث
من جديد ، وأنت قد ضعمت على التخلّى عن العلاج — هذا الذى لا يملك
عليه ، فى نهاية الامر ، غير أبيك • وما أتى بعد ذلك قد كشف عن صدق
حدسى • فى هذه النقطة يمس تفسيرى على عجل موضوع « التحويل » —
وهو من أعظم الموضوعات أهمية من الناحيتين العملية والنظرية ، ولكنى
لن تتاح فى هذا المقال فرص أخرى أفسح للتعلم فيه •

وفق معايير الطفولة وانى لا اعتقد اننى استطعت بالفعل أن استشف بشكل واضح هذه العناصر من حلم دورا الذى يمكن أن تأتلف معا مؤشرا الى حدث فى طفولتها •

شرعت فى مناقشة الموضوع بتجربة صغيرة نجحت كالعادة • حدث أن كانت على المنضدة علبة ثقاب كبيرة • وسألت دورا أن تنظر لترى ما أن كان على المنضدة شئ غير عادى لم يكن فى العادة موجودا ولكنها لم تتبين شيئا • عندئذ سألتها ما أن كانت تعرف السبب فى أن الأطفال يحرم عليهم اللعب بالثقاب •
— قالت : نعم ، خوفا من خطر الحريق • فأبناء عمى شديد والولع باللعب بالثقاب •

— قلت : خطر الحريق ليس وحده السبب فى تحذيرهم من «اللعب بالنار» فهناك اعتقاد معين يرتبط بهذا التحذير لم تكن تعرف شيئا عن ذلك •

— قلت : حسنا اذن ، انه الخوف من تبليطهم لفراشهم أن هم لعبوا بالنار « فهناك اعتقاد معين يرتبط بهذا التحذير •
لم تكن تعرف شيئا عن ذلك •

— قلت : حسنا اذن ، انه الخوف من تبليطهم لفراشهم أن هم لعبوا بالنار والتضاد ما بين « الماء » و « النار » لا بد وأن يكون الأساس لهذا الاعتقاد • فربما يكون الاعتقاد أنهم سوف يحلمون بالنار وعندئذ يحاولون اطفاءها بالماء • ولا أستطيع أن أجزم أن كان الأمر فى واقعة كذلك • ولكننى ألاحظ أن التضاد بين الماء والنار قد استغله حلمك الى أقصى حد • فأمكن أرادت انقاذ علبة الحلى حتى لا تحترق ، بينما على العكس فى الأفكار الكامنة للحلم يتعلق الأمر بانقاذ علبة الحلى حتى لا تبتل • ولكن النار لا يقتصر استخدامها على كونها المضاد للماء ، فهى تستخدم أيضا رمزا مباشرا للحب (كما فى التعبير « يحترق حبا ») • وهكذا ابتداء من « النار » تمضى سلسلة من التدايعيات عن طريق هذا المعنى الرمزي الى أفكار الحب ، بينما تمضى سلسلة أخرى من

التداعيات عن طريق الضاد « الساء » في اتجاه آخر ، وذلك بعدما يخرج منها خط فرعى يرمى ليرتبط من ناحية أخرى مع الحب (لأن الحب هو الآخر يجعل الأشياء تبطل) — نقول تمضى هذه السلسلة الأخرى في اتجاه آخر • ولكن ماذا يمكن أن يكون هذا الاتجاه ؟ تأمل العبارات التي نطقت بها : فقد يحدث حادث أثناء الليل ، فقد يكون من الضروري الخروج من الغرفة • ألا يعنى ذلك بالضرورة حاجة بدنية ؟ فإذا ما انتقلت بالحادث الى الطفولة فماذا يمكن أن يكون غير تبليل الفراش ؟ ولكن ما الذى يتبع فى العادة لمنع الأطفال من تبليل فراشهم ؟ ألا يتم إيقافهم من نومهم أثناء الليل ، تماما كما أيقظك أبوك فى الحلم ؟ ذلك أذن هو الحادث الواقعى فى الطفولة الذى خولك أن تضعى أبك بدلا من السيدك — الذى أيقظك فى الواقع من نومك • وبذلك أرانى مضطرا الى أن أستنتج أنك كنت تدمنين تبليل فراشك الى سن متأخرة بالقياس الى المألوف عند الأطفال • ولا بد أن ذلك كان صحيحا أيضا بالنسبة الى أخيك ، اذ قال أبوك : « أنى ارفض أن يتعرض طفلى للهلاك ••• » فليس لأخيك أى نوع آخر من الارتباط يربطه بالموقف الحقيقى مع أسرة كـ ، فهو يذهب معك الى بلدة لـ — والآن فبماذا تجيب ذكرياتك على ذلك ؟

— أجابت : لست أذكر شيئا فيما يتعلق بى • ولكن أخى اعتاد أن يبلى فراشه حتى عامه السادس أو السابع ، وكان أحيانا ما يحدث له ذلك أثناء النهار أيضا •

وكنت على وشك أن أبين لها كيف أن المرء يتذكر مثل هذه الأشياء عن أخيه بأيسر كثيرا من أن يتذكرها عن نفسه ولكنها استطرقت فى سلسلة ذكرياتها التى انبثقت :

— قالت : نعم ، فقد اعتدت أن أشعل ذلك أيضا ، ولكن ذلك لم يحدث الا فى السابعة أو الثامنة ، ولبعض الوقت • ولا شك أن الامر كان خطيرا ، فانى أتذكر الآن أنه تطلب استدعاء الطبيب • وقد استمرت الحالة الى ما قبل ظهور الربو العصبى عندى بوقت قصير •

— قلت : وماذا قال الطبيب عن هذه الحالة ؟
قالت : شخصها على أنها ضعف عصبى وسوف تزول سريعا في
رأيه • وقد وصف لى مقويات (١) •

والآن بدا لى أن تفسير الحلم قد أكتمل (٢) • ولكن دورا في اليوم
التالى مباشرة أنت لى بملحق للحلم • قالت لى بأنها نسيت أن تخبرنى
بأنها كانت في كل مرة بعد استيقاظها مباشرة تشم رائحة دخان ، والدخان
بطبيعة الحال يلتئم تماما مع النار ، ولكنه يكشف أيضا عن أن الحلم كانت
له صلة خاصة بى • فعندما كانت تؤكد كعادتها أن ما من شىء يختبئ
وراء هذا أو ذاك ، كنت غالبا ما أقول من قبيل الرد : « ما من دخان
بغير نار ! » ولكن دورا احتجت على مثل هذا التفسير الشخصى الخالص ،
قائلة بأن السيد ك — وأباها هما من المولعين بالمتدخين — كما أذا أيضا
في هذا الامر • وهى نفسها قد دخت أثناء اقامتها على شاطئ البحيرة
وكان السيد ك — قد لف لها سيجارة قبل أن يقدم على محاولته
المشئومة • وكانت تعتقد أيضا بأنها تتذكر بوضوح أنها لاحظت رائحة
الدخان هذه المرات الثلاث التى رأت فيها الحلم في بلدة ل — ، فهى لم
تظهر اذن لأول مرة مع التكرار الأخير للحلم بحيث لم تكن ترغب
في أن تزودنى بأية معلومات أخرى ، فقد وقع على عاتقى أن أحدد
الكيفية التى يانتم بها هذا الملحق ضمن النسيج الكلى للأفكار الحلم
الكامنة • ثمة واقعة يمكننى أن أتخذ منها نقطة ارتكاز ، وهى أن رائحة
الدخان لم تنبثق الا كملحق للحلم ، ومن ثم فلا بد وأنه كان عليها أن
تتغلب على مقاومة شديدة بنوع خاص من جانب الكبت • ومن ثم فقد
كان من المحتمل أن تكون رائحة الدخان هذه مرتبطة بأفكار الحلم الأكثر
غموضا في عرضها ، والاكثر اكتمالا في انكباتها ، أى بتلك الافكار التى

(١) كان هذا الطبيب هو الوحيد الذى حظى بشىء من ثقفتها ، اذا كشفت
لها هذه الواقعة عن أنه لم ينفذ الى سرها • كانت تخشى أى طبيب آخر
لم يتح لها أن تكون فكرة عنه ، وبوسعنا الان ان نقين أن الدافع الى
خوفها انما كان احتمال أن ينفذ الطبيب الآخر الى سرها •
(٢) أن لب الحلم ربما يمكن ترجمته في كلمات كهذه : « أن الغواية
بالغة الشدة ، أبتاه العزيز ، احمنى من جديد كما اعتدت أن تتعمل في
طفولتى ، حتى تحمى فراشى من أن يبطل » •

تدور حول الغواية التي تكشف فيها عن نفسها رغبة في الاستسلام للرجل . فاذا كان الأمر كذلك ، فان ملحق الحلم لا يكاد يعنى شيئاً آخر غير صاببتها التي قبله من مدخن ، تفوح منها بالضرورة رائحة الدخان وهناك قبله حدثت بين السيد ك ودورا قبل ذلك بنحو عامين ، وكان من المؤكد أن تكرر أكثر من مرة لو أنها استسلمت له . ومن هنا فان أفكار الغواية تبدو بهذه الطريقة ترديدا للمشهد الابكر ، واحياء لذكرى القبلة ، تلك التي داغعت ضد غوايتها في ذلك الوقت « ماصة الابهام » الصغيرة عن نفسها بمشاعر الاشمئزاز . وأخيرا ، وقد وضعت في الاعتبار الدلائل التي تشير فيما يبدو الى وجود تحويل على — حيث أنى مدخن أيضا — فقد حصلت الى أنه من المحتمل أن تكون قد خطرت لها يوما أثناء الجلسة رغبة في أن تحصل منى على قبله . وعندئذ يمكن أن يكون ذلك هو السبب المباشر الذي أدى بها الى تكرار حلم التحذير ، والى أن تعقد العزم على وقف العلاج . هذه النظرية تتيح لكل العناصر أن تلتئم معا على نحو يبعث غاية الرضا ، ولكن بالنظر الى الخصائص المميزة « للتحويل » فان هذه النظرية لا يمكن تقديم الدليل الحاسم على صدقها .

عند هذه النقطة كان من الممكن أن أتردد بين طريقتين : هل أبدأ بتناول مايلقيه هذا الحلم من ضوء على تاريخ الحالة ، أم أبدأ بالحري بتناول الاعتراض الموجه الى نظريتي في الاحلام ، والتي يمكن استخلاصها من هذا الحلم ؟ لقد اخترت الطريق الأول .

أن دلالة تبديل الفراش في التاريخ البكر للعصايبين الأمر جدير بالدراسة العميقة . ومن أجل الوضوح اقتصر على الإشارة الى أن حالة تبديل الفراش عند دورا لم تكن الحالة المألوفة . فالاضطراب ثم يكن ينحصر ببساطة في أن العادة قد استمرت الى ما بعد الفترة التي تعتبر عادة ، بل أن تلك العادة ، بحسب أقوالها الصريحة ، قد بدأت بالاختفاء ، ثم عادت الى الظهور بعد ذلك من جديد في وقت متأخر نسبيا ، أى بعد عامها السادس . أن تبديل الفراش من هذا النوع ليس له — بحسب أقصى علمي — من سبب أكثر معقولية من الاستمناء ، وهو الذى لم تحظ

أهميته حتى الآن مما تستحقه من تقدير كسبب مولد لحالات تبلييل الفرائض بصورة عامة • وبحسب خبرتي ، فإن هذا الارتباط كان الأطفال أنفسهم في وقت ما على وعي تام به ، وكل النتائج النفسية التي تترتب على هذا الارتباط تميل إلى تثبيت أنهم لم ينسوه قط • وفي الوقت الذي روت فيه دوراً حلمها ، كان البحث يمضى بنا في طريق يوشك أن يؤدي مباشرة إلى تسليم من جانبها بأنها مارست الاستمناء في طفولتها • فقبل ذلك بفترة قصيرة كانت قد سألتني لماذا هي بالذات التي أصابها المرض ، وقبل أن أتمكن من الإجابة ، ألفت بلائمة ذلك على أبيها • وكانت مبرراتها في ذلك تصدر لا عن أفكارها اللاشعورية ، وإنما عن معارفها الشعورية • وقد أدهشني ما التضح لي من أن الفتاة كانت تعرف طبيعته مرض أبيها فبعد ما عاد من استشارته لي ترامي إلى سماعها حديث جاء فيه اسم المرض • وفي وقت أبكر — وقت الانفصال الشبكي — لا بد وأن يكون طبيب العيون الذي استدعى وقتئذ قد أشار إلى الزهري كسبب لمرض ، إذ أن الفتاة ، في تقصيصها وقلقها ، سمعت في ذلك الوقت عمه عجوزاً لها تقول لأُمها : « لقد كان مريضاً قبل زواجه ، أنت تعرفين » ، ثم أضافت شيئاً لم تستطع الفتاة فهمه ، ولكنها ربطته في ذهنها فيما بعد بأمور غير لائقة •

وأذن فقد وقع أبوها في المرض صريح حياة ماجنة ، وكانت دوراً تعتقد أنه نقل إليها اعتلال صحته بالوراثة • وقد حرصت على أن لا أخبرها أنني كنت أنا أيضاً أعتقد كما سبق أن ذكرت (انظر ص ٢٣) أن مرضي الزهري يكون لدى نسلهم استعداداً قوى بصفة خاصة للإصابة بالاذهنة العصبية الخطيرة • وكان هذا الخط الفكري ، الذي جاء فيه اتهامها هذا لأبيها ، يجد ما يكمله في معطياتها اللاشعورية • فخلال عدة أيام دون انقطاع ، توحدت دوراً مع أمها عن طريق أعراض طفيفة وخصال غريبة ، مما أتاح لها فرصة لانجازات لافتة حقاً في مجال السلوك الذي لا يطاق ، ثم كشفت عن أنها تفكر في فترة كانت قد قضتها في فراننتزباد. التي قصدت إليها مع أمها — لا أدري في أي عام • كانت أمها تشكو من آلام في أسفل البطن ومن انفراجات بيضاء ،

مما استلزم علاجاً في فرانكترترياد كانت دوراً تعتقد - وربما كانت على حق هنا أيضاً - أن هذا المرض كان راجعاً إلى أبيها ، الذي نقل إلى أمها مرضه التناسلي . وكان من الطبيعي جداً في استنتاجها هذا - شأنها شأن الغالبية من غير الاخصائيين - أنها خلطت بين السيلان والزهرى - بين ما يرجع إلى العدوى وما يرجع إلى الوراثة . وكان تشبثها بهذا التوحيد مع أمها إلى الحد الذي أرغمني على أن أسألها ما أن كانت تشكو هي أيضاً من مرض تناسلي ، وعندئذ علمت أنها مصابة بافرازات بيضاء (لوكوريا) (١) لا تذكر متى بدأت .

وعندئذ تبين أن هذه السلسلة من الأفكار التي أوردت فيها هذه الاتهامات الصريحة ضد أبيها وكان يكمن وراءها خبيثاً ، كما هو العادة ، اتهام ضد الذات .

واستبقتها بأن أكدت لها أنني أعتقد أن الافرازات البيضاء عند الفتيات الصغيرات ترجع في المقام الأول إلى الاستمناء ، وأنى أعتقد أن الأسباب الأخرى التي تعد في العادة مسؤولة عن هذه العلة تجيء في الأهمية بعد الاستمناء (٢) . وأضفت أنها الآن في طريقها إلى إجابة عن سؤالها - لماذا هي بالذات وقعت صريعة لمرض - وذلك باعتبارها بأنها مارست الاستمناء ، ربما في الطفولة . أنكرت دوراً بحرارة أنها تذكر أي شيء من ذلك . ولكن بعد أيام قليلة صدر منها شيء لم يكن بوسعى إلا أن اعتبره خطوة أخرى إلى الاعتراف . ففي ذلك اليوم كانت تضع في خصرها - وهو أمر لم تفعله في أية مناسبة

(١) (لوكوريا افراز مخاطي من المهبل نتيجة التهاب غشائه المطاطي ، ومن هنا استخدمت كلمة catarrh للدلالة على المعنى ، وكلمة catarrh تفيد أيضاً افراز نتيجة التهاب الغشاء المخاطي للجهاز التنفسي . وفيما بعد سنأتقن بكلمة catarrh هذه ككلمة وصل تاحت النقل إلى أعلى في صورة السعال (أنظر هامش ص ٩٨ ، المترجمون) .
(٢) (ملحوظة إضافية عام ١٩٢٣) - ذلك رأى مندرف لم يعد لي أن تتمسك به اليوم .

من قبل أو من بعد — كيس نقود صغيرة من شكل ظهرت موضته حديثا ، وبينما كانت ممددة على الارىكة تتحدث مضت تعبت به ، تفتحه ، وتدس أصبعها فيه ، وتخلقه من جديد ، وهكذا راقبت ذلك بعض الوقت ، ثم شرحت لها طبيعة الافعال الاعراضية (١) . فانى اطلق مصطلح الافعال الاعراضية على تلك الافعال التى يأتئها الناس ، فما يقال ، ايا لاشعوريا ، دون أن يتنبهوا لها ، وكأنهم فى لحظة شرود . أنها أفعال يميل الناس الى اعتبارها خالية من كل دلالة . فاذا ما سألناهم عنها أوضحوا بأنها عشوائية ونتيجة صدفة . ومع ذلك فان الملاحظة المتفحصه تكشف عن أن هذه الافعال ، التى لايعرف الشعور عنها شيئا أو لايريد أن يعرف شيئا ، هى فى الواقع تعبيرات عن أفكار لاشعورية وحفزات لاشعورية ، وعلى ذلك فهى على أعظم جانب من الاهمية والدلالة ، بوصفها افساحات عن اللاشعور استطاعت أن تبرز الى السطح . وئمة نوعان ممكنان من الاتجاهات الشعورية ازاء هذه الافعال الاعراضية . فاذا أستطعنا أن نرجعها الى دوافع غير جارحة تنبهننا الى وجودها ، أما انا لم يتوفر مثل هذا السند، تحت تصرف الشعور فاننا عادة ما نعجز تماما عن التنبيه الى أدائنا لها . ولم تجد دورا صعوبه فى العثور على دافع . « لم لا أضع كيسا كهذا ، مادام ذلك هو الموضوع الآن ؟ » ولكن تبريرا من هذا النوع لا يلغى امكانية وجود أصل لا شعورى لهذا الفعل . وان كان من ناحية أخرى يصعب التدايل بشكل قاطع على وجود هذا الأصل أو مثل هذه الدلالة التى تنسبها الى الفعل . وينبغى أن نقنع بتبيننا أن مثل هذه الدلالة تلتئم تماما بشكل عجيب ضمن السياق الكلى للموقف ، وضمن الاهتمامات الحالية التى يفرضها اللاشعور .

وسوف أنشر فى مناسبة أخرى مجموعة من هذه الأفعال

(١) أنظر مقالى عن « سيكوباتولوجيا الحياة اليومية » المنشور فى *Monatsschrift für Psychiatrie und Neurologie*, 1901 وقد نشر فى كتاب عام ١٩٠٤ (كما أعيد نشره فى *Ges. Werke IV* الاعمال المجموعه ، مجلد ٤ . وفى (*Stander Edition, vol. VI*)

الأغراضية على نحو ما نشاهدتها عند الاسوياء وعند العصائيين •
وأحيانا ما يكون تفسيرها غاية في السهولة •

فكيس دورا المشقوق من أعلى على النحو المألوف لم يكن غير تمثيل
لعضوها التناسلي • وعبثا به ، اذ تفتحه وتدس أصبعها فيه ، كان
تعبيرا ايمائيا مكتملا خاليا من الحرج وان يكن واضحا ، عما تريد أن
تفعله بهذا العضو ، وهو على التحديد أن تستمنى • وثمة حادث جد
ظريف من نوع مشابه وقع لى منذ وقت قصير • وسط الجلسة
أخرجت المريضة — وهى سيدة تخطت الشباب — علبة صغيرة من
العاج ، وكان من الواضح أنها تريد أن تنعش نفسها بقطعة حلوى •
جاهدت لتفتح العلبة ، ثم قدستها الى كيما اقتنع بمدى صعوبة فتحها •
فعبرت عن ظنى بأن هذه العلبة ، لا بد وأن تعنى شيئا خاصا فتلك كانت
المرّة الاولى على التحديد التى رأيت فيها هذه العلبة وأن كانت صاحبتهما
تتردد على منذ أكثر من عام • أجابتنى السيدة فى لهفة « أننى أحمل
معى دائما هذه العلبة ، فهى تلازمنى أينما ذهبت » • ولم تهدأ الا بعد
أن أبزرت لها فى ضحكة كيف أن كلماتنا تتلاءم تماما مع معنى آخر •
فالعلبة شأنها شأن كيس النقود ، وعلبة الحلوى ، لم تكن مرة أخرى غير
بديل لصدفه فينوس ، (أى) للعضو الأثنوى •

وثمة كثرة من هذه الرمزية فى الحياة ، نمر بها دون أن نتنبه لها
فى العادة وحينما أخذت على عاتقى أن أخرج الى النور ما يبقيه
الناس خبيثا داخل أنفسهم ، مستعينا لا بالقوة القهارة للتنويم
الغناطيسى ، بل بملاحظة ما يقولونه وما يظهر منهم كنت أعتقد أن
مهمتى هى أعسر بكثير مما وجدتتها عليه فى الواقع • فمن له عينان
للبصر وأذنان للسمع فبوسعهم أن يفتنع بأن ما من انسان يستطيع
أن يكتفم سرا • فاذا صممت شفثاه ثرثرت أطراف أصابعه ، فالأفشاء
ينضح من كل مسامه • ومن ثم فان اخراج أشد اللثايات اختفاء فى
النفس الى حيز الشعور له مهمة قابلة تماما للتحقيق •

لم يكن فعلاً دورا الأعراضى الخاص بكيس النقود سابقا على

الحلم مباشرة • وقد استهلت الجلسة التي أدلت فيها بالحلم بفعل
أعراض آخر • فعندما دخلت الى الغرفة التي كانت تنتظرنى فيها
سارعت الى اخفاء خطاب كانت تقرأه • • سألتها بالطبع من آى
شخص هذا الخطاب ، ورفضت فى البداية أن تجيبنى • واخيرا
أخبرتني بشئ لم تكن له أهمية على الاطلاق ولا صلة له بالعلاج •
لقد كان خطابا من جدتها تطلب فيه الى دورا تكثر من الكتابة لها •
أن دورا لم تكن تقصد الا الى أن تلعب معى لعبة « الأسرار » ؟
موجية لى بأنها كانت توشك أن تسمح لسرهما بأن ينتزعه الطبيب •
وبذلك أصبحت فى وضع يسمح لى بتفسير نفورها من كل طبيب
جديد • كانت تخشى من أن يكشف عن أصل مرضها ، أما بفحصها
طبيا واكتشافه لافرازاتها البيضاء ، وأما بتوجيه الاسئلة اليها وازاحة
الستار عن ادمانها لتبليل الفراش — حتى لايكشف باختصار أنها
مارست الاستمناء • ومنذ ذلك الوقت كانت تتكلم دائما باختصار
شديد عن الاطباء ، وهم الذين كانت من قبل ولاشك تسرف فى
تقديرهم •

أن اتهاماتها ضد أبيها بأنه السبب فى مرضها ، بالاضافة الى ما
يكمن وراء تلك الاتهامات من اتهامها لنفسها ، والافرازات البيضاء ،
وعبثها بكيس النقود ، وتبليلها لفراشها بعد عامها السادس ، وسرها
الذى لم تكن ترغب فى أن ينتزعه منها طبيب — هى علامات بدت لى
دليلا مكتملا وقاطعا على أنها مارست الاستمناء فى الطفولة • وفى حالة
دورا هذه ، كنت قد بدأت أستشعر وجود الاستمناء عندما أخبرتنى
بالآلام المعدية عند بنت عمها (انظر ص ٤٣) وكانت قد توحدت معها
وقتئذ بشكايتها خلال عدة أيام متصلة من نفس الاحاسيس
الايمة • ومن المعروف جيدا ان الآلام المعدية يغلب حدوثها بضعة خاصة
عند من يستمنون ، وبحسب ما أخبرتنى به شخصيا ف فليسر W. Fliess
فان الآلام المعدية من هذا النوع هى على التحديد التى يمكن أيقافها
باستعمال الكوكايين فى « النقطة المعدية » التى اكتشفها بنفسه فى
الأنف ، والتى يمكن شفاؤها بكى نفس هذه النقطة • وتأكيدا لما
أستشعرته قدمت لى دورا واقعتين من معارفها الشعورية : فكثيرا ما

عانت هي نفسها من آلام معدية ، وكان لديها من الاسباب الوجيهة ما يحملها على الاعتقاد بأن ابنة عمها كانت تمارس الاستمناء . ومن الامور جد الشائعة بين المرضى أنهم يتعرفون عند الآخرين على علاقات يستحيل عليهم ، بسبب مقاوماتهم الانفعالية ، أن يتبينوها في أنفسهم . والواقع أن دورا لم تعد تذكر ما استشعرته ، وأن كانت قد ظلت لا تذكر شيئا . وحتى التاريخ الذي حددته بخصوص تبليد الفراش ، عندما قالت أنه استمر «الى ما قبل ظهور الربو العصبى بوقت قصير» فإنه ينطوى فيما يبدو لى على دلالة كينيكية . ان الاعراض الهستيرية نادرا ما تظهر على الاطلاق طالما كان الاطفال يمارسون الاستمناء ، ولحدها نظهر فقط بعد ذلك عندما تأتي فترة من الامناع (١) . فالاعراض الهستيرية تشكل بديلا عن الاشباع الاستمنائي ، هذا الذي تستمر الرغبة فيه باقية على حالها في اللاشعور ، حتى يظهر نواع آخر من الاشباع أكثر سوية - متى كان ذلك ما يزال ممكنا . وذلك لأنه ، تبعا لما كان هذا النوع الجديد من الاشباع ممكنا أو غير ممكن ، تتوقف امكانية البرء من الهستيريا بالزواج والاتصال الجنسي السوى . ولكن اذا ما اختفى من جديد هذا الاشباع الذي ينتجه الزواج - وهو ما يمكن أن يحدث نتيجة للجماع المقطوع ، أو نتيجة للتنافر النفسى ، أو غير ذلك من الاسباب - فعندئذ يفيض الليبيدو مرتدا الى مجراه القديم ، فيعبر عن نفسه من جديد فى أعراض هستيرية .

كنت أود لو استطعت ان أضيف بعض المعطيات القاطعة ، عن متى وتحت أى تأثير خاص توقفت دورا عن الاستمناء ، ولكن بالنظر الى عدم اكتمال التحليل ، ليس لدى من شىء أقدمه غير معطيات جزئية . فقد رأينا أن تبليد فراشها قد استمر الى ما قبل اصابتها لأول مرة بعسر التنفس بوقت قصير . وكل ما أستطاعت أن تلقيه من ضوء على هذه

(١) ويصدق ذلك أيضا من حيث المبدأ على الراشدين ، ولكن فى حالتهم يكون الامتناع النسبى ، أو الاقلال من مرات الاستمناء ، سببا كافيا ، بحيث اذا ما كان الليبيدو بالغ الشدة فمن الممكن أن تجتمع الهستيريا والاستمناء جنبا الى جنب .

النوبة الأولى لم يزد عن أن أباهما كان وقت حدوث هذه النوبة متغيبا عن أبيات لأول مرة بعد تحسن صحته • وفي هذه الذكرى الجزئية لأبد وأن يوجد تلميح إلى السبب المولد لعسر التنفس • أن الأفعال الاعراضية لدورا ، وعلامات أخرى معينة ، قد أمدتني بأسباب وجيهه لان افترض أن الطفلة ، وهى التى كانت غرفة نومها لايفصلها غير باب عن غرفة نوم أبيويها ، قد ترامت إلى آذانها زيارة ليل من أبيها لأهها ، وسمعت أباهما (وهو الذى كان دائما ضيق التنفس) يلهث أثناء انجماع والاطفال فى مثل هذه الظروف يستشعرون طابعا جنسيا لهذه الأصوات المحيرة التى تبلغ أسماعهم • فالحركات المعبرة عن الهياج الجنسى تكون عندهم فى الواقع فى تناولهم كامنة كميكانيزمات فطرية • وقد قررت منذ سنوات مضت أن عسر التنفس وخفقان القلب اللذين يحدثان فى الهستيريا وعصاب القلق ليسا غير جزئين منسلخين من عملية الجماع • وفى حالات كثيرة ، كما فى حالة دورا ، استطعت ان أرجع عرض عسر التنفس أو الربو العصبى إلى نفس سبب المولد — ائى أن المريض كان قد ترامى إلى سمعه جماع بين راشدتين • فالهياج المتعاطف الذى يمكن افتراض حدوثه عند دورا فى مثل هذه الظروف ربما يكون ، وبمنتهى السهولة ، قد جعل جنسية الطفلة تغير من مسارها وعندئذ أخلى ميلها إلى الاستمئاء مكانه للقلق المرضى • وبعد ذلك بوقت قصير ، عندما كان أبوها متغيبا ، وكانت الطفلة ، وقد كرسست نفسها لحبه ، على عودته ، فانها لا بد وان تكون قد ابتعثت من جديد الانطباع الذى سبق أن عاشته ، ولذلك فى صورة نوبة ربو • لقد احتفظت فى ذاكرتها بالحدث الذى تسبب فى أول ظهور للعرض ، ونستطيع أن نحدد من ذلك طبيعة هذه السلسلة من الأفكار ، المشحونة بالقلق ، والتي صاحبت النوبة • فهذه النوبة الأولى قد حدثت لها على أثر ما أصابها من انهك فى نزهة فى الجبال ، بحيث يحتمل أنها كانت فى الواقع لاهثة الانفاس بعض الشيء • إلى هذا انصافت ألفترة بأن أباهما كان ممنوعا من تسلق الجبال • ولم يكن من المسموح له أن ينهك نفسه ، إذ كان يعاني من ضيق التنفس ، عندئذ ذكرت إلى أى حد أنهمك نفسه

مع أمها في تلك الليلة ، وتساءلت ما ان كان هذا لم يصبه بضرر ، بعدئذ كان انشغالها بأنها ربما تكون هي الاخرى قد أنهكت نفسها بالاستمناء — وهو فعل كالأخر يؤدي الى نشوة جنسية مصحوبة بعسر هين في التنفس — ، وأخيرا كانت عودة عسر التنفس في صورة شديدة كعرض • أن جانبا من هذه المعطيات استطعت أن أحصل عليه مباشرة من التحليل ، ولكن الباقي كان على أن أكمله • والواقع أن الطريقة التي بها ثبتنا من حدوث الاستمناء في حالة دورا • ترينا كيف أن المعطيات الخاصة بموضوع واحد انما يمكن جمعها فحسب جزءا جزءا في أوقات متباينة وضمن سياقات مختلفة (١) •

والآن تبرز سلسلة بأسرها من الأسئلة البالغة الأهمية عن

(١) أن الدليل على الاستمناء الطفلي في حالات أخرى تتم اقامته بطريقه مماثلة تماما فالمعطيات هي بصورة عامة من طبيعة مماثلة : أشارت الى وجود افرازات بيضاء ، تبليل الفراش ، طقوس خاصة بالأيدي (الاغتسال الحضاري) ونحو ذلك • ومن الممكن دائما أن نتبين بشكل أكيد ، استنادا الى طبيعة الاعراض عند المريضة ، ما أن كانت تلك العادة قد اكتشفها أو لم يكتشفها الشخص القائم على الطفلة ، أو ما أن كان هذا النشاط الجنسي قد أنتهى بجهود طويلة من جانب الطفلة للتخلص من العادة ، أو في صورة تعبير مفاجيء • في حالة دورا بقي الاستمناء دون أن يكشفه أحد وانتهى دفعة واحدة (قارن : سرها ، وخوفها من الاطباء واحلالها عسر التنفس محل الاستمناء) صحيح أن المريضات ينكرن دائما شرعية الاستنتاج من مثل هذه الشواهد ، وهن يفعلن ذلك حتى حين تكون لديهن ذكرى شعورية عن الافرازات البيضاء ، أو عن تحذيرات أمهاتهن (من قبيل : « هذا بسبب الخيل ، أنه خطر ») • ولكن بعد ذلك ، تبرز بشكل أكيد هذه الذكرى التي طال كبتها ، عن هذا الجزء من الحياة الجنسية للطفلة ، ويحدث ذلك في كل حالة • ويذكرني ذلك بحالة إحدى مريضاتي ، وكانت تعاني من أحصرة هي مشتقات مباشرة من استنائها الطفلي كانت غرائبها من قبيل التحريمات الذاتية والعقوبات الذاتية ، وشعورها بأنها أن فعلت هذا فينبغى أن لاتفعل ذلك ، وفكرتها بأنه لايتبغى أن يقطع أحد عليها ماتفعله ، ولطمها فترات فاصلة بين اداء (بيديها) والذي يليه • وغسلها ليديها ، الخ — كلها قد تكشفت تكرارات حرفية لاجزاء من جهود دربيتها كيما تبطل هذه العادة • والشئ الوحيد الذي ظل بصورة دائمة في ذاكرتها كان كلمات التحذير : « كخ ! هذا خطر ! » • قارن أيضا في هذا الصدد كتابي « ثلاث مقالات في نظرية الجنس » ، ١٩٥٥ •

الأسباب المولدة للهستيريا : هل ينبغي اعتبار حالة دورا ، من زاوية الأسباب المولدة للمرض ، حالة نمطية • وهل هي تمثل النمط الوحيد الممكن لتلك الاسباب ؟ وهكذا • ومع ذلك فاني على ثقة من أنني أسلك الطريق الصحيح اذ أوجل اجابتي عن مثل هذه الأسئلة ، حتي يتاح لي بنفس الطريقة تحليل ونشر عدد كبير من الحالات • هذا الي أنه يتحتم على أن أبدأ بنقد الصياغة التي تتخذها هذه الأسئلة فبدلا من أن أجيب بـ « نعم » أو « لا » على ما ان كانت الاسباب المولدة للمرض في هذه الحالة ينبغي البحث عنها في الاستمنا أثناء الطفولة ، يتحتم على أولا أن أناقش مفهوم « الاسباب المولدة للمرض » عند استخدامه في الأعصبة النفسية • عندئذ سوف يتضح أن وجهه النظر التي تمكنني من الاجابة على السؤال هي جد مبينة لوجهة النظر التي يقوم عليها السؤال • حسبنا أن نبلغ الي الاقتناع بأنه في هذه الحالة كان الاستمنا في الطفولة قائما ، وبأن حدوثه لا يمكن أن يكون مسألة صدفة أو لا أهمية له في تشكيل اللوحة الكلينيكية (١) •

وتفحص دلالة الافرازات البيضاء التي اعترفت بها دورا يبشر باتاحة فهم أفضل لاعراضها فقد تعلمت أن تسمى علتها هذه « افراز التهابي » catarrh وذلك وقت ان كان على أمها أن تزور فرنترتباد بسبب علة مماثلة ، ومرة أخرى هنا تلعب كلمة « افراز التهابي » دور « كلمة الوصل » ، مما أتاح لكل سلسلة أفكارها حول مسئوليته

(١) أن شقيق دورا لايد وأنه كان مسئولا بشكل ما عن اكتسابها عادة الاستمنا ، لانها قالت لي في هذا الصدد بكل التوكيد الذي يفضح وجود « ذكرى حاجبة » ان أخاها كان دائما ينقل اليها جميع أمراضه المعدية ، وبينما كان هو يعانيتها بصورة هيئة ، كانت هي على العكس تعانيها بصورة خطيرة • وفي الحلم تحقق انقاذ أخيها كما تحقق انقاذها من «الهلاك» وكان أخوها هو الآخر مصابا بتبلبل فراشه ، ولكنه تخلص من هذه العادة قبل أخته • وتصريحها بأنها استطاعت في دراستها أن تظل مسابرة لأخيها حتى وقت مرضها الاول ، ولكنها تخلفت عنه بعد ذلك ، انما كان هو الآخر بمعنى ما « ذكرى حاجبة » • كانت وكأنها صبي حتى تلك اللحظة ، ثم غدت بعد ذلك صبوية لأول مرة • كانت في الواقع كأننا متوحشا ، ولكنها غدت بعد الربو هادئة ومهذبة • فهذا المرض يقيم حدودا فاصلة بين مرحلتين من حياتها الجنسية ، كانت الاولى مذكرة في طابعها ، والثانية انثوية •

أبينها عن مرضها أن تعبر عن نفسها في عرض السعال • والسعال الذى نتج في الأصل ولا شك من التهاب واقعى هين ، كان أيضا محاكاة منها لأبيها (الذى كان مصابا في رئتيه) ، ومن ثم كان بوسع السعال أن يعبر عن تعاطفها معه وقلقها عليه • ولكن للسعال ، بالإضافة الى ذلك ، كان وكأنه يصرخ عاليا بشيء ما ربما كان مايزال لا شعوريا عندها : « اننى ابنة أبى • عندى افراز التهابى تماما كما عنده • لقد جعلنى مريضة ، تماما كما جعل أمى مريضة • فممنه أخذت نزواتى الشريرة التى يعاقبها المرض (١) » •

ولنحاول الآن أن نحصى المحددات المختلفة التى كشفنا عنها كأسباب لنوبات السعال وبحة الصوت عند دورا في أعماق المستويات يتحتم أن نفترض وجود التهاب في الحلق واقعى وعضوى في أصله — اضطلع بدور حبة الرمل التى بينى حولها حيوان المحار لؤلؤته • هذا الالتهاب في الحلق كان قابلا للتثبيت ، لأنه ينصب على جزء من اليدن كان قد احتفظ عند دورا بدرجة كبيرة بدلالته كمناطق شبقية • وبالتالي كان هذا الالتهاب في الحلق قد تحقق تثبيته بفضل هذا الذى يمكن اعتباره واجهته النفسية الأولى — محاكاتها التعاطفية لأبيها — وبفضل اتهاماتها الذاتية اللاحقة بخصوص « افرازها الالتهابى » (المهلبى) • وبالإضافة الى ذلك فان نفس هذه الأعراض قد كشفت عن قدرتها

(١) لقد لعبت كلمة « افراز التهابى » Catarrh نفس الدور عند فتاة الاربعة عشر عاما التى أوجزت حالتها في اسطرة قليلة (ص ٢٨) • كنت قد وضعت الفتاة في بنسيون مع سيدة ذكية كانت مكلفة من قبلى بالعناية بها • فأخبرتني هذه السيدة بأن الفتاة لم تكن تطيق وجودها في الغرفة عندما كانت تهيب نفسها للنوم ، وبأنه كان ينتابها وهى في فراشها سعال غريب ، لم يكن له أى اثر أثناء النهار • وعند سؤال الفتاة عن هذه الاعراض كان الشيء الوحيد الذى ورد الى ذهنها هو أن جدتها كانت تسعل بنفس الطريقة ، وكان يقال أن جدتها مصابه بالتهاب catarrh • واستنادا الى ذلك كان من الواضح أن الفتاة نفسها مصابة بالتهاب (في المهبل) وانها لم تكن ترغب في أن يراها أحد أثناء قيامها باغتسلات المساء • بل إن هذا الالتهاب (الافرازات البيضاء) ، الذى — بفضل اسمه — يقل من أسفل الى أعلى ، قد كشف عن درجة غير مألوفة من الشدة •

على التعبير عن علاقة دورا مع السيد ك ، فقد كان بوسع هذه الأعراض أن تعبر عن أساها لغيابه ، وعن رغبتها في أن تكون له زوجة أفضل من زوجته . وبعدها تحول جانب من الليبيدو عندها ، عائدا من جديد الي أبيها ، أكتسب العرض ما يمكن اعتباره دلالة الأخيرة فقد أصبح يمثل جماعا جنسياً مع أبيها ، وذلك بتوحد دورا مع مدام ك وبوسعي أن يؤكد أن هذه السلسلة ليست مكتملة بحال . فالتحليل الجزئي ، للأسف ، لا يمكننا من أن نقتفى التعاقب التاريخي للتغيرات في دلالة العرض ، ولا من أن نبين بشكل واضح تعاقب أو تساوى هذه الدلالات المختلفة . وهذه المتطلبات يحق لنا ، في حالة التحليل المكتمل ، أن نتوقع الاجابة عليها .

ويتحتم على الآن أن أشرع في تناول علاقات أخرى أمعن بين الالتهاب المهبلى عند دورا وأعراضها الهستيرية . لقد اعتدت — في وقت كان فيه الفهم السيكولوجى للهستيريا ما يزال بعد أمرا جد بعيد — اعتدت أن أسمع زملائي الأطباء من المتمرسين لمسنين يؤكدون في حالات الهستيريات المصابات بالافرازات البيضاء ، أن أية زيادة في هذه الافرازات تستتبع دائما وبصورة منتظمة استفعالا في الأعراض الهستيرية ، وخاصة الأنوركسيا (فقدان شهية الطعام) والقيء . ولكن أحدا منهم لم يكن يفهم في وضوح طبيعة هذه العلاقة ، ولكنى أعتقد أن الاتجاه العام كان ينزع الى الرأى الذى يتبناه أطباء النساء . فحسب رأيهم ، كما هو معروف ، تؤثر اضطرابات العضو التناسلى تأثيرا مباشرا وبعيد المدى في الوظائف العصبية في صورة اضطراب عضوى — وأن كان اختبار هذه النظرية من الناحية العلاجية يترك المرء على حيرته . وفي ضوء معارفنا الحالية ، لا نستطيع استبعاد امكانية وجود تأثير عضوى مباشر من هذا القبيل ، ولكنه من الأيسر في جميع الحالات أن نتبين محددات الواجهة النفسية التى يتخذها هذا التأثير . فاعتدأد النساء بمظهر أعضائهن التناسلية يمثل جانبا خاصا من اعتدادهن بأنفسهن ، ومن ثم فان الاضطرابات التى تتأل أعضاءهن التناسلية ،

ويعتقدن أن من شأنها أن تثير مشاعر النفور بل الاشمئزاز ، تملك قوة هائلة على اذلالهن ، وعلى الهبوط باعدادهن بأنفسهن ، وعلى جعلهن سريعات التهيج ، مسرفات الحساسية ، شديدات الريبة . فافرازات غير عادية من الغشاء المخاطي للمهبل تعتبر باعثة على الاشمئزاز .

ولنتذكر أن دورا انتابها شعور اشمئزاز عارم أثر تقبيل السيد ك لها ، وأننا وجدنا مانستند اليه لاكمال القصة التي روتها عن مشهد القبله ، اذ افترضنا أنها استشعرت ، أثناء عناقها لها ، ضغط قضيبه المنتصب على بدنها . وبالإضافة الى ذلك ، نعلم الآن أن نفس المربية التي طردتها ، دورا بسبب عدم اخلاصها لها ، كانت بالاستئثار الى خبراتها الخاصة في الحياة ، قد أوحى الى دورا بأن جميع الرجال عابثون ولا ينبغي الثقة فيهم . وهذا يعنى بالضرورة عند دورا أن كل الرجال كأبيها ولكنها كانت تعتقد أن أباهم مصاب بمرض تناسلي — أفلم ينقله اليها والى أمها ؟ وعلى ذلك فربما تخيلت ان كل الرجال مصابون بمرض تناسلي ، وكان تصورهما لهذا المرض يقتصر بطبيعة الحال على حدود تجربتهما الشخصية وحدها . ومن هنا فالاصابة بمرض تناسلي كانت تعنى عندها الاصابة بافرازات تبعث على الاشمئزاز أفلا يكون لدينا هنا سبب آخر للاشمئزاز الذى استشعرته لحظة العناق وهكذا يكون الاشمئزاز الذى انزاح الى عنق الرجل مجرد شعور تم استنطاقه — تبعاً لذلك الميكانيزم الأولى الذى سبق أن ذكرته (أنظر ص ٣٣) — وهو شعور يرجع فى نهاية الأمر الى افرازاتها البيضاء .

ويغلبنى الظن بأننا الآن ازاء سلسلة من الأفكار اللاشعورية مجدولة حول صرح من العلاقات العضوية (البدنية) القائمة من قبل ، على نحو ماتكون أكاليل الزهور مجدولة حول هيكل من الأسلاك ، بحيث نستطيع فى حالات أخرى أن نعثر على سلاسل أخرى من الأفكار مجدولة ما بين نفس نقط الابتداء ونفس نقط الانتهاء . ومع ذلك فمعرفةنا بتسلسل الأفكار الذى تحقق فى حالة فردية بعينها الأمر لايمكن المبالغة فى مدى قيمته لفهم الأعراض . لقد انقطع تحليل دورا قبل أن يتم . ولهذا

السبب وحده كنا مضطرين في حالتها الى أن نلجأ الى صياغة المفروض، وتعويض النقص . وما أصفته سدا للثغرات انما تدعمه دائما أبدا حالات أخرى أكتمل تحليلها .

* * *

أن الحلم الذي استخلصنا منه هذه المعلومات يعبر ، كما رأينا ، عن تصميم لازمها حتى في نومها . ومن هنا تكرر كل ليلة حتى أتيح له التنفيذ . ثم ظهر الحلم من جديد بعد سنوات عندما برزت مناسبة تقتضى تصميمًا مماثلاً . ومن الممكن صياغة هذا التصميم شعوريا في كلمات كهذه : « يتحتم على أهرب من هذا البيت ، إذ أرى بكارتي هنا في خطر ، سأرحل بعيدا مع أبي ، وسأنتخذ احتياطات بحيث لا أفاجا في الصباح أثناء ارتدائي للملابس » . هذه الأفكار يعبر عنها الحلم بوضوح ، فهي تشكل جانبا من تيار نفسى بلغ الى الشعور وهيمن على حياة اليقظة . ولكن وراء هذه الأفكار يمكننا أن نتبين آثارا غائمة لسلسلة تشكيل جانبا من تيار نفسى مضاد ، ومن ثم عانت الكبح وه ، السلسلة الأخيرة من الأفكار ذروتها غواية الاستسلام للرجل ، امتنانا لما كشف عنه من حب وحنان لها طوال السنوات الأخيرة ، وربما تكون هذه السلسلة قد انبعثت ذكرى القبلة الوحيدة التي تلققتها منه حتى ذلك الوقت ، ولكن بحسب نظريتي التي قدمتها في « تفسير الأحلام » لا تكفى مثل هذه العناصر لعمل حلم . فالحلم بحسب هذه النظرية ليس تعبيرا عن تصميم يبدو وقد تحقق ، بل عن رغبة تبدو وقد تحققت ، وهي أيضا رغبة غالبا جدا ماتنتسب الى الطفولة وعلينا الآن أن نتبين ما أن كانت هذه القاعدة لاتجد مايدحضها في هذا الحلم .

ان الحلم يشتمل في الواقع على مادة طفلية ، وان كان يستحيل علينا من النظرة الأولى أن نتبين أية علاقة بين هذه المادة الطفلية وبين تصميم دورا على أن نهرب من بيت السيد ك - ، ومن الغواية التي تستشعرها في حضوره فلماذا كان ينبغي أن تنبعث ذكرى تبلييلها لفراشها أثناء الطفولة والطاقت التي كان قد بذلها أبوها لتعويدها على النظافة

يمكننا أن نجيب على ذلك بأنه لم يكن ممكنا إلا بهذه السلسلة من الأفكار أن نبلغ دورا الى كبح الأفكار الأخرى التى تعج بالغواية الشديدة للاستسلام ، أو أن تبلغ الى ضمان الغلبة للتصميم الذى اتخذته نضالا ضد تلك الأفكار الأخرى . صممت دورا الطفلة على أن تهرب مع أبيها ، ولكنها فى الواقع هربت الى أبيها ، لأنها كانت خائفة من الرجل الذى يطاردها ، لقد استدعت حبها الطفلى لأبيها ، ليحميها ضد حبها الحالى لرجل غريب . كان أبوها نفسه مسئولا الى حد ما عن الخطر الذى تجدد نفسها فيه الآن ، لانه أسلمها الى هذا الرجل الغريب حفاظا على علاقته الغرامية . وكم كان يكون أفضل لو أن أباه هذا نفسه لم يجب أحدا غيرها ، وكرس كل طاقته لينفذها من الأخطار التى كانت تهددها آنذاك . فالرغبة الطفلية ، وهى الآن لاشعورية ، فى أن يكون أبوها فى مكان الرجل الغريب ، هى التى تنطوى على الطاقة اللازمة لعمل حلم . فاذا كان هناك موقف من المواقف الماضية شبيها بموقف حالى ، لا يختلف عنه إلا من حيث أنه ينصب على شخص لا الأخر من الشخصين موضوع الرغبة ، فان ذلك الموقف الماضى يصبح عندئذ الموقف الرئيسى فى الحلم . مثل ذلك الموقف يوجد فى حالة دورا : فأبوها وقف مرة بجوار سريرها ، تماما كما فعل السيد ك فى اليوم السابق للحلم ، وأيقظها أبوها بقبلة ، كما كان السيد ك - ربما ينتوى أن يفعل . وهكذا فان تصميمها على الهروب من البيت لم يكن بذاته كافيا لعمل حلم ، ولكنه غدا كافيا بفضل ارتباطه بتصميم آخر يستند فى أساسه الى رغبات طفلية . أن رغبة دورا فى احلال أبيها بدلا من السيد ك - هى التى أتاحت القوة المحركة لانشاء الحلم . وانى أذكر الآن بالنتفسير الذى وجدته مضطرا الى الأخذ به فيما يتصل بسلسلة الأفكار المتسلطة عند دورا عن علاقة أبيها بمدام ك - . فقد كان تفسيري ينحصر فى أنها قد استدعت فى ذلك الوقت حبها الطفلى لأبيها ، حتى تتمكن من أن تبقى على حبها المكبوت للسيد ك - تحت الكبت . هذا الانقلاب المفاجئ فى الحياة النفسية للمريضة هو نفسه الذى يصوره الحلم .

لقد سبق أن قدمت في كتابي « تفسير الأحلام (١) » بضع ملاحظات عن العلاقات بين أفكار اليقظة (متخلفات النهار) التي تتواصل في النوم وبين الرغبة اللاشعورية التي تعمل الحلم • وسأسرد هنا هذه الملاحظات كما هي ، فليس لدى ماأضيفه إليها ، وتحليل حلم دورا هذا يثبت من جديد صحة ماذهبت إليه :

« اني أسلم طواعية بأن هناك طائفة كاملة من الأحلام ينشأ فيها الخافز الى الحلم بصفة غالبية ، ان لم تكن مانعة من البقايا المتخلفة من حياة النهار ، وأعتقد أنه حتى رغبتى في أن أصير في النهاية أستاذا (٢) كان يمكن ، فيما أعتقد ، أن تتركنى أنام نوما ليليا هادئا ، لو لم يكن تلقى على صحة صديقى قد بقى مستمرا بعد أن انقضى النهار • ولكن القلق وحده ماكان يستطيع أن يصنع حلما ، بل كان من اللازم أن تقوم رغبة بتوفير القوة الدافعة التي يقتضيها الحلم ، كما كان على القاق أن يتصيد رغبة لتكون منها هذه القوة الدافعة • ولكي نوضح الموقف بتشبيه نقول : أن الفكرة النهارية تقوم بعمل صلاب المشروع بالنسبة الى الحلم ، ولكن صاحب المشروع — وهو الذي كما نقول ، يملك الفكرة ريمك الحافز الى تنفيذها — لا يستطيع شيئا بغير رأس المال ، فهو محتاج الى ممول قادر على أن يزوده بالمرح ، والممول الذي يوفر المخرج النفسى بالنسبة الى الحلم هو من غير استثناء ولاجدل وأيضا كانت أفكار اليوم السابق — رغبة من اللاشعور (٣) » •

وكن من أتيح له أن يتبين مدى ماينتسم به صناعة الحلم من دقة البنيان ، لن يدهشه أن رغبة دورا في احلال أبيها بدلا من الرجل الذي كان يملك غواية لها ، لم تبتعث كيفما اتفق أية مادة من طفولتها ، بل

(١) Traumdeutung, 7th Ed. P 416.

(٢) تلك اشارة الى حلم ورد في الكتاب كمثال •

(٣) قارن ، فرويد : تفسير الاحلام ، الترجمة العربية ، دار المعارف ،

الطبعة الاولى ، ص ٥٥٠ — المترجمون •

ابتعثت على وجه التحديد تلك المادة التي كانت أشد ماتكون ارتباطا
بجح هذه العواية . ذلك أنه اذا كانت دورا قد شعرت بعدم قدرتها
على ان تستسلم لحبها للرجل . واذا كانت قد كتبت في النهاية هذا الحب
بدلا من ان تستسلم له ، فليس هناك من سبب مباشر يرجع اليه تصميمها
أكثر من ملذاتها الجنسية الباكرة وماترتب عليها من تبليها لقرانتها
وافرازاتها البيضاء ، واثمئزازها . وتاريخ باكر من هذا القبيل يمكن
تبعها لجملة المحددات الجبلية عند الفرد — ان يشكل أساسا لواحد من
اتجاهين ، في مواجهة المتطلبات التي يقتضيها الحب عند الراشد . مثل
هذا الفرد سوف يكشف أما عن استسلام للجنسية يخلو تماما من أى
دفاع ويقف به عند حافة الانحراف واما عن رفض — فسوف يرفض
الجنسية ويقع في نفس الوقت مريضا بعصب . وفي حالة مريضتنا
دورا ، حتمت عليها جبلتها وتربيتها الرفيعة ، فكريا وأخلاقيا ، أن
تسلك الطريق الثاني .

وأحب أيضا أن أوجه انتباها خاصا الى تحليل هذا الحلم قد أتاح
لنا الامسك بتفصيلات معينة من الوقائع التي ولدت المرض ، والتي
فذكرى تبليد الفراش في الطفولة كانت كما رأينا مكتوبة . كما أن دورا
لم تكن قد أشارت قط الى تفصيلات ملاحقة السيدك — لها ، اذ لم
تخطر ابدا ببالها .

* * *

وثمة أيضا ملاحظات قليلة يمكن أن تعين على الامسك بالوحدة
الكلية لهذا الحلم . فعمل الحلم قد بدأ في عصر اليوم الثاني للمشهد
في الغاية ، بعد أن تبينت دورا أنه لم يعد بوسعها أن تغلق الباب على
نفسها . عندئذ قالت لنفسها : « هنا يهددنى خطر شديد » ، وانتهت
الى تصميمها على أن لا تبقى بمفردها في هذا البيت ، بل على أن ترحل
مع أبيها . هذا التصميم غدا كفيلا بعمل حلم ، اذ استطاع أن يجد في
اللاشعور ما يعد استمرارا له . وأن مايعد مناظرا له في اللاشعور إنما
كان استدعاء دورا حبها الطفلى لأبيها حماية لها ضد العواية الحالية .

والانقلاب الذى تحقق بذلك فى داخلها غدا وطيدا ، وتادى بها الى الاتجاه الذى تكشف عنه سلسلة أفكارها المتسلطة — الغيرة من مدايمك — على أبيها ، وكأنها كانت هى نفسها عاشقة له . كان فى داخلها صراع بين غواية الاستسلام لمطارحة الرجل وبين قوة معقدة تنمرد على هذه الرغبة . وهذه القوة الأخيرة كان قوامها دوافع من مقتضيات الأدب والعقل ، ومن نزعات عدوانية نجمت عن نصائح المربيه (غيرة وكبرياء مجروح — كما سنرى فيما بعد) ، ومن نزعه عصابية ، هى على التحديد مزعة تعود من الجنسية كانت قائمة عندها من قبل ، استنادا الى تاريخها الطفلى . وفى نفس هذا التاريخ الطفلى يكمن اصل حبها لأبيها ، وهو الحب الذى استدعته حماية لها ضد الغواية .

وتصميم دورا على الهرب الى أبيها ، وهو كما رأينا يجد استمرارا له فى اللاشعور ، قد تحول فى الحلم الى موقف يصور رغبتها — وكأنها تحققت — فى أن ينقذها أبوها من الخطر . هنا كان من الضرورى لدورا أن تنحى جانبا فكرة معينة كانت تقف حائلا : إذ أن أباه نفسه هو الذى أوقعها فى هذا الخطر . وشعورها العدوانى ضد أبيها (رغبتها فى الانتقام منه) الذى انكبج هنا ، كان — كما سنرى — واحدا من الدوافع المحركة للحلم الثانى .

وكما تقضى شروط عمل الحلم يتحتم اختيار موقف الحلم بحيث يكون تكرارا لموقف طفلى . ويتحقق نصر من نوع خاص اذا ما أمكن تحويل موقف حديث العهد ، بل ، ربما نفس الموقف الذى كان السبب المباشر للحلم ، الى موقف طفلى . وهذا هو ما حدث بالفعل فى الحالة الراهنة ، وبفضل صدفة مواتية . فتماما كما وقف السيد ك — الى جوار أريكتها وأيقظها ، فكذلك غالبا ما فعل أبوها فى طفولتها . وكل سلسلة أفكارها يمكن أن يعبر عنها بشكل رائع ، تعبيرا رمزيا ، احلالها أباهما مكان السيد ك — فى الموقف .

ولكن السبب الذى كان أبوها قد اعتاد أن يوقظها من أجله وهو أن يمنعها من تبليغ فراشها . وهذا « التبليغ » كان له تأثير حاسم على

يحدد مضمون بقية الحلم ، وأن كان التبليل لا يتمثل في الحلم إلا
بتأخير بعيد وبالضد .

فقد « التبليل » و « الماء » يمكن بسهولة أن يكون « النار » و
« الاحتراق » وكون أبيها ، عند وصولهم الى المكان ، قد عبر عن تخوفه
من خطر الحريق ، كان صدفة من شأنها أن تحدد أن يكون الخطر الذي
ينقذها أبوها منه هو خطر الحريق . والموقف الذي تم اختياره ليكون
صورة الحلم إنما استند الى هذه الصدفة والى تمثيل بالضد « للتبليل » :
« كان هناك حريق . وكان أبوها واقفا الى جوار فراشها ليوقظها . »
والقول الذي تصادف أن قاله أبوها ما كان له بالطبع أن يحتل مثل هذه
المكانة الهامة في الحلم لو لم يكن ينسجم بشكل رائع مع نزعتها السائدة
عندئذ الى أن تعتبر أباه ، مهما كان الثمن ، حاميا ومنقذا . « لقد
استشعر الخطر منذ اللحظة الاولى لوصولنا ! وكان على حق ! » (في
واقع الأمر ، كان الأب الذي عرض الفتاة للخطر) .

وبالاستعانة ببعض الارتباطات التي في يسر الاستدلال
عليها ، نتبين أن فكرة « البلب » هي التي تظلم ، في أفكار الحلم ،
بدور نقطة الوصل بين مجموعات متعددة من الأفكار . « فالبلب » يرتبط
ليس فقط بتبليل الفراش ، بل أيضا مجموعة الأفكار الخاصة بالغواية
والجنسية ، والتي تكمن مكبوحة وراء مضمون الحلم . كانت دورا
تعرف أن الجماع الجنسي ينطوي على نوع من معاناة البلب ، وكانت
تعرف أن الرجل أثناء عملية الجماع يعطى المرأة شيئا سائلا في صورة
نقط . وكانت تعرف أيضا أن الخطر يكمن على وجه التحديد في ذلك ،
أن مهمتها هي أن تحمي عضوها الجنسي من أن يبطل .

و « البلب » و « النقط » تفتح الطريق في نفس الوقت لتلك المجموعة
الأخرى من التدايعيات - ونعني المجموعة الخاصة بالافرازات البيضاء
الباعثة على الاشمئزاز ، والتي كان لها بالتأكيد في سنوات شبابها نفس
دلالة الازلال التي كانت لتبلك الفراش في طفولتها . « فمعاناه البلب »

في هذا المجال لها نفس دلالة « معنأة الوساخة » • فعوضها ، الذي كان ينبغي الإبقاء عليه نظيفا ، قد توسخ بالفعل بالافرازات البيضاء — وكان هذا يصدق على أمها صدقه عليها (أنظر ص ٩٠) • وكان يبدو أنها تفهم أن هوس أمها بالنظافة كان رد فعل • ضد هذا الاتساخ •

فالمجموعتان من الأفكار كاننا تلتقيان عند هذه الفكرة الواحدة : أمي أخذت الأمرين كليهما من أبي : البلب الجنسي والافرازات الوسخة» وغيره دورا من أمها لم تكن منفصلة عن مجموعة الأفكار التي تدور حول حبها الطفلي لابيها ، وهو الحب الذي استندعته لحمايتها • ولكن هذه المادة لم تكن مع ذلك بعد قابلة للتمثيل • فلو أمكن العثور على ذكرى تكون بنفس القدر مرتبطة بشكل وثيق بكاتبي المجموعتين المتعلقتين بكلمة « بلب » ، وتكون بمنأى عن أي إيذاء للمشاعر ، عنرئذ فان مثل هذه الذكرى تكون قابلة لأن تضطلع في الحلم بتمثيل تلك المادة المعينة •

مثل هذه الذكرى أتاحتها قصة ذلك القرط من « نقط » اللؤلؤ — وهي قطعة الحلوى Schmuck التي رغبت أم دورا في الحصول عليها • والارتباط بين هذه الذكرى وبين مجموعتي الأفكار اللتين تدوران حول البلب الجنسي والاتساخ يبدو في ظاهره مجرد ارتباط خارجي وسطحي ، ومن طبيعة لفظية • ذلك أن كلمة « نقط » قد جرى استخدامها بشكل ملتبس كـ « كلمة وصل » ، بينما قطعة الحلوى Schmuck جرى فهمها كمرادف لكلمة « نظيف (١) » ، وبالتالي كصد لكلمة « متسخ (٢) » •

(١) ان كلمة Schmuck بالالمانية (قطعة حلوى) تعنى أحيانا نظيف ، هامش الترجمة الفرنسية •

(٢) ان الكلمة الالمانية Schmuck تنطوى على معنى اوسع بكثير من كلمة — Jewellery بالانجليزية (حلوى) ، وان كان ذلك هو المعنى المتصود في الكلمة المركبة Schmuckkasten (علبة الحلوى) • فكلمة Schmuck كمصدر تعنى « الزينة » من كل نوع ليس فقط الزينات الشخصية بل أيضا تزيينات الاشياء والتجميلات بصفة عامة أما الكلمة كصفة فقد تعنى أنيق أو مهندم أو نظيف ، هامش الترجمة الانجليزية •

وان يكن ذلك على نحو من التعسف • ولكن أوثق الارتباطات يمكن في الواقع الكشف عن وجودها بين الأشياء المعنية ذاتها ، فالذكرى ترجع بأصلها الى المادة التي تدور حول غيرة دورا من أمها ، وهي الغيرة التي ، وأن تكن طفلية الأصل قد استمر بقاؤها الى ما بعد تلك المرحلة بكثير • وعن طريق هاتين الكلمتين المعبرتين غدا من الممكن أن نتزاح الى ذكرى واحدة هي « نقط للؤلؤ » كل دلالة أفكارها عن جماع أبويها وعن السيلان عند أمها وعن ولع أمها المضني بالنظافة •

ولكن كان ولا بد من نقل آخر قبل أن يكون لهذه المادة أن تظهر في الحلم • فعلى الرغم من ان كلمة « نقط » هي أدنى الى الكلمة الأصلية « بلل » ، الا أن الكلمة الأبعد « الحلى » هي التي وجدت لها مكانا في الحلم • وعندما تم ادراج هذا العنصر ضمن موقف الحلم ، وهو الموقف الذي كان بالفعل قد سبق تحديده كان من الممكن أن يكون معناه « أرادت أمي أن تتوقف وتنفذ حليها » • ولكن تأثيرا لاحقا نتبينه الآن ، كان من شأنه أن يؤدي الى التغير الذي انضاف ، وهو تغيير « الحلى » الى « علبه الحلى » • وهذا التأثير قد صدر عن عناصر من مجموعة الأفكار الكامنة التي تدور حول الغواية التي قدمها السيد ك • فالسيد ك - لم يقدم لها قط حليا ولكنه قدم لها « علبه » للحلى ، جسدت لدورا كل أمارات التفضيل ، وكل الحنان ، مما جعلها تشعر الآن بأن عليها أن تكون ممتنة والكلمة المركبة التي تكونت من ذلك : « علبه حلى » ، كان لها بالاضافة الى ذلك ما يستدعى استخدامها كعنصر ممثل في الحلم • أليست علبه الحلى Schmuckkaschen لفظة تستخدم بشكل مألوف للدلالة على الأعضاء التناسلية الأنثوية التي تكون ظاهرة ، ولم يمسهما بشر ؟ ثم أو ليست هي من ناحية أخرى لفظة بريئة ؟ أليست

بإختصار ، وقد أحسن اختيارها بشكل رائع ، تفضح وتسترز معا الافكار الجنسية التي تكمن وراء الحلم ؟

وهكذا فان « علبة حلى الأيم » جاء ذكرها في موضعين في الحلم وهكذا العنصر قد حل محل أى ذكر لغيره دورا الطفلية ، وأى ذكر للنقط « بمعنى الأبلق الجنسى » ، وأى ذكر للاتساخ بالافرازات ، كما حل من ناحية أخرى محل أى ذكر لأفكارها الحالية المتصلة بالغواية - ونعنى الأفكار التي كانت تستحشها على أن تبادل الرجل حبه ، والتي كانت تصور الموقف الجنسى (المرغوب والمرهوب معا) المائل أمامها • فعنصر « علبة الحلى » ، كان بأكثر من أى عنصر آخر تتاج تكثيف ونقل ، فهو ائتلاف بين اتجاهات متضادة • وتعدد أصول هذا العنصر - من مصادر طفلية وحالية معا - يشير اليه ولاشك ظهوره مرتين في مضمون الحلم •

كان الحلم استجابة لتجربه حديثه العهد من طبيعة مثيرة ، وهذه التجربة لايد وأن تكون بالضرورة قد ابتعثت ذكرى التجربة الوحيدة السابقة ، والتي كانت تمثلها من كل وجه • كانت التجربة الحديثة هي مشهد القبلة في محل عمل السيدك - حين استولى عليها الاشمئزاز • ولكن نفس هذا المشهد كان يؤدي اليه الداعى من نواح أخرى أيضا ، هي على التحديد مجموعة الأفكار الخاصة بالافرازات البيضاء (ص ٩٧) ومجموعة الأفكار الخاصة بغوايتها الحالية • ومن هنا فان المشهد قد أمد الحلم بملابس خاصة به ، كان عليها أن تلتئم مع موقف الحلم ، وهو الموقف الذى كان بالفعل قد سبق تحديده : « كان هناك حريق » ••• وليس من شك في أن القبلة كانت نفوح برائحة الدخان ، ومن هنا قد شمت رائحة الدخان في الحلم ، واستمرت الرائحة الى مابعد استيقاظها •

لقد تركت سهوا لسوء الحظ ثغرة في تحليل هذا الحلم • فقد قال ابو دورا في حلمها : « أنى أرفض أن أدع طفلى يتعرضان للدمار ••• » (من جراء الاستمناء فهذا ماينبغى ولاشك أضافته استنادا الى أفكار

الحلم) مثل هذه الأقوال في الأحلام تتألف عادة من قطع الأقوال الفعلية التي أما أن تكون قد قيلت أو سمعت كان ينبغي على أن أقوم بتقصي المصدر الواقعي لهذا القول . وكانت نتائج مثل هذا التقصي من جانبي سوف تكشف عن أن بناء الحلم هو أكثر تعقيدا ، ولكنه كان سيجعل هذا البناء يبدو في نفس الوقت أكثر شفافية .

أفينبغي أن نفترض أنه عندما حدث هذا الحلم في بلده ل - كان له على وجه الدقة نفس المضمون الذي كان له حين تكرر أثناء العلاج ؟ لا يبدو من الضروري أن يكون الأمر كذلك . فالخبرة تكشف عن أن الناس غالبا ما يؤكدون أنهم قد رأوا نفس الحلم . بينما نتبين في واقع الأمر أن الأشكال التي يظهر عليها الحلم في تكراراته تتباين بعضها عن بعض في تفصيلات عديدة ، وفي نواح أخرى لم تكن قليلة الأهمية . من ذلك أن إحدى مريضاتي أخبرتني أنها رأت من جديد حلمها المفضل في الليلة السابقة ، وأنه قد تكرر بنفس الشكل : حلمت أنها كانت تسبح في بحر أزرق ، وأنها كانت تشق الموج في سعادة ، وغير ذلك . وقد أتضح من التقصي الدقيق أنه على أرضية مشتركة كانت تبرز حيننا واقعة جزيئه ، وحيننا واقعة جزيئة أخرى ، بل في إحدى المرات كانت تسبح في بحر متجمد وكانت تحيط بها جبال الجليد . وكان عند هذه المريضة أحلام أخرى أتضح أنها وثيقة الصلة بالحلم المتكرر ، وأن لم تحاول المريضة - ولو مجرد محاولة - الادعاء بمطابقتها للحلم المتكرر . حلمت مرة مثلا أنها كانت تتطلع الى منظر (على صورة فوتوغرافية بالحجم الطبيعي) يمثل في نفس الوقت الهضبة والسهل في هيليجولاند ، وعلى البحر سفينة على ظهرها شخصان عرفتهما في شبابها ، وغير ذلك .

والأكيد في حالة دورا هو أن الحلم الذي حدث أثناء العلاج قد اكتسب دلالة جديدة ترتبط بالفترة الراهنة ، وان كان المضمون الظاهري ربما لم يتغير . فالأفكار الكامنة وراء الحلم تتطوى على اشارة لعلاجي ، والحلم هو بمثابة تجديد للتصميم القديم على الانسحاب من خطر .

خلو أن ذاكرتها لم تخدعها عندما ذكرت أنها حتى بلدة ل — كانت تشم رائحة الدخان عقب استيقاظها ، فلا بد وأن نعترف بأنها دست ببراعة فائقة عبارتي : « ما من دخان بغير نار » ضمن الصورة المكتملة للحلم ، حيث بدت هذه العبارة تضطلع بدور التحميم بأكثر من سبب للعنصر الأخير (١) • كان الأمر بالتأكيد مجرد صدفة أن أحدث سبب مباشر للحلم (٢) — بالنظر الى اغلاق أمها باب غرفة الطعام بحيث انحبس أخوها في غرفة نومه — قد اتاح الارتباط مع مطاردة السيد ك — لها في بلدة ل — • حيث اتخذت هناك تصميمها بعد ماتبينت أنها لاتستطيع أن تغلق الباب على نفسها • ومن الجائز أن أراها لم يظهر في الحلم في تكراراته الأولى بحيث أن كلمة « طفلي » (بالثنى) لم تكن ضمن مضمون الحلم الا بعد وقوع السبب المباشر الأخير له •

(١) المقصود بهذا العنصر : رائحة الدخان — المترجمون •

(٢) المقصود هنا هو الموقف العلاجي بما أنطوى عليه من رغبة دورا تجاه المطل — المترجمون •

٣

الحلم الثاني

الحلم الثاني

وبعد بضعة أسابيع من الحلم الأول وقع الحلم الثاني ، وعندما انتهينا من تناوله توقف التحليل . وهذا الحلم لا يمكن جعله مكتمل المعقولية كالحلم الاول ، ولكنه أتاح توكيدا مرغوبا فيه لغرض غدا ضروريا عن الحالة النفسية للمريضه ، فقد اضطلع بسد ثغرة في ذاكرتها وجعل من الممكن البلوغ الى استبصار عميق بأصل عرض آخر من أعراضها .

روت دورا الحلم على النحو التالي « كنت أتجول في مدينة لأعرفها . رأيت شوارع وميادين غريبة على (١) . ثم دخلت في بيت كنت أسكن فيه وذهبت الى غرفتي . فوجدت خطابا من أمي ينتظرني هناك كتبت تقول حيث أننى تركت البيت بغير علم أبوي، فانها لم ترغب في أن تكتب الى لتخبرني بأن أبى كان مريضا . « الآن قد مات ، فلو شئت (٢) بوسعك أن تحضرى . » عندئذ ذهبت الى المحطة (Bahnhof) وسألت نحو مائة مرة « أين المحطة ؟ » . وكنت أتلقى دائما الاجابة : « خمس دقائق » . ثم رأيت أمامى غابة كثيفة ، دخلت فيها ، وهناك سألت رجلا قابلته . فقال لى « ساعتان ونصف أيضا (٣) » . عرض على أن يصحبنى . ولكنى رفضت ومضيت بمفردى . رأيت المحطة أمامى ، ولم استطع الوصول اليها وفي هذه اللحظة اعترانى

-
- (١) الحققت بهذا فيما بعد اضافة : « رأيت نصبا في أحد الميادين ، »
 (٢) الحققت بهذا اضافة : « كانت توجد علامة استفهام بعد هذه الكلمة هكذا : شئت ؟ »
 (٣) في تكرارها سرد الحلم قالت : « ساعتان ، »

شعور النلق المألوف الذى يعترى المرء فى الاحلام حين لاىستطيع أن يخطو الى الأمام • ثم وجدتنى فى البيت • ولابد أنى كنت فيما بين ذلك فى حالة سفر ، ولكنى لأعرف شيئاً عن ذلك • خطوت داخل مسكن ابواب ، وسألت عن شقتنا • فتحت لى الخادمة الباب ، وأجابتنى أن أمى والأخرين حائيا هم فى المدافن (Friedhof) (١) •

لم يمض تفسير هذا الحلم بغير صعوبة • فبالنظر الى الظروف الخاصة التى توقف فيها التحليل — وهى ظروف ترتبط بمضمون هذا الحلم — لم يكن من الممكن استيضاح كل شىء • ولهذا السبب أيضا فانى لست متأكدا بنفس الدرجة — فيما يتصل بكل نقطة — من الترتيب الذى تتابعت عليه المنتائج التى بلغت اليها • وسابداً بذكر المادة التى كان يجرى تحليلها فى الوقت الذى طرأ فيه هذا الحلم • كانت دورا نفسها — ولبعض الوقت — تثير عددا من الأسئلة عن العلاقة بين بعض تصرفاتها وبين الدوافع التى تكمن أغلب الظن وراء هذه التصرفات • كان أحد هذه الأسئلة : « لماذا لم اقل شيئاً عن مشهد البحيرة لعدة أيام بعد وقوعه؟ » • وكان سؤالها الثانى : « ولماذا بعد ذلك فجأة أخبرت أبوى بالأمر؟ » • هذا الى أن أحساسها بالانجراح العميق من مطارحة السيدك — لها بدا لى بصفه عامه أمرا يتطلب التفسير ، خاصة وأنى بدأت أتبين أن السيدك — نفسه لم يكن ينظر الى مطارحته لدورا على أنها مجرد محاولة عابثة للتغريب بها • واعتبرت اخبارها الأبويها بالحادث تصرفا أنته عندما كانت واقعة بالفعل تحت تأثير تحرق مرضى للانتقام • فانى أميل الى الاعتقاد بأن الفتاة السوية أنما تتولى بنفسها معالجة موقف من هذا القبيل • وسأشرع الآن فى تقديم المعطيات التى أنتجها التحليل فى الترتيب شبه العشوائى الذى ترد به الى ذهنى •

(١) فى الجلسة التالية التحقت دورا بهذا أضافتين : « رأيت نفسى بوضوح تام أصعد السلم » ، و « وبعد أن اجابتنى ذهبت الى غرفتى ، ولكن دون أدنى حزن ، وبدأت فى قراءة كتاب كبير كان موضوعا على مكتبى ، »

كانت تتجول بمفردها في مدينة لا تعرفها ، ورأت شوارع وميادين •
أكدت لي دورا أن المدينة لم تكن بالتأكيد بلدة ب - التي اتجه إليها
ظنى أول الأمر ، ولكنها كانت مدينة لم يسبق لها قط أن ذهبت إليها •
وكان من الطبيعي أن الفت انتباهها إلى أنها ربما رأت بعض الرسوم أو
الصور الفوتوغرافية واستهدت منها صور الحلم • وبعد هذه الملاحظة
من جانبي جاءت إضافتها الخاصة بالنصب التذكاري في أحد الميادين ،
وجاء بعد ذلك مباشرة تعرفها على مصدر هذا النصب • كانت في عيد
الميلاد (١) قد تأقت كتاب صور عن منتجج صحن ألماني ، يشتمل على
مناظر للمدينة ، وفي نفس اليوم السابق على الحلم أخرجت كتاب الصور
هذا لتعرضه على بعض أقاربها الذين كانوا في زيارة الأسرة • كان ذلك
الكتاب موضوعا في علبة لحفظ الصور ، ولم تستطيع العثور على هذه
العلبة من أول محاولة • وعندئذ قالت لأمها : « أين العلبة ؟ » (٢) •
كانت إحدى الصور تمثل ميدانا فيه نصب تذكاري • كان كتاب الصور
هذا قد بعث به هدية إليها مهندس شاب ، كانت قد تعرفت عليه يوما
بصورة عابرة في بلدة المصنع • ولقد قبل هذا الشاب وظيفة في ألمانيا
حتى يستطيع الاعتماد على نفسه بأسرع ما يمكن ، وكان ينتهز كل فرصة
تسنع ليذكر دورا بشخصه • وكان من اليسير أن يدرك المرء أنه كان
يتتوى أن يتقدم يوما لطلب يدها ، عندما يتحسن مركزه • ولكن ذلك كان
يتطلب وقتا ، وكان معناه الانتظار •

ان التجول في مدينة غريبة كان « يحتمه أكثر من سبب » • فهو
يرجع إلى واحد من الأسباب المباشرة في اليوم السابق على الحلم •
كان لدورا ابن عم شاب جاء يقضى الاجازة معهم ، وكان على دورا أن
تطوف به لتريه معالم فيينا • صحيح أن هذا السبب كان بالنسبة إليها
أمرا عديم الأهمية تماما • ولكن زيارة ابن عمها هذا قد ذكرتها بزيارتها

(١) حدث الحلم بعد بضعة أيام من عيد الميلاد • أنظر صفحة ١١٥ •

(٢) وفي الحلم قالت : « أين المحطة ؟ » • وقد حملني الشبه بين

السؤالين على أن أخلص إلى استنتاج سوف أعرض له بعد قليل •

هي الأولى والقصيرة الى درسدن • ففي تلك المناسبة كانت غريبة على المدينة ، وتجولت فيها ، ولم يفتها بطبيعة الحال أن ترور معرض الرسوم الشهير • وكان معهم ابن عم آخر لها يعرف درسدن ، رغب في أن يصحبها كمرشد ويطوف بها معرض الرسوم • ولكنها رفضت ومضت بمفردها ، وكانت تتوقف أمام اللوحات التي ترونها • وتقد ظلت ساعتين أمام لوحة « العذراء » (١) في نشوة حاملة من الاعجاب الصامت • وعندما سألتها عن هذا الذي أعجبها الى هذا الحد في اللوحة ، لم تستطع أن تقدم اجابة واضحة • وأخيرا قالت : « العذراء » •

ما من شك في أن هذه التدايعيات كانت تنتمي في الواقع الى المادة التي كونت الحلم • فهي تشتمل على أجزاء ظهرت من جديد في الحلم بغير تغيير (« رفضت ومضت بمفردها » و « ساعتان ») • ويمكنني أن ألاحظ عن الفور أن « الرسوم » كانت نقطة وصل في شبكة أفكار الحلم عندها (أترسوم في كتاب الصور ، والرسوم في درسدن) • وأحب أيضا أن أبرز على حدة ، بهدف بحث لاحق ، موضوع « المادونا » ، السيدة العذراء • ولكن أوضح شيء في هذا الجزء الأول من الحلم هو أنها كانت تتوحد مع شاب • هذا الشاب كان يتجول في مكان غريب عليه ، وكان يجاهد للوصول الى هدف ، ولكن الصعوبات كانت تعترضه وكان في حاجة الى الصبر ، وكان عليه أن ينتظر • فلو أنها كانت في هذا كله تفكر في المهندس الشاب ، لكان من الملائم أن يكون الهدف امتلاك امرأه ، امتلاكها هي • ولكن بدلا من ذلك كان الهدف هو محطة • ومع ذلك فان للعلاقة بين السؤال في الحلم وبين سؤال دورا في واقع الحياة يخلو لنا الحق في أن نضع « عثبه » مكان « محطة » (٢) • علبة وأمراة : مقومان يتوكلان فعلا بشكل أفضل •

(١) بالانجليزية Sistine Madonna بالفرنسية Madone Sixtine

— المترجمون •

(٢) أن الكلمة الالمانية Schachtel التي استخدمتها دورا في سؤالها للدلالة على « العلبة » هي لفظ تحقير « للمرأة » — هامش الترجمة الانجليزية •

سألت نحو مائة مرة يؤدي هذا بنا الى سبب مباشر آخر للحلم ، وهو في هذه المرة سبب اكثر أهمية نسبيا من سابقة . ففي المساء السابق على الحلم ، كان لديهم بعض الاصدقاء ، وبعد انصرافهم طلب اليها أبوها أن تحضر له الكونياك : فلم يكن يستطيع النوم قبل أن يتناول شيئا من الكونياك . طلبت دورا من أمها مفتاح البوفية ، ولكن أمها كانت مستغرقة في الحديث ، فلم تجبها ، حتى أن دورا صاحت في معالاة من نفاذ الصبر : « لقد سألتك مائة مرة أين المفتاح ! » ولكنها في واقع الأمر كانت قد كررت السؤال نحو خمس مرات فقط (١) .

« أين المفتاح ؟ » هو فيما يبدو لى المقابل المذكر للسؤال : « أين العلبة ؟ » (٢) فهما سؤالان يشيران الى الأعضاء التناسلية .

ومضت دورا تقول أنه أثناء هذا الاجتماع العائلي شرب أحد الحاضرين نخب أبيها ، متمنيا له أن يستمتع بأحسن صحة لسنوات كثيرة . قادمة . الخ . وعندئذ سرت انتفاضة غريبة في الوجه المتعب لابيها ، وقد فهمت دورا أية أفكار كان عليه أن يكبحها . يالللرجل المريض المسكين ! من يدري كم من سنوات العمر ماتزال باقية له ؟

وذلك يضعنا أمام مضمون الخطاب في الحلم . مات أبوها ، وهي قد تركت البيت من تلقاء نفسها . لقد سارعت ، بخصوص هذا الخطاب ، الى تذكير دورا بخطاب الوداع الذي كتبته لابويها ، أو كتبته على الاقل ليطلعا عليه . فهذا الخطاب كان يستهدف إثارة الرعب عند أبيها ، بحيث يتخلى عن مدام ك - ، أو على أية حال الانتقام منه اذا لم يبلغ به الى حد .

(١) في الحلم يردد العدد «خمسة» ، في ذكر فترة الـ «خمسة دقائق» . وفي كتابي عن تفسير الاحلام قدمت أمثلة عديدة تربينا الطريقة التي بها يتناول الحلم الاعداد التي ترد في أفكار الحلم . فكثيرا ما نجد هذه الاعداد مسلوخة من سياقها الواقعي وهي مقحمة في سياق جديد .

(٢) أنظر الحلم الاول ص ٧٥ (الهامش) .

التخلي عنها • اننا هنا امام موضوع موتها وموت أبيها • (قارن : « المدافن » في موضع لاحق من الحلم •) أترانا نخطيء ان نحن افترضنا أن الموقف الذي شكل واجهة الحلم كان أخيويلة أنتقام موجهة ضد أبيها ؟ أن مشاعر الاشفاق عليه ، التي أستشعرتها في اليوم السابق على الحلم ، من شأنها أن تساير ذلك تماما • واليك الدلالة التي يمكن أن تكون لهذه الاخيلة : تركت البيت ، ومضت بين غرباء ، وانفطرت بابيها من الحزن عليها ، ومن الشوق اليها ، وعندئذ يكون قد تحقق لها الانتقام • كانت تفهم بكل وضوح هذا الذي يحتاجه أبوها ، الذي غدا الآن لا يستطيع النوم بغير كأس من الكونياك (١) • ولنتنبه الى ما عند دورا من رغبة ملحة في الانتقام كعنصر جديد ينبغي أن يحسب حسابه في محاولتنا اللاحقة لبناء الأفكار الكامنة للحلم عندها •

و لكن محتويات الخطاب لا بد وأن تكشف أيضا عن محددات أخرى • فما عساه أن يكون مصدر الكلمتين « فلو شئت » ؟ كان عند هذه النقطة أن خطر ببال دورا الأضافة الخيصة بوجود علامة استفهام بعد كلمة « شئت » ، ولم تلبث أن تعرفت على هاتين الكلمتين كنص من خطاب مدام لك — الذي تدعوها فيه الى بلدة ل — عند شاطئ البحيرة • ففي ذلك الخطاب كانت توجد علامة استفهام جاءت بطريقة غير مألوفة تماما في منتصف الجملة بعد العبارة الاعتراضية : « لو شئت أن تحضري » •

فها نحن من جديد هنا بصدد المشهد عند البحيرة والمشكلات المتعلقة به • طلبت الى دورا أن تصف لي المشهد بكل تفصيلاته • في البداية لم تقدم لي قليلا مما يمكن اعتباره جديدا • كان استهلال السيدك — يتسم بشيء من الوقار ، ولكنها لم تدعه يكمل ما كان يريد أن يقوله •

(١) ليس من شك في أن الاشباع الجنسي هو أفضل مفهوم ، تماما كما أن الارق هو دائما تقريبا نتيجة نقص الاشباع • لم يكن أبوها يستطيع النوم لانه كان محروما من الاتصال الجنسي مع المرأة التي يحبها • (قارن في هذا الصدد العبارة التي سنعرض لها فيما بعد : « أن زوجتي لا تمثل شيئا بالنسبة لي ») •

فهي لم تكذ تستشف مرمى كلماته حتى صفعته على وجهه وهزلت مبتعدة • سألتها ماذا كانت كلماته على وجه الدقة • يم تستطع دورا أن تتذكر شيئا غير هذه الذريعة : « أنت تعلمين أن زوجتي لاتمثل شيئا بالنسبة لى » (١) • وكيفا تتجنب الالتقاء به من جديد اعترمت أن تعود الى بلدة ل — سيرا على الأقدام ، بالدوران حول البحيرة ، والتقت برجل فسألته عن الوقت الذى يلزمها للوصول الى بلدة ل — وعندما أجابها « ساعتان ونصف » ، تخلت عن عزمها وقفلت راجعه فى النهاية الى السفينة ، التى ام تلبث أن تحركت • كان السيد ك — فى السفينة هو الآخر ، فاقترب منها وتوسل اليها أن تصفح عنه ، وأن لاتتحدث بشيء ، عما حدث • ولكنها لم تجب بشيء • قالت : نعم • ان الغابة فى الحلم كانت تشبه تماما تلك الغابة عند شاطئ البحيرة •

وتلك الغابة هى التى جرى فيها المشهد الذى فرغت لتوها من وصفه من جديد • ولكنها كانت قد رات فى اليوم السابق نفس الغابة الكثيفة على وجه التحديد ، فى أحد الرسوم بمعرض النزعة الانفصالية (٢) فى الفن • وكان فى خلفية الصورة حوريات (٣) •

عند هذه النقطة تحوّل أحد شكوكى الى يقين • فاستخدام الكلمة الألمانية Bahnhof (مخظة ، وحرفيا : ساحة محطة) (٤) ، والكلمة الألمانية Friedhof (مدافن ، وحرفيا : ساحة طمأينية) للدلالة على

(١) هذه الكلمات سوف تمكننا من فهم إحدى مشكلاتنا •

(٢) بالانجليزية وبالفرنسية Exposition de Secessionist Exhibition le Secession

(٣) هنا للمرة الثالثة نلتقى بكلمة « رسوم » (مناظر مدن ، معرض درسدن) ، ولكنها هنا فى سياق أكثر دلالة بكثير فبسبب ما يظهر فى اللوحة (الغابات ، والحوريات) تتحول الكلمة الالمانية Bitd (صورة) الى Weibsbild (وتعنى حرفيا صورة امرأة — وهى كلمة تحقير للمرأة) •

(٤) هذا الى أن كلمة « محطة » تستخدم لاغراض Verkehr (بمعنى ممارسات غير مشروعة ، واتصال جنسى) • مما يهين البطاقة النفسية للكثير من قوبيئات السكك الحديدية

الأعضاء الجنسية الأنثوية كان بذاته لافتا بدرجة كافية ، ولكن هذا الاستخدام كان من شأنه أيضا أن يتجه باستطلاعي المتحفز الى الكلمة المشابهة ببنائها Vestibulum Verhof دهليز ، وحرفيا :ساحة أمامية - وهو مصطلح تشريحي لجزء بعينه من العضو التناسلي الأنثوى • كان يمكن أن لا يكون ذلك أكثر من تلاعب بالألفاظ يؤدي الى التضليل • ولكن الآن ، اذ تنضاف « الحوريات » اللاتي يظهرن في خلفية « الغابة الكثيفة » ، لم يعد هناك مجال لأي شك • فأمامنا هنا جغرافية رمزية للجنس ! فالكلمة اللاتنية Nymphae (١) ، وهى معروفة عند الأطباء وان لم تكن معروفة عند غير الاخصائيين (بل هى عند الأطباء غير شائعة الاستعمال) ، هى المصطلح الذى يطلق على الشفرين الصغيرين « اللذين يقعان في خلفية « الغابة الكثيفة » لشعر العانة • ولكن غير الاخصائي حين يستخدم مصطلحات فنية من قبيل Nymphae الشفرين الصغيرين « Vestibulum » « الدهليز » فلا بد وأن يكون قد استمد هذه المعرفة من الكتب ، لا من هذه الكتب التى « للجميع » ، بل من الكتب العلمية للتشريح أو من دوائر المعارف - وهذه وتلك هى معين عام للشباب يلجأون اليه حين يكونون نهبا للاستطلاع الجنىسى • فلو صح تفسيرى هذا ، فلا بد عندئذ وأنه تكمن خبيثة وراء الموقف الأول فى الحلم أحيولة فض بكارة أحيولة رجل يجاهد ليخترق العضو التناسلى الأنثوى (٢) •

(١) كلمة Nymphae فى الألمانية تعنى فى نفس الوقت « حوريات »

و « الشفرين الصغيرين » • (هامش الترجمة الانجليزية) •

(٢) أن أحيولة فض البكارة هى العنصر الثانى من نفس هذا الموقف • فالالاح بالاهمية على صعوبة التقدم ، والقلق الذى استشعرته فى الحلم ، يشيران الى مكان الصداه الذى توليه الحاملة لبكارتها - وتلت نقطة جرت أيضا الاشارة اليها فى موضع آخر عن طريق « السيدة العذراء » هذه الافكار الجنسية تشكل نوعا من الخلفية اللاشعورية للرغبات (التى ربما كانت ماتزال بعد خبيثة تماما) المتصلة بخطيبها الذى كان ينتظر فى المانيا • وقد سبق أن تبينا أحيولة الانتقام من حيث هى العنصر الاول لتفس هذا الموقف فى الحلم وهذان العنصران لايتراكبان بشكل تام ، بشكل جزئى فقط • وسوف نلتقى فيما بعد بأثار سلسلة ثالثة من الافكار هى أكثر أهمية -

أفضيت الى دورا بهذه النتائج التي توصلت اليها • ولايد وأن الانطباع الذي أحدثه ذلك عندها كان ملزما اذا اثبتت في التوقطة من الحلم كانت منسية : « ذهبت في هدوء الى غرفتها ، وبدأت تقرأ في كتاب كبير كان موضوعا على مكتبها » (١) • كان الاحاح بالأهمية هنا ينصب على العنصرين « في هدوء » و « كبير » ، في ارتباطهما بـ « كتاب » • سألتها ما أن كان الكتاب في حجم وشكل دائرة المعارف ، فقالت انه كذلك • والمعروف أن الصغار لا يكونون قط « في هدوء » حين يقرأون الموضوعات المحرمة في دوائر المعارف • فهم يقرأونها في خوف وهم يرتعدون ، ونظراتهم زائغة تتطلع من فوق أكتافهم ليستوثقوا من أن أحدا لن ينجأهم • فالآباء يشكلون صعوبة كبيرة أثناء ممارسة الصغار لمثل هذه القراءات • ولكن الحلم ، بفضل ماله من قدرة على تحقيق الرغبات ، قد بدل بصورة جذرية — عن طريق التعبير المجازى — هذا الموقف الاليم فأبوا دورا قدمات ، والآخرون أيضا ذهبوا الى المدافن • فبوسعها أن تقرأ « في هدوء » ماشاءت لها رغبتها • أفلا يعني هذا أن أحد ذوافعها الى الانتقام انما كان تمردها ضد القيود التي يمثها الأبوان ؟ فلو كان أبوها ميتا فسيكون بوسعها أن تقرأ أو أن تحب كما تشاء •

لم يكن بوسع دورا في البداية أن تتذكر أن قد سبق لها قط أن قرأت شيئا في دائرة معارف ، ولكنها تذكرت بعد ذلك أن شيئا من هذا القبيل قد وقع لها ، ولو أنه كان من طبيعة برئية الى حد بعيد • ففي الوقت

(١) في مناسبة أخرى ، بدلا من أن تقول دورا « في هدوء » ، قالت « دون أدنى حزن » • (أنظر هامش ص ١١٦) — بوسعى أن أستخدم هذا الحلم كدليل جديد على صحة الرأي الذى قدمته في كتابى «تفسير الاحلام» (الطبعة السابعة الالمانية ص ٢٨٧ في الترجمة العربية صفحة ٥١٢) • والذى ذهبت فيه الى أن هذه الاجزاء من الحلم التي تكون في البداية منسية فلا يذكرها الحالم الا بعد ذلك ، هي دائما بالنسبة الى فهم الحلم أكثر أجزاءه أهمية • وفي نفس الموضع من كتابى خلصت الى النتيجة التي مؤداها أن نسيان الاحلام لايد وأن نفهمه على أنه نتيجة للمقاومة النفسية الداخلية •

الذي كانت فيه عمتها ، التي كانت دوراً شديدة التعلق بها ، مريضة بشكل خطير ، وكان قد تقرر أن تسافر دوراً اليها في فينا ، وجاء خطاب من عم آخر لدورا ينبؤها أن ليس في استطاعتهم الذهاب الى فينا ، إذ أن أحد ابنائه ، أي ابن عمها ، قد وقع مريضاً بشكل خطير بالتهاب الزائدة الدودية . عندئذ نظرت دورا في دائرة المعارف حتى تتبين أعراض التهاب الزائدة الدودية . وما تزال نذكر مما قرأته الموضع المميز لهذا الأثر في أسفل البطن .

وعندئذ تذكرت أن دورا ، بعد موت عمتها هذه بقليل ، أصابتها في فينا نوبة ، قيل أنها التهاب زائدة دودية . وحتى ذلك الحين لم أجتريء على أن اعتبر هذا المرض نتاجاً من بين نتاجاتها الهستيرية . قالت لي أنها في الأيام القليلة الأولى للنوبة عانت من حمى شديدة ، واستشعرت الألم في أسفل البطن ، على نحو ما قرأت في دائرة المعارف . وقد عملت لها كمادات باردة ، ولكنها لم تقو على احتمالها . وفي ثانی يوم جاءت العادة الشهرية مصحوبة بالألم شديدة . (فمنذ اضطراب صحتها اضطربت مواعيد العادة عندها اضطراباً شديداً) وفي تلك الفترة كانت تعاني بصفة مستمرة من الامساك .

لم يكن من الممكن في الواقع اعتبار هذه الحالة حالة هستيرية صرفه . فإنه وان كانت الحمى الهستيرية أمر يحدث بالتأكيد ، ألا أنه بدأ لي أسرافاً في التعسف أرجاع هذه الحمى المصاحبة لهذا المرض المشكوك في أمره الى الهستيريا ، بدلاً من أرجاعه الى عوامل عضوية كنت تعمل عملها في ذلك الوقت . وكنت أوثك أن أتخلى عن هذا الدرب ، عندما أعاننتي هي نفسها على أن أمضى فيه ، بتقديمها وإضافتها الأخيرة للحلم : « رأيت نفسها بوضوح تام تصعد السلم » .

وطبيعي أنني اقتضيت عاملاً محددًا خاصاً لهذه الواقعة . واعترضت دوراً بأنه كان عليها على أي نحو أن تصعد السلم أن كان لها أن تصل الى شقتها التي كانت في دور مرتفع . وكان من اليسير دحض هذا الاعتراض (الذي ربما لم تكن دوراً تعنيه بشكل جاد تماماً) بأن أبين لها أنها إذا كانت قد استطاعت في حملها أن تسافر من البلدة المجهولة

التي فيينا دون ما سفر في القطار ، فلا بد وأنه كان بوسعها أيضا أن تعفي نفسها من صعود السلم • ومضت دورا تقول أنها يعد التهاب الزائدة الدودية لم تكن تستطيع المشي بشكل عادي ، فكانت تجر قدمها اليميني واستمرت معها هذه الحالة وقتا طويلا ، ولهذا السبب كان يسعدها بشكل خاص أن تتجنب صعود السلالم • وحتى الآن أحيانا ماتجر قدمها • ولقد غلبت الدهشة الأطباء ، الذين استشارتهم بقاء على رغبة أبيها ، ولهذا الظاهرة جد العجيبة التي تخلفت عن التهاب الزائدة الدودية ، خاصة وأن آلامها في أسفل البطن لم تعاودها ، ولم تصاحب بأي شكل جرهما لقدمها (١) •

وعليه ففحن أمام عرض هستيري بمعنى الكلمة • وربما كانت الحمى ترجع الى عامل بدني — وربما كان هو احدى هذه الغوبات جد الشائعة للإنفلونزا التي لا تنصب على أي عضو محدد من البدن • ومع ذلك فقد ثبت الآن أن العصاب قد اقتنص هذه الفرصة السانحة واستغلها للتعبير عن نفسه • وهكذا فان دورا قد صنعت لنفسها مرضا كانت قد قرأت عنه في دائرة المعارف ، وعاقبت نفسها على أنها غاصت في صفحاتها ؛ ولكنها كانت مكرهة على أن تعترف أن العقوبة لا يمكن بحال أن تكون على قراءتها للموضوع البري المذكور آنفا • فلا بد وأن تكون العقوبة قد وقعت نتيجة عملية نقل ، وذلك بعد ما ارتبطت بهذه القراءة البريئة مناسبة أخرى كانت القراءة فيها أمعن في الاثم ، ولا بد وأن كانت هذه القراءة الآثمة تكمن خبيئة في ذاكرتها وراء القراءة البريئة ألمساوقة لها (٢) • بلّ وربما يكون بوسعنا أن نكتشف عن طبيعة الموضوعات التي

(١) ينبغي أن نفترض وجود ارتباط بدني بين الاحاسيس الاليمية في أسفل البطن ، والمعروفة « بالآلام العصبية للمبيض » وبين اضطرابات الحركة في الساق التي في نفس الجانب ، وينبغي أن نفترض أن هذا الارتباط البدني في حالة دورا قد اكتسب دلالة من نوع جد خاص ، بمعنى أنه قد تعبأ بدلالة نفسية خاصة وغدا يعمل في خدمتها • ويرجع القارئ التي ملاحظاتي الماثلة عن تحليل عرض السعال عند دورا ، وعن الارتباط بين الافرازات الجيضاء ومقدان الشهية (الانوركسيا) •

(٢) ذلك مثل نمطى للكيفية التي تنتابها الامراض ابتداء من أسباب مباشرة تبدو في الظاهر وكأنها لا ترتبط على الاطلاق بالجنسية •

قرأت عنها في تلك المناسبة الأخرى •

فما عساها اذن أن تكون دلالة هذه الحالة ، التي تحاكي — علي
طريقة القرود — التهاب البريتوني حول الأعور ؟ أما بقية الأضطراب ،
وهو جر الساق ، فلم يكن ليساير علي الاطلاق التهاب البريتوني حول
الأعور • فلا بد بكل تأكيد وأنه يساير بشكل أفضل الدلالة الخبيثة —
والتي يحتمل أن تكون جنسية — للوحة الكلينية • وهذه الدلالة
الخبيثة لو أمكن الكشف عن مصدرها ، فربما يلقي ذلك بدوره الضوء
علي الدلالة التي تفتش عنها • أخذت أنقب عن وسيلة أدخل بها الي
هذا اللغز • فثمة فترات من الوقت وردت في الحلم ، والوقت بالتأكيد
لا يمكن بحال أن يكون عديم الأهمية في أي حدث بيولوجي • ومن هنا
سألت دورا متى حدثت نوبة التهاب الزائدة الدورية ، وهل كانت قبل
أو بعد مشهد البحيرة • وتبددت كل الصعوبات دفعة واحدة ، حين
أجابت علي الفور : « بعد المشهد بتسعة شهور » • هذه الفترة من الوقت
هي بالتأكيد جد متميزة • فنوبة التهاب الزائدة الدورية المزعومة عند
دورا قد مكنتها في حدود الوسائل المتواضعة التي تحت تصرفها (الآلام
والنزف الطمئي) ، من تحقيق أخيهولة ولادة طفل (١) • وعت دورا
بالطبع دلالة هذه الفترة من الوقت ، ولم تستطع أن تجادل في احتمال
أن تكون — في المناسبة التي نحن بصدها — قد قرأت في دائرها المعارف
عن الحمل والولادة • ولكن ماعلاقة هذا كله بجرها لساقها ؟ بوسعي
الآن أن أجتريء علي حدسه • تلك هي الطريقة التي يمشی بها الناس
حين تلتوى قدمهم • واذن فقد زلت قدمها • الامر الذي يغدو صحيحا
حقا لو أنها أنجبت طفلا بعد مشهد البحيرة بتسعة شهور • ولكن كان
لابد من توفر شرط آخر أصر علي تحققه فإني مقتنع بأن عرضا من هذا
القبيل لا يمكن أن ينشأ الا اذا توفر له نموذج أصلي في الطفولة • فكل
خبرتي حتى الآن تحملني علي أن أنسب برأيي في أن الذكريات الخاصة

(١) سبق أن ذكرت أن معظم الاعراض الهستيرية ، حين تبلغ ذروة
تطورها ، تمثل موقفا متخيلا من الحياة الجنسية — من قبيل مشهد اتصال
جنسي ، أو حمل ، أو ولادة طفل أو فترة نفاس الخ •

بـخبرات السنوات الاكثر حداثة ليس لها من القوة الكافية مايمكنها من أن تتحول الى أعراض • لم أكن أكاد اجترىء على أن امل أن تزودنى دورا بالمعطيات التى أنشدها من طفولتها ، وذلك لأننى لست بعد فى وضع يمكننى من أن أوكد - وبالدرجة التى اتمناها - الصحة المطلقة لهذه القاعدة • ولكن فى حالة دورا جاء على الفور ما يؤكد هذه القاعدة • قالت دورا : نعم ، فقد حدث لها ذات مرة وهى طفلة أن التوت منها نفس القدم ، فقد انزلقت قدمها على إحدى الدرجات وهى تهبط السلم • وتلك القدم - وهى نفس القدم فى الواقع التى كانت تجرها فيما بعد - قد ورمت ، ولزيم ربطها بالأربطة ، واقتضى الأمر أن تترقد فى السرير لبضعة أسابيع • حدث ذلك قبيل نوبة الربو العصبى فى عامها الثامن •

وعلىنا الآن أن نستخلص النتائج التى تلزم عن هذه الأخيولة التى اثبتنا وجودها : « اذا صح أنك اتجبت طفلا بعد مشهد البحيرة بتسعة أشهر ، وأنت مضيت حتى ذلك اليوم تحملين النتائج التى ترتبت على ذلة قدمك ، فالنتيجة التى تلزم عن ذلك هو أنك ولا بد أن تكونى قد أسفت فى اللاشعور للنتيجة التى انتهت اليها هذا المشهد • ومعنى ذلك أنك قد عدلت من هذه النتيجة فى أفكارك اللاشعورية • فأخيولتك الخاصة بانجاب طفل تستند الى فرض مؤداه أن شيئا قد حدث فى تلك المناسبة (١) وأنت قد عشت فى تلك المناسبة ومارست كل شىء مما وجدت نفسك منسافة فى الواقع الى انتهاله فيما بعد من دائرة المعارف • وهكذا فأنت ترين أن حبك للسيد ك - لم ينته بالمشهد ، بل انه (كما قلت لك) مايزال مستمرا حتى اليوم - وان كان صحيحا أنك لاتشعرين به » • - بعد ذلك لم تعد دورا تجادل فى الأمر (٢) •

(١) وهكذا تتكشف أخيولة فض البكارة مرتبطة بالسيد ك - ومن ثم يتضح لنا الآن غلة اشتمال هذا الجزء من الحلم على مادة مأخوذة من مشهد البحيرة - الرفض ، ساعتان ونصف ، الغابة ، الدعوة الى بلدة ل - (٢) قد يحسن هنا أن أقدم بضعة تفسيرات اضافية فضلا عن التفسيرات التى سبق تقديمها : من الواضح أن «المادونا» (السيدة العذراء) =

= كانت هي دورا نفسها ، أولا بسبب « العاشق » الذي بعث اليها بالصور ،
وثانيا لانها حصلت على حب السيد ك - أساسا بفضل الامومة التي أبدتها
لطفليه ، وأخيرا لانها أنجبت طفلا بينما كانت ماتزال عذراء (وفي ذلك
إشارة مباشرة الى أخبولة انجاب طفل) . هذا الى أن تصور « المادونا » ،
يمثل فكرة مضادة حبيبة الى نفوس العذارى اللاتى تعذبن مشاعر الائم
الجنسي ، مما كان متحققا في حالة دورا . وقد اتجه ظني الى هذا الارتباط
لاول مرة عندما كنت أعمل كطبيب في عيادة الطب العقلي بالجامعة . وقعت
هناك على حالة حادة من جنون الخلط مع هلوسات تكشفت فيه النبوة عن
انها رد فعل لتأنيب عانته المريضة من خطيبتها - ولو كان تحليل دورا قد
استمر لكان من المحتمل أن ينكشف حينها الامومي الى طفل كدافع غامض ،
وأن يكن عاتيا ، في تحديد سلوكها - فالاسئلة الكثيرة التي كانت تثيرها
أخيرا بدت وكأنها مشتقات أجلة للاسئلة المستمدة من فهم استطلاعها الجنسي ،
هذا الذي حاولت اشباعه في دائرة المعارف . ومن المحتمل أن تكون
الموضوعات التي قرأتها في دائرة المعارف هي الحمل ، والولادة ، والبيكاره
وما الى ذلك . وفي تكرار سردها للحلم نسيت دورا واحدا من الاسئلة كان
ينبغي تضمينه في سياق الموقف الثاني من الحلم . وهذا السؤال كان
يمكن فقط أن يكون : « هل يسكن السيد - هنا ؟ » أو « أو أين يسكن
السيد ؟ » (أبوها - في الترجمة الفرنسية) ولا بد وأن يكون هناك سبب
ما لنسيانها هذا السؤال البريء في ظاهره ، بعد ماكانت قد ضمنته في
الحلم . يكمن السبب فيما يبدو لي ، في اسم عائلتها ذاته ، الذي كان
يعني في نفس الوقت شيئا بل أكثر من نوع الأشياء ، ومن ثم يمكن اعتباره
كلمة « ملتبسة » . ولأستطيع لسوء الحظ أن أذكر هذا الاسم لابن مدى
صلاحيته للدلالة على « اللبس » و « عدم اللياقة » . وهذا التفسير وجد ما
يدعمه في عثورنا على تلاعب بالالفاظ في جزء آخر من الحلم ، حيث المادة
مأخوذة من ذكريات دورا عن موت عمته « لقد ذهبوا الى المدافن » وحيث
حدث تلاعب مماثل حول اسم عمته . هذه الكلمات غير لائقة تشير فيما
يبدو الى مصدر ثان وشفوي للمعلومات ، اذا ما كان لدائرة المعارف أن
تشتمل عليها . وما كنت لادعش لو سمعت أن هذا المصدر كان هو مدام ك -
نفسها ، الواشيه بدورا . في هذه الحالة تكون مدام ك - هي الشخص
الوحيد الذي أعفته دورا بسخاء ، بينما تعقت الاخرين بانتقامها الماكر .
وراء سلسلة عملية النقل التي لا يحصيها العدد ، والتي كشف عنها التحليل
كان من اليسير أن نتبين فاعلية عامل واحد بسيط وبعبينه هو : حب دورا
المثلى الجنسية والعميق الجذور لمدام ك .

أن الجهود لاستيضاح الحلم الثاني قد استغرقت حتى الآن ساعتين
وفي نهاية الجلسة الثانية ، عندما عبرت لها عن سرورى بالنتيجة التى
توصلنا اليها ، أجابت دورا فى لهجة استهانة « علام ؟ هل تمخض الأمر
عن شيء رائع جدا الى هذا الحد ؟ » وقد هياتنى هذه الكلمات لمقدم
أفصاحات جديدة •

واستهلت الجلسة الثالثة بهذه الكلمات : « هل تعرف أننى هنا اليوم
للمرة الأخيرة ؟ »

— قلت : من أين لى أن أعرف مادمت لم تذكرى لى شيئا عن ذلك ؟

— قالت : نعم • كنت قد عقدت عزمى على أن انتظر حتى رأس
السنة (١) • ولكنى لن أنتظر أكثر من ذلك حتى أشفى •

— قلت : أنت تعرفين أنه من حقك فى أى وقت أن توقفى العلاج •
ولكن بالنسبة الى اليوم فسوف نمضى فى عملنا • متى اتخذت قرارك
هذا ؟

— قالت : منذ أسبوعين ، فيما أظن •

— قلت : ذلك يشبه تماما أسبوعى الانذار من جانب خادمة أو
مربية •

— قالت : كانت هناك مربية عند أسرة ك — أعطتهم انذارها عندما
كنت فى زيارتى لهم فى ذلك الوقت فى بلدة ك — عند شاطئ البحيرة •

— قلت : أحقا ؟ لم تحدثينى قط عنها • فحدثينى •

(١) كان ذلك يوم ٣١ ديسمبر •

— قالت • حسنا • كانت هناك شابة في البيت تعمل مربية للطفلين ، وكان سلوكها ازاء السيد ك — في غاية الغرابه • لم تكن قط توجه إليه تحية الصباح أو تجيب على تسؤلاته ، أو تناوله شيئاً على المائدة عندما يطلبه ، وباختصار كانت تعامله كأنه لا وجود له • ومن ناحيته لم يكن هو بالكاد أكثر أدبا في معاملته لها وقبل مشهد البحيرة بيوم أو يومين انتحت بي الفتاة جانبا ، وأخبرتني بأن لديها ماتقوله لى • وعندئذ أخبرتني بأن السيد ك — قد قام بمغازلتها ، عندما كانت زوجته متغيبه عن البيت لبضعة أسابيع ، أظهر لها حبا عنيفا ، ورجاها أن تستسلم لتوسلاته ، قائلا ان زوجته لاتمثل شيئاً بالنسبة إليه ، وما لى ذلك •

— قلت : ولكن هذه هي نفس الكلمات التي استخدمها بعد ذلك حين طارك حبه ، فصغته على وجهه •

— قالت : نعم • لقد استسلمت له ، ولكنه بعد فترة قصيرة توقف عن أن يهتم بها ، ومنذ ذلك الحين كرهته •

— قلت : وهذه المربية هل أعطت انذار ؟

— قالت : لا • كانت تريد أن تعطى انذارا • قالت لى أنها بمجرد أن استشعرت انصرافه عنها أخبرت أبويها بكل ماحدث • كان أبواها أناساً طيبين يقيمون في مكان مامن ألمانيا • قال أبواها أن عليها أن تترك ذلك البيت على الفور ، وحين لم تفعل ذلك كتبوا اليها يقولان أن ليس لهما بعد ذلك شأن بها ، وأن ليس لها أن تعود اليهما على الاطلاق •

قلت : ولماذا لم تترك البيت ؟

— قائت : قالت انها كانت تريد أن تنتظر بعض الوقت لترى ما أن كان سيطرا شيء من التغيير على السيد ك — وقتلت أنها لم تكن تستطيع أن تحتل الحياة على هذا النحو أكثر من ذلك ، وأنها لو رأت أن مامن تغيير قد طرأ فستعطى انذارها وترحل •

— قلت : وماذا انتهى اليه أمر الفتاة ؟

— قالت : كل ما عرفه أنها رحلت •

— قلت : أو لم تنجب طفلا نتيجة لهذه المغامرة ؟

• قالت : لا

وعليه ، فهنا (وفي مساييرة تماما للقواعد) تبرز الى الضوء وسط

التحليل بعض المعطيات ، فتعينا على حل مشكلات سبقت اثارها •

— عندئذ استطعت أن أقول ادورا : الآن أعرف الدافع الذي حدا

بك الى صفح السيد ك — على وجهه ، كاجابة على مطارحته لك بالحب •

• لم يكن أنك تأذيت مما دعاك اليه ، بل كانت تحركك الغيرة والانتقام •

وعندما كانت المربية تقص عليك حكايتها ، كنت ماترالمين قادرة على

استخدام موهبتك في أن تنحى جانبا كل ماهو غير سار لمشاعرك • ولكن

في اللحظة التي استخدم فيها السيد ك — هذه الكلمات : « أن زرجتى

لا تمثل شيئا بالنسبة لى » — وهى نفس الكلمات التي استخدمها مع

المربية — انطلقت فيك انفعالات جديدة فأمالت كفة الميزان • قلت في

نفسك : « أيجترىء على أن يعاملنى كمربية ، كخادمة ؟ » واذا أضاف

الكبرياء الجريح الى الغيره والى الدوافع الشعورية المنطقية فاض

الكيل (١) • وكيفا أدلك لك على ما كان من تأثرك العميق بقصة المربية ،

(١) انه ليس بالامر العديم الاهمية أن تكون ادورا — فيما يحتمل —

قد سمعت أباهما يردد نفس الشكوى من زوجته ، تماما كما سمعتها أنا

من شفتيه • فقد كانت على وعى تماما بمعزى هذه الشكوى •

دعيني ألغت انتباهك التي المناسبات المتكررة التي تطابقت فيها معها ،
سواء في حملك أو في سلوكك • فقد أخبرت أبويك ؟ بما حدث — وتلك واقعة
كنا حتى الآن غير قادرين على تفسيرها — تماما كما كتبت المريية فأخبرت
أبويها • وقد أعطيتني انذار اسبوعين ، تماما كالمريية • والخطاب في
حلمك الذي سمح لك بالعودة الى البيت ، هو العنصر المقابل لذلك
الخطاب الذي وصل الى المريية من أبويها يحرم عليها العودة الى
البيت •

— قالت : ولكن لماذا لم أخبر أبوي على الفور •

— قلت : كم من الوقت سمحت له أن يمر ؟

— قالت : وقع المشهد في اليوم الأخير من يونيه ، وأخبرت أمي به
في الرابع عشر من يوليه •

— قلت : أسبوعان اذن مرة أخرى — وهي الفترة المميزة للانذار
الذي ينبغي أن تعطيه المريية قبل رحيلها ! والآن بوسعي أن أجييب على
سؤالك ، لقد كنت تنهemin الفتاة المسكينة تماما • لم تكن ترغب في الرحيل
على الفور ، لأنها كانت ماتزال تأمل ، كانت تتوقع أن يعود اليها حب
السيديك — من جديد • ذلك لا بد أيضا هو دافعك الى التأجيل • فقد
انتظرت تلك الفترة من الوقت لتري ما أن كان سيكرن مطارحته لك •
ولو أنه فعل ، لخلصت الى أنه يأخذك مأخذ الجد ، ولا يقصد الى أن
يعبث بك كما فعل مع المريية •

— قالت : بعد رحيلي ببضعة أيام بعث الى بطاقة مصورة (١) •

— قلت : نعم ، ولكن عندما لم يصل اليك شيء بعد ذلك ،

(١) هنا نقطة الوصل مع المهندس الشاب • الذي كان يختبئ وراء
شخص دورا نفسها في الموقف الاول من الحلم •

أطلقت العنان للشاعر الانتقام • بل بوسعى أن أتصور أنك كنت ماتزالين قادرة في ذلك الوقت على أن تضمري قصدا آخر ، إذ تصورت أن اتهامك له يمكن أن يكون وسيلة تحمله على أن يسافر الى حيث نقيمين •

— تفكرت دورا قائلة : كما عرض ذلك بالفعل في البداية •

— قلت : بهذه الطريقة كنت ستطفيين من تلهفك على رؤيتي—
(وهنأ أومأت برأسها موافقة ، الامر الذي لم أتوقعه) ، وكان سبقدم اليك ماترغين فيه من ترضيات •

— قالت : أية ترضيات ؟

— قلت : الواقع أننى بدأت أعتقد أنك كنت تنظرين الى علاقتك بالسيدك — تجدية أكثر بكثير مما كنت على استعداد للتسليم به حتى الآن • ألم يكن السيدك — وزوجته يتحدثان كثيرا في أمر تلاقهما ؟

— قالت : نعم بالتأكيد • كانت مدامك — في البداية لاترغب في الطلاق بسبب الطفلين • أما الآن فهي التي تريد الطلاق ، ولكنه هو لم يعد يرغب فيه •

— قلت : ألم يدر بخاطرك أنه يريد الطلاق من زوجته ليتزوج منك ؟ وأنه الآن لم يعد يريد الطلاق ، إذ ليس لديه من تأخذ مكانها ؟ صحيح أنك منذ عامين كنت جد صغيرة ، ولكنك أخبرتني أنت نفسك أن أمك تمت خطبتها وهي في السابعة عشرة ، ثم انتظرت عامين لتتزوج • والابنة عادة ماتخذ قصة حب أمها أنموذجا لها • وكذلك أنت أيضا أردت أن تنتظريه ، وفهمت الامر على أنه أنما كان ينتظره

فحسب حتى تكبرى بحيث تصلحين لان تكونى زوجه له (١) • وأنى أتصوره
أن تلك كانت خطة جادة تماما للمستقبل كما تريته • وليس لديك حتى
الحق فى أن تستبعدى وجود مثل هذا القصد عند السيد ك — ، لقد
حدثنى عنه بدرجة تكفى لأن تفصح مباشرة عن وجود مثل هذا القصد
عنده (٢) • بل ولم يكن سلوكه فى بلدة ل — ليتعارض مع هذا الرأى •
وفى نهاية الأمر ، فانك لم تدعى له مجالاً ليكمل حديثه ، ولست تعلمين
ماكان يريد أن يقوله لك • وبالصدفة فان تلك الخطة لم تكن مستحيلة
على التنفيذ الى هذا الحد • فعلاقة أبىك مع مدام ك — وربما لهذا
السبب وحده أنك ساندت علاقتهما كل ذلك الوقت — كانت تجعلك
موافقتها على الطلاق أمراً مؤكداً ، أما عن أبىك ، فبوسعك أن تحصلى
منه على أى شىء تريدين • والواقع ، لو أن غوايتك فى بلدة ل —
انتهت نهاية مختلفة ، لكان فى ذلك الحل الوحيد الممكن لجميع الأطراف
المعنيه • وأعتقد أن هذا هو السبب الذى جعلك تأسفين أسفا عميقا
على ما وقع ، وحملك على تصحيحه بالأخيولة التى تجسدت فى صورة
التهاب الزائدة الدودية • ومن هنا فلا بد وأنها كانت خيبة أمل مريرة
بالنسبة لك عندما تتمخض اتهاماتك للسيد ك — عن تحديد مطارحاته
لك ، بل تمخضت بدلا من ذلك عن انكارات واهتراءات من جانبه •
وأنت توافقيننى على أن ما من شىء يثير غضبك قدر الاعتقاد بأن
مشهد البحيرة كان من محض خيالك • وانى أتبين الآن — وهذا هو
ما لاتحيين أن يذكرك به أحد — أنك تصورت أن مطارحات السيد ك
— كانت جادة ، وأنه لمن يمل سعيا اليك حتى تتزوجيه •

كانت دورا تنصت لى دون أن تلجأ الى اعتراضاتها المألوفة

(١) ان موضوع الانتظار حتى يتم الوصول الى الهدف يقع فى مضمون
الموقف الاول من الحلم • وانى اتبين فى هذه الاخيوالة ، أخيوالة انتظار
الرجل لخطيبته ، جزءا من العنصر الثالث المكون لذلك الموقف وقد سبق أن
أشرت بالفعل الى وجود هذا العنصر الثالث •

(٢) وعلى وجه الخصوص ، بعض كلماته الى دورا وهو يهدى اليها
عذبة للاخطابات فى عيد الميلاد ، وذلك فى العام الاخير من اقامتهما فى بلدة ب

كان يبدو عليها التأثير ، وقالت لى وداعا ، بحرارة شديدة ، مع أطيب تمنياتها القلبية للسنة الجديدة ، و . . لم تعد مرة أخرى . ولكن أباه ، الذى حضر لزيارتى مرتين أو ثلاثة بعد ذلك ، أكد لى أنها ستعود ، قائلا أنه من السهل أن يتبين المرء تلهفها على استمرار العلاج . بيد أنه ينبغى الاعتراف بأن أباه لم يكن يوما بحال سليم الطوية تماما . فقد كان يساند العلاج طالما كان يستطيع أن يأمل أننى سأنتى دورا عن اعتقادها بأن هناك شيئا يزيد على الصداقة بينه وبين مدام ك — . وقد خبت حماسه عندما تبين أننى لم أكن أقصد أنى بلوغ هذه النتيجة . كنت أعرف أن دورا لن تعود . فإيقافها العلاج بهذه الفجائية ، فى هذه اللحظة بالذات التى بلغت فيها آمالى فى نهاية ناجحة للعلاج أقصى مايمكن ، واحالتها بذلك لتلك الآمال الى لا شئ — أنما كان من جانبها ، ويشكل لا يخطؤه أحد ، عملا انتقاميا . كما أن دافعها الى إيذاء ذاتها قد وجد فى ذلك مايرضيه . ان الشخص الذى يبتعث من أعماق النفس البشرية كما أفعل ، أسوأ الشياطين نصف المروضة ، سعيا الى مصارعنها ، ليس له أن يتوقع ان يخرج سليما دائما من هذا الصراع .

أترانى كنت احتفظ بالفتاة تحت العلاج لو أننى أنا نفسى لعبت دورا ، لو اننى غالبيت فى أهمية استمرارها فى العلاج بالنسبة لى ، وكشفت عن اهتمام شخصى حار بها — وهو دور كان من شأنه ، حتى على الرغم من انخفاض أثره الذى يمكن أن ينجم عن وضعى كطبيب ، أن يكفل أمدادها ببديل عن الحب الذى كانت تتوق اليه ؟ لست أدري وحيث أن جانبا من العوامل التى تعترضنا فى صورة مقاومة يظل ، فى جميع الحالات ، مجهولا بالنسبة لينا ، فانى قد تحاشيت دائما أن ألعب دورا ، قانعا بدور السيكلوجى الأكثر تواضعا . وعلى الرغم من كل اهتمامتى النظرية ، وكل حرص من جانبى كطبيب على تقديم المعونة ، فانى أضع نصب عيني تلك الحقيقة التى مؤاها أنه لا بد وأن تكون هناك حدود تحدد نطاق استخدام التأثير السيكلوجى ،

وإني احتريم — كواخذ من هذه الحدود — ارادة المريض وعقله .

بل ولست أدري أيضا ما أن كان السيد ك — كان يمكن أن يبلغ الى شيء ، لو كشفنا له عن أن الضفعية التي تلقاها من دورا لم تكن تعنى بحال « لا » بصورة نهائية من جانبها ، وإنما كنت تعبر عن الغيرة التي انبغثت فيها أخيرا ، بينما كانت أقوى مشاعرها ماتزال في جانبه . فلو أنه تغاضى عن « لا » الاولى هذه ، واستمر يلاحقها بعاطفة متأججة لاتدع لها مجالاً لأى شك ، فقد كان من الجائز جدا أن تكون النتيجة انتصارا لخب الفتاة له على كل صعوباتها الداخلية . ولكنى أعتقد أنه كان من الجائز أيضا وبنفس الدرجة أن يثير ذلك فيها الرغبة في أرضاء شهوتها للانتقام منه ، وان يستمر ذلك بنفس الدرجة من العنف . فليس من المستطاع قط أن نحسب في أى اتجاه يتجه القرار في صراع للدواعي : أفى اتجاه ازالة الكبت أم في اتجاه تعزيزه . أن العجز عن أرضاء المتطلبات الواقعية للخب هو واحد من أهم الخصائص الرئيسية للعصاب . فالعصابيون يحكمهم التعارض بين الواقع وبين أخابيلهم اللاشعورية . فما يتوقنون اليه بأقصى شدة في أخابيلهم يهربون منه مع ذلك متى توفر لهم في الواقع ، وهم يستسلمون لأخابيلهم بأقصى طواعية عندما يثقون من استحالته تحققها في الواقع . ومع ذلك فإن الحاجز الذي يقيمه الكبت يمكن أن ينفذ أمام اجتياح أثارة انفعالية عنيفة ناجمة عن سبب واقعي ، فالعصاب يمكن أن يتهزم أمام الواقع . ولكننا لانستطيع بصفة عامة أن نتنبأ : عن طريق أى شخص ، أو عن طريق أى حدث يمكن البلوغ الى مثل هذا الشفاء (١) .

(١) سوف أضيف بضع ملاحظات عن بناء هذا اللحم ، الذي لم يكتمل استيضاحه بدرجة تكفى لمحاولة اقامة وحدته الكلية . ثمة جزء بارز في اللحم هو منه بمثابة الواجهة الامامية ، هو أخبولة الانتقام من الاب : تركت البيت من تلقاء نفسها ، كان أبوها مريضا ، ثم مات . . . ثم عادت الى البيت ، وكان الآخرون جميعا بالفعل في المدافن . دخلت غرفتها . دون =

= أدنى حزن ، وبدأت في هدوء تقراء دائرة المعارف) • وهذا الجزء من مادة الحلم يشتمل أيضا على اشارتين الى فعلها الانتقامي الاخر ، الذي كانت قد نفذته في الواقع ، حين رتبت الامر بحيث يقع أبواها على خطاب وداع منها : (الخطاب - وهو من أمها في الحلم - ، وذكر جنازة العممة التي كانت دائما أنموذجا لها) • ووراء هذه الاخيولة تكمن خبيثة أفكارها الانتقامية ضد السيدك - وهي الافكار التي وجدت لها دورا منصرفا في سلوكها معي : (الخادمة ، الأدعوة ، الغاية ، الساعتان ونصف - كل هذه العناصر مستمدة من المادة المرتبطة بالاحداث في بلدة ل -) • وذكرياتها عن المربية ، وعن الخطابات التي تبادلتها هذه المربية مع أبويها ترتبط بما لا يقل عن ارتباط خطاب وداعها بالخطاب في الحلم وهو الذي يسمح لها بالعودة الى المنزل ، ورفضها أن تدع الرجل يصادقها وتصميمها على أن تمضي بمفردها ربما يمكن ترجمتها الى هذه الكلمات : «حيث أنك عاملنتى كخادمة فلن أحفل بك بعد الان ، سوف أمضى في طريقى بمفردى ولا أتزوج • » ووراء هذه الافكار الانتقامية تتراءى عناصر من أخايبيل الاحنان المستمدة من حب دورا للسيدك - وهو الحب الذى استمر لاشعوريا عندها ••• : (كنت سأنتظرك حتى يكون من الممكن أن أصبح زوجة لك - فض البكارة - أنجاب طفل) • -واخيرا يمكننا أن نتبين أثر المجموعة الرابعة من الافكار ، وهي الأعمق انطمارا ، الخاصة بحبها لمدامك - • وذلك في تصوير أخيولة فض البكارة من وجهة نظر رجل (توحدتها مع عاشقها المهندس الشباب) الذى يعيش في الخارج من الحلم الى أقوال ملتبسة («هل السيد - يسكن هنا ؟ ») والى موضعين من الحلم أقوال ملتبسة (« هل السيد - يسكن هنا ؟ ») والى ذلك المصدر غير الشفوى لمعارفها الجنسية (دائرة المعارف) • وثمة نزعات من القسوة والسادية نجد في هذا الحلم أشباعا •



تذیـل

تذييل

صحيح أنني قدمت هذا المقال على أنه تحليل جزئي ، ولكن ربما يكون القارئ قد تبين أنه من عدم الاكتمال بدرجة أكبر بكثير مما أوحى به اليه هذا العنوان . وعليه يكون من واجبي أن أوضح أسباب هذه الاغفالات ، التي ليست بحال مسألة صدفة .

فبعض نتائج التحليل أغفلت ، اذ كانت في الوقت الذي توقف فيه التحليل أما أنها لم تتم اقامتها بدرجة كافية من اليقين ، أو أنها كانت يتطلب مزيداً من الدراسة قبل أن يكون من الممكن الوصول منها الى أية نتائج عامة ، وفي مواضع أخرى ، حيث بدأ لي ذلك ممكناً ، نبهت الى الاتجاه الذي يمكن لو سلكتناه أن نعثر فيه على حل معين . وقد أغفلت تماماً في هذا المقال فنيات التحليل ، وهي التي لا يمكن فهمها بداهة ، والتي يمكن بفضلها فحسب مع ذلك استخلاص المعادن الصافي للأفكار اللاشعورية القيمة ، ابتداء من المادة الخام لتداعيات المريض . وينطوي هذا على حرمان القارئ - وهو يتابع عرضي لهذه الحالة - من أية فرصة للتحقق من صحة الاجراء الذي اتبعته . ومهما يكن من أمر ، فقد كان من غير العملي تماماً أن أعرض في نفس الوقت لفنيات التحليل وللبناء الداخلي لحالة هستيريا : فما كنت أستطيع بالكاد انجاز مثل هذا العمل ، ولو استطعته لكان النتاج شيئاً تكاد تستحيل قراءته . ففنيات التحليل تتطلب عرضاً مستقلاً تماماً ، حيث يتحتم أيضاًها بعدد من الأمثلة ، تنتج من بين تشكيلة هائلة من الحالات ، وحيث تغفل النتائج التي تم الوصول اليها في كل حالة على حدة . كما أغفلت أيضاً في هذا المقال التأكيد على صحة المسلمات السيكولوجية التي تبرز قائمة وراء وصف الظواهر النفسية . فالمحاولة السطحية في هذا الصدد ما كانت لتنتهي الى شيء ، أما المحاولة السقيمة فستكون بذاتها مجاداً ، وبوسع فحسب أن

أؤكد للقارىء أننى ، دون أن أكون مواليا لأى مذهب سيكولوجى معين ، قد قمت بدراسة الظواهر التى أمدتني بها ملاحظة الأعصبة النفسية وأننى أخذت بعد ذلك فى تعديل وجهات نظرى حتى بدت لى قدرة على أن تتيج فهما لجملة الوقائع التى تمت ملاحظتها • واننى اذ تجنبت كل تأمل نظرى لم اتخذ من ذلك موضع فخر ، فمعطيات فروضى قد تم الحصول عليها بسلسلة من الملاحظات أقصى ماتكون اتساعا واقتضاء للجهد • وربما يتون من شأن اتجاهى الصارم من مسألة اللاشعور أن يثير الامتعاض بصفة خاصة ، إذ أنى أتناول الأفكار اللاشعورية ، وسلسل الأفكار اللاشعورية ، والنزعات الانفعالية اللاشعورية ، على أنها وقائع سيكولوجية لا تقل صدقا ويقينا عن الوقائع الشعورية • ولكن فيما يتصل بذلك ، فانى على يقين من أن أى شخص يشرع فى دراسة نفس هذا المجال من الظواهر ، مستخدما نفس المنهج ، فسوف يجد نفسه مضطرا الى أن يتخذ نفس موقفى ، مهما كثرت اعتراضات الفلاسفة

ان بعض زملائى الأطباء قد اعتبروا نظرتي فى الهستيريا نظرية سيكولوجية خالصة ، واستنادا الى ذلك أصدروا حكمهم عليها يعجزها عن أن تحل مشكلة باثولوجية ، وسوف يتضح لهم ولا شك من هذا المقال أن اعتراضهم يرجع الى أنهم قد حوئوا دون حق الى النظرية ذاتها مايخص الفنيات • فننيات العلاج هى وحدها سيكولوجية خالصة ، أما النظرية فهى لاتغفل بحال التنبه الى أن للأعصبة دعامة عضوية — وأن كان من الصحيح أنها لاتتلقى هذه الدعامة ضمن نطاق التغيرات التشريحية الباثولوجية ، وأنها تضع بشكل مؤقت تصور الوظائف العضوية بدلا من التغيرات الكيماية التى ينبغى أن نتوقع يوما الكشف عنها ، وأن كناما زلنا حتى الآن عاجزين عن الامسك بها • ما من أحد ، فيما أظن ، يميل الى أن ينكر على الوظيفة الجنسية خاصيتها كعامل عضوى ، وهذه الوظيفة الجنسية هى نفسها التى اعتبرها دعامة الهستيريا والأعصبة النفسية عامة • ومما من نظرية عن الحياة الجنسية تستطيع فيما أعقد ، أن تتجنب افتراض

وجود موالد جنسية محددة ذات أثر تهيجي • ومن بين جميع اللوحات الكلينيكية التي نلتقى بها في الطب الكينيكي فان ظواهر التسمم والامتناع فيما يتصل بالاستخدام الادماني لبعض السموم هي التي تشبه أوثق الشبه في الواقع ، الأعصبة للنفسية بمعنى الكلمة •

ومرة أخرى ، فانني لم أعرض في هذا المقال لكل مايمكن أن يقال اليوم عن « المهاودة البدنية » ، وعن البذور الطفلية للانحراف الجنسي ، وعن المناطق الشبقية ، وعن استعدادنا السابق للجنسية الثنائية ، فقد اقتضت على أن ألفت الانتباه الى المواضيع التي يلتقى فيها التحليل بهذه الدعامات العضوية للأعراض • ولم يكن من الممكن أن أفعل أكثر من ذلك في عرضي لحالة فردية • هذا اثنى أن نفس الأسباب التي سبقت الاشارة اليها قد دفعتني الى أن أتجنب العرض السطحي لهذه العوامل • وثمة في هذا الصدد فرصة ثرية لأبحاث أخرى تستند الى دراسة عدد كبير من التحليلات •

ومع ذلك فاني اذ نشرت هذا المقال ، علي ما هو عليه ، من عدم اكتمال ، استهدفت أمرين : اولا ، كنت أرغب في أن أكمل كتابي « تفسير الأحلام » ، وذلك بأن أبين كيف يمكن استخدام هذا الفن (تفسير الأحلام) ، والالكان عديم الجدوى ، للكشف عن الأجزاء الخبيثة والمكبوتة من النفس البشرية • (وبالصدفة ، فاني أثناء تحليلي لحظي دورا ، اللذين يتناولهما هذا المقال ، قد عرضت لفنيات تحليل الأحلام ، وهي شبيهة بفنيات التحليل النفسي) • وثانيا ، كنت أرغب في أن أثير الاهتمام بطائفة بأسرها من الظواهر ، مايزال لعلم حتى اليوم يجهلها جهلا تاما ، وذلك لأنها لايمكن أن تتكشف الا باستخدام هذا المنهج الخاص • فما من أحد ، فيما أعتقد ، كان يستطيع ، قبل هذا المنهج ، أن يبلغ الى تصور صحيح عن مدى تعقد الظواهر النفسية في الهستيريا : تجاور لأكثر النزعات احتلاقا ، وتبعية متبادلة بين الأفكار المتضادة ، وعمليات الكبت والنقل ، الى

غير ذلك • فتأكيد جانيه Janet للأهمية « الفكرة الثابتة » Idée fixe التي تتحول في رؤية الى عرض ، أمر لا يزيد عن أن يكون محاولة جـد هزيلة من جانبه لعمل مخطط أولى • وفضلا عن ذلك ، فإنه لا يمكننا أن نتجنب الاعتقاد بأنه عندما تكون الأفكار — المرتبطة باثارات معينة — عاجزة عن أن تصبح شعورية ، فإن تلك الاثارات لا بد وأن يؤثر بعضها على بعض بطريقة مباينة ، ولا بد وأن تتبع مسارا مباينا ، وتترجم عن نفسها على نحو مباين ، بالقياس الى تلك الاثارات الأخرى التي نصفها بأنها « سوية » والتي ترتبط بها أفكار تصبح شعورية عندنا • ومتى غدت الأمور واضحة بهذه الدرجة ، فليس من عتبة تعترض سبيل فهمنا لطريقة في العلاج تزيل الأعراض العصابية بتحويل أفكار من النوع الأول الى أفكار سوية •

وكنت أيضا تواقا الى أن أبين أن الجنسية لا تدخل ببساطة ، كعصا سحرية ، في مناسبة واحدة ، وفي نقطة مامن احتمال العمليات التي تميز الهستيريا ، بل أنها مصدر القوة الدافعة لكل عرض من الأعراض ، ولكل مظهر من مظاهر العرض الواحد • فأعراض المرض ليست شيئا آخر غير النشاط الجنسي للمريض ، ويستحيل على حالة فردية واحدة أن تقتدر على اثبات نظرية في عمومية مثل هذه النظرية ، ولكنى لايسعنى الا أن أعيد وأعيد القول — لأئننى أبدا ماوجدت الأمر على غير ذلك — بأن الجنسية هي المفتاح لمشكلة الاعصبة النفسية والأعصبة بعامة • وما من أحد يرفض المفتاح بمستطيع قط أن يفتح الباب • وما زلت انتظر أنباء عن أبحاث يكون بوسعها أن تدحض هذه النظرية ، أو أن تحد من مجالها • فما سمعته حتى الآن ضدها انما كان تعبيراً عن نفور شخصى أو ارتياب شخصى • على هؤلاء يكفى أن أجيب بكلمات شاركو : « هذا لايمنع من وجودها » •

وكذلك فإن الحالة التي انشر هنا جانباً من تاريخها المرضى وعلاجها ، ليست من هذه الحالات التي تتيح لنا أن نشين الأبعاد

الحقيقية لقيمة العلاج بالتحليل النفسى • فليس فقط قصر فترة العلاج (الذى استمر بالكاد ثلاثة أشهر) ، بل أيضا عامل آخر ينتسب الى طبيعة الحالة ، قد حال دون تحقيق تحسن كهذا الذى يبلغ الى تحقيقه فى حالات أخرى ، حيث يعترف المريض بالتحسن ويعترف به أقاربه ، وحيث يكون التحسن شديد القرب بدرجة أو أخرى من الشفاء الكامل • ولكن النتائج الباعثة على الرضا من هذا القبيل يكون البلوغ اليها عندما تكون الأعراض فى تكوينها وبقيائها ، راجعة فحسب الى الصراع الداخلى بين النزاعات المتعلقة بالجنسية • فى مثل هذه الحالات تتحسن حالة المريض بقدر مانعنه على حل مشكلاته النفسية ، وذلك بتحول المادة المولدة للمرض الى مادة سوية ويكون مسار الأحداث مختلفا تماما اذا ما أصبحت الأعراض تعمل فى خدمة دوافع خارجية خاصة بحياة المريض ، على نحو ما حدث مع دورا خلال العامين الاخيرين • ومما يبعث على الدهش ، وهو ما يمكن بسهولة أن يضلنا ، أن نجد أن حالة المريض لاكتشف عن أى تغير ملحوظ ، حتى وان كان قد تحقق تقدم كبير فى العمل التحليلي • ولكن الأتشاء لا تكون فى واقع الأمر بالسوء الذى تبدو عليه • صحيح أن الأعراض لا تختفى أثناء سير العمل التحليلي ، ولكنها تختفى بعد ذلك بفترة وجيزة ، عندما تتلاشى العلاقات بين المريض والطبيب • فتأخر الشفاء أو التحسن يرجع فى الواقع فقط الى شخص الطبيب ذاته •

ويتحتم على أن أرجع قليلا الى الوراء ، حتى أجعل هذا الأمر مفهوما • يمكن القول بصفة عامة أن تكوين أعراض جديدة دائما ما ينتوقف أثناء العلاج التحليلي ولكن القدرة الانتاجية للعصاب لا تكون بحال منطفئة ، بل تنصرف الى استحداث حالات نفسية جد خاصة ، غالبا ما تكون لاشعورية ، وبوسعنا أن نسميها « تحويلات » •

فما عساها أن تكون التحويلات ؟ هى طبيعات متكررة ، أو تسليخ طبق

الأصل ، للنزعات والاضطرابات التي يتحتم أن تبتعث وتصبح شعورية أثناء تقدم التحليل ، ولكن التحويلات لها هذه الخاصية العجيبة التي تميز نوعيتها ، ونعني وضعها شخص الطبيب مكان شخص أبكر . وبتعبير آخر : فان سلسلة بأسرها من الخبرات النفسية تعاش من جديد ، لا على أنها تنتمي الى الماضي ، بل على أنها تنصب على شخص الطبيب في اللحظة الراهنة . وبعض هذه التحويلات لا يختلف مضمونها في شيء عن النموذج الأصلي الا من حيث ابدال الشخص فهذه التحويلات هي اذن — مستخدمين نفس الاستعارة — مجرد طبقات متكررة أو نسخ طبق الأصل . بينما هناك تحويلات أخرى أكثر براعة في بنائها ، فالمضمون فيها قد تعرض لتأثير ملطف — لتأثير الاعلاء كما أسميه — بل أنها قد تغدو شعورية استنادا الى استغلال بارع منها لخاصية واقعية في شخص الطبيب أو في ظروفه ، فتربط نفسها بها . هذه التحويلات لن تكون طبقات متكررة ، بل هي طبقات منقحة .

ولو مضينا ممعنين في فنيات التحليل فسوف يغدو واضحا أن التحويل ضرورة يستحيل تجنبها . فالخبرة العملية على الاقل تثبت بطريقة ملزمة أنه مامن وسيلة لتجنبه ، وأن هذا النتاج الأخير للمرض يتحتم محاربتة تماما ككل نتاجاته الباكرة . ولكن هذا الجانب من العمل التحليلي هو بما لا يقاس أكثرها مشقة . فمن اليسير أن يتعلم المرء تفسير الأحلام ، وأن يستخلص من مستدعيات المريض أفكاره اللاشعورية ، وذاكرياته اللاشعورية ، وأن يمارس مثل هذه الفنون التأويلية . فالمادة اللازمة لذلك سوف يقدمها المريض بنفسه دائما . أما التحويل فهو الشيء الوحيد الذي يتحتم على المحلل أن يستشف وجوده دون مامعونة في الغالب من المريض ، وليس لديه الا أبهت الآثار ليقنتيها ، بينما يتحتم عليه في الوقت أن يتجنب خطر الانزلاق الى استنتاجات تعسفية . ومع ذلك ، فالتحويل لا يمكن تجنبه ، اذا جرى استغلاله من جانب المريض لاقامة كل العقبات التي تجعل المادة

غير متاحة للعلاج ، واذ لا يبلغ المريض الى شعور بالاقتناع بصحة الارتباطات التي أعيد بناؤها أثناء التحليل الا بعد أن يكون التحويل قد تم تحليله .

وقد يستشعر البعض ميلا الى اعتبار التحويل عقبة خطيرة تنضاف الى طريقة هي على أية حال مضمّنة بدرجة كافية ، بحيث يكون من شأن هذا التحويل أن يزيد من عناء الطبيب باستحداثه أنواعا جديدة من النتائج النفسية الباثولوجية . بل وقد يجد هذا البعض اغراء في أن يتأدى من وجود التحويل الى أن المريض سوف يصيبه الضر من طريقة التحليل . وهذان الزعمان كلاهما خاطيء فجهود الطبيب لاتزيد بسبب التحويل . فلا يختلف الأمر بالنسبة اليه سيات كان عليه أن يتغلب على أية نزعة معينة يستشعرها المريض تجاهه هو (الطبيب) أو تجاه أى شخص آخر . وكذلك فان العلاج التحليلي لايفرض على المريض ، في صورة التحويل ، أية مهام جديدة ما كان بغير ذلك أن يضطلع بها . واذا كان صحيحا أن الأعصبة يمكن شفاؤها في مصحات تستبعد طريقة العلاج بالتحليل النفسى ، وكان صحيحا أن الهستيريا يكون شفاؤها لابلطريقة ولكن بالطبيب ، وكان صحيحا أن نوعا من التبعية العمياء ومن التعلق الدائم يكشف عنه المريض تجاه طبيبه الذى أزال له الأعراض بايحاء التتويم الغناطيسى، فان التفسير العلمى لكل هذه الوقائع يكمن في « التحويلات » التي يعيشها دائما المرضى تجاه أطبائهم . ان علاج التحليل النفسى لا يخلق التحويلات ، ولكنه فحسب يكشف عن وجودها ، كما يكشف عن وجود كثرة كثيرة من العوامل الأخرى الخبيثة . والاختلاف الوحيد بين العلاجات الأخرى والتحليل النفسى هو كما يلي : أن المريض خلال العلاجات الأخرى لا يستدعى — وذلك بشكل تلقائى — الا التحويلات الودودة والصدوقة خدمة لشفائه ، ولكن حين لانتأتى هذه التحويلات فان المريض يستشعر الطبيب ثقيل الظل بالنسبة اليه ، وينفصل عنه دون أن يتأثر به . والأمر على العكس في التحليل

النفسي ، فبالنظر الى أن عمل الدوافع مختلف ، فان كل نزعات المريض ، بما في ذلك النزعات العدائية ، تبتعث • وعندئذ يجري استخدامها لأغراض التحليل بجعلها شعورية ، وبهذه الطريقة يتتابع أولا بأول تحطيم التحويل • فالتحويل الذي وكأنه قد كتب له أن يكون أعتى العقاب في وجه التحليل النفسي يصيح أقوى حليف له ، اذا ما أمكننا أن نستشف وجوده في كل مرة ، وأن نكشف للمريض عن دلالاته (١) •

لقد وجدتني مضطرا الى أن أتحدث عن التحويل ، اذ بهذا العامل وحده أستطيع أن أوضح الخصائص الخاصة بتحليل دورا • أن أكبر ميزة في هذه الحائثة من التحليل ، وهي على التحديد وضوحها غير العادي الذي يجعل منها حالة جد ملائمة لأن تكون أول عمل ينشر كمدخل للتحليل النفسي ، لهي جد وثيقة الارتباط بأكبر عيب لها ، والذي تأدى الى توقف التحليل قبل أوانه • لم أنجح في السيطرة على التحويل في الوقت الملائم • فبالنظر الى ما كان من تلف دورا على أن ترودني أثناء العلاج بجانب من المادة المولدة لمرضها ، فقد فاتني أن أحرص على التفتيش عن البوادر الأولى للتحويل ، الذي كان يتولد عند دورا بفضل جانب آخر من نفس هذه المادة — وهو جانب ظلت أجهله • كان من الواضح في البداية أنني كنت آخذ مكان أبيها في خيالها ، وهو أمر يسهل تصوره بالنظر الى فارق العمر بيني وبينها • بل أنها كانت شعوريا لاتنقطع عن مقارنتي بأبيها ، وظلت في لهفة تحاول أن تستوثق مما أن كنت صريحا تماما معها ، اذ أن أياها — على حد قولها — كان « يفضل دائما عدم الصراحة والطرق الملتفة » • ولكن عندما جاء الحلم الأول ، وهو الذي أعطت فيه لنفسها انذارا بأنه من الأفضل لها أن تترك العلاج على يدي ، تماما كما سبق لها أن تركت بيت السيدك — ، كان يتهم علي أن أضغى أنا نفسي لهذا الانذار • كان ينبغي أن أقول

(١) (ملحوظة إضافية عام ١٩٢٣) — ان استقرسالا في هذه الملاحظات عن التحويل يوجد في مقالتي الفني عن «عشق التحويل» ، ١٩١٥ (المقالات المجمعة، المجلد الثاني) •

لها حينذاك : « ان مشاعرك تجاه السيد ك — قد طرحتها الآن علي •
فهل لاحظت شيئا يجعلك تعتقدين في وجود مقاصد سيئة عندي شبيهة
بمقاصد السيد ك — (سيان في صورة مكشوفة أو في صورة من صور
الاعلاء) ؟ أو ترى هل راعك شيء من جانبي أو سمعت شيئا عنى
استولى على خيالك ، كما حدث لك من قبل مع السيد ك ؟ » عندئذ كان
انتباهها سيئجه الهج واقعة جزئية ماتتصل بعلاقتنا أو تتصل بشخصى أو
بظروفي ، واقعة جزئية يكمن وراءها شيء مماثل — وان يكن أكثر أهمية
يما لايقاس — يتعلق بالسيد ك — ومتى تمت تصفية هذا التحويل ، يكون
التحليل بذلك قد وجد طريقه الي ذكريات جديدة تتعلق أغلب الظن
بأحداث واقعية • ولكنى أغفلت هذا الانذار الأول ، ظنا منى أنه مايزال
أمامى متسع من الوقت ، اذ لم تظهر أطوار أخرى جديدة من التحويل ،
ولم تكن مادة التحليل قد نضبت • وهكذا أخذنى التحويل على غرة ،
وبسبب هذا القدر المجهول فى شخصى الذى يذكر دورا بالسيد ك ،
انتقمتم منى اذ أرادت أن تنتقم منه ، وتركتنى ، اذ كانت تعتقد أنها
أنخدعت وانتركت من السيد ك — • وهكذا « فعلت » جانبا أساسيا من
ذكرياتها وأخايلها بدلا من أن تتكلم به فى جلسات علاجها • فما عساه
كان هذا « المجهول » ؟ أنى بالطبع لا اعرف • انبى افترض أنه كان
شيئا يتصل بالمال ، أو بالغيرة من مريضة أخرى ظلت على صلة بأسرتى
بعد شفائها وعندما يكون من الممكن ادماج التحويل ضمن التحليل فى
مرحلة باكرا ، فان التحليل يتتابع أكثر ببطء وأقل وضوحا ، ولكنه
بذلك يصبح أكثر حصانة ضد المقاومات الفجائية والعائية •

وفى الحلم الثانى لدورا توجد اشارات واضحة عديدة للتحويل •
ففى الوقت الذى كانت تقص على هذا الحلم لم أكن أعرف بعد (ولم
أعرف ذلك إلا بعد يومين) أن ليس أمامنا غير ساعتين من العمل •
كانت هذه هى نفس الفترة من الوقت التى قضتها أمام صورة
« المادونا » (العذراء) ، وكانت أيضا هى نفس الفترة (باجرائها
تصحيحا ، ووضعها « ساعتين » بدلا من « ساعتين ونصف ») التى

اعتبرتها لازمة للدوران الذى لم تقم به حول الحيرة • ونضالها للوصول ، وانتظارها فى الحلم ، اللذان يرتبطان بالمهندس الشاب فى ألمانيا ، واللذان يرجع أصلهما الى انتظارها حتى يتمكن السيد ك - من أن يتزوجها ، قد تترجما كلاهما فى التحويل قبل ذلك بأيام قليلة • والعلاج ، فيما تصورت ، كان مسرف الطول بالنسبة لها ، ولم يكن فى وسعها بحال أن تنتظر كل هذا الوقت • ومع ذلك فانها فى الأسابيع القليلة الأولى كانت منطقية بحيث أنصتت دون أى اعتراض عندما أخبرتها أن شفاءها الكامل ربما يتطلب عاما • ورفضها فى الحلم أن يصحبها الرجل ، وتفضيلها أن تمضى بمفردها ، أنما يرجعان أيضا بأصلهما الى زيارتها لمعرض الرسوم فى درسدن ، وكان على أنا نفسى أن أعانيهما فى اليوم المحدد • ان مايعنيانه كان ولاشك : « ان الرجال كلهم من الشناعة بحيث أفضل أن لاأتزوج ، ذلك هو انتقامى » (١) • أن حفزات القسوة ودوافع الانتقام ، التى سبق أستخدامها بالفعل فى تكوين الأعراض عند المريضة : اذا ماحولت على الطبيب أثناء

(١) (ملحوظة عام ١٩٢٣) : كلما طال الوقت الذى يفصلنى عن نهاية التحليل، ازداد اعتقادى فى أن خطئى فى الفتيات انما كان يَحصر فى هذا الاغفال : لقد فشلت فى أن اكتشف فى الوقت المناسب، وفى أن أخبر المريضة أن حبها المثلى الجنسية (المولع بالنساء) لمدام ك - كان أقوى النزعات اللاشعورية فى حياتها النفسية • كان ينبغى على أن استشف أن المصدر الرئيسى لمعارفها فى المسائل الجنسية لايمكن أن يكون أحدا غير مدام ك - وهى نفس السيدة التى اتهمت دورا فيما بعد بالولع بهذه المسائل نفسها • كانت معرفتها بكل شئ عن هذه المسائل، وفى نفس الوقت ادعائها دائما بأنها لاتعرف من أين أتت بمعارفها هذه ، من الامور جد اللافتة حقا • كان يتحتم على أن أبادر الى تناول هذا اللغز، فافتش عن الدافع الى هذا الكبت الفريد • ولو أتى فعلت ذلك لكان الحلم الثانى قد أعطانى الجواب • فشهوة الانتقام الجارفة التى عبر عنها هذا الحلم كانت - أكثر من أى شئ آخر - ملائمة لاختفاء النزعة المضادة : النسخاء الذى به غفرت خيانة الصديقة التى تحظى بحبها (أى بحب دورا) ، والذى به أخفت عن كل شخص حقيقة أن هذه الصديقة هم نفسها التى أطلعتها على المعارف التى غدت فيما بعد أساسا للاتهامات التى انصبت عليها (أى دورا) • وقبل أن أتبين أهمية النزعة الثالثة الحسنة عند العصائيين النفسيين، كثيرا ما كانت أجدنى عاجزا عن التقدم فى علاج مرضاى ، أو أجدنى فى حيرة تامة •

العلاج ، قبل أن يكون لديه الوقت الكافي لبيعدها عن نفسه بارجاعها الى أصولها ، فعندئذ ليس لنا أن ندهش اذا مابقيت حالة المريضة على ما هي عليه ، دون أن تتأثر بالجهود العلاجية للطبيب • فاية طريقة تتيح للمريضة أن تنتقم من طبييها أفضل من أن تجعله يتبين في شخصها مدى عجزه وانعدام حيلته ؟ ومع ذلك فليست أميل الى أن أعالى في التقليل من قيمة النتائج العلاجية حتى في حالة من التحليل الجزئى كحالة دورا هذه •

لم تصلنى أية أخبار عن حالة مريضتى وعن نتائج علاجى لها الا بعد مرور خمسة عشر شهرا من توقف العلاج وكتابتى لهذا المقال • ففى يوم لايمكن أن يكون تاريخه عديم الأهمية تماما ، وهو الأول من أبريل (فالأوقات والتواريخ ، كما نعلم ، لم تكن بحال عديمة الدلالة بالنسبة لها) ، حضرت دورا الى من جديد : لتكمل قصتها وتطلب منى أن أساعدها من جديد • ومع ذلك فنظرة واحدة الى وجهها كانت كافية لتبين لى أنها لم تكن جادة فى طلبها • لقد ظلت — على حد قولها — طيلة أربعة أو خمسة أسابيع بعد توقف العلاج « مقلوبة الحال رأسا على عقب » • ثم بدأ بعد ذلك تحسن كبير ، تبادعت نوباتها وارتفعت معنوياتها • وفى مايو من ذلك العلم توفى أحد طفلى السيدك (وقد كان دائما معتلا) • وانتهزت فرصة مصابهم هذا لتذهب اليهم فى زيارة عزاء ، وقد استقبلها وكأن شيئا لم يحدث فى السنوات الثلاث السابقة • تصالحت معهما ، وانتقمت منهما ، وانتهت الى نتيجة تبعثها على الرضا • قالت للزوجة: « أنى أعرف أنك على علاقة بأبى » ، فلم تتكر الزوجة ذلك • أما عن الزوج فقد حصلت منه على اعتراف بمشهد البحيرة ، الذى كان قد جادل فى أمره • ثم حملت أنباء أنتقامها الى أبيها فى البيت • ومنذ ذلك الحين لم تستأنف علاقتها مع تلك الأسرة • واستمرت دورا بعد ذلك فى صحة جيدة حتى منتصف أكتوبر ، حين انتابنها نوبة جديدة من فقدان الصوت ، أستمرت معهما ستة

أسابيع • دهشت لهذا النبأ ، وعندما سألتها ما أن كان هناك أى سبب مشير ، أجابتني بأن النوبة جاءت في أعقاب رعب عنيف • فقد رأت شخصا تدوسه عربة • وأخيرا خرجت بالحقيقة ، وهى أن الحادث لم يقع لشخص آخر غير السيد ك — نفسه • فذات يوم التقت به في الطريق ، وكان ذلك في مكان يزدحم بالمرور ، توقفت أمامها في حالة من الارتباك ، وفي هذه اللحظة من شرود البال دهمته عربة (١) • وكان يوسعها مع ذلك أن تقنع نفسها بأنه قد خرج من الحادثة دون اصابة خطيرة • وكانت ماتزال تستشعر انفعالا هينا اذا سمعت أحدا يتحدث عن علاقة أبيها بمدام ك — ، ولكنها فيما عدا ذلك لم تكن تتحدث بالأمر • كانت مستغرقة في دراستها ، ولم تكن تفكر في الزواج •

ومضت تخبرني بأنها جاءت تطلب مني أن أساعدها بخصوص ألم عصبى في النصف الأيمن من وجهها ، كانت تقاسى منه ليل نهار •

— سألتها : منذ متى بدأ هذا الألم ؟

— أجابت : منذ أسبوعين تماما (٢) •

لم أتمالك نفسى من الابتسام ، اذا استطعت أن أبين لها أنها لا يبد وأن تكون منذ أسبوعين تماما قد قرأت نبأ خاصا بى في الصحف • (كان ذلك عام ١٩٠٢) • وقد أكدت لى ذلك (٣) •

وهكذا فان ألمها الوجهى الكاذب كان عقوبة ذاتية — تانييا لانها لكمت مرة السيد ك — على أذنه ، ولأنها طرحت مشاعرها الانتقامية

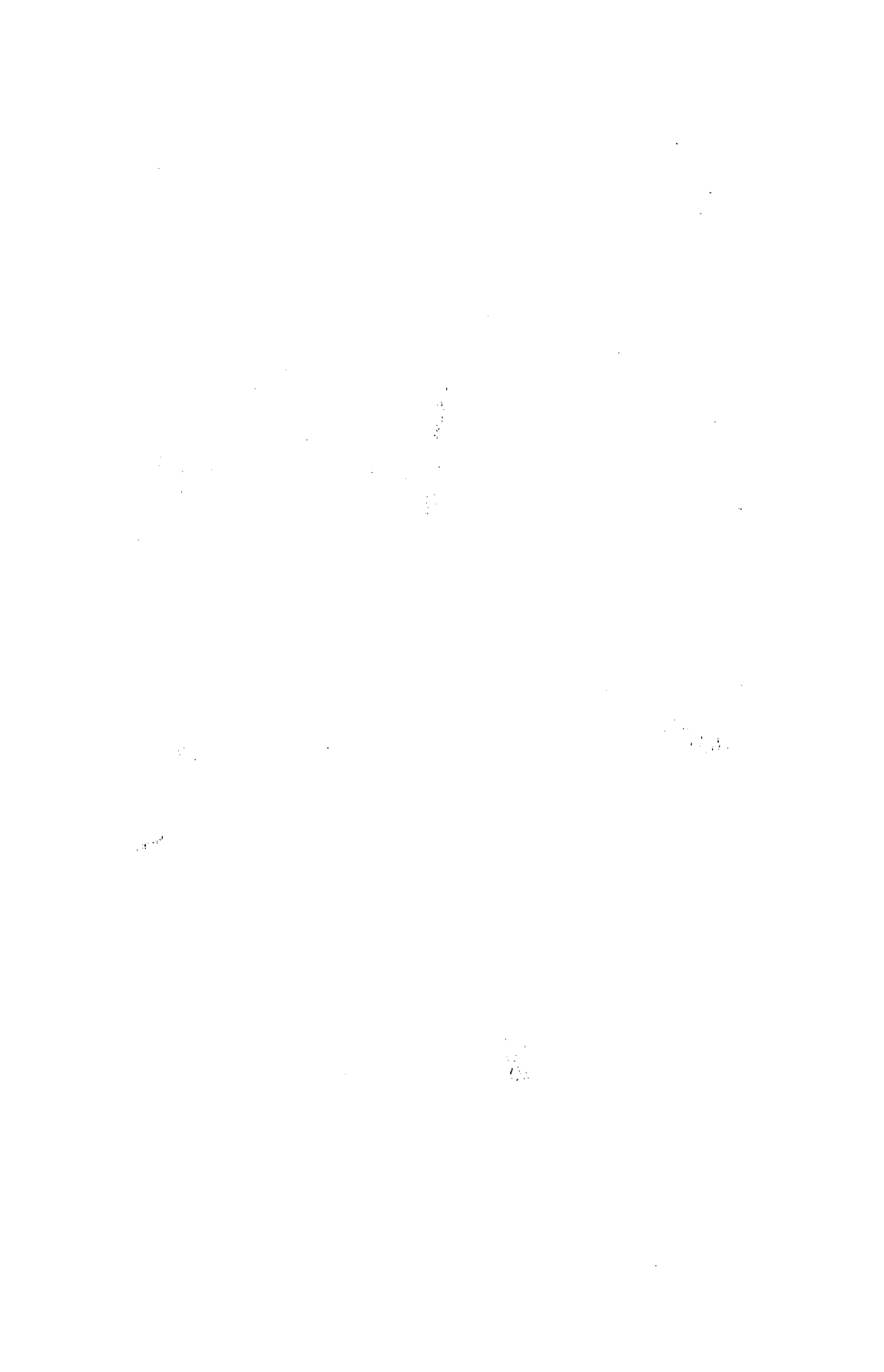
(١) نقدم تلك الحالة اسهاما طريفا في مشكئة المحاولات غير المباشرة للانتحار ، وهى التى ناقشتها في كتابى : «سيكوباتولوجيا الحياة اليومية» •

(٢) فيما يتصل بدلالة هذه الفترة من الوقت ، وعلاقتها بموضوع الانتقام ، انظر تحليل الحلم الثانى •

(٣) لاشك أن هذا النبأ هو تعيين فرويد أستاذا بالجامعة • عن الترجمة الانجليزية في • Stand. Ed.

على شخصى ، لم أكن أدرى أى نوع من المساعدة تريده منى ، ولكنى
وعدتها أن أغفر لها أنها حرمتنى من متعة تخليصها من مرضها بشكك
أكثر أكتمالا •

ومضت السنون بعد زيارتها تلك • وأثناء ذلك تزوجت الفتاة ،
وتزوجت فى الواقع — اللهم الا أن تكون كل الإمارات قد خدعتنى —
من ذلك المهندس أشاب الذى ورد فى تداعياتها فى بداية تحليل الحليم
الثانى • وكما ان الحلم الأول كان يمثل تحولها عن الرجل الذى تحبه
الى أبيها — أى هروبها من الحياة الى المرض — فكذلك كان الحلم الثانى
يعلن أنها توشك أن تنتزع نفسها متحررة من أبيها لتسترددها الحياة من
جديدة •



ثبت مصطلحات

ثبت مصطلحات

displacement	نقل
déplacement	
character disorder (s)	اضطراب الشخصية
trouble (s) du caractère	
leucorrhoea	افرازات بيضاء ، لوكوريا
leucorrhée	
depression	اكتئاب
dépression	
perityphlitis	التهاب بريتونى حول الأعوزا
pérityphlite	
appendicitis	التهاب الزائدة الدودية
appendicite	
catarrh	التهاب (الغشاء المخاطى)
	(كلمة وصل تشير الى الزكام كما تشير الى الافرازات البيضاء المهبلية)
catarrhe	
ovarian nevtalgia	ألم المبيض (العصبى)
ovarite	
gastralgia	ألم المعدة (العصبى)
gastralgie	

reversal of affect	أمنيزيا (انظر : نسيان)
interversion de l'affect	انقلاب الوجدان (ميكانيزم)
paramnesia	بارامنيزيا ، ذكرى كاذبة
paramnésie	
	امثال يظهر خطأ على أنه ذكرى ، مما نلتقى به في « وهم رأيته من قبل » الخ (بيرون)
anamnesia	تاريخ المرض وماضى المريض
anamnèse	
	جملة المعلومات التي تحصل عليها باستخبار الشخص عن ماضيه وتاريخ مرضه (بيرون)
conversion	تبدين • هستيريا التبدين
	مرض نفسى يخصصه التعبير العضوى عن الصراعات اللاشعورية أنظر : هستيريا •
ovner - determination	التحتيم بأكثر من سبب
surdéterminisme	
reactive reinforcement	تعزيز مضاد
renforcement de réaction	
coitus interruptus	الجماع المقطوع
coit interrompu	
homosexuality	جنسية مثلية
homosexualité	

tabes خراع • تهزع المشية • اتاكسيا حركية (شرف)

screen - memoyr

ذكرى حاجبة

souvenir écran

housewife's psychosis

ذهان الزوجة الخدامة

psychose de la menagère

neuro - psychosis

ذهان عصبي

neuropsychose

tussis nervosa

سعال عصبي

nervous coughing

toux nerveuse

hypnoid state

شبه نوم مغناطيس (حالة)

état hypnolde

حالة تشبه الحالات الهنية من النوم المغناطيسي ، ولكن يتم احداثها
بوسائل غير المستخدمة في التنويم المغناطيسي (وارين)

tabo - paralysis

شكل الخراع

peneral paralysis

الشلل العام

paralysie générale

مرض عقلي يرتبط باصابات المخ الراجعة الى الأزهرى ، ويتميز
بتضاؤل عقلي عام ، وباضطرابات هذيانية ، مع أوهام عظيمة في الغالب ،
وارتعاش واضح في اللسان والأصابع وملامح مختلفة عصبية ومزاجية
مميزة • كان مستحيلا على الشفاء في الماضي ، ولكن يشيع الآن شفاؤه
بالعلاج الملائم في مرحلة باكرة • (بيرون) •

idealisation	الصبغ بالمثالية • إسباغ المثالية
idéalisation	
hemicranis, hemicranial headache	صداع نصفي
migraine	
transference	تحويل
transfer	
dyspnea, dyspnoea	عسر التنفس
dyspnée, gêne respiratoire	
symptomatic act	فعل أعراضي
acte symptomatique	
aphonea	فقدان الصوت
aphonie	
medical discretion	الكتمان الطبي
discretion médicale	
paranosic gain, primary advantage	الكسب الأولي (من المرض)
profit primaire	
epinosic gain, secondary advantage	الكسب الثانوي (من المرض)
bénèfice secondaire	
self-reproach	لوم ذاتي • ندم
reproche à soi - même	
antiluetic, antisymphilitic	مضاد للزهري

hydrotherapy
hydrothérapie

المعالجة بالمياه

path of association
voie associative

ممر للتداعي

somatic compliance
complaisance somatique

المهاودة البدنية

amnesia
amnésie

نسيان ، فجوة ذاكرة

pathogenesis
pathogenie

نشوء المرض

confusional attack
accès de confusion mentale

نوبة خلط عقلي

اصابة عامة ، وغائبا وقتية ، للوظائف النفسية ، تتميز بحالة من العتامة الذهنية ، وبتضاؤل الوعي ، واضطراب الادراك الخ • ويترتب على ذلك عجز عن التوجه في الزمان والمكان ، و اضطرابات غائرة في الذاكرة ، وغالبا مايصحبها قلق وهلوسات بصرية شبيهة بالحلم • وتتميز عن الجنون بوعي المريض النسبي باضطرابه وبالجهد الذي يبذله للتكيف مع العانم الخارجى • ولارتباط الخلط العقلى غالبا بعدوى أو بتسمم فانه يقبل الشفاء بازالة السبب أو بالعلاج بالصددمات ، كما يمكن أن يصبح مزمنًا (صورة من الجنون الباكر) • (بيرون) •

dellricous state
état délirant

هذيان (حالة)

cachexia marasmus
cachexie

هزال (شرف)

hysteria
hystérie

هستيريا (هستيريا التبدلين)

مرض نفسى يتميز خاصة بالقابلية الشديدة للايحاء ، هذه التي تتجلى في القابلية المدهشة للتشكيل من جانب الشخصية • ومن هنا تبرز سلسلة بأكملها من الأعراض الوظيفية في صورة بدنية : الشلل ، والاضطرابات الحسية ، والنوبات العصبية ، والنوم ، والتخشب (الكتالبسيا) الخ • ومن هنا أيضا تبرز كثرة من الاضطرابات النفسية جد المتميزة الوالغ بالكذب (الميتومانيا) ، واليقظة الحاملة ، والامنيزيا من نوع جد خاص ، والآلية النفسحركية الخ • وألهستيريا ، من حيث هى التعبير العضوى عن الصراعات اللاشعورية ، تعرف في التحليل النفسى بعصاب التبدلين •

أما هستيريا المقلق فهى في التحليل النفسى ، عصاب نفسى تستخدم الأنا فيه دفاعات لتجنب المواقف التي تثير بنوعيتها المقلق ، اذ تمثل غوايات أو عقوبات أو الامرين معا • ففى الفوبيات يكون الموقف المرهوب مكافئا متحجبا لمصدر المقلق الأسمى • (بيرون) •

(راجع الفصلين ١١ و ١٢ من كتاب أوتوفينخل : نظرية التحليل النفسى فى العصاب - مكتبة الأنجلو) •

stigma (pl. stigmata)
stigmaté

وسمة (ج • وسمات)

gynaecophilic feelings
sentiments gynécophiles

الولع بالنساء ، مشاعر (من جانب النساء)

تصديين

بقلم

مصطفى زيور

ان « هانز الصغير » هو أول طفل يعالج بالتحليل النفسى من حالة فوبيا (أى خوف مرضى) من الجياد . وظهر هذا العصاب لديه فى أوائل شهر يناير من سنة ١٩٠٨ وكان عمره أربعة سنوات وثمانية أشهر وشفى منها بعد أربعة أشهر من العلاج . وكان أبوه من مريدى فرويد فى تلك الحقبة المبكرة من تاريخ التحليل النفسى ، وخاصة والده الذى كان دعوىا فى الاستماع الى محاضرات فرويد . وقراءة مؤلفاته وكان فرويد ينهى الى تلامذته ومريديه أن كتشفه عن الحياة النفسية الجنسية لدى الأطفال التى استخلصها من خلال تحليل مرضاه العصابين الراشدين ، ينبغى أن توضع موضع الامتحان من خلال المشاهدات المباشرة للأطفال الأصحاء منهم والمرضى .

ومن أجل ذلك فان الصفحات الأولى من حالة هانز الصغير تسجل مشاهدات والده على سلوكه وما كان يفضى به الى والديه ابتداء من السنة الثالثة من عمره حتى ناهز الرابعة وثمانية أشهر من عمره وهو بعد سليم ، يتمتع بصحة جسمية ونفسية ، فضلا عن ذكاء ملحوظ ، وحرية فى التعبير نتيجة لسماحة وتديه ازاءه ، وامتناعهم عن التضييق على تلقائيته فى الأمور التى جرى العرف على نهى الاطفال عن الاقصاح عنها .

وبالرغم من أن والده هانز هو الذى قام بعلاجه فضلا عن أنه لم يكن محلا نفسيا مدريا وهو أمر يتناقى مع فنيات التحليل النفسى الا

أن انظروف أنذاك اقتضت ذلك ، كما أن العلاج سار بأسلوب الحوار وهو ماتبين بعد ذلك أنه أسلوب لايناسب علاج الأطفال ، بحيث أسفر البحت في علاج الأطفال عن ابتكار أسلوب النعب في العشرينات بفضل جهود السيدات ده هج هلموت (١) وميلانى كيلاين (٢) وأنا فرويد(٣) - أقول بالرغم من افتقار علاج هانز الصغير الى مكان يجعله أقرب الى الكمال ، الا أن معطيات هذا العلاج بالتحليل النفسى أقامت الدليل على صفة القضايا التى استخلصها فرويد من تحليل الراشدين وضمنها كتابه المعروف : « ثلاث مقالات في نظرية الجنس » (٤) وخاصة ديناميات الفوبيا ، وعقدة أوديب ، وثنائية الوجدان ، وحصر الخصاء ، «نظريات» الأطفال عن الجنس ومايتصل به من أسرار الحمل والميلاد ، فضلا عن اتساع مفهوم الجنس بحيث يشمل مناطق غير منطقة أعضاء التناسل . وقد كانت الهنات في هذا العلاج نتيجة الأسباب التى سبق ذكرها والتي جعلت حالة هانز الصغير ، تتسم « بالبدائية » اذا قورنت بحالة الرجل الذئب وهى الحالة الخامسة في هذا الكتاب - كان من شأن ذلك أن جعلها هدفا سهلا للنقد . وقد ترددت في التصدى لهذا المنقد من حيث أن قضايا التحليل النفسى الأساسية لم تعد موضع مناقشة من أطباء النفس وعلمائه الذين أتيح لهم أن يختبروها اختبارا مباشرا ، ثم لأن هذا النقد جرت به أقلام بعض المشتغلين بعلم النفس أو ممن يزاولون مايقال له العلاج السلوكى ، دون أن يتزودوا بتدريب وخبرة بفنيات التحليل النفسى . ولما كان الحق في أبداء الرأى في قضايا علمية ليس حقا طبيعيا . وانما هو حق يكتسب بالتوفر على تلقى التدريب

Hug - Hellmuth. H. R., "Zur Technik der Kinderanalyse(١)
Internationale Zeitschrift fur Psychoanalyse, Bd. vii., 1921.

Kleine, Melanie. The Psychoanalysis of Children, The (٢)
Hogarth Press. 1932.

Freud, Anna. Einföhrung in die Technik der (٣)
Kinderanalyse. Viems, 1927.

(٤) أنظر الترجمة العربية : ثلاث مقالات في نظرية الجنس . دار
المعارف بمصر .

في ميدان هذه القضايا خلال سنوات طويلة ، فقد جرى العرف بين
المطّين النفسيين على الا يتصدوا لمناقشة النقد الذي يوجهه من لم
يؤهل في التحليل النفسي .

على أن ذبوع نظريات البروفسور أيزنك في مصر وخاصة بعض
ماكتبه من نقد لقضايا التحليل النفسي في عبارات نابية تتجاوز ماتقتضيه
أخلاقيات المناقشة العلمية ، وتقديمه العلاج السلوكي بوصفه بديلا
للعلاج بالتحليل النفسي ، دفعني الى مناقشة هذا النقد في أيجاز .

* * *

يكتب أيزنك في فصل بعنوان « الصغير هانز أو الصغير ألبرت »
في كتابه « الحقيقة والوهم » . هناك سبب آخر يدفعنا لفحص الصغير
هانز ببعض التفصيل ، وهو أن هناك نظرية بديلة لنظرية فرويد قد
أقامها فأحكم بناءها ج . ب . واطسون ووضعها هو أيضا في شكل قصة
تتعلق بصبي صغير اسمه في هذه المرة الصغير ألبرت . وانه لمن الصعب
أن ننبين الاختلافات بين التحليل النفسي وعلم النفس الحديث ، بأفضل
من المقارنة بين حالتي هانز الصغير وألبرت الصغير » : (ص ١٠٦) .

ويستند أيزنك فيما يقدمه من نقد الى ماكتبه فولبه وراخمان (١) ،
وذلك لأنه على حد قوله لا اترك تجربتي الشخصية مع الناس مجالا
للشك لدى في أن فولبه والآخرين ممن تتكلم عنهم لديهم مقدرة خاصة
فائقة لنهم مصاعب ومشاكل العصبيين . . ولما كنت ممن تتقصهم كلية
هذه المقدرة ، فانني غالبا ماأشعر بأنه على الرغم من أن معرفتي
بنظرية التعلم ليست أقل كثيرا من معرفتهم فانها لايمكن أن تكفي وحدها
لجعلى قادرا على أن أقوم بنفسى بالعمل الرائع الذي يقومون به »

Rachman S (Ed) Critical Essays on Psychoanalysis (١)
Oxford, 1963.

(ص ١٥٧) • ونحن نحمد لأيزنك اعترافه هذا الذي كان ينبغي — مادام لم يخبر الأمر بنفسه عمليا من حيث أنه « ممن تنقصهم كلية هذه المقدرة » — أن يمتنع عن الادلاء برأية في قوله : « نجد حين نتأمل الأدلة التي استندت ليها نظريات فرويد أنها ليست بالتي يمكن أن يقبلها أي عالم » (ص ١٠٥) • ومرة أخرى أن ابداء الرأي في قضايا العلم ليس حقا طبيعيا وانما هو حق يكتسب •

يقتبس أيزنك من كتاب فولبه ودراخمان قولهما • « سوف نعيد فحص تاريخ هذه الحالة وتقييم الأدلة المقدمة ، مبينين أنه بالرغم من وجود مظاهر للسلوك الجنسي من جانب هانز. فليس هناك دليل علمي مقبول يبين أي صلة بين هذا السلوك وبين مخاوف الطفل المرضية من الجياد ، وأن تأكيد مثل هذه الصلة انما هو مجرد ادعاء محض » ثم يذكر قولهما « يكفينا أن رأى فرويد في هذه الحالة لاتسنده الوقائع لا في الجزئيات ولا في الحالة ككل • ولقد كانت النقاط الأساسية التي أعتبرها فرويدا واضحة هي :

- ١ — أن هانز كانت لديه رغبة جنسية نحو أمه •
- ٢ — انه كره أباه وخاف منه ورغب في قتله •
- ٣ — أن هياجه ورغبته الجنسية تجاه أمه قد تحولت الى حصر •
- ٤ — أن مخاوفه من الجياد كانت رمزا لمخاوفه من أبيه •
- ٥ — أن الغرض من مرضه كان أن يظل بالقرب من أمه •
- ٦ — أن مخاوفه المرضية قد اختفت لأن مركب أوديب عنده قد حل، (ص ١١٨) « •

ثم يقولان • « فلنفحص كلا من هذه النقاط •

- ١ — أن هانز يجد السعادة مع أمه ويستمتع بوجودها • وذلك ما لم نحاول أن نناقشه • ولكن لا يوجد أي دليل على رغبته في أن

يجامعها • ولقد، أشير إلى « الأبهامات الغريزية » كما لو كانت حقيقة مادية رغم عدم قيام أى دليل على ذلك • والحادثة الوحيدة التى وصفت فيما يتعلق بالمضاجعة المحرمة تبين أنه فى هذه المناسبة على وجه التحديد (التخطيط فى الأصل) انتابت هانز رغبة ذات طابع جنسى فى الاتصال بأمه ، ولو أنه أتصل جنسى من نوع بسيط وبدائى • وليس هذا بالدليل الكافى الذى يمكن أن يقوم عليه الزعم بأن هانز كان يعانى من مركب أوديب مما أدى إلى رغبة جنسية فى الأم وفى امتلاكها ، وفى الحثول محل الأب • وكل مايمكن أن يبنى على هذه المحاولة الاغرائية « هو أنها تقدم سندا ضعيفا على الافتراض القائل بأن هانز كانت لديه الرغبة لأن يستتر جنسيا من شخص آخر (ويجب أن نذكر أنه غالبا مااستمنى » (هكذا فى نص فولبه وراخمان) • وحتى لو فرضنا أن مصدر هذه الاثارة كان الام التى رغب فيها بالذات فان السمتين الأخيرتين لمركب أوديب (وهى الرغبة فى امتلاك الأم والحلول محل الأب) لاتظهرهما حقائق الحالة « (ص ١١٩) •

ولابد أن نلفت نظر القارئ بادية ذى بدء أن مايسلمونه هؤلاء المؤلفون باليمين لايلبثون أن يسحبوه باليسار ، فهم يسلمون بأنه « انتابت هانز رغبة ذات طابع جنسى فى الاتصال بأمه » ، ثم يعقبون بقولهم : « ولو أنه اتصل جنسى من نوع بسيط وبدائى • » ولسنا فى حاجة إلى القول بأن التحليل النفسى لايزعم أن رغبة الطفل فى الاتصال الجنسى بأمه رغبة تتسم بالنضج كما هو الحال لدى الرجل الراشد •

ولابد من تسجيل الفقرة التالية (ص ٢١٠ من النص الكامل لعائلة هانز) حتى يراجعها القارئ ونترك له استخلاص معناها • « وفى صباح اليوم الثالث استيقظ (هانز) فى السادسة تقريبا وهو فى حالة ارتعاب ، وعندما سئل ما الأمر ، قال : « وضعت أصبعى ولكن مجرد برهة قصيرة جدا ، عند حمامتى • عندئذ رأيت ماما عارية تماما فى قميصها ، وقد تركتني أرى حمامتها » •

وقد تعرض فولبه وراخمان الى تخييل الزرافتين (ص ٢٩ ، ٣٠ من النص الكامل) دون أن يسعهما أن يفندا معناه ، وهو أمر لا يدهشنا من حيث أن نشاط التخييل سواء في أحلام اليقظة أو أحلام الليل . مما يستعصى فهمه على أطباء النفس وعلماء النفس الذين يقصرون فحصهم على نشاط الفكر المنطقي ، ويغفلون عن أن الثورة الكوبرنيقية التي أنجزها التحليل النفسى هى اكتشاف المعنى والدلالة فيما كان قبل ذلك يبدو عاطلا عن المعنى والدلالة ، وأن حجر الزاوية فى نظام التحليل النفسى هو « تفسير الأحلام » و « أن من قصر عن أن يبين منشأ صور الحلم ليجهد عبثا فى أن يفهم المخاوف المرضية والأفكار التفهيرية والهجاسية أو فى أن يؤثر فيها تأثيرا شافيا » (١)

وعلى القارئ أن يراجع حلم الزرافتين (أو على الاصح أخيوالة الزرافتين) صفحات ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ فسيبتين إذا كان مزودا بأصول تفسير الأحلام . أن هذه الاخيوالة تعى امتلاك أمه جنسيا على الرغم من اعتراض أبيه ، ففى ص ٢١٥ يقول وألد هانز . «فالجأنا هانز بخروجه من غراشة والظلام دامس وبقدومه الى فراشنا » . وباستجواب هانز قال : « فى الليل كانت فى العرفة زرافة كبيرة وزرافة مكموشة (مجمدة) ، وكانت الزرافة الكبيرة تصيح الأبنى أخذت منها الزرافة المكموشة . ثم توقفت الزرافة الكبيرة عن الصياح ، وعندئذ جلست على الزرافة المكموشة » .

وقد حيرت هذه الأخيواله أبا هانز فى بادىء الأمر ثم فطن بعد ذلك الى أن : « الامر كله هو استعداد لمشهد كان يجرى كل صباح تقريبا أثناء الأيام القليلة الاخيرة ، هانز يأتى دائما اليانا فى الصباح الباكر ، وزوجتى لاتستطيع أن تقاوم أخذه معها لبضعة دقائق فى فراشها وعندئذ أبدا دائما فى أن أحذرهما من أخذه معها فى فراشها

(١) فرويد : تفسير الاحلام . دار المعارف بمصر ص ٣١ .

(« ان الزرافة الكبيرة كانت تصيح لأننى كنت قد أخذت منها الزرافة
المكموشة ») ، وتجب زوجتى بين حين وآخر ، وهى أدنى الى الاحتداد ،
بأن هذا سخف ، وأن دقيقة واحدة لاخطر فيها فى نهاية الأمر ، وما
الى ذلك وعندئذ يمكث هانز معها برهة قصيرة ر « ثم توقفت الزرافة
الكبيرة عن الصياح ، وعندئذ جلست فوق الزرافة المكموشة ») •

أما اختيار الزرافة الكبيرة لتمثل الأب والزرافة المكموشة لتمثل
الأم ، ثم « الجلوس على » كرمز لامتلاك ، فسيجد • القارىء مايفسر
ذلك كله من قراءة النص والهوامش ثم من قراءة « تعليق » فرويد
هوامش ص ٢٨٦ ، ٢٨٧

وجدير بالذكر أن هانز اثناء حوارهِ مع أبيهِ بصدد اخبوله الزرافتين
(ص ٢١٧) قال له : « رجتنى ماما طويلا أن أخبرها عن سبب مجيئ
اليكما اثناء الليل ولكنى لم أرغب فى أن أخبرها ، لأننى أولا شعرت
بالخزى مع ماما • » وليس من العسير على القارىء أن يتبين معنى
هذا الخزى الذى استشعره هانز ، وهو الذى عوده والده على الافصاح
دون تهيب عن كل مايدور بخثده •

وما يصدق على اخبولة الزرافتين فى امتناعها عن الفهم لدى قوليه
وراخمان ومعهما ابزنك ، يصدق أيضا على اخبولة التسلك من تحت
الحبال و اخبولة تحطيم الزجاج (ص ٢٢٠) كما يصدق على اخبولتى
السمكرى (ص ٢٤٩ وص ٢٨٦) وغير ذلك من الأخابيل الكثيرة التى
كان يفصح عنها هانز •

ان عالم النفس الذى يجهل أو يتجاهل هذه الأخابيل بوصفها
« أقوالا كيفما اتفق » • لا بد أن تستغلق عليه سيكولوجية الأطفال ،
وبالتالى سيكولوجية العصاب بوصفه ارتدادا الى اخبولة الطفولة ،
فضلا عن أن هذا التجاهل يتضمن تناقضا خطيرا يهدم علم النفس
بوصفه علما • فواحدة من اثنتين : أما أن يكون علم النفس علما وبالتالي

لابد أن يخضع النشاط النفسى لبدء الحتمية ، بحيث يكون كل خاطر وكل أخيولة محتوما ، أى أنها تحمل معنى ودلالة ، مهما استغلق المعنى واستخفت الدلالة ، بحيث يدفعنا ذلك الى البحث عن المعنى والكشف عن الدلالة ، واما أن تكون بعض الظواهر النفسية محتومة وبعضها الآخر غير محتوم (أى لا يحمل معنى ولا دلالة) وهو تناقض فى الحد يهدم مبدأ الحتمية فى ميدان النفس فيمنع قيام علم النفس بوصفه علما

بقى أن ننظر فى الشق الآخر من عقدة أوديب أعنى موقف الصبى من والده بوصفه منافسا له فى حب أمه مما يدفعه الى كراهيته والرغبة فى استبعاده • وأول ما ينبغى ذكره أن غوابه وراخمان ومعهما أيزنك غفلوا أو تغافلوا عن أن عقدة أوديب كما يصوغها التحليل النفسى لا يقتصر الأمر فيها على كراهية الصبى لأبيه ، وإنما تتصارع هذه الكراهية مع حبه له وإكباره له • وها هو هانز (هامش ص ٢٢٢) كان يبدأ فيضرب أباه على يده ، ثم يقبل بعد ذلك فى حنان نفس هذه اليد • وأثناء الزيارة الوحيدة التى قام بها هانز ووالده ل فرويد سأل الأب ولده — فى سياق الحديث — ولكن لماذا تتصور أننى غاضب منك ؟ هل حدث قط أننى وبختك أو ضربتك ؟ « فأجاب الصبى الصغير : « هذا الصباح • « وتذكر أبوه أن هانز كان قد نطحه برأسه فى بطنه على حين فجأة تماما الى حد أن الأب — فى صورة رد فعل — ضربه بيده • ولاشك كما يقول فرويد أن هذه الواقعة تعبير عن نزعة الصبى للصغير العدوانية ، وربما بوصفها أيضا تعبيراً عن حاجته الى العقوبة على هذه العدوانية » (ص ٢٢٢) •

أما الدليل الحاسم على موقف هانز المشحون بالثنائية الوجدانية تجاه أبيه فانه يبين فى حوارهِ مع أبيه (ص ٢٢٣) • يقول الوالد :

« وفى صباح اليوم الثالث من ابريل دخل الفراش معى ، بينما كان فى الأيام القليلة الماضية قد توقف عن ذلك ••• وسألته : « لماذا جئت اليوم ؟ »

هانز — عندما يذهب عنى الخوف لن أجيء أبدا •

وأنا — واذن فأنت تجيء الى اليوم لأنك خائف ؟

وهانز — عندما لا أكون معك أكون خائفا ، وعندما لا أكون معك فى الفراش فعندئذ أكون خائفا • وعندما يذهب عنى الخوف لن أجيء أبدا •

وأنا — وعلى ذلك فأنت مغرم بى وتشعر بالخوف حين تكون فى فراشك فى الصباح ؟ وهذا هو السبب فى أنك تجيء الى ؟

وهانز — نعم • لماذا اذن قلت ! أننى مغرم بماما وأن هذا هو السبب فى خوفى • بينما أنا •• بك ؟

وفى صفحة ٢٢٤ نقرأ الحوار الآتى :

« أنا : والد هانز : — عندما تكون وحيدا تتقلق على وتجيء الى غرفتى ؟

« هانز — عندما تكون غائبا فانى أخاف أن لاتعود الى البيت :

أن القارئ المزود بأوليات التحليل النفسى يدرك فى هذا الحوار الصراع القائم فى نفس الطفل نحو أبيه ، الصراع القائم ضد كراهيته لأبيه كمنافس مقتدر فيما يتصل بالأم ، وكان يلوم أباه على أنه لم يتجه بانتباهه بعد الى صراع القوى هذا ، وهو الصراع الذى كان لابد وأن يتمخض عن حصر • « هناك خوفه من أبيه ، وخوفه على أبيه • « أن هذا النوع من الصراع كان بين مكشفات التحليل النفسى الأولى • أن قلق هانز على أبيه فى قوله : « عندما تكون غائبا فانى أخاف أن لاتعود الى البيت » هو « عودة المكبوت » فى صورة قلق ،

وتعويض زائد بالحب في صراعه ضد الكراهية والزغبة في ألا يعود والده الى البيت •

ان عالم النفس الذى لا يستطيع أن يدرك هذا النوع من الصراع بين الحب والكراهية ، وانقلاب الكراهية قلقا على الشخص المكروه ليجهد عبثا في فهم أحوال الانسان ، في فهم مايعانيه من مأساة الصراع بين الحب والكراهية ، وفي عبارة واحدة : في فهم سيكولوجية الانسان وما يدور في أعماقه •

أما الأدلة على أن الجياد كانت رمزا للاب ، أى أن هانز نقل خوفه من أبيه الى الجياد — هذه الأدلة كثيرة نقتصر على ذكر بعضها •

وأول إشارة الى ذلك قوله وهو يبكى (ص ٢٠١) : « سوف يحضر الحصان في الغرفة » ولا أحسب أن القارئ يذهب به الظن الى أن هذا الطفل الذكى يعتقد حقا أن الحصان « سوف يحضر في الغرفة » • نتد قال هذه العبارة لأمه بعد اعترافه لها عن سبب خوفه الشديد عند خروجه الى الشارع في قوله « كنت أخاف من أن حصانا يعضنى • » أما في البيت فمن يكون الحصان الذى « سوف يحضر في الغرفة • »

والاشارة الثانية على أن الجياد رمز للاب نجدها في أعقاب حوارته مع أبيه سالف الذكر الذى أفصح من خلاله عن خوفه أثناء غياب أبيه من ألا يعود الى البيت •

يقول والده (ص ٢٢٤) : « وعندما نهضت من المائدة بعد الإفطار قال هانز « بابا ، أنتظر ، لاتقمص مبتعدا عنى » • ويعقب والده « وأدهشنى أن يقول « تقمص ، بدلا من تجرى ، وأجيبته « أوه • وأذن فأنت تخاف من الحصان عندما يقمص مبتعدا عنك • » فضحك (هانز) على اثر ذلك • »

ويبدو أن فؤاده وراخمان ومعهما ابزنك لا يعرفون سيكولوجية
فلتات اللسان أو أنهم يتجاهلونها •

والدليل الحاسم على أن الجياد رمز للاب نجده في حوار هانز مع
أبيه (ص ٢٧١) • ويقول والد هانز : « بعد الظهر أمام البيت ، جرى
هانز فجأة داخل البيت ، عندما أقيمت عربة بحصانين • • فسألته :
ماذا حدث ؟ قال : « الحصانان مزهوان جدا بحيث أخاف أن يقعا • »
(كان الحوذى يثد إليه بقوة لجام الحصانين ، بحيث كأننا يتهاديان
• • • ورأسها عاليا الى الورا ، وكان منظرها في الحقيقة مزهرا) «
سألته : من هو في الواقع المزهو جدا •

هانز — أنت هو ، عندما آتى وأدخل في الفراش مع ماما •

أنا — واذن فأنت تريدنى أن أقع ؟

هانز — نعم • كان ينبغي أن تكون عازيا (يقصد عارى القدمين ،
كما كان فرينزل) صبي من أصدقاء هانز حدث أن وقع وارتطم قدمه
بحجر فسال دمه) وأن ترتطم بحجر ، وأن يسيل الدم • وعندئذ
استطيع على الأقل أن أبقي بعض الوقت بمفردى مع ماما • وعندما
تعود صاعدا الى مسكننا يكون بوسعى أن أهرب بسرعة ، حتى لا ترانى»

ونستطيع أن نفهم افصاح هانز الصريح في هذا الحوار ، اذا
قرأنا الفقرة الآتية (ص ٢٣٣) :

« كان هانز منذ فترة يلعب لعبة الأحصنة في الغرفة ، فهو يجرى
قفزا ويقع ويرفس بقدميه ، ويصهل • وذات مرة علق على رأسه
كيسا صغيرا بوصفه مخلاه ، وكان في مناسبات عديدة يجرى نحوى
(الأب) ويعضنى » • ويعلق فرويد قائلا : « وبهذه الطريقة كان
يعبر عن تقبله للتفسيرات الأخيرة بصورة أكثر قطعا مما كان يستطيعه
بالكلمات مع قلب للدوار بالطبع ، اذا كانت اللعبة في خدمة رغبة
أخيولية •

وهكذا كان هانز هو الحصان ، وكان يعرض أباه وبهذه الطريقة
كان يتوحد بأبيه » •

وهناك أشارات وأدلة كثيرة أخرى على قضية كون الحصان رمزا
للأب سيتبينها القارئ أثناء قراءة النص الكامل في ضوء ماقدمنا من
توضيح •

ولكن ماذا عن خوف هانز من أن يعرض الحصان أصبعه ؟ هذا الخوف
يشير إلى حصر الخشاء اللاشعوري • ويقوم الدليل على ذلك في أكثر
من موضع (ص ٢١٢) : « وحمامتى سوف تكبر عندما أكبر ، لأنها
ثابتة في مكانها بكل تأكيد » • ثم أخيلتى السمكوى (ص ٢٤٩ وص
٢٨٦) •

يتضح من هذه المناقشة أن فوبيا الحصان لدى هانز إنما هي
الحل العصابي لشكلته الأوديبية : خوفه من أبيه بناء على عدايته له
(متصارعا على حبه له) ممثلا في حصر الخشاء اللاشعوري • ويتكوّن
فوبيا الحصان ينقل خوفه من أبيه إلى خوف من أن يعرض الحصان •
وبهذه الطريقة ينجح في حصر نطاق خوفه في حيوان في الشارع ،
وبذلك يعنى نفسه من الحصر إذا ماتفادى الحصان في الشارع ويهدأ
نفسا في البيت بالرغم من وجوده مع غريمه الحقيقي والده • هذا
الضرب من الحل العصابي للصراع إنما هو نموذج لتكوين العصاب
بأنواعه ، مع اختلاف في الحيل الدفاعية •

* * *

فإذا عدنا إلى فولبه وراخمان ومعها ايزنك في زعمهم « أن نظريات
فرويد ليست بالتى يمكن أن يقبلها أى عالم » وأن هناك نظرية بديلة
لنظرية فرويد هي نظرية واطسون التى استخلصها من تجريبته مع

الصغير ألبرت طبقا لقانون الفعل المنعكس الشرطى الذى اكتشفه يافلوف، نجدهم يقولون أن نظرية واطسون يتحقق لها من صفات (العلم) مالا يتحقق لنظريات التحليل النفسى ، ومن ثم فانهم يستوحونها فى اجراءات ما يطلقون عليه ألعلاج السلوكى .

أما تجربة واطسون مع الصغير ألبرت فيقدمها أيزنك فى كتابه سالف الذكر فى العبارات الآتية : كان ألبرت الصغير (الذى يبلغ من العمر أحد عشر شهرا) مولعا جدا بالفئران البيضاء ، وقد اعتاد أن يلعب معها كثيرا ، ولم يظهر أى بادرة خوف من هذه الحيوانات وكانت وسيلة واطسون بسيطة ومباشرة وبلغة الامتياز . فلقد وقف خلف ألبرت الصغير وفى إحدى يديه قضيب معدنى ، وفى اليد الأخرى مطرقة ، وكلما مد ألبرت الصغير يده نحو الفئران محاولا أن يلعب بها كان واطسون يحدث بالمطرقة دويا عاليا وقد كانت الفئران فى هذه الحالة بمثابة المنبه الشرطى فى حين كانت الضجة العالية التى يحدثها القضيب المعدنى بمثابة المنبه غير الشرطى الذى يسبب استجابة الخوف فبعد تكراره هذه التجربة عددا من المرات أصبح الصغير ألبرت يخاف من الفئران ، ويرتعد ويحاول أن يزحف بعيدا عنها أى أنه باختصار قد تصرف بالدقة كما لو كان يعانى من مخاوف مرضية شديدة تجاه الفئران .

ويقول أيزنك أن واطسون قلد فى تجربته هذه أسلوب يافلوف الذى استطاع به أن يدرب الكلاب على أن يسيل لعابها عند سماع صوت جرس بمجرد الجمع بين الجرس وتقديم الطعام عددا من المرات .

وبناء على ماتقدم فان تكوين فوبيا الحصان لدى هانز الصغير فى رأى أيزنك لا يعدو أن يكون نوعا من « التشريط » كما حدث لدى الصغير ألبرت ، أى أنه أصيب بهذه الفوبيا عندما رأى يوما حصانا يقع فى الشارع ، بحيث كانت هذه الحادثة « تشريطا » للخوف من الجياد ؛ أما

النشاط النفسى الثرى لدى هانز وخاصة ما كان يدور فى مستوى التخيل (أخيوولة الزرافتين وأخيوولته رؤىة والدته أثناء استمنائه وأخيوولتى السمكرى وأخيوولة التسلك تحت الحبال ثم أخيوولة تحطيم اثزجاج وغيرها التى سىتبين للقارىء ما تحمل من معان لاشعورية) ثم استغراق هانز حتى قبل مرضه فى الاهتمام « بالحمامة » سواء كانت حمامته أو حمامة والده أو أمه أو أخته ، ثم نظرياته الطفلية عن الحمل والىيلاد وعلاقة ذلك بعمثيات الاخراج ، كل ذلك لاقىمة له ولا علاقة له بفوبيا هانز ، على حين أن هذه الاخابيل الشعورى منها واللاشعورى ، وبحثه المطرد فى الغاز الحياة الجنسية وما يتصل بها ، كانت — كما هى الحال لدى كل الاطفال فى هذه السن تكاد لاترك فضلا من الاهتمام بغيرها من الأنشطة النفسية • ومن ثم فان الموقف « العلمى » لدى هؤلاء المؤلفين يقتضى أن نهمل كل هذا الذى يشغل معظم الحياة النفسية لدى الطفل ، ونجتزىء بانتقاد حادثة وقوع الحصان فى الشارع بوصفها مصدر الفوفيا لديه •

وازاء ذلك أجدنى مضطرا أن أقرر البديهى المعروف لكن مشتغل بالعلم • ان عزل ظاهرة متشابكة مع العديد من الظواهر الاخرى وجعلها شيئا مستقلا قائما بذاته انما يتنافى مع أبسط قواعد البحث العلمى •

ويستطرد أيزنك ، رغبة منه فى أن يقيم الدليل للقارىء على امتياز « العلاج السلوكى » الذى يستند انى « التشريط » — امتيازه بصفات الثصور « العلمى » الحق ، فيقدم لنا أمثلة على حالات عصابية يفسرها على أساس التشريط فهذه حالة « المرأة القطة » : ص ١٣٥ من كتابه سابق الذكر : وهى « امرأة متزوجة فى السابعة والثلاثين من العمر تعاني من مخاوف مرضية يصحبها توتر ، وقلق ، واكتئاب فى بعض الأحيان • وكان أبوها صارما جدا مع أطفاله ••• وكانت تخافه وهى طفلة وتشر أنها لا تكن له أى حب على الاطلاق ••

وقد تزوجت في الثانية والعشرين . . . وكانت تولع بكل الحيوانات الا القطة .

وقد استمر خوف المريضة من القطة فترة طويلة منذ أن بدأت تعي ، وربما بدأ الخوف — حسب ماتعي ذاكرتها — من سن الرابعة حين أغرق أبوها أمامها قطة صغيرة في جردل ماء وهي تذكر كيف كانت تجلس الى المائدة وتمد ساقها أمامها مباشرة خوفا من أن ترحف إحدى القطة على الأرض من حولها ، وكيف كانت تصرخ اذا ما لمحت قطة خارج الباب الأمامي . . . وازداد خوفها سوءا بعد زواجها وظل على هذه الحال حوالي عشر سنوات . ولكنه يزداد سوءا . . حيث كانت المريضة تفرغ من مجرد التفكير في أن القطة يمكن أن تفتنر عليها وتهاجمها . برغم أنها تعلم أن هذا الاحتمال **يعد** **بجدا** وقد ويستولى عليها الهلع عند رؤية قطة وأحيانا قد يشلها الرعب تماما « .

ومن سياق وصف هذا الحالة يتبين للقارىء أن مصدر هذا الخوف العصابي الشديد من القطة في رأى ايزبك انما يرجع الى عملية « التثريت » وهي في سن الرابعة ، حين أغرق أبوها أمامها قطة صغيرة في جردل ماء . ولا أخشى على القارىء أنني أخشى أن أضيع وقته في مناقشة هذا التفسير الساذج . ولكن لا بد مما ليس منه يد .

ان قانون التثريت في هذه الحالة كان يلزم عنه أن تخاف الطفلة ، لامن القطة الضحية المسكينة ، بل من والدها في سلوكه الوحشى . وكان ينبغى — طبقا لقانون التثريت — أن تخاف الآباء . فلم كان خوفها إذن من القطة . أتراها وحدت نفسها بالقطة التي أغرقها أبوها ؟ فاذا كان الأمر كذلك فاننا نعلم أن التوحيد ، وهو أحد العمليات النفسية التي اكتشفها التحليل النفسى ، لالعلاقة له بالتثريت ، وانما يصدر عن اتجاهات نفسية لاشعورية تحمل معنى ودلالة ويكتنفها صراع يبهظ كاهل المريض ، ويكون التوحيد عندئذ حيلة دفاعية لاشعورية ، شأنها

شأن عملية النقل لدى هانز الصغير عندما نقل خوفه من أبيه الى الحصان •
وفضلا عن ذلك فان قانون التشريط يلزم عنه أن تنطفيء نتائجه
بعد بضعة أيام وأسابيع ، مادام التشريط لم يتكرر ، على حين أن
« المرأة القطة » ظلت تعاني من فوبيا القطط زهاء ثلاثة وثلاثين عاما •

ان حالات فوبيا القطط تعد من الحالات المألوفة للمحثلين
النفسيين ولايسعني لا أن أحيل القارئ الى حالة فوبيا القطط التي
قامت بتحليلها د. هيلين دويتش وسجلته في كتابها المعروف « التحليل
النفسي للعصاب (١) فسيرى القارئ أن التحليل النفسى لهذه الحالة
لا يقتصر على سذاجة التشريط ، وانما يتبين من التحليل العميق أن
القطعة تمثل من ناحية دفعات المريضة المحظورة والشريفة ومن ناحية
أخرى « الصورة الشريفة » لأمها •

ان التفسير « العلمي » للمخاوف المرضية على أساس قانون
التشريط ، انما يعنى أن الانسان مثله مثل كلاب يافلوف • أما الانسان
بما هو انسان ، الانسان بما هو معنى ودلالة في صحته ومرضه النفسى
بما هو في فجر حياته مشروع وجود لا يتحقق انجازه الا من خلال حوار
ديالكتيكى في مواقف ينفرد فيها الانسان عن غيره من الكائنات بأن
طبيعتها التي بغيرها لا يكون كذلك هي التواصل الوجدانى بين ذات
وذوات أخرى ، تواصل مستقيم باستقامة المستوى المتخيل فيظهر
بالسعادة ، أو يضطرب فيضطرب وجدانه فيحصد الشقاء أى المرض
النفسى ، كل ذلك ، فى رأى البروفسور أيزنك ، لاقيمة له ، ولاجدوى
من بحثه ، ولاعلاقة له بأحوال الانسان ومصيره •

Helene Deutsch : Psychoanalysis of the Neuroses (١)

London. 1932.

انظر أيضا : أوتو نينخل • نظرية التحليل النفسى فى العصاب •
ترجمة دكتور صلاح مخيمر والاستاذ عبده رزق ، ١٩٦٩ • مكتبة الانجلو
المصرية الجزء الثانى ، صفحة ٣٠١ وما بعدها •

١

تحليل فوبيا عند صبي في الخامسة

(هانز الصغير)



تحليل فوبيا عند صبي في 'الخامسة' (١)

(هانز الصغير)

١

تمهيد

في الصفحات التالية أقدم وصفا لمسار المرض والشفاء عند مريض جد صغير وتاريخ الحالة — إذا توخينا الدقة — ليس نتاجا خالصا لملاحظتي • صحيح أنني وضعت الخطوط العريضة للعلاج وأنتهى في مناسبة وحيدة عندما تحدثت مع الصبي أسهمت بشكل مباشر فيه ، الا أن العلاج ذاته قد اضطلع به أبو الصبي ، وأنى الأدين له بأصدق امتناني اذ سمح لى أن أنشر ملاحظاته عن الحالة • ولكن فضله لايقف عند هذا الحد • فما من أحد غيره فى رأى كان بوسعه أن يبلغ من التأثير على الصبي بحيث يدلئ ما أدلى به من أقرافات • كما أن المعارف

(١) ظهر هذا المقال أول مرة فى Jahrbuch fur Psychoanalytische und Psychopathologesche Forschungen Bd. I. عام ١٩٠٩ ثم أعيد طبعه Sammlung Kehriften Zur Neurosen lehre فى مجموعة مقالات قصيرة عن الاعصبة) عام ١٩١٣ ثم ظهر هذا المقال ضمن Gesammelte werke (الاعمال الكاملة) مجلد ٧ • أما التذييل

الملاحق بتذييل هانز الصغير فقد ظهر عام ١٩٢٢ فى

Internationale Zeitschrifte fur Psychoanalyse, Bd. viii.

وقد تمت ترجمة هذا المقال الى عديد من اللغات • ترجمه الى الانجليزية اليكس وجيمس ستراشى (المقالات المجموعة ، سيجمون فرويد ، المجلد الثالث ثم نشرت هذه الترجمة بعد تنقيحها واطافة هوماش شارحة فى المجلد العاشر من Standard Edition of the Complete Psychological Works of SIGMUN freud. La Revue Francaise de Psychoanalyse أما الترجمة الفرنسية فقد ظهرت أول مرة فى t. II. fasc. 3, 1928 وقد قامت بها مارى بونابارت بمفردها نقلا عن النص الالماني Gesame. Sohriften.

الفنية التي أتاحت له تأويل أقوال ابنه الذي في الخامسة من عمره لم يكن منها بد ، بل كان بغيرها يستحيل التغلب على الصعوبات الفنية التي تعترض التحليل في حالة صبي من صغر السن الى هذا الحد ، ويفضل اجتماع سلطة الأب وسلطة الطبيب في شخص واحد ، ويفضل ما اجتمع لهذا الشخص الواحد من اهتمام عاطفي وحرص علمي ، بفضل هذا وحده كان من الممكن في هذه الحالة البلوغ بطريقة التحليل الى تطبيق واستخدام ما كان يمكن بغير هذه الظروف أن تصلح له .

ولكن القيمة الخاصة لهذه الحالة تنحصر في الاعتبارات التالية .
عندما يعالج الطبيب بالتحليل النفسي راشدا عصابيا ، فإن العملية التي يمتد فيها من كشف عن التكوينات النفسية ، طبقة اثر طبقة ، تمكنه آخر الأمر من صياغة فروض معينة عن الجنسية الطفلية للمريض ، وضمن العناصر المكونة لهذه الجنسية الطفلية يعتقد أنه قد وقع على الدوافع المحركة والحفزات المسؤولة عن كل الأعراض العصابية في الحياة اللاحقة . وقد عرضت هذه الفروض في كتابي « ثلاث مقالات في نظرية الجنس » الذي ظهر عام ١٩٠٥ ، (١) . واني أعرف أن هذه الفروض تبدو غريبة للقارئ غير المختص بقدر ما تبدو لازمة ولا غنى عنها للمحلل النفسي . ولكن حتى المحلل النفسي قد يصرح برغبته في العثور على دليل أقل التواء ومباشرا بدرجة أمعن لهذه القضايا الأساسية .

وبالتأكيد لا بد وأن يكون من الممكن أن نلاحظ عند الطفل ، بشكل مباشر وفي كل نضارة الحياة ، هذه الحفزات الجنسية والميول النزوعية التي نلقب عنها ونستخرجها بكل هذا العناء من بين المتخلفات عند الراشد ، سيما وأنا نعتقد أن هذه الحفزات حظ مشاع عند جميع الناس

Drei Abhandlungen Zur Sexualtheorie, 1905. (١)

أنظر الترجمة العربية : ثلاث مقالات في نظرية الجنس . دار المعارف .
بمصر . الطبعة الثامنة ، ١٩٠٦ .

وجانب من الجيلة البشرية ، وكل ما هناك أنها تكون مسرفة أو محرقة عند العصابين •

وسعيا وزاء هذا الهدف كنت منذ سنوات عديدة استحثت تلاميذى وأصدقائى على تجميع ملاحظات عن الحياة الجنسية للأطفال ، هذه التى كان وجودها — كقاعدة عامة — يلقى التغافل فى حدق أو الإنكار عن عمد • وبين المعطيات التى حصلت عليها نتيجة لذلك ، لم تلبث التقارير التى كانت تصلنى على فترات منتظمة عن هانز الصغير أن احتلت مكانة بارزة • كان أبواه كلاهما من أقرب المريدين بالنسبة الى ، وكانا قد اتفقا على أنهما فى تربيتهما لطفلهما الأول لن يستخدمنا من أساليب الإلزام أكثر مما هو ضرورى للغاية ضمانا لسلوك حسن • وبقدر ما كان الطفل يستحيل بالنمو اللبى صلبى صغير مرح لطيف يفيض حيوية ، فان تجربة تركه ينمو ويعبر عن نفسه بعيدا عن كل ارهاب قد مضت على نحو يبعث على الرضا • وسأشرع الآن فى سرد تقريرات الأب عن هانز الصغير تماما كما وصلتنى ، وسوف أحجم بالطبع عن أية محاولة يمكن أن تتال من أصالة وصدق هذه الطفولة باقحام أية تنقيحات يقتضيها العرف •

أن التقارير الأولى عن هانز ترجع بتاريخها الى فترة لم يكن قد اكتمل فيها تماما للطفل عامه الثالث • فى ذلك الوقت كان يكشف بالعديد من ملاحظاته وأسئلته عن اهتمام عارم بشكل خاص بهذا الجزء من بدنه الذى اعتاد أن يسميه « حمامته » (١) • ومن هنا فقد سأل أمه مرة هذا السؤال :

هانز — « ماما ، هل عندك أنت أيضا حمامة ؟ »

الأم — « بالطبع ، ولكن لماذا ؟ » •

(١) فى الألمانية ، Wiwimsöher ، وفى الترجمة الانجليزية Widdler
وفى الترجمة الفرنسية fait - pipi — المترجمون •

هنز — « كنت فقط أفكر في ذلك » •

وفي نفس تلك السن ذهب مرة الى حظيرة الماشية ، ورأى بقرة تحلب قال • : « أوه ، أنظري ! لبن يخرج من حمامتها ! »

وجتى استنادا الى هذه الملاحظات الأولى ليس غير ، يكون بوسعنا أن نتوقع أن الكثير مما نراه عند هانز الصغير ، أن لم يكن أغلبه ، سوف ينتشف نهائيا بالنسبة للنمو الجينسى عند الأطفال بصورة عامة • ولقد سبق لى فى موضع آخر أن تقدمت برأىي (١) من أنه ليس ثمة مايدعسو الى الارتياح الشديد، حين نلتقى عند امرأة بفكرة مص لتضبيب • فبذه الحفرة المنفرة ترجع ، كما أوضحت ، الى أصل أكثر مايكون براءة اذ أنها مشتقة من مص ثدى الأم ، وقد أبنت فى هذا الصدد أن ضرع البقرة يُعب دورا ملائما كصورة وسيطة ، أذ هو بطبيعته ثدى ، وهو بشكله وموضعه قضيب • وكشف هانز الصغير يؤيد الجزء الأخير من وجهة نظرى •

وفى أثناء تلك الفترة لم يكن اهتمامه « بالحمامة » مجرد اهتمام نظرى خالص ، فكما يمكن أن نتوقع أرغمه اهتمامه هذا على أن يلمس عضوه • وفى الثلثة والنصف من عمره وجدته أمه يعبث بيده فى قضيبه، فهددته بهذه الكلمات : « لو فعلت هذا فسوف أبعث فى طلب الدكتور ! ليقطع لك حمامتك • فبأى شىء عندئذ « تطرطر » ؟

هانز — « بمؤخرتى » (٢) •

أجاب بذلك دون أن يكون لديه بعد أى شعور ! ثم • ولكن تلك كانت المناسبة التى أكتسب فيها « عقدة الخشاء » ، هذه التى غالبا مانجدنا فى تحليلنا للعصابيين مضطربين الى أن نستخلص وجودها

(١) جزء من تحليل لحالة هستيريا ، (دورا) ، ١٩٠٥ (الفصل الاول من هذا المجلد)

(٢) فى الترجمة الانجليزية bottom ، وفى الترجمة الفرنسية tutu

عندهم ، وان كانوا جميعا يناضلون في عنف ضد التعرف عليها • وهناك الكثير الهام مما ينبغي قوله عن دلالة هذا العنصر في حياة الطفل • ان « عقدة الخشاء » قد تركت آثارها البارزة في الأساطير (وليس فقط في الأساطير اليونانية) ، ولقد أشرت في فقرة من كتابي « تفسير الأحلام » (١) ، وفي غير ذلك ، الى الدور الذي تلعبه هذه العقدة (٢) • وفي نفس تلك السن تقريبا (ثلاثة أعوام ونصف) ، وهانز يقف أمام قفص ، الأسد في شونبرون ، صاح في صوت مهتاج : « رأيت حمامة الأسد » •

ان الحيوانات تدين بالكثير من أهميتها في الأساطير وحكايات أنجن للطريقة المكشوفة التي تبدى بها أعضاءها التناسلية ووظائفها الجنسية

(١) الترجمة العربية تفسير الاحلام دار المعارف بمصر صفحة ١٠٠
Traumdeutung, 7th Ed. P 456

(٢) (ملحوظة اضافية عام ١٩٢٣) - منذ أن كتبت ذلك تعرضت للذخيرة الخاصة بعقدة الخشاء لتطور جديد بفضل اسهامات لوأندرياس و أ • شتاركة وف • الكسندر واخرين • فقد جرت المناقحة عن أنه في كل مرة يتم فيها سحب ثدى الام من رضيعها فانه لا بد وأن يستشعر ذلك خشاء بمعنى فقدان مايعتبره جزءا هاما من بدنه) ، وعن أنه ، أكثر من ذلك ، لا بد وأن يستشعر نفس الشيء من جراء فقدانه المنظم لبرازه ، ثم أخيرا عن أن فعل اليلاد ذاته (وهو الذى ينحصر في الواقع في انفصال الطفل عن أمه ، هذه التى كان حتى ذلك الحين متحد معها) هو الانموذج الاصلى لكل خشاء • وانى وان اعترفت بكل هذه الاصول لعقدة الخشاء ، فانى مع ذلك قد أوضحت رأيبى في أن مصطلح عقدة الخشاء ، ينبغي قصره على هذه الاستثارات والنتائج المرتبطة بفقدان القضيب • وكل محل بلغ من تحيله للراشدين الى الاقتناع بوجود عقدة الخشاء دائما وبانتظام سوف يجد من العسير بالطبع أن يرجع أصلها الى نوع من التهديد هو في نهاية الامر لا يتم حدوثه بالعمومية المطلقة ، وسوف يجد نفسه مضطرا الى أن يفترض أن الطفل يشير لنفسه هذا الخطر ابتداء من أبسط التلميحات ، هذه التى تعوذه قط ولقد كان أيضا هو الدافع الذى استحث البحث عن هذه الاصول الأكثر لى عمقا للعقدة ، والتي يتسم وجودها بالعمومية المطلقة • ويصدق هذا بالاحرى في حالة هانز الصغير بالنظر الى أن تهديد الخشاء قد أقرب به الابوان نفسهما ، وأنه أكثر من ذلك قد وقع في تاريخ سابق لم يكن نيه للفويبا وجود بعد •

أمام الطفل البشرى الصغير الذى تستبد به الاستطلاعية • وليس من شك ممكن في وجود الاستطلاعية الجنسية عند هانز ، ولكنها أثارت فيه روح البحث ومكنته من أن يبلغ التى معارف مجردة حقيقية •

فعندما كان مرة في المحطة (تسعة أشهر بعد الثالثة) ، رأى بعض الماء ينساب من قاطرة ، فقال : « أوه ، أنظري ، ان القاطرة تطرطر • أين اذن حمامتها ؟ »

ويعد لحظة استطرده بلهجة المستغرق في التفكير : « الكلب والحصان لهما حمامة ، المكتب والكرسى ليس لهما • » بذلك يكون قد أمسك بخاصية أساسية للتمييز بين الأحياء والأشياء •

ان التعطش الى المعرفة ، على ما يبدو ، يستحيل أن ينفصم عن الاستطلاعية الجنسية • واستطلاعية هانز كانت تتجه بصفة خاصة الى أبويه •

هانز « (تسعة أشهر بعد الثالثة) — بابا ، هل لديك أنت أيضا حمامة ؟ »

الأب — « نعم بالطبع » •

هانز — « ولكنى لم أرها قط وأنت تخلع »

وفي مرة أخرى كان ينظر عن قصد الى أمه وهى تخلع قبل أن تذهب الى الفراش • سألته : « ما الذى تحملق فيه هكذا ؟ »

هانز — « كنت قط أرى ما أن كان لك أيضا حمامة » •

الأم — « بالطبع • ألم تكن تعرف ذلك ؟ »

هانز — « كلا • كنت أفكر أنك مادمت كبيرة الى هذا الحد ،

فينبغى أن تكون لك حمامة مثل الحصان • »

وهذا التوقع من هانز الصغير جديره بالملاحظة ، فسيعدو هاما فيما

بعد •

ولكن الحدث العظيم في حياة هانز كان ميلاد أخته الصغيرة « هنه » ، عندما كان عمره على التحديد، ثلاثة أعوام ونصف (١) • وكان أبوه يدون على الفور سلوك هانز في هذه المناسبة • كتب يقول : « بدأ المخاض في الخامسة صباحا ، فنقلنا سرير هانز الى الغرفة المجاورة • وهناك استيقظ حوالى السابعة ، واذ سمع أمه تتأوه سأل : « لم تسعل ماما ؟ » وبعد برهة قال :

« ان طائر اللقلق سيأتى اليوم بالتأكيد (١) » •

« وطبعى أن هانز كثيرا ما قيل له ، أثناء الأيام القليلة الأخيرة ، أن طائر اللقلق سوف يحضر بنتا صغيرة أو صبيا صغيرا ، وكان محقا تماما في ربطه هذه الأصوات غير المألوفة من التأوهات بوصول طائر اللقلق •

« وفيما بعد أخذوه الى المطبخ ، فرأى حقيبة الطبيب في الردهة الأمامية وسأل : « ما هذا ؟ » ، وكانت الاجابة « حقيبة » • وعلى أثر ذلك أعلن في أفتتاح : « طائر اللقلق سيأتى اليوم • » وبعد ولادة الوليد، حضرت الممرضة الى المطبخ وسمعتها هانز تأمر بأعداد قدح من الشاي • وعندئذ قال : « أنا عارف ! ماما تحتاج بعض الشاي لأنها تسعل » • ثم نودى بعد ذلك الى غرفة النوم • لم ينظر الى أمه ، ولكن الى الأوعية والأوانى التى تمتلىء بالماء المترج بالدم ، والتي كانت ماتزال بالغرفة • واذ أشار الى وعاء به دم ، صاح ملاحظا في دهشة : « ولكن الدم لا يخرج من حمامتى • »

(١) ولد هانز في ابريل من عام ١٩٠٣ وولدت اخته في أكتوبر من

عام ١٩٠٦ •

(٢) يقال للاطفال • في بلاد اللغة الالمانية أن طائر اللقلق هو الذى

يحضر الوليد •

« كل شيء يقوله يكثف عن أنه يربط ما هو غريب في الموقف بوصول طائر اللقلق • وكل شيء يقع عليه بصره ، يتفحصه بنظرات متشككة وليس ثمة من شك في أن تشككاته الأولى عن طائر اللقلق قد بزعت عنده ، »
« أن هانز شديد الغيرة من الواقد الجديد ، وفي كل مرة يمتدحها أحد ، قائلا انها طفلة جميلة وما الى ذلك ، يعلن على الفور في لهجة من التحقير :

« ولكن ليس لديها بعد أية أسنان • » (١) والواقع أنه عندما رآها لثمرة الأولى كان مندهشا جدا من أنها لا تستطيع أن تتكلم ، وأعتقد أن سبب ذلك هو أن ليس لديها أسنان • وأثناء الأيام الخليلة الأولى كان من الطبيعي أن يوضع هانز ، الى حد بعيد ، في خلفية المسرح • وفجأة وقع مريضا بالتهاب في الحلق • وفي الحمى قال وهو يهذى :
« ولكنى لأريد أختا صغيرة ! »

« وفي نهاية ستة أشهر تقريبا كان قد تغلب على غيرته ، وعطفه الأخوى على الطفلة لم يكن يعاوله غير احساسه بتفوقه عليها (٢) • »

« وبعد أسبوع كان هانز يشهد أخته البالغة من العمر سبعة أيام أثناء حمامها ، فلاحظ قائلا : ولكن حمامتها ماتزال صغيرة تماما » ، ثم أردف ، كما لو كان من قبيل العزاء : « عندما تكبر سوف تكبر حمامتها كما ينبغي (٣) » •

(١) هذا أيضا أسلوب نمطى من السلوك • وطفل صغير آخر ، لا يكبر أخته الا بعامين ، كان من عادته أن يتفادى مثل هذه الامتداحات بصرخة غاضبة : « صغيرة جدا ! صغيرة جدا ! • »

(٢) طفل آخر يكبر هانز بتليل ، رحب بأخيه الاصغر قائلا : « فليحمله طائر اللقلق من جديد ويرحل » • قارن ذلك بملاحظاتي عن أحلام موت الاحياء في تفسير الاحلام ، الطبعة السابعة الالمانية ص ١٧١ (الترجمة العربية ، دار المعارف ص ٢٦٥) •

(٣) صبيان آخران ، ممن وصلنى تقرير عنهما ، ارتأيا نفس الرأى ، وعبرا عنه بنفس الكلمات ، واتبعاه بنفس التوقع ، وذلك عندما أتيح لهما لأول مرة أن يشبعا الاستطلاعية عندهما بمشاهدة بدن الاخت الرضعية • =

« وفي نفس تلك السن (تسعة أشهر بعد الثالثة) قام هانز بتقديم السرد الأول لحلم: « اليوم وأنا نائم رأيت نفسي في جموندن مع ماريدل » .

« وكانت ماريدل ، اثنتى تبلى من العمر ثلاثة عشر عاما . ابنة صاحب الفندق الذى نزل فيه ، وكان من عاداتها غالبا أن تلعب معه » . وبينما كان أب هانز يقص على أمه الحلم في حضوره ، صحح له هانز قائلا : « ليس مع ماريدل ، بل وحدى تماما مع ماريدل » .

وقد يستشعر المرء الارتياح من دلائل هذا التحريف الباكر لعقل الطفل . فإماذا لم يقرر هؤلاء المستطلعون الصغار ماراوه بالفعل ، وهو على التحديد أنه لم تكن هناك حمامة ؟ وفيما يختص بهانز الصغير نستطيع على الأقل تقديم تفسير كامل لادراكه الخاطيء . فإنا نعرف أنه ، بعملية من الاستقرار الدقيق ، قد بلغ الى القضية العامة التى مؤداها أن كل الاحياء ، وفي كل الاشياء ، لديها حمامة . وقد أيدته أمه في اعتقاده هذا إذ قدمت اليه معلومات مؤيدة فيما يختص بالاشخاص غير المتاحين لملاحظته . لقد غدا الان غير قادر تماما على أن يتنازل عما انجزه من أكتساب استنادا فقط الى ملاحظة وحيدة لاخته الصغيرة . ومن هنا ارتأى أنه في هذه الحالة أيضا توجد حمامة ، ولكنها فقط ماتزال صغيرة جدا ، وأنها سوف تكبر حتى تصبح كبيرة مثل حمامة الحصان .

وبوسعنا أن نمضى خطوة أخرى في المنافحة تكريما لهانز الصغير . فهو في واقع الامر لم يسلك على نحو أسوأ من فلاسفة مدرسة «فونت» فعند هذه المدرسة ، الشعور خاصية لازمة لما هو نفسى ، تماما كما أن الحمامة عند هانز معيار لاغنى عنه لما هو حى ، فاذا ماالتقى الفيلسوف بعمليات نفسية يتحتم عليه أن يتأدى الى استخلاص وجودها ، ولكنه لا يستطيع أن يقع على أية دلائل شعورية لها - إذ أن المرء في الواقع لايعرف شيئا عن هذه العمليات ، وأن كان من المستحيل أن يتفادى التأدى الى استخلاص وجودها - فعندئذ فإنه بدلا من أن يقول أنها عمليات نفسية لاشعورية ، يطلق عليها نصف شعورية والحمامة ماتزال صغيرة جدا ! وفى هذه المقارنة ترجح كفة هانز . إذ كما هو غالبا الحال في التحريات الجنسية للاطفال ، يمكن خبيثا وراء الخطأ جزء من المعرفة الحقيقية فالبنات الصغيرات لهن حمامة صغيرة تطلق عليها البظر ، وأن كان هذا لايكبر بل يظل ضامرا قارن دراستى المؤجزة (فى النظريات الجنسية الطفلية ، مشكلات جنسية ، ١٩٠٨) ، المقالات المجموعة مجلد ٧ فى النص الالماني (الترجمة الانجليزية ، مجلد ٢) Ueber Infintile Sexusleheorien, Sexual Problem, 1908 .

وفي هذا الصدد نعرف مايلي : « في صيف عام ١٩٠٦ ، كان هانز في جموندن ، وكان من عادته أن يقضي طوال اليوم في الجري مع أطفال صاحب الفندق . وعندما رحلنا عن جموندن اعتقدنا أن الرحيل والعودة إلى المدينة سيكون بالنسبة إليه أمرا جد أليما . ولكن لدهشتنا لم يكن الأمر كذلك . فقد بدأ مسرورا من التغير ، ولأسابيع عديدة لم يتحدث إلا قليلا جدا عن جموندن . كانت أسابيع عديدة قد انقضت حين بدأت في البزوغ ذكريات — زاهية الألوان في الغالب — عن الفترة التي قضاها في جموندن . فخلال الأسابيع الأربعة الأخيرة تقريبا كان يصيح ذكرياته تلك في أخايل . فهو يتخيل نفسه يلعب مع الأطفال الآخرين ، مع برتا وأولجا وفريتزل ، وهو يتحدث إليهم كما لو كانوا معه في الواقع ، وبوسعه أن يمضي في تسلية نفسه بهذه الطريقة لساعات في المرة الواحدة . والآن — وقد غدا له أخت وتستحوذ عليه بشكل ظاهر مشكلة مصدر الأطفال — فانه دائما يسمي برتا وأولجا « طفليته » ، وقد أضاف مرة : « طفلتاي برتا وأولجا أتى بهما أيضا طائر اللقلق . » ومن الواضح أن الحطم الذي يقع الآن بعد ستة أشهر من الرحيل عن جموندن ينبغي فهمه علي أنه تعبير عن الحنين إلى العودة إلى هناك » .

إلى هذا الحد توصل الأب . ويمكنني أن أضيف ، من قبيل التوقع ، أن هانز عندما أبدى ملاحظته الأخيرة عن طفليته هاتين اللتين أتى بهما طائر اللقلق ، كان يدحض بصوت عال شكك يستقر في أعماقه .

ومن محاسن الصدق أن أباه قد دون كثرة من الأشياء تكشفنا فيما بعد ، وعلى غير انتظار ، عظيمة الدلالة . « كنت أرسم زرافة لهانز الذي تردد كثيرا في الأيام الأخيرة علي حديقة الحيوان في شونبوزون قال لي : « ارسم حمامتها أيضا » . أجيبته « ارسمها أنت بنفسك » . وعندئذ أضاف هذا الخط لرسمي بدأ برسم خط قصير ، ثم أطلاله بإضافة خط آخر إليه ، ملاحظا : « حمامتها أطول » .

« مررت وهانز بحصان كان يتبول فقال : « الحصان حمامته من

تحت مثلى » •

« وكان يشهد حمام أخته البالغة من العمر ثلاثة أشهر فقال في

لهجة أشفاق : « ان لها حمامة صغيرة جدا ، صغيرة جدا » •

« وأهديت الى هانز عروسة ليلعب بها فنزع عنها ملابسها ، وراح

يبتفحصها بعناية وقال : « لكن حمامتها صغيرة جدا صغيرة جدا » •

وكما سبق أن رأينا فان هذه الصيغة قد أتاحت له أن يواصل

أعتقاده في الكشف الذي كان قد بلغ اليه (أنظر ص ١٨٦) •

كل باحث يتعرض لخطر الوقوع في خطأ عارض • وهو يجد شيئا

من العزاء لو أنه كان — كهانز الصغير في المثال التالي — غير وحيد في

الخطأ ، بل واستطاع أن يدلل على ذلك بالاستخدام اللغوي الشائع •

ذلك أن هانز قد رأى يوما قردا في كتابه المصور ، فقال مشيرا الى ذيله

وهو مرفوع الى أعلى : « أنظر ، بابا ، حمامته ! »

أن اهتمام هانز « بالحمامة » قد تأدى به الى أن يبتدع لنفسه لعبة

خاصة به • « تؤدى الردهة الأمامية الى مرحاض والى غرفة معتمة

لتخزين الخشب • ومنذ فترة اعتاد هانز الذهاب الى غرفة الخشب

هذه وهو يقول : « انى ذاهب الى مرحاضى » • ونظرت مرة الى الداخل

لأرى ماكان يفعل في هذه الغرفة المعتمة • أرانى عضوه وقال : « أنى

أطرطز » • أى أنه كان « يلعب » لعبة المرحاض • أما أن ذلك كان من

طبيعة اللعب فيتضح ليس قط من أنه كان يتظاهر فحسب بالتبول ،

دون أن يتبول في الواقع ، بل أيضا من أنه لا يذهب الى المرحاض ، وهو

ما كان يمكن أن يكون أكثر بساطة ، بل يفضل مخزن الخشب ويطلق عليه

« مرحاضى » •

ونحن لانوفى هانز حقه أن نحن قصبرنا اهتمامنا على ملامح
الشبية الذاتية من حياته الجنسية • فلدى أبيه مايقدمه الينا من
ملاحظات تفصيلية عن علاقاته الغرامية مع الأطفال الآخرين • ومن
هذه الملاحظات نستطيع أن نتبين وجود « اختيار موضوعاتى » عنده ،
تماما كما عند الراشد ، كما يتحتم الاعتراف بوجود درجة لافتة للغاية
من النزواتية واستعداد لتعدد الزوجات •

وفى الشتاء صحبت هانز (وله تسعة أشهر بعد الثالثة) الى حلبة
انزلاق على الجليد ، وقدمته الى ابنتى صديقى الصغيرين ، وكانتا
فى حوالى العاشرة من العمر • وجلس هانز على مقربة منهما ، بينما
البنتان بالنظر الى احساسهما بسنهما الأكثر نضجا ، راحتا تظنران من
على غير قليل من الازدراء الى الطفل الصغير ، كان يحملق فيهما فى
اعجاب ، وان لم يترك ذلك عندهما انطباعا يذكر • وعلى الرغم من
ذلك كان هانز يتحدث عنهما دائما فيما بعد قائلا « بنتاى الصغيرتان »
« أى بنتاى الصغيرتان ؟ متى تحضر بنتاى الصغيرتان ؟ » وقد ظل
لبضعة أسابيع يلاخقنى بالسؤال « متى أذهب من جديد لحلبة
الترحلق لأرى بنتى الصغيرتين ؟ » •

صبى فى الخامسة من أبناء عمومته حضر فى زيارة الى هانز ،
الذى كان فى ذلك الحين قد بلغ الرابعة • كان هانز يعانقه فى غير
انقطاع ، وفى احدى المرات ، بينما كان يسبغ عليه احدى هذه العناقات
قال ، « لكم أنا مغرم بك ! لكم أنا مغرم بك » •

تلك هى العلامة الأولى التى التيقنا بها عنده على الجنسية المثلية،
ولكنها لن تكون الأخيرة • ان هانز الصغير يبدو حقا أنموذجا لكل
الانحرافات الجنسية •

وعندما بلغ هانز الرابعة انتقلنا الى مسكن جديد • وكان بالمطبخ
باب يؤدى الى شرفة يستطيع المرء منها ان يرى داخل الشقة المواجهة.

التي تقع في الجانب المقابل من الفناء • وفي هذه الشقة اكتشف هانز بنتا صغيرة في حوالى السابعة أو الثامنة من العمر • كان يجلس على العتبة المؤديه الى الشرفة ليتأملها في اعجاب وكان بوسعه أن يظل على هذه الحال ساعات • وفي الرابعة بعد الظهر خاصة ، عندما كانت البنت الصغيرة تعود من المدرسة الى بيتها ، لم يكن من الممكن أن يبقى في الغرفة ، كما لم يكن لشيء أن يحمله على مغادرة مركز المراقبة • وذات مرة ، عندما لم تظهر البنت الصغيرة في النافذة في الساعة المألوفة ، لم يستطع هانز أن يستقر في مكان ، وراح يضايق الجميع بأسئلته — « متى ستحضر البنت الصغيرة ؟ أين البنت الصغيرة ؟ » وما الى ذلك • وعندما ظهرت البنت الصغيرة آخر الأمر ، غمرته السعادة ، ولم يحول بصره قط عن الشقة المواجهة • والعنف الذي تملكه به هذا « الحب من بعيد » (١) ينبغي ارجاعه الى أن هانز لم يكن له رفاق لعب من أى من الجنسين • فقضاء وقت طويل مع الأطفال الآخرين هو ، بكل وضوح ، جانب من النمو الاسوي للطفل •

وقد أتاحت لهانز صحبة من هذا القبيل عندما رحلنا بعد ذلك بوقت قصير (وكان هانز عندئذ في الرابعة والنصف من عمره) الى جموندن لقضاء عطلة الصيف • وفي مسكننا هناك ، كان رفاق لعبه هم أطفال صاحب الفندق : فرانزل (في الثانية عشرة) ، وفرييتزل (في الثامنة) وأولجأ (في السابعة) وبرتتا (في الخامسة) • وبالإضافة الى هؤلاء كان هناك أطفال الجيران : أنا (في العاشرة) وبتتان صغيرتان أخريان في التاسعة وفي السابعة ، لأذكر اسميهما • وكان فرييتزل هو الذي يحظى من بينهم بتفضيل هانز ، فكثيرا ما كان هانز يعانقه ويؤكد له حبه • وذات يوم حين سئل : « من من الفتيات الصغيرات تحبها أكثر؟ »

'Und die Liebe Per Distanz

(١)

'Kurzgesagt, missfällt mirganz, Wilhelm Busch.

(الحب من بعيد فيه ارهاق لا يلائم مزاجى على الأطلاق - فيلهلم بوش)

أجاب فريترز ! « وفي نفس الوقت كان يعامل البنات بطريقة رجولية ، عدوانية ، مزهوة ، يعنقهن ويقبلهن بحرارة — الأمر الذى لم يلق عند برتا بصفة خاصة أى اعتراض • وعندما كانت برتاتهم بالخروج من الغرفة ذات مساء ، طوق عنقها بذراعيه ، وقال فى لهجة أشد ماتكون غراما : « برتا ، يانك من حبيبة ! » ولكن هذا لم يمنعه مع ذلك من تقبيل الأخرى أيضا ، ومن تأكيد حبه لهن • فقد كان مغرما أيضا بماريديل التى تبلغ الرابعة عشرة ، وهى واحدة أخرى من بنات صاحب الفندق اعتادت أن تلعب معه • وذات مساء وهو يوضع فى فراشة قال : « أريد أن تنام ماريديل معى • » وعندما قيل له أن هذا غير ممكن ، قال : « ينبغي اذن أن تنام ماريديل مع ماما أو بابا • » فقيل له أن هذا غير ممكن أيضا ، فماريديل ينبغي أن تنام مع أبويها • وعندئذ تتابع الحوار التالى :

« هانز — أوه ، عندئذ سأنزل أنا لآنم مع ماريديل • »

« الأم — أتريد حقا أن تترك ماما وتذهب لتنام تحت ؟ »

« هانز — أوه ، سوف أصعد من جديد فى الصباح لأتناول طعام الافطار ولأذهب الى التواليت • »

« الأم — حسنا ، ان كنت تريد حقا أن تترك بابا وماما وتذهب نخذ اذن سترتك وسروالك و — وداعا ! »

« وقد أخذ هانز بانفعل ملايسه واتجه الى السلم ليذهب وينام مع ماريديل ولكننا بالطبع أعدناه • »

« ووراء رغبته : « أريد أن تنام ماريديل معنا » تكمن رغبة أخرى :

« أريد أن تصبح ماريديل (التى يحب جدا أن يكون معها) واحدة من أسرتنا • » ولكن أباه وأمه كانا يأخذانه فى فراشهما ، وأن كان ذلك فقط بين حين وحين ، وليس ثمة شك فى أن رقادها هذا بجانبها كان

يستثير عنده أحاسيس شبقية ، ومن ثم فإن رغبته في أن ينام مع مازيدل لها أيضا دلالتها الشبقية • فالرقاد في الفراش مع أبيه وأمه كان مصدرا للأحاسيس الشبقية عند هانز ، تماما كما هو الحال عند أى طفل آخر • «

وعلى الرغم من نوباته من الجنسية المثليه ، فإن هانز الصغير قد تصرف كرجل بمعنى الكلمة في مواجهته لتحدى أمه •

وفي المثال التالى أيضا قال هانز (لأمه : « أتعرفين ، لكم أود جدا أن أنام مع البنت الصغيرة • » هذه الواقعة أتحت لنا كثيرا من التسلية ، إذ أن هانز قد تصرف في الواقع كراشد متميم • ففي المطعم الذى نتناول فيه طعام الغذاء ، اعتادت أن تحضر ، في الأيام القليلة الأخيرة ، بنت صغيرة أنيقة في الثامنة من العمر • وطبيعى أن هانز قد وقع في حبها على الفور • انه لايتوقف عن الدوران في مقعده ، يختلس النظرات اليها ، وما أن يفرغ من تناول الطعام حتى يذهب ليجلس على مقربة منها كيما يغازلها ، ولكنه اذا تبين أن أحدا يرقبه وهو يفعل ذلك استحال قرمزيا من الخجل • واذا استجابت البنت الصغيرة لظنراته بنظرات منها فانه يتحول بعينيه عنها على الفور الى الثاحية الأخرى ، وقد غلبه الارتباك • وسلوكه هذا هو بهجة كبيرة بالطبع لكل الذين يتناولون غذاهم بالمطعم • وكل يوم ، وهو في طريقه الى المطعم يسأل : « هل تعتقد أن البنت الصغيرة ستكون هناك اليوم ؟ » وعندما تظهر آخر الأمر يحمر وجهه تماما ، شأنه تماما شأن الراشد في مثل هذا الموقف • وذات يوم أقبل على متהל الوجه ، وهمس في أذنى : « بابا أنى أعرف اين تسكن البنت الصغيرة • فقط رأيتها تصعد الدرج في المكان الفلانى • » وبينما هو يعامل البنات الصغيرات في البيت بطريقة عدوانية ، فانه في هذه الحالة الراهنة يبدو بالحرى عاشقا عذريا يضمنيه الوجد • وربما يرجع ذلك الى أن البنات الصغيرات في البيت ريفيات ، بينما البنت الصغيرة في المطعم فتاة مجتمع راق • وكما سبق أن ذكرت ، قال ذات مرة أنه يود جدا أن ينام معها •

ولا كنت لأرغب في أن يظل هانز نهبا لهذا التوتر النفسى الذى عاناه حتى الآن من جراء حبه لهذه البنت الصغيرة ، فقد رتبت الأمر بحيث تعرفنا ، ودعوت البنت الصغيرة أن تحضر لتراه فى الحديقة بعد أن يكون قد استيقظ من قيلولته • كان هانز فى انتظاره للبنت الصغيرة من التأثر والآنشغال بحيث لم يستطع لأول مرة أن ينام بعد الظهر ، بل راح يتقلب ويتقلب فى فراشه دون انقطاع • وعندما سألته أمه : « لماذا لا ننام ؟ اتفكر فى البنت الصغيرة ؟ » ، أجاب وهو يطفح بالبشر : « نعم » • وعندما عاد من المطعم قال لكل واحد فى البيت : « هل تعرف ، اليوم سوف تحضر بنتى الصغيرة لترانى • » وقد ذكرت مارييل البالغة من العمر أربعة عشر عاما أن هانز ظل يسألها بلا انقطاع : « هل تعتقدين أنت أنها ستكون لطيفة معى ؟ هل تعتقدين أنها ستكون لطيفة معى ؟ هل تعتقدين أنها سوف تقوم بتقبيلى عندما أقبليها ؟ » وما الى ذلك •

ولكن السماء أمطرت بعد الظهر ، وبذلك لم تتحقق الزيارة • وراح هانز يعزى نفسه مع برتا وأولجا •

وثمة ملاحظات أخرى تمت أيضا أثناء عطلة الصيف ، توحى بأن تطورات جديدة كانت تعتمل داخل الصبى الصغير •

وهانز ، ثلاثة أشهر بعد الرابعة فى هذا اليوم كانت الأم تعطى هانز حمامه اليومى ثم قامت بعد ذلك بتجفيفه وتبديره • وبينما كانت أمه تقوم بتبدير المنطقة حول قضيبه ، فى حرص منها أن لا تلمس القضيب ، قال هانز : « لم لاتضعى أصبعك عليه ؟ »

الأم — لان هذا أمر قذر •

هانز — ما هذا ؟ قذر ؟ لم ؟

الأم — لأن هذا لاينبغى عمله •

هانز (ضاحكا) — ولكنه يبعث بهجة عظيمة (١) .

وفي نفس تلك السن تقريبا رأى هانز حتما يستألفت الانتباه بتعارضه مع الجرأة التي كشف عنها تجاه أمه . وكان هذا أول حلم للصبي استغلق بفعل التحريف . ومع ذلك فان الذكاء النافذ لأبيه استطاع أن ينفذ الى دلالاته .

هانز ، ثلاثة أشهر بعد الرابعة . حلم هذا الصباح استيقظ هانز وقال : « هل تعرف ، هذه الليلة فكرت : واحد قال : من يريد أن يأتي معي ؟ قال آخر : أنا أتى ؟ وعندئذ كان علي هذا الآخر أن يجعل الأول يطرطر . »

ولقد كشفت أسئلة أخرى بوضوح عن عدم وجود أي عنصر يصري في هذا الحلم ، وعن أنه ينتمي الى نمط الأحلام السمعية الصرفة . كان هانز في الايام القليلة الأخيرة يلعب ألعاب «الصالون» و «المراهنة» مع أطفال صاحب الفندق ، ومن بينهم صديقته : أولجا « في السابعة » وبرتلا (الخامسة) . ولعبة « المراهنة » تجري علي هذا النحو : ا : « رهان من هذا الذي في يدي ؟ » ب : « رهاني » . وعندئذ يكون البت فيما ينبغى علي ب أن يفعله . (وينبني الحلم على غرار هذه اللعبة ، غير أن هانز يرغب في أن الشخص الذي يقع عليه الرهان يحكم عليه ، لا أن يعطى القبلة المألوفة ، لا ولا أن يتلقى اللكمة المألوفة في الأذن ، بل أن يطرطر ، أو على وجه أكثر دقة أن يجعل الآخر يطرطر .

(١) أم أخرى ، وكانت عصابية ، ولم تكن تعتقد في وجود الاستمناء الطفلي ، أخبرتنى عن محاولة مماثلة للاغواء من جانب ابنتها البالغة من العمر ثلاث سنوات ونصف . كانت قد حاكت لابنتها سروالا صغيرا ، وكانت تقوم بقياسه عليها لتري ما أن من الضيق بحيث يعوقها عن المشي . وكيفا تتبين ذلك مررت يدها الى أعلى بطول السطح الداخلي . دن فخذ ابنتها . وفجأة أطبقت ابنت الصغيرة بفخذيها على يد أمها قائلة . « أوه ، ماما ، اتركي يدك هنا ، ماأحلى ذلك ! » .

طلبت اليه أن يعيد الحلم • فيرده بنفس الكلمات ، باستثناء أنه بدلا من أن ينطق : « ثم قال آخر » نطق في هذه المرة « ثم قالت هي » • « هي » هذه من الواضح أنها برتا أو أولجا ، واحدة من البنات اللاتي كان يلعب معهن • وبترجمة الحلم يكون كما يلي : «كنت ألعب المراهنة مع البنات الصغيرات ، : وسألت من تريد أن تأتي معي ؟ فأجابت هي (برتا أو أولجا) : أنا آتى • وعندئذ كان عليها أن تجعلني أطرطر • (بمعنى أنه كان عليها أن تعينه على التبول ، وهو أمر من الواضح أنه لاذلهانز) •

ومن الواضح أن عملية جعله يطرطر — بفك أزرار بنطلونه واخراج قضيبه — عملية لازمة لهانز • وفي النزاهات ، غالبا مايكون الأب هو الذي يعين هانز على هذا النحو ، ويتيح هذا الطفل فرصة تثبيت نزعاته الجنسية المثلية على أبيه •

ومنذ يومين كما سبق أن ذكرت بينما كانت أمه تقوم على تنظيف وتبديل منطقتة الانسالية ، سألتها : لم تضعي أصبعك عليه : « وامس عندما كنت أعين هانز على التبول ، طلب الي للمرة الأولى أن أذهب به الى ماوراء البيت حتى لا يراه أحد • أضاف « في العام الماضي عندما كنت أطرطر كانت برتا وأولجا ترقبانى » • وهذا يعنى ، على ما اعتقد ، أنه في العام الماضي كان يستمتع بمراقبة البنيتين له ، ولكن الآن لم يعد الأمر كذلك • فاستعراضيته أصبحت الآن واقعة تحت الكبت • وكون رغبته في أن ترقبة برتا وأولجا وهو يطرطر (أو وهى تجعله يطرطر) قد عدت الآن مكبوتة في الحياة الواقعية ، فذلك مايفسر ظهور هذه الرغبة في الحلم حيث أتيح لها أن تنتكر بشكل بارع في لعبة المراهنة • ومنذ ذلك لاحظت في مناسبات عديدة أنه لايرغب في أن يراه أحد وهو يطرطر •

وحسبى هنا أن أنبه الى أن هذا الحلم يتبع القاعدة التي قدمتها

في كتابي « تفسير الأحلام (١) » ، والتي مؤداها أن الأقوال المنطوقة أو المسموعة في الحلم مستمدة من أقوال نطق بها الحالم أو سمعها في الأيام السابقة على الحلم .

وقد دون أبو هانز ملاحظة أخرى ، ترجع بتاريخها الى الفترة التالية مباشرة لعودتهم الى فينا : كان هانز (في الرابعة والنصف) يشهد من جديد حمام أخته الصغيرة ، عندما راح يضحك . وحين قيل له : « لم تضحك ؟ » أجاب : « اني أضحك من حمامة هنة » . « لم ؟ » « لأن حمامتها حلوة جدا » .

وكانت اجابته بالطبع مخادعة . فحمامتها بدت له في الحقيقة الأمر عجيبة مضحكة ، أضف الى ذلك أن هذه هي المرة الأولى التي تبين فيها ، على هذا النحو ، الاختلاف بين عضو التناسل الذكر وعضو التناسل المؤنث بدلا من أن كان ينكر هذا الاختلاف .

(١) الطبعة السابعة الالمانية ، ص ٢٨٣ وما بعدها .

تاريخ الحالة والتحليل



تاريخ الحالة والتحليل

« استاذى العزيز ، أنى أبعث اليك بمزيد من المعطيات عن هانز الصغير — ولكنها معطيات يؤسفننى فى هذه المرة أن أقول أنها تشكل مادة لتاريخ حالة • فكما سترى ، ظهرت لديه فى الأيام الأخيرة اضطرابات عصبية أهلكتنا ، زوجتى وأنا الأتنا لم نستطع العثور على أية وسيلة لازالتها • وسوف استبيح لنفسى فى الغد أن أتوجه للقائك ••• ولكنى فى انتظار ذلك ••• أبعث اليك بتقرير عن المعطيات التى أتيج لى أن أحصل عليها •

وليس من شك أن التربة قد تهيأت لديه من جراء الاستثارة الجنسية الزائدة الناجمة عن حنان أمه ، ولكنى لاستطيع تخصيص السبب المباشر لاضطراباته تلك فهو يخاف من أن حصانا يعضه فى الطريق ، وهذا الخوف يبدو مرتبطا على نحو مابارتعابه من قضيب كبير • فهو قد تنبه منذ سن باكرا جدا ، كما تعلم من تقرير سابق ، الى ما للحصان من قضيب كبير ، وتآدى فى ذلك الوقت الى أن أمه مادامت كبيرة الى هذا الحد ، فلا بد وأن تكون لها حمامة مثل الحصان

ولكنى لا أستطيع أن أتبين مايمكن استخلاصه من ذلك • أترأه رأى فى مكان ماشخصا استعراضيا : أم ترى أن الأمر كله يرتبط بأمه: فما لايسرنا كثيرا أن يبدأ فى مثل هذه السن الباكرا فى اثاره المتعاب • وفيما عدا خوفه من الخروج الى الطريق ، وأكتتابه فى المساء ، ظل هانز كما كان مرحا ومبتهجا كعادته دائما • »

وسوف لانتبع أبا هانز ، لا فى أحاسيسه القلقة التى يسهل فهمها لا ولا فى محاولاته الأولى للعثور على تفسير ، بل سوف نبدأ بتفحص

المعطيات التي أمامنا فليست مهمتنا يحال أن « نفهم » الحالة دفعة واحدة وفي التو ، إذ أن ذلك الفهم لا يمكن البلوغ إليه الا في مرحلة لاحقة ، عندما تتوفر لدينا عن الحالة انطباعات كافية . ففي الآونة الحالية سوف نعلق حكما ، مولين نفس الاهتمام لكل شيء متاح للملاحظة .

أن أبكر التقارير ، التي يرجع تاريخها الى الأيام الأولى من شهر يناير من عامنا هذا (١٩٠٨) تتتابع كما يلي :

• هانز (تسعة أشهر بعد الرابعة) يستيقظ ذات صباح وهو يبكي .
وتسأله أمه عن سبب بكائه فيجيب : عندما كنت نائما اعتقدت أنك قد رحلت وأنى لم يعد لى أم « اتدلج » معها .

• أذن هو حلم حسير (قلق مرضي)

« سبق لى أن لاحظت شيئا مماثلا لذلك في جموندن أثناء الصيف .
ففى المساء ، وهو فى سريرهِ ، كان غالبا مايكون عاطفيا جدا . وذات مرة قال ملاحظة منادها : « لو أننى كنت بغير ماما . » أو « لو أنك رحلت من هنا » أو شيء من هذا القبيل ، فانى لأذكر على وجه الدقة نص كلماته . وكان من عادة أمه دائما ، ولسوء الحظ ، اذا ما استولى عليه مثل هذا المزاج الحزين ، أن تأخذه معها الى فراشها .

« وفى الخامس تقريبا من شهر يناير ، سعى الى سرير أمه فى ساعة مبكرة ، وقال : « هل تعرفين ماقاتله طنط م — ؟ لقد قالت له تباع (١) صغير لطيف ، . » (كانت طنط م — تنزل عندنا منذ أربعة

(١) فى الالمانية Pisehl بمعنى قضيب . ومن أكثر الأمور

شيوعا — وحالات التحليل النفسى مليئة بذلك — أن تلقى الاعضاء التناسلية للاطفال الملاحظة ، ليس فقط بالكلمات ، بل وأيضا بالحركات ، وذلك من جانب الاقارب العطفين ، ومن بينهم الأبوان نفسها .

أسابيع • وذات مرة اذ كانت ترقب زوجتي وهي تعطي الصبي حمامه ، قالت لها في الواقع هذه الكلمات ولكن بصوت منخفض • سمع هانز هذه الكلمات وهو الآن يحاول أن يستغلها لصالحه • (

وفي السابع من شهر يناير ذهب انى ستادبارك (١) مع الخادمة ، كالعادة ، وفي الطريق بدأ يبكي ، وطلب أن يعود الى البيت ، فهو يريد أن « يتدلح » مع ماما • وعندما سئل في البيت عن سبب رفضه المضي في النزهة وبكائه ، لم يرغب في أن يقول ، وظل حتى المساء مرحا كعادته ولكن في المساء بدأ يستولى عليه الرعب بشكل ظاهر ، وأصبح من غير الممكن ابعاده عن أمه ، ورغب في أن « يتدلح » معها من جديد • ثم بدأ يعود مرة ثانية الى مرحة ونوما هادئا •

وفي الثامن من شهر يناير ، صممت زوجتي على أن تخرج معه بنفسها لتتبين حقيقة الأمر ، وذلك في نزهة الى شونبرون حيث كان يخلو له أن يذهب دائما • بدأ يبكي من جديد ، غير راغب في مغادرة البيت ، واستولى عليه الرعب • وفي نهاية الأمر قبل الذهاب ، ولكن كان يبدو عليه الرعب بشكل ظاهر في الطريق • وفي طريق عودتهما من شونبرون ، قال لأمه ، بعد حراع شديد : « كنت أخاف من أن حصانا يعضنى • » (كانت في الواقع قد بدت عليه علامات الارتباك في شونبرون عندما رأى حصانا •) وفي المساء كان من الممكن ، على ما بدا ، أن يعاني نوبة أخرى مماثلة لتلك التي عاناها في المساء السابق • فيرغب في أن « يتدلح » • ولكن أمكن تهدئته • قال وهو يبكي : « أنا عارف ، سيكون على غدا أن اذهب من جديد للنزهة • » وقال بعد ذلك : « سوف يحضر الحصان في الغرفة ،

وفي نفس اليوم سألته أمه : « هل تضع يدك عند حمامتك ؟ » فأجاب : « نعم ، كل مساء وأنا في الفراش • »

(١) Stadtpark حدائق عامة وسط مدينة فيينا - الترجمة الانجليزية

وفي اليوم التالي ، وهو التاسع من شهر يناير ، تلقى هانز قبل أن يبدأ قيولته تحذيرا بالأبيض يضع يده عند حمامته • وعندما استيقظ وسئل عما تم ، قال أنه قد وضعها مع ذلك عنوها لفترة وجيزة • ،

هاهى اذن بداية الحصر (القلق) عند هانز وبداية الفوبيا (الرهاب) أيضا عنده • وثمة أسباب وجيهة لدينا ، كما هو واضح ، لفصلهما الواحد عن الآخر • اصف ألى ذلك أن المادة ألتاحة تبدو لنا كافية تماما لتوجه خطانا ، وما من فترة من الوقت تكون مواتية لفهم حالة من الحالات بقدر ماتكونه مرحلتها الاستهلاكية ، على نحو مالدينا هنا ، وان كانت هذه المرحلة كقاعدة عامة ، تتعرض لسوء الحظ للاغفال أو التغافل عنها • بدأ الاضطراب العصبى بافكار هى عاطفية وقلقة معا ، ثم أعقب ذلك حلم حصر مضمونه هو : هانز يفقد أمه ، الأمر الذى يجعله غير قادر بعد على أن « يتدلح » معها • فعاطفة هانز تجاه أمه لا بد اذن وأن تكون قد زادت بشكل هائل • تلك هى الظاهرة الأساسية التى تشكل أساس حالته •

وتأييدا لذلك ، فلننذكر هاتين المحاولتين من الاغواء اللتين قام بهما هانز تجاه أمه ، احدهما ترجع بتاريخها الى الصيف ، بينما الأخرى (وتنحصر ببساطة فى امتداحه قضيه) تاتى مباشرة قبل تفجر فوبيا الطريق عنده • كانت تلك العاطفة التى ازدادت تجاه أمه هى التى أستحالت فجأة الى حصر ، هى التى — كما نقول — عانت الكبت •

ونحن لانعرف بعد من أين يكون قد أتى ذلك الدافع للكبت • ربما حدث الكبت ببساطة نتيجة لازدياد انفعالات الطفل زيادة تفوق مالديه من تدره على السيطرة عليها ، وربما تكون هناك قوى أخرى لم نتعرف عليها بعد ، قد عملت عملها أيضا • ذلك ماسوف نتبينه فيما بعد • فقلق هانز هذا ، وهو الذى يناظر صباية شبقيه مكبوتة ، هو أولا ، ككل حصر طفلى ، بغير موضوع : مجرد حصر ، لم يصبح بعد خوفا • فالطفل لا يستطيع أن يتبين من أى شىء هو خائف ، وعندما يرغب

هانز ، بعد نزهته الأولى مع الخادمة ، في أن يقول من أى شىء هو خائف فذلك ببساطة لأنه لم يتبين بعد هذا الشىء • لقد قال كل مايعرفه، وهو أنه يفتقد ، في الطريق ، ماما التى يستطيع أن « يتدلع » معها ، وأنه لايرغب فى أن يكون بعيدا عنها • وبقوله هذا يكتشف فى صراحة تامة عن الدلالة الأولى لنفوره من الطريق أضف الى ذلك أن الحالة التى كان عليها هانز أثناء أمسيتين متتاليتين قبل ذهابه الى فراشه ، والتى كانت تتميز بالحصر الذى مايزال بعد مختلطا بصباية واضحة • هذه الحالة ترينا أنه فى بداية مرضه لم تكن هنالك بعد أى فوبيا من أى نوع ، لا من الطريق ، ولا من النزهة ، لا ولا حتى من الأحصنة • فلو كانت هناك فوبيا لاستحالت الحالة التى تعترية فى المساء على التفسير، فمن ذا الذى يزجج نفسه وقت النوم بالتفكير فى الطريق أو فى النزهة ؟ وعلى العكس فان تفسير هذه الحالة المسائية يغدو واضحا تماما اذا ما وضعنا فى اعتبارنا أن هانز كانت تغمره عندما تحين ساعة النوم ، زيادة فى الليبيدو — هذا الذى كان موضعه الأم ، وكان هدفه فيما يتحمل أن ينام معها • فقد تعلم فى الواقع ، من الخبرة التى عاشها فى جموندن أن أمه يمكن حملها ، عندما تستولى عليه مثل هذه الحالة ، على أن تأخذ معها فى فراشها ، وهنا فى فينا كان يريد أن يبلغ نفس هذا الهدف • وليس لنا أيضا أن ننسى أن هانز كان لبعض الوقت فى جموندن بمفرده مع أمه ، اذ لم يكن بوسع أبيه أن يقضى عطلة بأكملها هناك ، وأن عاطفته فى الريف كان ينقاسمها عدد من رفاق اللعب والأصدقاء من الجنسين ، بينما فى فينا لم يكن له منهم أحد ، ومن ثم كان الليبيدو عنده فى وضع يحتم عليه أن يعود متجها بكليته تماما الى أمه •

وهكذا فان الحصر عنده كان يناظر صباية لبييدية مكبوتة ولكن هذا الحصر ليس هو نفس هذه الصباية : فالكتب ينبغى وضعه فى الاعتبار أيضا • فالصباية يمكن أن تتحول بتمامها الى اشباع اذا ما أتيج لها الموضوع الذى تصبو اليه • والعلاج من هذا النوع لا تكون

له فاعليته في التعامل مع الحصر فالحصر يبقى حتى عندما نتوفر
الإمكانية لاشباع الصبابة • فلم يعد من الممكن تحويل الحصر من
جديد وبتمامه إلى لبيدو ، فثمة شيء يبقى على اللبيدو بعيدا تحت
الكبت (١) • وقد تبين أن ذلك هو الأمر في حالة هانز عندما صحبته
أمه في النزهة التالية • فقد كان في هذه المرة مع أمه ، ومع ذلك ظل
يعانى من الحصر - أى من صبابة غير مشبعة إليها • صحيح أن الحصر
كان أقل ، إذ سمح لنفسه أن ينساق ذاهبا إلى النزهة ، بينما كان
قد أرغم الخادمة على أن تعود به إلى البيت • هذا إلى أن الطريق
ليس بالمكان الملائم تماما لكى « يتدلج » ، أو لأى شيء آخر يكون هذا
العاشق الصغير تواقا إلى فعله • ولكن الحصر صعد للتجربة ، وكان
الشيء الذى يتحتّم عليه بعد ذلك هو أن يعثر على موضوع • لقد
كان أثناء تلك النزهة أن عبر لأول مرة عن خوفه من أن حصانا يعضه
فمن أين أتت مادة هذه الفوييا : ربما من تلك العقد التى ماتزال بعد
نجهلها ، والتى أسهمت فى عملية الكبت ، وأبقت تحت الكبت مشاعره
اللبيدية تجاه أمه • تلك مشكلة لم يتضح بعد حلها ، ويتحتّم علينا
الآن أن نمضى مع تطور الحالم حتى نبلغ إلى حلها • ولقد سبق أن
قدم لنا بالفعل أبو هانز بعض العلامات الدالة التى قد يمكن الركون
إليها فى ثقة ، وذلك من قبيل أن هانز كان دائما يلاحظ الأحصنة
باهتمام بسبب مالها من حمامة كبيرة ، وأنه افترض أن أمه لابد وأن
تكون لها حمامة مثل الحصان ، وما إلى ذلك • وهكذا يمكن أن نتأدى
إلى الاعتقاد بأن الحصان كان ببساطة مجرد بديل عن أمه • ولكن إن
كان الأمر كذلك ، فما عساه أن تكون دلالة خوفه فى المساء من أن
حصانا يدخل فى الغرفة ؟ مخاوف سخيفة لصبى صغير ، ذلك ما قد
يقال • ولكن العصاب ، وهو فى ذلك لا يختلف عن الحلم ، لا يقول قط
أشياء سخيفة فنحن عندما نعجز عن فهم شيء نرميه دائما بالسخف.

(١) فى صراحة تامة ، ذلك بالفعل هو المعيار الذى يحسبه نبت فيما
إذا كانت مثل هذه المشاعر التى تمتزج فيها الرهبة والصبابة سوية أو
لا سوية • فنحن نعتبرها « قلقا مرضيا » منذ اللحظة التى لم يعد فيها
ممكننا التفريغ عن هذه المشاعر بالحصول على الموضوع المصبوب إليه •

أشياء سخيفة فنحن عندما نعجز عن فهم شيء نرمية دائما بالسخف
فيالها من وسيلة ممتازة نيسر بها المهمة على أنفسنا •

وثمة نقطة أخرى ينبغي بازائها أن نتجنب الاستسلام لهذه
العواية • فهانز قد صرح بأنه في كل ليلة قبل النوم كان يتسلى باللعب
في قضيبه • عندئذ يصيح طبيب العائلة قائلا : « آه : لقد اتضح الآن
كان شيء • الطفل يستمنى ، ومن هنا قلقة المرضى » • ولكن رويدك !
فأما أن الطفل يمنح نفسه أحاسيس شهوية لاذة بالاستمناء ، فذلك
لايفسر لنا في شيء قلقة ، بل يجعله بالحرى أكثر استغلاقا على الفهم
فحالات الحصر لا تنتج من الاستمناء ، لا ولا من الحصول على
اشباع من أى نوع • أضف الى ذلك أنه قد يكون لنا أن نفترض أن
هانز وقد تخطى الآن الرابعة بتسعة أشهر ، كان يمنح نفسه هذه
الذمة كل مساء منذ سنة على الأقل (أنظر ص ١٨٢) • وسوف نتبين
أن هانز في هذا الوقت بالذات كان بالفعل مشتبكا في صراع ليخلص
نفسه من تلك العادة — الأمر الذى يتفق على نحو أفضل مع الكبت
وتكوين الحصر •

وينبغي أن نقول كلمة أيضا ، انصافا لأم هانز الممتازة المخلصة
فأبوه يتهمها ، وان لم يكن ذلك بغير مظهر من الحق ، بأنها كانت
السبب في تفجر عصاب الطفل ، بما كانت تبديه من عطف مسرف نحوه،
وبمسارعتها جد المتواترة الى أن تأخذها الى فراشها • وكان من
الممكن أيضا بنفس اليسر أن نتيهما بأنها قد عملت عملية الكبت بصددها
العنيف لعروضه العشقية (« لأن هذا أمر قذر ») (ص ١٩٣) ولكن
لقد كان عليها أن تضطلع بدور رسمته الأقدار من قبل ، وكان موثقا
• عسيرا

انتقت مع أب هانز على أن يقول للصبي أن كل هذه الحكاية عن
الأحصنة لم تكن غير « حماقة » لا أكثر • وكان على أبيه أن يقول له

أن الحقيقة هي أنه مغرم جدا بأمه ، ويرغب في أن تأخذه الى فراشها أما خوفه الآن من الأحصنة فسببه أنه قد اهتم كل هذا الاهتمام الكبير بحماماتها • لقد لاحظ هو نفسه (هانز) أنه ليس من الصواب الانشغال بدرجة زائدة الى هذا الحد بالحمامات حتى بحمامته هو ، وقد كان صائبا حين فكر على هذا النحو • وقد ألمحت الى أبيه بالاضافة الى ذلك بأن عليه يبدأ في تبصير هانز بعض الشيء بالمعارف الجنسية • أن سلوك الطفل في الماضي قد حولنا الحق في أن نفترض أن الليبيدو عنده يتشبه برغبة في أن يرى حمامة أمه ، ومن هنا فقد اقترحت على أبيه أن يزيل عن هذه الرغبة عند هانز هدفها ، وذلك بأن يجعله يعرف أن أمه وكل الكائنات الأنثوية الأخرى (كما يمكنه أن يتبين ذلك استنادا الى هنا) ليس لها حمامة على الإطلاق ، وهذا العنصر الأخير من التبصير يتحتم تقديمه الى هانز في فرصة مناسبة يكون التأدي إليها ابتداء من سؤال أو ملاحظة عارضة تصدر عنه •

ان الملاحظات التالية عن هانز تغطي الفترة من أول مارس الى السابع عشر من نفس الشهر • أما الفترة الفاصلة ، والتي تريد عن الشهر ، فسوف نتبين في التو أمرها •

وان تبصير (١) هانز قد أعقبته فترة من الهدوء النسبي ، كان من الممكن خلالها الخروج به دون صعوبة كبيرة في نزهته اليومية الى شتاربارك • وخوفه من الاحصنة تحول أكثر فأكثر الى قهر قوامه النظر الى الاحصنة • قال : « يتحتم على أن أنظر ألى الاحصنة ، وعندئذ أرتعب » •

وبعد نوبة من الأنفلونزا ألزمته الفراش أسبوعين ، ازدادت

(١) فيما يتصل بدلالة حصره ، وليس فيما يتصل بأن النساء ليست لهن حمامة •

الفوبيا عنده من جديد إلى درجة من الشدة بحيث لم يعد من الممكن حمله على الخروج ، وفي خير الحالات يخرج إلى الشرفة • في كل يوم من أيام الآحاد كان يذهب معي إلى لاينتس (١) ، ففي يوم الأحد لا تكون العربات كثيرة في الطرقات ، والمسافة قصيرة إلى المحطة وفي لاينتس كان يرفض الخروج إلى النزهة خارج الحديقة ، لأن عربة كانت تقف أمام الحديقة • وبعد أسبوع آخر ، كان عليه فيه أن يلزم البيت بسبب عملية استئصال اللوزتين ، أصبحت الفوبيا من جديد أكثر سوءا بكثير • صحيح أنه كان يخرج إلى الشرفة ، ولكنه لم يكن يخرج إلى النزهة • فهو لا يكاد يبلغ باب الطريق حتى يستدير عائدا في سرعة •

وفي يوم الأحد ، الأول من مارس ، جرت الحادثة التالية في طريقنا إلى المحطة • كنت من جديد أحاول أن أبين له أن الأحصنة لاتعض • هو « ولكن الأحصنة البيضاء تعض • ففي جموندن حصان أبيض يعض • لو تضع اصبعك عنده يعض • » (أدهشني أن يقول « اصبع » بدلا من « يد » •)

ثم روى لي الحكاية التالية التي أوردتها هنا في صورة مترابطة : « عندما كان علي ليتزى Lizzi أن ترحل ، كانت هناك عربة بحصان أبيض أمام البيت لتحمل امتعتها إلى المحطة • » (قال لي أن ليتزى بنت صغيرة تسكن في بيت مجاور) • « كان أبوها يقف إلى جانب الحصان عندما أدار الحصان رأسه (ليلمسه) فقال ليتزى : لاتعضي اصبعك عند الحصان الأبيض والايعضك (٢) (وعندئذ قلت) « هل

(١) صاحبة من ضواحي فينا (لاتضع بعيدة عن شونبرون) حيث كان يعيش جد هانز وجدته •

(٢) قارن كلمات - سؤاله الام Gibst du vielleicht die Hand Zum Wessen Pferd ؟ (هل تضع يدك عند حمامتك ؟) مع كلمات التحذير Wiwimacher ؟ Gieb nichte die Finger Zum Wessen Pferd التي قالها أبو ليتزى (لاتعضي اصبعك عند الحصان الابيض) - هامش الترجمة الفرنسية •

تعرف ، ان ما يبدو لى هو أنك تتحدث لا عن خصان بل عن حمامة لاينبغى وضع اليد عندها . »

- هو — ولكن الحمامة لاتعض .
- أنا — ربما تعض مع ذلك .

ثم راح فى حماسة يحاول أن يدلل لى على أن الأمر كان يتعلق فعلا بحصان أبيض (١) .

وفى الثانى من شهر مارس ، اذ كشف من جديد عن علامات تدل على أنه خائف ، قلت له : « هل تعرف ؟ أن الحمامة » (فكذلك كان يسمى الفوبيا التى عنده) « سوف تتحسن لو أنك خرجت أكثر للنزهة فىهى الآن فى هذه الحالة من السوء لأنك لم تكن قادرا على أن تخرج اذ كنت مريضا » .

هو — أو ، كلا فهى فى هذه الحالة من السوء لأنى مازلت أضع يدى عند حمامتى فى كل ليلة .

فالطبيب والمريض ، الأب والأبن ، يتفقان اذن فى نسبة الدور الرئيسى ، من بين العوامل المولدة للمرض فى الحالة الراهنة لهانز ، الى عادة الاستمناء . ومع ذلك فقد كانت هناك أيضا — علامات تدل على وجود عوامل أخرى لها أهميتها .

وفى الثالث من شهر مارس جاءتنا خادمة جديدة ، سر لها هانز بصفة خاصة . أنها تتركه يعتنى ظهرها وهى تعكف على تنظيف الأرضية ،

(١) لم يكن هناك من سبب يحمل أبا هانز على يشك فى واقعية الحدث الذى كان يصنفه الصبى — ويمكننى أن أضيف أن أحاسيس «الأكلان» فى حشفة التخصيب التى تحمل الاطفال على لسه ، عادة ما يصفونها فى الالمانية Es beisst mich أنه يعضنى) . وفى العربية (بياكلنى) — المترجمون .

ومن هنا فإنه يناديها دائما « حصانى » ، ويشدها من ملابسها وهو يصيح « شى ! » وفى العاشر من شهر مارس تقريبا قال لهذه الخادمة : « لو فعلت هذا الشيء أو ذاك فسيكون عليك أن تنزعى كل ملابسك ، بل وأن تنزعى ملابسك الداخلية أيضا » • (كان يفهم ذلك على أنه عقوبة ، ولكن من اليسير أن نتبين الرغبة التى تكمن وراء ذلك •)

هى — وفيم يضايقنى ذلك ؟ سأقول فقط لنفسى ليس لدى أية نقود لأشتري ملابس •

هو — ولكن سيكون هذا مخجلا ! اذ يرى الناس عندئذ حمامتك ؟

وهنا نجدنا من جديد أمام نفس الاستطلاعية ، وقد اتجهت الى موضوع جديد وقد تنكرت (بما يلائم فترة الكبت) فى ثياب مهذبة •

وفى صباح الثالث عشر من شهر مارس قلت لهانز : « هل تعرف لو أنك لاتضع يدك بعد الآن عند حمامتك فان الحمامة التى عندك سوف تتحسن بسرعة » •

هانز — ولكنى لم أعد أضع يدي أبدا عند حمامتى •

أنا — ولكنك مازلت ترغب فى ذلك •

هانز — نعم ، انى أرغب • ولكن الرغبة غير الفعل ، والفعل غير الرغبة (! !) •

أنا — حسنا ولكن لكى تمنع رغبتك فى ذلك فسيكون لديك هذا المساء كيس لتنام فيه •

وبعد ذلك خرجنا أمام المنزل • كان هانز مايزال خائفا ، ولكن معنويته كانت قد ارتفعت بشكل واضح بفضل مايتوقع من المساندة

التي يلقاها في صراعة ، وقال : « أوه ، لأن لدى هذا المساء كيسا لانام فيه فإن الحماقة ستكون قد اختفت مع الغد » . وفي الواقع فإن خوفه من الأحصنة كان أقل بكثير ، وكان هادئا بدرجة كافية والعربات تمشى من أمامه .

كان هانز قد وعدنى بالذهاب معى الى لاينتس فى الأحد القادم ، الخامس عشر من شهر مارس . قاوم فى البداية ، ولكنه فى نهاية الأمر ذهب معى . كان من الواضح أنه على مايرام فى الطريق ، اذ لم تكن هناك عربات كثيرة ، وقال «ياالفطنة الله ! لقد أقصى الآن كل الاحصنة » . وفى الطريق أخذت أشرح له أن أخته ليس لها حمامة مثل حمامته . قلت له أن البنات الصغيرات والنساء ليس لهن حمامة : فما ما ليس لها ، وهنه ليس لها ، وهكذا .

هانز — وأنت هل لك حمامة ؟

أنا — طبعا . ماذا كنت تعتقد إذن ؟

هانز (بعد برهة) — ولكن البنات الصغيرات كيف تطرطن ان لم يكن لها حمامة ؟

أنا — البنات ليس لهن حمامة مثل حمامتك . ألم تلاحظ ذلك من قبل عندما كانت ماما تعطى هنه حمامها ؟

كان طوال النهار يتمتع بمعنوية عالية جدا ، فكان يتزحلق وما الى ذلك . ولكن قرب المساء فقط عاوده الاكتئاب وبدأ عليه الخوف من الأحصنة .

فى ذلك المساء كانت نوبته العصبية وحاجته الى أن « يتدلج » أقل بيروزا بالقياس الى الأيام السابقة . وفى اليوم التالى أخذته أمه معها فى المدينة ، وكان شديد الارتعاب فى الطرقات . وفى اليوم التالى

بقي في المنزل ، وكان شديد المرح • وفي صباح اليوم الثالث استيقظ في السادسة تقريبا وهو في حالة ارتعاب • وعندما سئل ما الأمر ، قال : « وضعت اصبعي ، ولكن مجرد برهة قصيرة جدا ، عند حمامتي عندئذ رأيت ماما عارية تماما في قميصها ، وقد تركتني أرى حمامتها • وقد رأيت جريتا (١) ، جرتيتي ، ما كانت تفعله ماما ، وأريتها حمامتي ثم أبعدت يدي بعد ذلك بسرعة عن حمامتي • » وعندما اعترضت بأنه يعنى فقط « في قميصها » أو « عارية تماما » ، قال هانز : « كانت في قميصها ، ولكن القميص كان من القصر بحيث رأيت حمامتها • »

لم يكن ذلك على الاطلاق حلما ، بل أخبولة استمنائية ، كانت مع ذلك مكافئة للحلم • فان هذا الذي جعل أمه تفعله كان يستهدف من ورائه بكل وضوح تبريرا لنفسه : « مادامت ماما تعرض حمامتها ، فمن حقي أنا أيضا أن أفعل ذلك • »

وبوسعنا أن نتبين أمرين من هذه الأخبولة • اولهما أن توينجات أمه كان لها ، في الوقت الذي تمت فيه ، أثرها البالغ على هانز ، وثانيهما أن التبصير الذي أتيح له من أن النساء ليس لهن حمامة ، لم يتقبله هانز في البداية • فقد أحزنه أن يكون الأمر كذلك وتشبث في أخبولته برأيه السابق • وربما كانت لديه أيضا من الأسباب ما يجعله يرفض في البداية تصديق أبيه •

تقرير أسبوعي من أبي هانز : « استاذي العزيز ، أبعث اليك طيه بما تلا من قصة هانز — انها حلقة عظيمة الأهمية • وربما استببىح لنفسى أن أقوم بزيارتك في العيادة يوم الاثنين القادم وأن أحضر معى — ان استطعت ذلك — هانز ، شريطة أن يرغب حقا في أن

(١) جريتا هي احدى البنات الصغيرات في جموندن ، وحولها تدور الان أخابيل هانز فهو يتحدث إليها ويلعب معها •

يحضر • قلت له اليوم : « هل ترغب في أن تذهب معي يوم الاثنين الى الأستاذ الذى يستطيع أن يخلصك من « الحماقة » ، التى لديك ؟ »

هو — لا

أنا — ولكن لديه بنتا صغيرة جميلة جدا • (وعندئذ وافق هانز فى الذو وهو مسرور •)

الأحد ، الثانى والعشرون من مارس • ورغبة منى فى أن يمتد برنامج الأحد اقترحت على هانز أن نذهب أولا الى شونبرون ، ومن هناك نذهب فى منتصف النهار الى لاينتس • ومن ثم يكون عليه أن يسير ليس فقط من بيتنا الى محطة الجمارك المركزية فى شتادبان (١) ، بل أيضا من محطة هيتزنج الى شونبرون ، ثم من هناك من جديد الى محطة الترام البخارى فى هيزنج • وقد استطاع أن ينجز هذا كله ، محولا عينيه بعيدا فى سرعة كلما مرت به أحصنة اذ كان يستشعر بالطبع الخوف • وهو فى تحويله عينيه بعيدا كان يتبع نصيحة زودته بها أمه •

وفى شونبرون استشعر الخوف من بعض الحيوانات التى كان يشهدها من قبل دون أدنى خوف — ومن ثم فقد رفض بشكل قاطع أن يذهب الى بيت الزرافة ، كما رفض أيضا أن يذهب الى الفيل الذى اعتاد من قبل أن يجد عنده تسلية كبيرة • كان يستشعر الخوف من كل الحيوانات الكبيرة ، بينما كان يجد تسلية عظيمة فى الحيوانات الصغيرة • ومن بين الطيور استشعر فى هذه المرة الخوف من البجع — الأمر الذى لم يحدث قط من قبل — وذلك بالطبع بسبب حجمها أيضا

(١) محطة الجمارك المركزية لسكك حديد فيينا ، المحلية والخاصة بالنواحي وهيترنج ضاحية مجاورة لقصر شونبرون — هامش الترجمة الانجليزية •

عندئذ قلت له : « هل تعرف لم تخاف من الحيوانات الكبيرة »
ان الحيوانات الكبيرة لها حمامة كبيرة ، فأنت في الواقع تخاف من
الحمامة الكبيرة .

هانز - ولكنى لم أر حتى الآن حمامة الحيوانات الكبيرة (١) .
أنا - ولكنك رأيت حمامة الحصان والحصان بالطبع حيوان كبير .
هانز - أوه ، حمامة الحصان كثيرا . مرة في جموندن عندما
كانت العربة تقف أمام الباب ، ومرة أخرى أمام محطة الجمارك
المركزية .

أنا - عندما كنت صغيرا ، يغلب أن تكون قد ذهبت الى اسطبل في
جموندن ...

هانز (مقاطعا) - نعم ، كنت أذهب الى الاسطبل يوميا في
جموندن عندما تعود الأحصنة .

أنا - .. ويغلب أن تكون قد ارتعبت ذات مرة عندما رأيت
حمامة الحصان الكبيرة . ولكن ليس لك أن تخاف منها . الحيوانات
الكبيرة لها حمامة كبيرة ، والحيوانات الصغيرة لها حمامة صغيرة .

هانز - وكل واحد له حمامه . وحمامتى سوف تكبر عندما أكبر ،
لأنها ثابتة في مكانها بكل تأكيد .

وهنا بلغ الحديث نهايته . وخلال الأيام القليلة التالية ، بدت
مخاوفه وكأنها ازدادت من جديد بعض الشيء . كان يجترىء بالتأكيد

(١) لم يكن ذلك صحيحا . أنظر تعجبه أمام قفص الاسيد (ص ١٨٢) .
وربما كان ذلك بداية الامنيزيا (النسيان) الناجمة عن الكبت .

على الخروج أمام الباب الأمامي ، وهو الذي كان يؤخذ إليه بعد الغداء .

أن الكلمات الأخيرة من العزاء التي يوجهها هانز إلى نفسه تلقى ضوءاً على الموقف ، وتتيح لنا أن نجرى في تأكيدات أبيه بعض التصحيحات . صحيح أن هانز كان يخاف من الحيوانات الكبيرة أذ كان يتختم عليه أن يفكر في حمامتها الكبيرة . ولكن لا يمكن القول في الواقع أنه كان يخاف من الحمامة الكبيرة في ذاتها . ففكرة الحمامة الكبيرة كانت فيما مضى بالنسبة إليه فكرة سارة بلا جدال ، وكان من عادته أن يبذل كل جهده ليتاح له أن يلمح واحدة . ومنذ ذلك الوقت ضاعت هذه المتعة بالنسبة إليه ، بسبب الانقلاب العام للذة إلى الألم ، الذي اجتاح كل تقصياته الجنسية — بطريقة لم يتم بعد تفسيرها — وأيضاً بسبب شيء نعرفه بشكل أوضح ، هو على التحديد خبرات وأفكار معينة كانت قد انتهت إلى نتائج الئمة . وبوسعنا أن نستخلص من كلمات العزاء التي وجهها لنفسه (« حمامتي سوف تكبر عندما أكبر ») أنه كان دائماً أثناء مشاهداته يعقد المقارنة ، وأنه استمر بعيداً كل البعد عن أن يرضى عن حجم حمامته . كانت الحيوانات الكبيرة تذكره بهذا القصور ، وكانت من أجل هذا السبب كريمة بالنسبة إليه . ولكن بالنظر إلى أن هذه السلسلة الكلية للأفكار لم تكن تستطيع ، فيما يحتمل ، أن تصبح شعورية تماماً ، فإن هذا الشعور الأليم هو الآخر قد تحول إلى حصر ، بحيث يكون الحصر الحالي عند هانز قد تشيد على الأمرين كليهما : لذاته السابقة وألمه الحالي ، فمتى قامت مرة حالة حصر ، فإن الحصر يبتلع كل المشاعر الأخرى ، فكما تقدم الكبت ، وكما ازدادت هذه الأفكار المشحونة بالوجدانات ، والتي كانت شعورية ، انزلاقاً في اللاشعور ، يكون بوسع جميع الوجدانات أن تتحول إلى حصر .

وملاحظة هانز الفريدة : « لأنها ثابتة في مكانها » نتيج لنا بالرجوع إلى جملة مقاله على سبيل العزاء ، أن نحسس كثرة من الأشياء التي

لم يكن بوسعها أن يعبر عنها في كلمات ، بل التي لم يعبر عنها خلال هذا التحليل . وسوف أسد هذه الثغرة بعض الشيء ، استنادا إلى الخبرة التي حصلت عليها من تحليلي للراشدين ، ولكني أأمل أن لايعتبر تأويلي هذا من قبيل الإقحام أو التعسف . فإذا كان الدافع إلى هذه الفكرة : « لأنها ثابتة في مكانها » هو العزاء والتحدى ، فإننا نذكر ذلك التهديد الذي تلقاه هانز من أمه ، عندما قالت له أنها سوف تبعث في طلب من يقطع له « حمامته » ان هو استمر في العبث بها . وفي الوقت الذي وقع فيه هذا التهديد ، عندما كان هانز في الثالثة والنصف ، لم يتمخض التهديد عن شيء . فقد أجابها في هدوء أنه عندئذ سوف يطرطر « بمؤخرته » (ص ١٨٢) فإذا كان تهديد الخصاء يفعل فعلة الآن بشكل آجل ، وإذا كان هانز الآن ، بعد عام وثلاثة أشهر فريسة الحصر من أن يفقد هذا الجزء الثمين من أنثاه ، فتلك ظاهرة نمطية بأكملها مكون النمطية . وفي حالات مرضية أخرى نستطيع أن نلاحظ مثل هذا التأثير الآجل لتهديدات وأوامر من عهد الطفولة ، حيث تمتد الفترة الزمنية الفاصلة عشرات من السنين أو أكثر ، بل أنني أعرف حالات كانت فيها « الطاعة الآجلة » بتأثير الكبت تضطلع بدور أساسي في تحديد أعراض المرض .

والتبصر الذي زود به هانز أخيرا ، من أن النساء ليس لهن حمامة ، لايمكن إلا أن يكون قد زرع ثقته في نفسه وأيقظ عنده عقدة خصائه . لهذا السبب كان تمرده على هذا التبصير ، ولهذا ولهذا السبب لم يتمخض التبصير عن شيء . أمن الممكن أن توجد حقا في الواقع كائنات حية ليس لها حمامة ؟ لو كان الامر كذلك فلن يكون بعدببيعد على التصديق أن يستطيعوا انتزاع حمامته ، وتحويله ان جاز القول إلى امرأة ! (١) .

* * *

(١) ليس لي أن أقطع هنا تتابع الوقائع لابين الطابع النمطي لهذه السلسلة من الافكار اللاشعورية التي أعتقد أن ثمة مايبيرر هنا نسبتها إلى =

وخلال ليلة السابع والعشرين الى الثامن والعشرين فجأنا هانز بخروجه من فراشه والظلام دامس وبقدومه الى فراشنا • ثمة غرفة صغيرة تفصل غرفته عن غرفتنا • سألتناه عن الحبيب : ربما يكون قد شعر بالخوف • قال : « كلا ، سأخبركما غدا » ومضى ينام في فراشنا ، ثم حملناه بعد ذلك الى فراشه •

وفي اليوم التالي قمت باستجوابه بشكل دقيق لاتبين سبب قدومه اليانا أثناء الليل ، وبعد شيء من التردد جرى الحوار التالي الذى قمت على الفور بتدوينه بالاختزال :

هو — فى الليل كانت فى الغرفة زرافة كبيرة وزرافة مكموشة ، وكانت الزرافة الكبيرة تصيح لأننى أخذت منها الزرافة المكموشة • ثم توقفت الزرافة الكبيرة عن الصياح : وعندئذ جلست فوق الزرافة المكموشة •

أنا (متحيرا) — ماذا ؟ زرافة مكموشة ؟ كيف كان ذلك ؟

هو — نعم • (وبسرعة فنتس عن قطعة ورق وكمشها وقال :) كانت مكموشة هكذا •

أنا — وأنت جلست فوق الزرافة المكموشة ؟ كيف ؟

هانز • أن عقدة الخصاء هى أعمق أصل لاشعورى للعداء ضد التسامية ، فحتى الحضانة يسمع الصبية الصغار أن هناك شيئا مقطوعا عند اليهودى من قضيبه — قطعة من القضيب كما تظنون — وذلك يخولهم الحق فى احتقار اليهود • وليس هناك من أصل لاشعورى آخر أقوى من ذلك للاحساس بالتمفوق على النساء • لقد عامل فاينجر (وهو الفيلسوف الشاب ، ذو المواهب الرفيعة وأن تكن جنسيته مختلفة ، الذى انتحر بعد أن فرغ من كتابه « الجنس والخلق ») ، فى فصل حظى باهتمام شديد ، اليهود والنساء بنفس الكراهية ، وصب على الفريقين نفس اللعنات ، كان فاينجر كعصابى تحكمه عقدة الطفلية ، ومن وجهة النظر هذه يكون المشترك بين اليهود والنساء هو العلاقة التى تربطهم بعقدة الخصاء •

ومن جديد أوضح لى الأمر بأن جلس على الأرض •

« أنا — ولماذا جئت الى غرفتنا ،

هو — أنا لأعرف أنا نفسى •

أنا — هل كنت تشعر بالخوف ؟

هو — لا ، بالتأكيد لا • ،

أنا — هل كنت تحلم بالزرافة ؟

هو — أنا لم أحلم • أنا تخيلت ذلك • أنا تخيلت ذلك كله • كنت

قد استيقظت قبل ذلك •

أنا — ماذا يمكن أن تعنى : زرافة مكموشة ؟ فأنت تعرف مع ذلك

أنك لاتستطيع أن تكمش فى قبضة اليد زرافة كما تفعل بقطعة من

الورق •

هو — أنا أعرف ذلك بالطبع • ولكننى فقط تخيلتها • فليس لها

بالطبع من وجود فى الواقع (١) • كانت الزرافة المكموشة راقدة تماما

على الأرض ، وأنا أخذتها بعيدا — قبضت عليها بيدي •

أنا — ماذا ؟ أتستطيع أن تقبض على زرافة كبيرة بهذا الشكل

بيديك ؟

هو — قبضت على الزرافة المكموشة بيدي •

أنا — أين كانت الزرافة الكبيرة فى تلك الأثناء ؟

(١) بلغته الخاصة ، كان هانز يقول بشكل قاطع أن الامر كان أخبولة •

هو — ان الزرافة الكبيرة وقفت ببساطة بعيدا .

أنا — وماذا فعلت بالزرافة المكموشة ؟

هو — أمسكت بها في يدي برهة ، الى أن توقفت الزرافة الكبيرة
عن الصياح . وعندما توقفت الزرافة الكبيرة عن الصياح ، جلست
فوق الزرافة المكموشة .

أنا — ولماذا كانت الزرافة الكبيرة تصيح ؟

هو — لأنني كنت قد أخذت منها الزرافة الصغيرة . (وتنبه الى
أننى أدون كل شيء فسأل :) لماذا تدون ذلك ؟

أنا — لأننى سوف أبعث به الى أستاذ يستطيع أن يخلصك من
الحماقة ، التي لديك .

هو — أوه ! وعلى ذلك فقد دونت أيضا أن ماما خلعت قميصها ،
وسوف تبعث بذلك أيضا الى الأستاذ .

أنا — نعم . ولكنه لن يفهم كيف يمكنك أن تتخيل أن الزرافة
يمكن كمشها .

هو — قل له ببساطة انني لأعرف أنا نفسى ، وعندئذ فلن يسأل .
فاذا تساءل مع ذلك عن الزرافة المكموشة ماهى ، فبوسعه عندئذ أن
يكتب لنا ، ونستطيع أن نرد عليه ، أو فلنكتب اليه الآن على الفور
بأننى لأعرف أنا نفسى .

أنا — ولكن لماذا جئت الينا أثناء الليل ؟

هو — أنا لا أعرف .

أنا — قل لى بسرعة فى أى شيء تفكر .

هو (بمنازحة) — في شراب التوت •

أنا — وفي أى شيء آخر •

• رغبتان لديه •

هو — وفي بندقية لأقتل بها الناس (١)

أنا — هل أنت متأكد أنك لم تعلم بذلك ؟

هو — بالتأكيد لا • أننى متأكد تماما من ذلك • (واستنرد :)
• رجعتى ماما طويلا أن أخبرها عن سبب مجيئى اليكما أثناء الليل •
• ولكنى لم أرغب فى أن أخبرها ، لأننى أولا شعرت بالخزى مع ماما •

أنا — لماذا ؟

هو — أنا لأعرف •

والواقع أن زوجتى استجوبته طوال الصباح حتى أخبرها بقصة
الزراف •

• وفى نفس ذلك اليوم اكتشف الأب حل أخيوالة الزراف •

الزرافة الكبيرة هى أنا نفسى ، أو بالحرى قضيبى الكبير
(الرقبة الطويلة) ، والزرافة المكوشة هى زوجتى ، أو بالحرى عضوها
النتاسلى • ومن هنا فالأخيوالة هى نتيجة التبصير الذى حصل عليه •

الزرافة : أرجع الى ألنزهة فى شونبرون • أضف الى ذلك أنه كانت
لديه صورة لزرافة وفيل معلقة فوق فراشه •

(١) عند هذه النقطة كان ابوه ، فى حيرته ، يحاول أن يمارس الفنيات
الكلاسيكية للتحليل النفسى • ذلك لم يتمخض عن شيء كثير ، ولكن النتائج
على نحو ماكان عليه ، يمكن أن نتبين دلالاته فى ضوء الكشوف اللاحقة •

والأمر كله هو استعادة. لمشهد كان يجري صباحا تقريبا أثناء الأيام القليلة الأخيرة • هانز يأتي دائما إلينا في الصباح الباكر ، وزوجتي لا تستطيع أن تقاوم أخذه معها لبضعة دقائق في فرائشها • وعندئذ أبدأ دائما في أن أحذرها من أخذه معها في فرائشها (« ان الزرافة الكبيرة كانت تصيح لأننى كنت قد أخذت منها الزرافة المكموشة • ») ، وتجيب زوجتى بين حين وآخر ، وهى أدنى الى الاحتداد بأن هذا سخف ، وأن دقيقة واحدة لاخطر منها فى نهاية الأمر ، وما الى ذلك • وعندئذ يمكث هانز معها برهة قصيرة • (« ثم توقفت الزرافة الكبيرة عن الصياح ، وعندئذ جالست فوق الزرافة المكموشة • »)

وهكذا فان تفسير هذا المشهد الزوجي ، منقولا الى حياة الزراف ، هى كما يلي : استبد به أثناء الليل حين الى أمه ، الى تربيتاتها ، الى عضوها التناسلى ، فحضر الى غرفة نومها بسبب ذلك • والأمر كله استمرار لخوفه من الأهمنة •

وليس لدى ماأضيفه الى تفسير أبيه النفاذ غير هذا : ان « الجلوس فوق » ربما كان تصور هانز للامتلاك (١) • ولكن الأمر كله كان أخبوه من التحدى تتعلق باغتياطه لانتصاره على مقاومة أبيه • « فلتنمض فى الصياح ماشئت ! فان ماما مع ذلك تأخذنى فى فرائشها ، وماما ملكى أنا ! » وهن هنا يكون من المعقول أن يتجه ظننا ، كما اتجه ظن أبيه ، الى أن الأخبولة يكفن وراءها خوف من أن لاتحبه أمه ، لان حمامته لم تكن تضاهى حمامة أبيه •

وفى الصباح التالى استطاع أبوه أن يحصل على ما يؤكد صحة تفسيره •

(١) قارن الاشتقاق فى الكلمتين الالمانيتين hesitzen أن يمتلك

sitzens أن يجلس ، أن الكلمة الالمانية للامتلاك Besitz

تكشف عن ارتباطها من حيث الأصل الاشتقاقي بالعبارة التى استخدمها هانز الصغير : tich draufsetzen قارن فى العربية ، بداية الملك بجلوس الملك على العرش • وفى الريف الجلوس على الارض امتلاكها

في يوم الأحد ، التاسع والعشرين من مارس ، ذهبت مع هانز الى لاينتس . وعند الباب استأذنت زوجتي في الانصراف -مداعبا بهذه الكلمات : « الى اللقاء »- أيتها الزرافة الكبيرة ! « وتساءل هانز : « زرافة ! لماذا ؟ » فأجبتة : « ماما هي الزرافة الكبيرة » ، وعندئذ أضاف هانز : « أوه حقا ! ومنه هي الزرافة المكموشة ، أليست كذلك ؟ »

وفي القطار قمت بتفسير أخيويلة الزراف لهانز ، وعندئذ قال : « نعم ، هذا صحيح . » وعندما قلت له ان الزرافة الكبيرة هي أنا نفسي ، وأن رقبته الطويلة ذكرته بحمامة ، قال : ماما لها رقبة كالزرافة أيضا . فقد رأيت وهي تستحم رقبته البيضاء (١) .»

وفي صباح يوم الاثنين ، الثلاثين من مارس ، جاءني هانز وقال : « هل تعرف ؟ لقد تخيلت أمرين هذا الصباح ! » « ماذا كان الأمر الأول ؟ » « كنت معك في شونبرون في منطقة الخرف ، وعندئذ تسللنا الى الداخل من تحت الحبال ، وبعدئذ أخبرنا بذلك رجل البوليس الذي يوجد عند نهاية الحديقة ، فقبض علينا ومضى بنا » ونسى هانز الأمر الثاني .

واني أضيف الى ذلك الملاحظة التالية . عندما أردنا يوم الأحد التفرج على الخراف ، وجدنا تلك المنطقة من الحديقة مقفلة بالحبال . بحيث استحال علينا الوصول الى الخراف . وكان هانز شديد الدهشة جدا من أن المنطقة ليست مقفلة الا بحاجز من الحبال ، يسهل تماما التسال من تحته . فقلت له ان الناس المحترمين لايتسللون من تحت الحبال . فقلت أن التسال سهل تماما ، وكان ردى على ذلك أن رجل البوليس يمكن أن يمر وعندئذ يقبض على الشخص ويمضى به . وعند

(١) اقتصر هانز فقط على تأييد تفسير الزرافتين بوصفهما أباه وأمه ، دون تأييد الرمزية الجنسية ، التي يحسبها تمثل الزرافة نفسها التضييب . وهذه الرمزية هي ولاشك صحيحة . ولكننا في الواقع ليس لنا أن نفتضى من هانز أكثر من ذلك .

ميدخل شونبرون يقف رجل بوليس من الحرس ، وكنت قد أخبرت هانز مرة أن هذا الرجل يقبض على الاطفال الاشقياء .

وبعد أن عدنا من زيارتنا تلك ، وهى التى قمنا بها فى نفس ذلك اليوم ، اعترف هانز أيضا برغبة لدية فى عمل شىء ممنوع : « هل تعرف ؟ لقد تخيلت من جديد شيئا آخر هذا الصباح . » « ماهو ؟ » « ذهبت معك فى القطار ، وحطمتنا زجاج نافذة ، فقبض علينا رجل البوليس ومضى بنا . »

وها هو تواصل ، أعظم ما يكون مسابرة لأخيولة الزراف ، كان عند هانز ظن بأن امتلاك المرء لأمه ممنوع ، فقد اصطدم بحاجز المحارم . ولكنه كان ينظر الى الامر بوصفه ممنوعا فى حد ذاته . ومن هنا كان أبوه معه دائما فى المغامرات الممنوعة التى يعيشها فى أخيبيله ، وكان يقبض عليه معه . فقد كان أبوه فى تصوره يرتكب هو الآخر مع ماما ذلك الشىء الممنوع الغامض ، الذى أحل محله أفعال العنف ، من قبيل تحطيم زجاج نافذة أو شق الطريق عنوة داخل منطقة مغلقة .

فى عصر ذلك اليوم زارنى الأب وأبنة أثناء عملى بالعبادة . كنت أعرف من قبل هذا الفتى الصغير العجيب ، الذى كان رغم كل اعتراضه بنفسه لطيفا الى حد أننى كنت أسعد فى كل مرة برؤيته . لمست أدرى ماأن يذكرنى ، ولكنه كان يسلك سلوكا لاغبار عليه . تماما كما يسلك عضو مكتمل العقل من أعضاء الجماعة البشرية . كانت الجلاسة قصيرة . استهلها أبوه بأن قال أنه على الرغم من كل التبصيرات التى زودنا بها هانز ، فان خوفه من الأحصنة لم يتضاءل بعد . وكان علينا أيضا أن نعترف بأن العلاقات لم تكن الا جد ضئيلة بين الأحصنة التى يخافها ومشاعره العاطفية التى تكشفت تجاه أمه . وثمة تفاصيل معينة عرفتھا الآن — من أنه كان يتضايق بنوع خاص من هذا الذى تحمله الأحصنة حول عيونها ومن هذا الأسود حول أفواهها — لم يكن من الممكن بالتأكيد تفسيرها استنادا الى ماكتسبنا

نعرفه • ولكنى بينما كنت أنظر إليهما وهما يجلسان أمامى ، واستمع فى نفس الوقت الى وصف هانز لأحصنه حصره ، قفزت الى رأسى قطعة أخرى من الحل ، وهى قطعه استطيع جيدا أن أفهم كيف يمكن أن تقلت من أبيه • سألت هانز مداعبا ما أن كانت أحصنته تلبس نظارات، وقد أجابنى على ذلك بأن لا • وعندئذ سألته ما أن كان أبوه يلبس نظارات ، وقد أجابنى على ذلك أيضا ، على الرغم من كل الواقع الساطع ، بأن لا • وأخيرا سألته ما أن كان « بالأسود حول الأفواه » يعنى شاربيا ، ثم أبنت له أنه يخاف من أبيه لأنه (أى هانز) على وجه الدقة جد مغرم بأمه • وأخبرته أنه لابد وأن يكون قد تصور أن أباه غاضب منه لهذا السبب ، وبوسعه (أى هانز) دون أى خوف أن يفضى اليه بأى شئ ، ومضيت أقول أنه قبل أن يولد بوقت طويل ، كنت أعرف أن هانز صغيرا سوف يولد ويكون جد مغرم بأمه الى حد أنه يجد نفسه مرغما على أن يستشعر الخوف من أبيه بسبب هذا الغرام ، وقد أخبرت أباه بذلك • وعند هذه النقطة قاطعنى أبوه قائلا : « ولكن لماذا تتصور أننى غاضب منك ؟ هل حدث قط أننى وبختك أو ضربتك ؟ » فأجاب الصغير : « هذا الصباح • » ، وتذكر أبوه أن هانز كان قد نطحه برأسه فى بطنه على حين فجأة تماما الى حد أن الأب — فى صورة رد فعل — ضربه بيده • ومما تجدر الإشارة اليه أن الأب قد فاته أن يسجل هذه الواقعة ضمن الوحدة الكلية للعصاب ، ولكنه الآن قد تبينها بوصفها تعبيرا عن نزعة الصبى الصغير العدوانية تجاهه ، وربما بوصفها أيضا تعبيرا عن حاجته الى العقوبة على هذه العدوانية (١) •

وفى طريقنا الى البيت سأل هانز أباه : « هل يتحدث الأستاذ مع الله بحيث يستطيع أن يعرف كل هذا قبل وقوعه » ، وكنت أكون جد

(١) وفيما بعد كرر الصبى هذا السلوك تجاه أبيه ، وأن يكن فى صورة أوضح وأكمل ، ذلك أنه كان يبدأ فيضرب أباه على يده ، ثم يقبل بعد ذلك فى حنان نفس هذه اليد

فخور بهذه الشهادة التي تجيء على لسان طفل ، لو لم أكن قد استشرتها أنا نفسي بتفخيري في دعاية •

ومنذ تاريخ هذه الزيارة كنت أتلقى في العادة تقارير يومية عن التغييرات التي تطرأ على حالة المريض الصغير • لم يكن لنا أن نتوقع أن يتخلص هانز من قلقه دفعة واحدة بفعل التبصيرات التي زودته بها ، ولكن غدا من الواضح أن الامكانية قد انفتحت أمامه الآن كيما يخرج الى النور نتاجاته اللاشعورية ، وكما يصفى الفويبا التي لديه • ومنذ ذلك التاريخ وصاعدا مضى في برنامج أمكننى أن أفصح عنه مقدما لأبيه •

اليوم الثانى من ابريل • أول تحسن حقيقى يتم تسجيله بينما كان من غير الممكن من قبل حمله على أن يخرج من الباب الخارجى ويبقى أمامه لبعض الوقت ، وكان كلما اقتربت الأحصنة يجرى دائما عائدا الى داخل البيت ، وقد ارتسمت عليه كل علامات المرعب ، فانه فى هذه المرة بقى أمام الباب الخارجى مدة ساعة — حتى أثناء مرور العربات من أمامه ، الأمر الذى يحدث كثيرا فى شارعنا • وبين حين وحين كان يجرى الى داخل البيت عندما يرى عربة تقترب من بعيد ، ولكنه كان يدور فجأة على عقبيه وكأنه قد عدل عن رأيه • ومهما يكن من أمر ، لم يعد هناك غير بقية حصر ، والتقدم الذى طرأ منذ التبصيرات يستحيل تجاهله •

وفى المساء قال هانز : « مادسنا نذهب الآن الى أمام الباب الخارجى ، فسوف نذهب أيضا الى شتادبارك »

وفى صباح اليوم الثالث من ابريل دخل الفراش معى ، بينما كان فى الأيام القليلة الماضية قد توقف عن ذلك ، قد كان يبدو عليه أنه فخور بعدم فعله ذلك • وسألته : « ولماذا جئت اليوم ؟ »

هانز — عندما يذهب غنى الخوف لن أجيء أبدا •

أنا — واذن فأنت تجيء الى لأنتك خائف !

هانز — عندما لاأكون معك أكون خائفا ، وعندما لاأكون معك في الفراش فعندئذ أكون خائفا • وعندما يذهب عنى الخوف لن أجيء أبدا •

أنا — وعلى ذلك فأنت مغرم بى وتشعر بالخوف حين تكون فى فراشك فى الصباح ! وهذا هو السبب فى أنك تجيء ألى ؟

هانز — نعم لماذا اذن قلت لى أنى مغرم بماما وأن هذا هو السبب فى خوفى ، بينما أنا مغرم بك ؟

هنا يكشف الصبى الصغير عن درجة من الوضوح غير مألوفة حقا • فهو يتيح لنا أن نتبين كيف أن حبه لأبيه كان يتصارع مع كراهيته لأبيه كمنافس مقتدر فيما يتصل بالأُم ، وكان يلوم أباه على أنه لم يتجه بانتباهه بعد الى صراع القوى هذا ، وهو الصراع الذى كان لا بد وأن يتمخض عن حصر • لم يكن أبوه قد بلغ بعد الى أن يفهمه فهما تاما ، ذلك أنه أثناء هذا الحوار لم يبلغ الا الى أن يقنع نفسه بعدائية الصبى الصغير تجاهه ، وهى العدائية التى قمت بتأكيد وجودها أثناء زيارتهما لى والحوار التالى ، الذى أقدمه مع ذلك دون أى تغيير ، هو فى الواقع بالنسبة الى تقديم التبصر عند الأب ، أكثر أهمية منه بالنسبة الى المريض الصغير •

ومن سوء الحظ أننى لم انتبه فى التو لمغزى هذا اللوم • فمادام هانز جد مغرم بأفه فقد كان من الواضح أنه يريد أن يقصينى عن طريقه ، وبذلك يأخذ مكان أبيه • هذه الرغبة العدائية المكبوحة تتحول الى حصر على أبيه ، وهو يجيء الى فى الصباح ليزى ما أن كنت قد رحلت • ولكن من سوء الحظ أننى لم أفهم ذلك وقتها وقلت له :

أنا — عندما تكون وحيدا تتقلق على وتجيء الى غرفتى •

هانز — عندما تكون غائبا فانى أخاف أن لاتعود الى البيت •

أنا — هل سبق لى قط أننى هددتك بأنى لن أعود الى البيت ؟

« — أنت لا ، بل ماما • فقد قالت لى ماما انها لن تعود الى البيت • (ربما بسبب شقاوته هددته بأن ترحل •)

« أنا — قالت ذلك بسبب ماكان من شقاوتك •

« هانز — نعم •

« أنا — وعلى ذلك فأنت خائف من أن أرحل بسبب ماكان من شقاوتك : وهذا هو السبب فى مجيئك الى غرفتى ،

« وعندما نهضت من المائدة بعد الافطار قال هانز : « بابا ، انتظر ، لانقمص ، (١) مبتعدا عنى ! » وأدهشنى أن يقول تقمص بدلا من تجرى ، وأجبتة : « أوه ، واذن فأنت تخاف من الحصان عندما يقمص مبتعدا عنك • « فضحك على أثر ذلك • »

نحن نعلم أن هذا الجانب من القلق المرضى عند هانز ينطوى على عنصرين مكونين : فهناك خوفه من أبيه ، وخوفه على أبيه • الخوف الأول يرجع الى عدائيته تجاه أبيه ، والخوف الثانى يرجع الى الصراع بين حبه — الذى تعرض عند هذه النقطة للمغالاة من قبيل التعويض — وكراهيته •

واسترسل الأب : « تلك ولاشك بداية مرحلة هامة • فهو اذن يجترىء — فى أحسن الحالات — على الخروج من البيت دون أن يبتعد

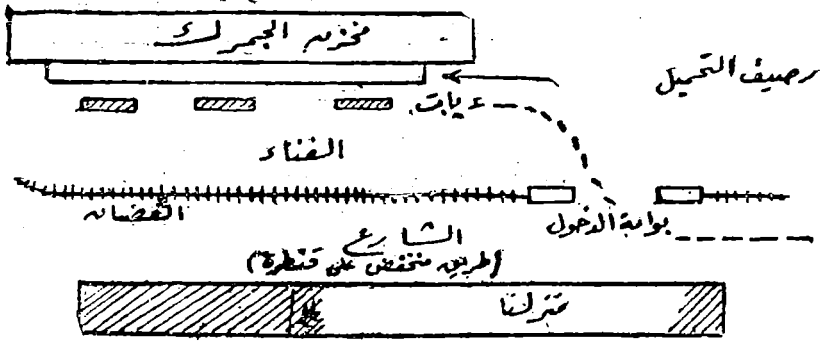
(١) القمص هو ما يخص جرى الخيل فى الإنجليزية ، وفى الفرنسية ، (المترجمون) •

عنه ، وأنى أن يدور على عقبه من منتصف الطريق عندما ترحف عليه-
نوبه الحصر فدافعه الى ذلك كله هو خوفه من أن لا يجد ابويه في
البيت لانهما رجلا بعيدا • فهو يبقى لصيقا بالبيت بسبب حبه لامه ،
وهو يخاف من أن ارحل عن البيت بسبب النزعات العدوانية التي
يذكيها ضدى ، وذلك لانه بارتحالى يعدو هو الأب •

وأثناء الصيف اعتدت أن اتغيب بصفة مستمرة عن جمودن-
مرتحلا الى قينا بسبب أعمالى ، وكان هانز عندئذ هو الأب • وأنت
تذكر أن خوفه من الأحصنة يرتبط بواقعة فى جمودن ، عندما كان
على حصان أن يحمل أمتعة ليتزى Lizzi الى المحطة • فالرغبة
المكبوتة فى أن أتتحرك بالعربة الى المحطة ، كيما يبقى منفردا بأمه
(هذه الرغبة فى أن « يتحرك الحصان ») قد تحولت الى خوف من
أن يتحرك الحصان ، والواقع أن ما من شئ يثير فيه الرعب أكثر من
أن تهتم بالتحرك عربة من فناء محطة الجمارك المركزية (التى تقع تماما
فى مواجهة منزلنا) وتبدأ الأحصنة فى التحرك •

هذه المرحلة الجديدة (مشاعر العدائية تجاه أبيه) ما كان من
الممكن أن تظهر الا بعد أن عرف أننى لست بغاضب من كونه جد مغرم
بأمه •

وبعد الظهر خرجت معه من جديد أمام الباب الخارجى ، ومن
جديد خرج هانز امام البيت وبقي أمامه حين كانت العربات تمر من
أمامه • ولكنه بالنسبة الى عربات قليلة فحسب كان يخاف ، ويجرى
الى ردة المدخل • وقال لى أيضا من قبيل الايضاح : « ليست كل
الأحصنة البيضاء تعض • » ومعنى ذلك : أن بعض الأحصنة البيضاء
تكسفت ، بفضل التحليل ، على أنها « بابا » ، فلم تعد بعد تعض ،
ولكن ما يزال هناك بعض آخر باقيا يعض •



(شكل ٢)

« وخريطة الأماكن أمام الباب الخارجى هي كما يلى . فى المواجهة مخزن الجمرک الذى يزودنا بالمواد الغذائية . وله رصيف للتحميل تتجه اليه العربات طوال النهار لتحمل صناديق وطرودا وما الى ذلك . وهذا الفناء تفصله عن الشارع قضبان ، أما بوابة الدخول الى هذا الفناء فتقع فى مواجهة منزلنا (شكل ٢) . وقد لاحظت منذ بضعة أيام أن هانز كان يرتعب بصفة خاصة لحظة دخول العربات الى الفناء أو خروجها منه ، وهو الأمر الذى كان يضطرها الى أن تدور . وسألته فى ذلك الحين عن سبب ارتعابه الى هذا الحد فأجاب : « أخاف من أن تقع الأحصنة حين تدور العربة (ا) . » وهو يخاف أيضا حين تبدأ فى التحرك العربات الواقفة أمام رصيف التحميل لتمضى راحلة (ب) . أضف الى ذلك (ج) انه يرتعب من الأحصنة الكبيرة الخاصة « بالكارو » أكثر مما يرتعب من الأحصنة الصغيرة ، ومن الأحصنة الفظة الخاصة بالمزارع أكثر من الأحصنة الرشيقة (كهذه التى يجز الاثنان منها عربة الحنطور) . وهو أيضا يرتعب حين تمر العربة أمامه بسرعة (د) أكثر مما يرتعب حين تتهدى الأحصنة على مهل . هذه التمييزات لم تتضح بالطبع فى جلاء الا خلال الأيام القليلة الأخيرة .

وأنى لأميل الى القول بأنه كان من نتيجة التحليل أن ليس المريض غفط بل وايضا فوبياه قد استجمعا الشجاعة واجترأ على التعبير بشكل أصرح .

« وفي اليوم الخامس من ابريل جاء هانز من جديد الى غرفة نومنا ، فأعدناه ثانية الى فراشة • قلت له : « طالما تجيء الى غرفتنا في الصباح فان خوفك من الأحصنة لن يتحسن • » ولكنه أجاب في لهجة من التحدى : «سوف أحضر مع ذلك لو كان لدى خوف •» وعلى ذلك فهو لايرضخ لمنعه من زيارة أمه •

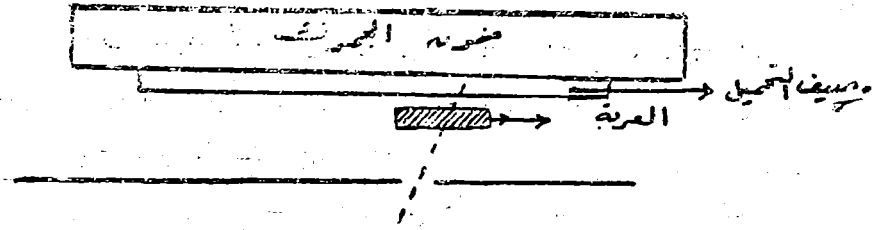
« وبعد الإفطار هبطنا الدرج الي خارج البيت • وكان هانز جد مغتبط ، ورسم خطته بحيث أنه بدلا من أن يقف أمام الباب الخارجى كعادته ، يعبر الشارع ويدخل فى الفناء ، حيث كثيرا ما رأى أطفال الشارع يلعبون • قلت له اننى أكون جد مسرور لو أنه عبر الشارع الى الفناء • وانتهزت الفرصة لأسأله عن السبب فى ارتعابه الشديد عندما تبدأ فى التحرك العربات المحملة من أمام رصيف التحميل (ب)

« هانز — انى أخاف ان كنت فوق العربة من أن تنطلق العربة بسرعة ، فأبقي فوقها وأنا أريد، أن أنزل الى الرصيف (رصيف التحميل) ، فأمضى بذلك مع العربة •

« أنا — واذا كانت العربة تقف ساكنة ؟ ألا تكون خائفا عندئذ ؟
ولم لا ؟

« هانز — اذا كانت العربة تقف ساكنة فعندئذ أستطيع بسرعة الصعود فوقها وأقفز منها الى الرصيف •

« (ومن ثم فقد كانت خطة هانز أن يتسلق فوق عربة ، ومنها يقفز الى رصيف التحميل ، ويخاف من أن تمضى به العربة بعيدا وهو مايزال فوقها •)



الطريق الذي كان يتوى هانز في خطته أن يتبعه

(شكل ٣)

« أنا - ربما تخاف من أن لاتعود ثانية الى البيت أبدا اذا مضت بك العربة بعيدا ؟

هانز - أوه كلا ! أننى استطيع دائما أن اعود الى ماما بنفس العربة أو « بحظور » • وأستطيع أيضا أن اخبره برقم المنزل •

« أنا - فمن أى شىء اذن تخاف ؟

« هانز - أنا لا أعرف • ولكن الأستاذ سوف يعرف هل تعتقد أنه سيعرف ؟

« أنا - فلماذا تريد اذن أن تنزل الى الرصيف ؟

« هانز - لأننى لم أذهب هنالك قط ، وبودى جدا أن اذهب الى هناك ، وهل تعرف لماذا أود أن اذهب الى هناك ؟ لأننى أود تحميل وتفريغ الطرود ، وأود أن أتسلق فوق الطرود هناك • أود جدا أتسلق فوق الطرود هناك ! هل تعرف من علمنى التسلق ؟ بعض الصبية كانوا يتسلقون فوق الطرود ، وبودى أيضا أن أفعل ذلك •

« ولكن رغبته لم تتحقق • لان هانز عندما اجترأ من جديد أمام الباب الخارجى ، فان الخطوات القليلة التى خطاها عبر الشارع وفى

للغناء ابتعثت عنده مقاومات عاتية ؟ اذا كانت العربات لاتنقطع عن الدخول في الغناء والخروج منه .»

وكل ما يعرفه الأستاذ هو أن اللعبة التي كان في خطة هانز أن يلعبها بالعربات المحملة لأبد وأنها كانت بمثابة بديل رمزي لرغبة أخرى ، رغبة لم يتفوه حتى الآن بكلمة عنها . ولكن — اذا لم يبد الأمر اسرافا في الاجتراء — فان هذه الرغبة يمكن بالفعل ، حتى في هذه المرحلة ، تبينها .

وبعد الظهر خرجنا مرة أخرى من جديد أمام الباب الخارجى ، وعندما عدنا سألت هانز : « من أى الأحصنة تخاف أشد الخوف ؟ »

« هانز — منها جميعا .»

« أنا — هذا غير صحيح .»

« هانز — أخاف أشد الخوف من الأحصنة التي لها شيء على أفواهاها .»

« أنا — ماذا تعنى ؟ أقطعة الحديد التي في أفواهاها ؟ »

« هانز — كلا . ان لها شيئا أسود فوق أفواهاها . (وغطى فمه بيده .»)

« أنا — ماذا ؟ ربما شارب ؟ »

« هانز (ضاحكا) أوه كلا .»

« أنا — هل كل الأحصنة لها ذلك الشيء ؟ »

« هانز — كلا قليل منها فقط .»

« أنا — ماهذا الذى لها فوق أفواهاها ؟ »

« هانز — شىء أسود • (أعتقد فى الواقع أنه لابد وأن يكون هذا الجزء السميك من الجلد الذى تحمله الأحصنة الكارو ، حول أفواهها • وأخاف أشد الخوف أيضا من عربات الأثاث •

« أنا — لماذا ؟

« هانز — عندما تجر أحصنة الأثاث •

عربة ثقيلة ، يخيل لى أنها ستقع •

« أنا — وعلى ذلك فأنت لاتخاف من عربة صغيرة ؟

« هانز — كلا ، فأنا لأخاف من عربة صغيرة ، ولا من عربة

البريد ولكننى أخاف أشد، الخوف حين تمر عربة أمنيوس •

« أنا — لماذا ؟ لأنها ضخمة جدا ؟

« هانز — كلا • لأن حصانا فى عربة أومنيوس وقع ذات مرة •

« أنا — متى ؟

« هانز — ذات مرة حين خرجت مع ماما على الرغم من « الحماسة»

التي عندي ، وذلك عندما اشتريت الصدرية (الجليليه) ، (تأكد ذلك

فيما بعد من جانيب أمه)

« أنا — فى أى شىء فكرت عندما وقع الحصان ؟

« هانز — أن الأمر سيكون كذلك دائما • كل الأحصنة فى

الأومنيوسات سوف تقع •

« أنا — في كل الأومنيوسات ؟ »

« هانز — نعم • وفي عربات الاثاث أيضا • ولكن في عربات الاثاث كثيرا • »

« أنا — هل كانت لديك الحماسة بالفعل في ذلك الوقت ؟ »

« هانز — كلا • لقد أصبت بها عندئذ • فعندما وقع حصان الأومنيوس أحدث ذلك عندي رعبا شديدا حقا ! في تلك اللحظة أصبت بالحماسة • »

« أنا — ولكن الحماسة كانت أنك تخاف من أن حصانا سيعضك ، وتقول الآن أنك تخاف من أن حصانا سيقع • »

« هانز — يقع ويعض (١) • »

« أنا — لماذا أحدث ذلك عندك مثل هذا الرعب ؟ »

« هانز — لأن الحصان فعل هكذا بأقدامه • (رقد هانز على الأرض وأرانى كيف كان الحصان يرفس بأقدامه •) لقد أحدث عندي رعبا لأنه أحدث صخبا شديدا بأقدامه • »

« أنا — أين ذهبت مع ماما في ذلك اليوم ؟ »

« هانز — أولا الى حلبة الترحلق ، ثم الى المقهى ، ثم الى شراء الصدرية (الجليه) ، ثم الى بائع الفطائر ، ثم الى البيت في المساء • »

(١) كان هانز على حق ، مهما بدأ من عدم معقولية هذا التقريب بين الامرين • فسلسلة أفكاره ، كما سنرى ، كانت أن الحصان (أباه) سوف يعضه بسبب رغبته (أى هانز) في أن الحصان (أباه) يقع •

وقد عدنا عبر اشتادبارك • (كل ذلك أكدته زوجتي ، كما أكدت أيضا)
أن الحصر تفجر على الفور بعد ذلك) •

« أنا - هل مات الحصان عندما وقع ؟

« هانز - نعم !

« أنا - وكيف عرفت ذلك ؟

هانز - لأنني رأيته (وضحك) كلا لم يمت يحال •
« أنا - ربما تخيلت أنه قد مات ؟

« هانز - كلا ، أبدا بالتأكيد • لقد قلت ذلك فقط كدعاية •

« هانز - كلا ، أبدا بالتأكيد • لقد قلت ذلك فقط كدعاية •

(وكانت تعبيرات وجهه في تلك اللحظة مع ذلك جادة •)

« وحيث أنه كان متعبا فقد تركته يذهب • وكل ماقاله لي
بالإضافة الى ذلك أنه كان في البداية يخاف من أحصنة الأومنيبوسات ،
ثم من جميع الأحصنة ، وأخيرا فقط من أحصنة عربات الأثاث •

« وفي طريق عودتنا من لاينتس كانت بضعة أسئلة أخرى :

« أنا - عندما وقع حصان الأومنيبوس ماذا كان لونه ؟ أبيض ،
أحمر ، بنيا ، رماديا ؟

« هانز - أسود • كلا الحصانين كان أسود •

« أنا - هل كان ضخما أم ضئيلا ؟

« هانز - ضخما •

« أنا — ممثلاً أو نحيلاً ؟ »

« هانز — ممثلاً ضخماً جداً وممثلاً جداً »

« أنا — وعندما وقع الحصان هل فكرت في بابا ؟ »

« هانز — ربما • نعم ، هذا ممكن • »

ربما كانت استقصاءات أبيه قد جانبها التوفيق في كثير من النقاط، ولكن ليس هناك من ضرر في التعرف عن كثب عن فوبيا من هذا القبيل — وهي التي قد تنزع إلى تسميتها بحسب موضوعاتها الجديدة • فبهذه الطريقة يمكننا أن نتبين مدى ماهي عليه من انتشار في الواقع • فهي تنصب على أحصنة وعلى عربات ، وعلى كون الأحصنة تقع وعلى كون الأحصنة تعض ، وعلى أحصنة من طراز خاص ، وعلى عربات محملة تحميلاً ثقيلاً وبوسعنا على الفور أن نوضح أن كل هذه الخصائص ترجع إلى أن الحصر في أصلة ليست له أية صلة بالأحصنة ، بل أنه انزاح إليها بشكل ثانوي ، وأصبح الآن مثبتاً على هذه العناصر من « الحصان — كموقف — كلي » ، وهي العناصر التي تكشفت جد ملائمة لتحويلات بعينها ، ويتحتم علينا أن نثنى بصفة خاصة على نتيجة من أهم نتائج هذه الدراسة للصبى من جانب أبيه • فلقد تبينا السبب المباشر الذي تنفجرت الفوبيا في اثره • كان ذلك عندما رأى الصبى حصاناً كبيراً ثقيلاً يقع وواحد على الأقل من التفسيرات لهذا الانطباع القوي هو ، هذا الذي أبرزه الأب ، من أن هانز قد استشعر عندئذ الرغبة في أن أباه يقع بنفس هذه الطريقة — ويموت • وتعبيرات وجهة الجادة وهو يسرد هذه الحكاية كانت ترجع ولاشك إلى هذه الدلالة اللاشعورية • ولكن أليس من الممكن مع ذلك أن تكون هناك دلالة أخرى خبيثة وراء هذا كله ؟ وماذا يمكن أن تكون دلالة أحداث الصخب الشديد بالأرجل ؟

* * *

« كان هانز منذ فترة يلعب لعبة الأحصنة في الغرفة ، فهو يجرى

قفزا ويقع • ويرفس بقدميه ، ويصهل • وذات مرة علق في رأسه
كيسا صغيرا بوصفه مخللة : وكان في مناسبات عديدة يجرى نحوى
ويعضى • »

بهذه الطريقة كان يعبر عن تقبله للتفسيرات الأخيرة بصورة أكثر
قطع مما كان يستطيعه بالكلمات ، مع قلب للادوار بالطبع ، إذ كانت
اللعبة في خدمة رغبة أخيلية • وهكذا كان هانز هو الحصان ، وكان
يعض أباه ، وبهذه الطريقة كان يتوحد بأبيه •

« لاحظت في اليومين الأخيرين أن هانز كان يتحداني بشكل أشد
ما يكون جسما ، لا في قحة ، ولكن في أسلوب من الدعاية • أكان سببه
ذلك أنه لم يعد يخافنى — أنا الحصان ؟

« اليوم السادس من ابريل • بعد الظهر خرجت مع هانز أمام
البيت وكلمنا مر حصان كنت أسأله ما ان كان يرى « هذا الشيء الأسود
حول فمه » ، وكان في كل مرة يجيب « لا » • سألته ماذا كان يشبه
في الواقع ذلك الشيء الأسود ، قال حديدا أسود • وعليه لم يتأيد
تصوري السابق من أنه كان يعنى قطع الجلد السمكية التي هي جزء
من طاقم أحصنة الكارو » • وسألته ما ان كان هذا « الأسود » يذكره
بشارب : فقال « فقط من حيث لونه • وعلى ذلك فأنا لا أعرف بعد
ما هو في الواقع هذا الشيء •

« تناقص الخوف ، ففي هذه المرة اجتراً على الابتعاد حتى باب
البيت المجاور ، ولكنه قفل راجعا بسرعة عندما سمع صوت حوافر
الأحصنة من بعيد • وعندما اقتربت عربة من بابنا وتوقفت ، ارتعب
وجرى الى داخل البيت ، لأن الحصان بدأ يضرب الأرض بحافره •
سألته لماذا هو خائف ، وما ان كان عصيبا لأن الحصان قد فعل
هكذا (وضربت الأرض بقدمى) • قال : « لا تفعل مثل هذا الصخب
الشديد بقدميك ! » قارن ملاحظته على الحصان الإمبيوس حين
وقع •

« وقد ارتعب بصفة خاصة من عربة أثاث وهي تمر • فعندئذ جرى مباشرة الى البيت • سألته في غير مبالاه : « ألا تبدو عربة الأثاث في الواقع شبيهة بالامنيوس ؟ » لم يقل شيئاً • وكررت السؤال ، وعندئذ قال : « بالتأكيد ! والا لما كنت أخاف الى هذا الحد من عربة الأثاث • »

اليوم السابع من ابريل • سألت اليوم من جديد ماذا يشبهه « هذا الشيء الأسود حول أفواه الاحصنة » قال هانز : « يشبه الكمامة » • وأغرب ما في الأمر أن ما من حصان واحد مر منذ ثلاثة أيام وعليه هذه « الكمامة » ، حتى يكون بوسع هانز أن يشير اليها وأنا نفسي لم أر حصانا من هذا القبيل في تجوالاتي ، وعلى الرغم من أن هانز يؤكد وجود مثل هذه الاحصنة • وأعتقد أن بعض أنواع الجمرة الاحصنة — وربما الجزء السميك من الجلد حول أفواهاها — قد ذكرته بالفعل بشارب ، وأنني بعد ما المحست الي ذلك تلاشى ذلك الخوف هو الآخر •

« تحسن هانز مستمر • ودائرة نشاطه ، اذا اعتبرنا باب البيت مركزها ، تتسع يوما بعد يوم • بل أنه أنجز هذا العمل البطولي الذي كان حتى ذلك الوقت مستحيلا عليه ، ألا وهو عبور الشارع الى الرصيف المقابل وكل ما تبقى من خوف انما يرتبط بمشهد الأومنيوس ، هذا الذي لم تتضح عندي دلالاته بعد •

« اليوم التاسع من ابريل • في هذا الصباح جاءني هانز وأنا أغتسل ونصفي الأعلى عار حتى الوسط •

« هانز — بابا ، كم أنت جميل ! كم أنت أبيض !

« أنا — نعم • كحصان أبيض •

« هانز — الشيء الأسود الوحيد هو شاربك • (واستمر) أو ربما الكمامة السوداء •

« قلت له عندئذ اننى ذهبت فى مساء البارحة لرؤية الأستاذ ،
وقلت : « هناك شىء واحد يريد أن يعرفه • » قال هانز : « انى
شغوف بمعرفة ذلك • »

« قلت لهانز اننى أعرف تلك المناسبات التى كان فيها يحدث
صخبا شديدة شديدا بقدميه بقدميه فقاطعنى قائلا : « آه نعم ! حين أكون
غاضبا ، أو عندما يكون على أن أعمل لومف (١) بينما أريد بالحصى
أن ألعب • » (كان من عادته حقا أن يحدث صخبا شديدا بقدميه ،
بمعنى أن يضرب الأرض بقدميه عندما يكون غاضبا ويعمل
لومف « معناه يتبرز • فعندما كان هانز صغيرا قال ذات يوم ، وهو
ينهض من فوق وعاء — البراز : « أنظر اللومف Lumpf » وكان
يعنى « الجورب Strumpt » • كان يعنى الجورب بالنظر الى شكل
البراز ولونه • وهذه التسمية ظلت باقية الى اليوم • — وعندما كان
هانز جد صغير ، ويتحتم عليه أن يوضع على وعاء — البراز ، بينما
يرفض أن يترك اللعاب ، كان من عادته أن يضرب الأرض بقدميه فى
صورة الغضب ، ويرفس فى كل اتجاه ، بل ويلقى بنفسه على الأرض) •

« أنا — وانت ترفس بقدميك فى كل اتجاه أيضا حين يتحتم
عليك أن تطرطر بينما لا تريد أن تذهب ، اذ كنت تفضل بالحصى أن
تستمر فى اللعب •

« هانز — أوه • ينبغى أن أطرطر • (وخرج من الغرفة — وكان
ذلك من قبيل التوكيد ولاشك •)

كان أبوه قد سألنى خلال زيارته لى عما يمكن أن يكون هذا الذى
تذكره هانز حين رأى الحصان يقع ويرفس بأقدامه فى كل اتجاه •
وأشرت الى أن ذلك يمكن أن يكون استجابته الخاصة حين كان يحتجز
بوله • وهاهو هانز يؤكد ذلك الآن عن طريق الظهور من جديد — أثناء

(١) Lumpf كلمة خاصة بهانز للدلالة على برازه — هامش الترجمة

الحوار — لرغبته في التبول ، كما أضاف بعض الدلالات الأخرى لعملية أحداث الصخب الشديد بالقدمين •

« وبعد ذلك خرجنا أمام الباب الخارجى • وعندما مرت عربة فحم قال لى : « بابا ، اننى أخاف خوفا شديدا من عربات الفحم أيضا » •

« أنا — ربما لأنها كبيرة فى حجم الأومنيبوسات أيضا •

« هانز — نعم • ولأنها محملة تحميلا ثقيلًا الى هذا الحد ، وعلى الأحصنة أن تجر هذا الحمل الثقيل ويمكن أن تقع بسهولة • حين تكون العربة فارغة فأنى لا أخاف منها (وتلك حقيقة) سبق أن اشرت إليها والعربات الثقيلة وحدها هى التى تلقى به فى حالة من الحصر •)

ومع ذلك فقد كان الموقف بشكل قاطع غامضا • كان التحليل قليل التقدم ، واخشى أن القارىء لن يلبث حتى يجد هذا الوصف مضجرا • ومع ذلك فكل تحليل ينطوى على فترات مظلمة من هذا القبيل • ولكن هانز كان الآن على وشك أن يتأدى بنا الى منطقة غير متوقعة

« عدت الى البيت وكنت أتحدث مع زوجتى ، التى كانت قد أشرت أشياء مختلفة وكانت ترينا اياها • وكان من بين هذه الأشياء « كيلوت » نسائى أصفر • قال هانز متعجبا : « اخ ! » مرتين أو ثلاثا ، وألقى بنفسه على الأرض ، وبصق • وقالت زوجتى انه كان قد فعل ذلك من قبل ، مرتين أو ثلاثا ، عند رؤية الكيلوت • سألته : « لماذا تقول اخ ؟ »

« هانز — بسبب الكيلوت

« أنا — لماذا ؟ أ بسبب لونه ؟ لأنه أصفر ، ويذكرك « باللومف »
أو بالبول ؟

« هانز — اللومف ليس أصفر • أنه أبيض أو أسود • (وبعد ذلك مباشرة : « قل لى ، هل يكون من السهل عمل « لومف » اذا كنت تأكل جبنا ؟) كنت قد قلت له ذلك مرة ، حين سألنى لماذا آكل جبنا • (

« أنا — نعم •

« هانز — هذا هو السبب فى أنك تذهب دائما منذ الصباح وتعمل لومف ؟ انى أحب كثيرا أن آكل جبنا مع خبزى المدهون بالزبد •

« وكان قد سألنى بالأمس وهو يقفز من حولى فى الشارع ، « قل لى ، حين يقفز المرء هكذا يكون من السهل عليه أن يعمل لومف ، « أليس كذلك ؟ » كان هانز يعانى صعوبة فى التبرز منذ البداية وكثيرا ماكانت المينات والحقن الشرجية امرا ضروريا • وفى وقت مابلغ أمساكه المعتاد من الشدة بحيث استدعت زوجتى الدكتور ل — كان من راية أن هانز يعانى من زيادة التغذية ، وكان ذلك فى الواقع صحيحا ، فنصح له بتغذية أكثر اعتدالا — واختفت الظاهرة على الفور • • وفى الفترة الأخيرة عاد الامساك الى الظهور بشكل أكثر توترا •

وبعد الغذاء قلت له : « سنكتب من جديد للأستاذ • فأملى على « عندما رأيت الكيلوت الأصفر قلت اخ ! ذلك يجعلنى أبصق ! والغيت بنفسى على الأرض واغمضت عيني ولم انظر • »

« أنا — لماذا ؟

« هانز — لأنى رأيت الكيلوت الأصفر ؟ وقد فعلت نفس الشئ »

مع الكيلوت الأسود أيضا (١) • والكيلوت الأسود هو من نفس النوع،
ولكنه فقط أسود • (ثم قاطع نفسه قائلا :) هل تعرف انى مسرور •
انى دائما جد مسرور عندما أستطيع الكتابة الى الأستاذ •

أنا — « — لماذا قلت اخ ؟ هل كنت مشمئرا ؟

هانز — نعم ، لأنى رأيت ذلك • تصورت أنه كان يتحتم على أن
أعمل لومف •

« أنا — لماذا ؟ •

هانز — لا أدرى •

أنا — متى رأيت الكيلوت الأسود ؟

هانز — ذات يوم ، بينما كانت أنا (خادمتنا) لفترة طويلة هنا
مع ماما ، أحضرتة الى البيت بعد أن اشترته مباشرة • (هذه الحقيقة
أكدتها زوجتى) •

أنا — هل أثار ذلك اشمئزك أيضا ؟

هانز — نعم •

أنا — هل رأيت ماما فى كيلوت كهذا ؟

هانز — كلا •

(١) منذ أسابيع قليلة اقتنت زوجتى بنطلونا أسود لتلبسه فى نزهاتها
على الدراجة •

أنا — وهي تلعب ؟

هانز — عندما اشتريت الكيلوت الأصفر كنت قد رأيته مرة قبل ذلك • (هذا متناقض • فقد رأى الكيلوت الأصفر لأول مرة عندما اشتريته أمه) وقد لبست الكيلوت الأسود اليوم أيضا (وهذا صحيح) لأنى رأيتهما تخلعه فى الصباح •

أنا — ماذا ؟ هل خلعت الكيلوت الأسود فى الصباح ؟

هانز — فى الصباح عندما خرجت خلعت الكيلوت الأسود • وعندما رجعت الى البيت لبست الكيلوت الأسود من جديد •

سألت زوجتى عن ذلك ، اذ بدا لى هذا الامر غير معقول • فقالت ان ذلك غير صحيح بالمره • فهى بالطبع لم تبدل كيلوتها عندما خرجت •

وعلى الفور سألت هانز عن ذلك : « قلت لى أن ماما لبست كيلوت أسود ، وأنها عندما خرجت خلعتة ، وأنها عندما عادت الى البيت لبسته من جديد • ولكن ماما تقول أن هذا غير صحيح • »

« هانز — اعتقد اننى ربما أكون قد نسيت ، وأنها لم تخلع الكيلوت (بنفاذ صبر) أوه ! دعنى وشأنى • »

لدى هنا بضعة تعليقات على مسألة الكيلوت • كان من الواضح أنه مجرد نفاق من جانب هانز أن يدعى أنه جد مسرور أن أتيت له الفرصة ليقدم ايضاحا عن المسألة • وقد ألقى فى النهاية بالقناع جانبا فكان فظا مع أبيه • كان الأمر يتعلق بأشياء زودته يوما بقدر كبير من اللذة ، ولكنه الآن ، وقد أستقر لديه الكبت ، غدا شديد الخزى منها • ويعترف أنه مسمئز منها : وقد أدلى ببعض الأكاذيب الصريحة كيما يموه على الظروف التى رأى فيها أمه تبدل كيلوتها • والواقع أن خلع

كيلوتها ولبسه ينتميان إلى سياق « اللومف » • وكان أبوه على وعي تام
بالأمر كله ، وبما كان هانز يحاول أن يخفيه •

وسألت زوجتي ما أن كان هانز يصحبها في أغلب الأحيان عندما
تذهب إلى المرحاض • قالت : « نعم ، في أغلب الأحيان • فهو لا يفتأ
يضايقتني حتى أسمح له ذلك هو حال كل الأطفال » •

ومع ذلك : فمما ينبغي أن نتذكره بعناية هو هذه الرغبة ، التي
كبتها هانز بالفعل في أن يرى أمه تعمل « لومف » •

خرجنا أمام البيت • وكان هانز جد مرح ، وكان يطفر من حولي
طول الوقت كالحصان • وعلى ذلك قلت له : « والآن من منا • حصان
الأومنيبوس ؟ أنا أم أنت أم ماما » •

هانز (دون تردد) — أنا هو • أنا حصان صغير •

وخلال الفترة التي كان الحصر فيها عنده في الذروة ، وكان
يرتعب عندما يرى الأحصنة وهي تطفر ، سألتني لماذا تفعل ذلك ، وكما
أطمئنته قلت له : « تلك هي أحصنة صغيرة كما ترى ، وهي تطفر هنا
وهناك كالصبية الصغار • وأنت تطفر هنا وهناك أنت الآخر ، وأنت
صبي صغير » • ومنذ ذلك الحين كان كلما رأى أحصنة تطفر قال :
هذا صحيح ، فذاك أحصنة صغيرة ! » •

وبينما كنا نصعد الدرج سألته دون تفكير تقريبا : « هل كان من
عادتك أن تلعب لعبة الأحصنة مع الأطفال في جموندن ؟ »

هانز — نعم • (وهو يفكر) أعتقد أن هذا هو الذي أصابني
بالحماسة •

أنا — من كان الحصان ؟

هانز — كنت أنا ، وكانت برتا هي الحوذى :

أنا — هل وقعت أية مناسبة عندما كنت حصانا ؟

هانز — كلا • عندما كانت برتا تقول « شى » كنت أجرى
سريعا جدا ، كنت أجرى باقصى سرعتى (١) •

أنا — ألم تلعب قط لعبة الأومنيوس ؟

هانز — كلا • كنا نلعب العربات العادية ، ولعبة الأحصنة
بغير عربات ، فعندما تكون للحصان عربة فانه يستطيع أيضا أن
يمضى بغير عربة ، وتبقى العربة فى البيت •

أنا — هل كان من عادتك كثيرا أن تلعب لعبة الأحصنة ؟

هانز — كثيرا جدا • ذات مرة كان فريتزل (٢) هو الحصان
وفراتزل الحوذى ، وجرى فريتزل سريعا جدا ، وفجأة ارتطمت
قدمه بحجر وأخذت تنزف •

أنا — ربما يكون قد وقع ؟

هانز — كلا • فقد وضع قدمه فى الماء ثم لفها بضمادة (٣) •

أنا — هل كثيرا ما كنت الحصان ؟

هانز — أوه ، نعم •

(١) كان عند هانز لعبة هي طائم حصان بأجراس •

(٢) هو ، كما تعلم ، أحد أطفال صاحب الفندق •

(٣) أنظر فيما بعد • كان أبوه على حق تماما حين ظن أن فريتزل قد

وقع عندئذ •

ء أنا — وكان هذا هو السبب في اصابتك بالحماقة ؟

ء هانز — لأنهم ظلوا يقولون لى طول الوقت : « بسبب الحصان »
« بسبب الحصان » (وكان يضغط على كلمة « بسبب ») ، وعلى ذلك فربما أكون قد أصبت بالحماقة لانهم تكلموا هكذا : بسبب الحصان « (١) » .

ولقد تابع أبو هانز لبعض الوقت استقصاءاته في درويب أخرى دون طائل .

ء أنا — هل قالوا لك أى شىء عن الاحصنة ؟

ء هانز — نعم .

ء أنا — ماذا ؟

ء هانز — لقد نسيت .

ء أنا — ربما حدثوك عن حمامتها :

ء هانز — أوه ، كلا .

(١) ينبغى ان أوضح أن هانز لم يكن يقصد انه أصيب بالحماقة في ذلك الوقت ، بل أن ذلك له علاقة بالحماقة . ولا بد في الواقع من أن الامر كان كذلك ، فالاعتبارات النظرية تقضى بأن ماهو اليوم موضوع فوبيا لا بد وأنه كان يوما في الماضى مصدر لذة هائلة . ويوسعى في نفس الوقت أن أكمل ما عجز الصبى عن الإفصاح عنه ، فاضيف أن كلمة *wegen* (= بسبب) كانت الأداة التى مكنت الفوبيا من أن تمتد من الاحصنة الى *wegen* (= العربات) ، أو كما اعتاد هانز أن ينطق الكلمة ويسمعا تنطق (فكلمة *wagen* (بسبب) تنطق تماما مثل *wegen* (عربات) . ولا ينبغى أن ننسى قط أن الاطفال ينفثون الى الكلمات بصورة أكثر عناية بالقياس الى الكبار ، ومن ثم فان التشابه الصوتى بين الكلمتين ينطوى بالنسبة اليهم على أهمية أكثر بكثير .

، أنا — هل كنت تخاف بالفعل من الإحصنة في ذلك الوقت ؟

، هانز — أوه ، كلا . لم أكن أخافها على الإطلاق .

، أنا — ربما قالت لك برتا ان الإحصنة .

، هانز (مقاطعا) — تطرطر ؟ كلا .

في اليوم العاشر من إبريل استأنفت حوارنا الذي كان بالأمس ،
وحاولت أن استكشف ماذا يعنى قوله « بسبب الحصان » . لم يستطع
هانز أن يتذكر . كل ما كان يعرفه أن بعض الاطفال وقفوا خارج الباب
الامامي ذات صباح وقالوا : « بسبب الحصان ، بسبب الحصان ! » كان
هناك بنفسه . وحين ضيقت عليه الخناق أعلن أنهم لم يقولوا على
الإطلاق : « بسبب الحصان » ، ولكن الذاكرة خائفة .

أنا — ولكنك كثيرا ما كنت مع الآخرين في الاسطبل . وبكل تأكيد
لا بد وأنكم تكلمتم عن الأحصنة . — لم نتكلم . — عن أى شيء
تكلمتم ؟ — لا شيء — كل هذا العدد من الاطفال ولا تتكلمون عن
شيء ؟ — تكلمنا عن شيء ولكن لم نتكلم عن الأحصنة . — حسنا ،
ماذا كان ؟ — لم أعد أذكر شيئا .

، تركت الامر بالنظر الى ما كان واضحا من أن المقاومات بالغة
الشدة (١) ، ومضيت الى السؤال التالى : « هل كنت تحب اللعب
مع برتا ؟ »

هانز — نعم ، كثيرا جدا ، ولكن ليس مع أولجا . هل تعرف
ما فعلته أولجا ؟ أعطتني جريتا مرة مرة كرة من الورق هناك في جموندين ،

(١) في واقع الامر لم يكن هنالك من شيء ، يمكن استخلاصه من ذلك
القول أكثر من تداعيات هانز اللفظية ، وهو الامر الذي غاب عن أبيه . ذلك
مثال طيب للظروف التي في ظلها تضيع جهود المحلل .

فمزقتها أولجا اربا • وبرتا ما كان يمكن أبدا أن تمزق كرتي • كنت أحب كثيرا جدا أن ألعب مع برتا •

، أنا — هل رأيت حمامة برتا ؟ ما شكلها ؟

، هانز — كلا • لكني رأيت حمامة الأحصنة ، لإني كنت دائما في الاسطبل ، وهكذا رأيت حمامة الاحصنة •

، أنا — ومن ثم كنت شغوبا وكنت ترغب في أن تعرف حمامة برتا وحمامة ماما ما شكلها ؟

، هانز — نعم •

ذكرته كيف شكأ لي مرة من أن الفتيات الصغيرات كن يرغبن دائما في النظر اليه وهو يطرطر •

، هانز — كانت برتا هي الأخرى تنتظر الي • (قال ذلك في رضى بالغ ، بعيدا كل البعد عن الضيق) ، وكثيرا جدا ما فعلت ذلك • فقد كان من عادتي أن أطرطر في الحديقة الصغيرة حيث كان الفجل ، وكانت هي تقف خارج الباب الامامى وتنتظر الي •

، أنا — وحين كانت تطرطر هل كنت تنتظر اليها ؟

، هانز — كان من عادتها أن تذهب الي المراض •

، أنا — وكنت تريد أن ترى ؟

، هانز — كنت أكون داخل المراض عندما تكون هي فيه •

، (تلك حقيقة أخبرنا بها الخدم ذات مرة ، وأذكر أننا تهينا

هانز عن فعل ذلك) •

، أنا — هل كنت تخبرها أنك ترغب الدخول ؟

، هانز — كنت أدخل بنفسى ، ولأن برتا كانت تسمح لى ، ليس فى هذا ما يدعو الى أى خزى •

، أنا — وهل كنت ترغب فى أن ترى حمامتها ؟

، هانز — نعم ، ولكنى لم أرها •

، وعندئذ ذكرته بطمعه عن لعبة الرهان ، وهو الحلم الذى رآه فى جموندىن وقتلت :

« عندما كنت فى جموندىن هل كنت ترغب من برتا فى أن تجعلك تطرطرو ؟ » •

، هانز — لم أقل لها ذلك قط ؟

، أنا — لماذا لم تقل لها ذلك ؟

، هانز — لأننى لم أفكر فى الأمر • (ومقاطعاً نفسه) لو أننى كتبت كل شىء للأستاذ ، تنتهى الحماقة التى عندى على الفور ، أليس كذلك ؟

، أنا — لماذا كنت تريد من برتا أن تجعلك تطرطرو ؟

، هانز — لأدرى • لأنها كانت تنتظر الى •

، أنا — هل فكرت فى نفسك أنها ينبغى أن تضع يدها على حمامتك ؟

، « هانز — نعم • (ثم غير الموضوع) فى جموندىن كان الأمر مسليا جدا • فى الحديقة الصغيرة ، حيث الفجل ، كانت هناك كومة صغيرة من الرمل ، وكان من عادتى أن ألعب هناك بمجرافى •

« تلك هي الحديقة التي كان من عادته أن يطرطر فيها • »

« أنا — هل كنت تضع يدك على حمامتك في جموندن وأنت في الفراش ؟

، هانز — لا • لم أكن قد بدأت في ذلك ، كنت أنام نوما عميقا في جموندن بحيث لم أفكر قط في ذلك • فقد فعلت ذلك فقط في شارع (١) — وهنا •

، أنا — ولكن برتا لم تضع يدها قط عند حمامتك ؟

، هانز — كلا ، لم تفعل ذلك قط • لأنني لم اطلب اليها ذلك قط ؟

، أنا — حسنا ، ومتى رغبت في ان تفعل لك ذلك ؟

، هانز — اوه ، مرة في جموندن •

، أنا — مرة فقط ؟

، هانز — حسنا ، بين حين وحين •

، أنا — أكان من عادتها ان تنتظر اليك دائما وأنت تطرطر ؟ ربما كانت

تريد أن ترى كيف تطرطر ؟

، هانز — ربما كانت تريد ان ترى حمامتي ماشكلها ؟

، أنا — ولكنك انت ايضا كنت تريد ان ترى • برتا فقط ؟

، هانز — برتا واولجا •

، أنا — ومن ايضا ؟

(١) المسكن الذي كانوا يقضون فيه قبل انتقالهم •

، هانز — لا احد آخر •

، أنا — انت تعرف ان هذا غير صحيح • فماما ايضا •

، هانز — نعم ، ماما ايضا •

، أنا — ولكنك الآن لم تعد تريد أن ترى • فأنت تعرف شكل حمامة
هذه ، أليس كذلك ؟

، هانز — ولكنها مع ذلك سوف تكبر ، أليس كذلك ؟ (١)

، أنا — نعم بالطبع • ولكن حمامتها عندما تكبر فلن يكون شكلها
شكل حمامتك •

، هانز — أنا أعرف ذلك • سوف تكون كما هي (أى كما هي الآن) ،
فقط أكبر •

، أنا — عندما كنا فى جموندين ، هل كنت تريد أن ترى حينما كانت
ماما تخلع ملابسها ؟

، هانز — نعم • وفى ذلك الحين عندما كانت هذه تأخذ حمامها رأيت
حمامتها •

، أنا — وحمامة ماما أيضا ؟

، هانز — كلا •

، أنا — أشعرت باشمئزاز عندما رأيت كيلوت ماما ؟

، هانز — فقط حين رأيت الكيلوت الأسود — عندما اشترته — عندئذ
بصقت • ولكنى لا أبصق عندما تلبس الكيلوت أو تخلعه • انى أبصق

(١) يرغب هانز فى أن يطمئن أن حمامته هو سوف تكبر •

لأن الكيلوت أسود • هو أسود مثل اللومف • والكيلوت الأصفر مثل الطرطرة (البول) ، وعندئذ اتصور ان على أن اطرطر •

أنا — وعندما تخلع ملابسها ؟

هانز — انى لأبصق عندئذ أيضا • ولكن عندما يكون كيلوتها جديدا يكون شكله مثل اللومف • وعندما يصبح قديما يبهت لونه ويتسخ • عندما تشتريه يكون نظيفا تماما ، ولكنه في البيت يتسخ • عندما تشتريه يكون جديدا ، وعندما لا تشتريه يكون قديما •

، أنا — وعلى ذلك فأنت لا تشتمز من الكيلوت القديم ؟

، هانز — عندما يكون قديما أكثر سوادا بكثير من اللومف ، اليس كذلك ؟ أنه يكون أكثر سوادا بعض الشيء (١) •

، أنا — هل كثيرا ما كنت مع ماما في المرحاض ؟

، هانز — كثيرا جدا •

، أنا — وهل شعرت باشمئزاز ؟

، هانز — نعم ••• لا •

، أنا — هل تحب ان تكون هناك عندما تطرطر ماما أو تعمل لومف ؟

، هانز — نعم ، احب جدا •

، أنا — لماذا تحب ذلك كثيرا جدا ؟

، هانز — لأأدرى •

(١) رجلنا الصغير يتصارع هنا مع موضوع ليس في مقدوره أن يعبر عنه في وضوح ، بحيث يعسر علينا فهمه • فربما كان يعنى أن الكيلوت لا يثير عنده شعور اشمئزاز الا اذا رآه منفصلا ، فما أن ترتديه أمه حتى يتوقف عن أن يرتبط عنده باللومف أو الطرطرة (البول) ، ولكنه عندئذ يثير اهتمامه من زوايا أخرى •

، أنا — لأنك تتصور انك سترى حمامتها ؟

، هانز — نعم ، انى اتصور ذلك •

، أنا — ولكن لماذا لم تكن تريد قط أن تذهب إلى المرحاض فى لاينتس •

، (كان فى لاينتس يرجونى دائما أن لا اذهب به الى المرحاض ، فقد

أرتعب مرة من الصخب الذى يحدثه التدفق المفاجئ للماء) •

، هانز — ربما لأن ذلك يحدث صخبا شديدا عند شد السيوفون •

، أنا — وعندئذ تخاف •

، هانز — نعم •

، أنا — وماذا عن مرحاضنا هنا ؟

، هانز — هنا لاخاف • فى لاينتس ينتابنى الرعب عندما نشد

السيوفون • وعندما أكون فى المرحاض ويتدفق الماء بشدة فعندئذ ينتابنى

الرعب أيضا •

، وكيفا يرينى أنه لا يرتعب هنا فى مسكننا ، جعلنى اذهب الى المرحاض

واشد السلسلة التى تسبب تدفق الماء • وعندئذ اخذ يوضح لى :

هانز — يحدث فى البداية صخب عنيف ، ثم بعد ذلك صخب هين •

(ذلك عندما مايتدفق الماء) وعندما ما يحدث صخب عنيف فانى أفضل

أن ابقى فى الداخل ، وعندما يحدث الصخب الهين أفضل بالحرى أن

أخرج •

، أنا — لأنك خائف ؟

، هانز — لأنه عندما يكون هناك صخب شديد، فانى دائما أحب جدا

أن أراه — (ثم يصحح نفسه) ان اسمعه ، ومن هنا افضل ان ابقى فى

الداخل حتى اسمعه جيدا •

، أنا — ما الذى يذكرك به الصخب الشديد ؟

، هانز — ان على ان اعلم لومف فى المرحاض •

، (اذن نفس الشئ الذى يذكر به الكيلوت الأسود •)

، أنا — لماذا ؟

، هانز — لأدرى • ان الصخب الشديد يدوى كما لو كنت تعمل لومف • فالصخب الكبير يذكرنى باللومف ، والصخب الصغير يذكرنى بالطرطرة (البول) • (قارن الكيلوت الأسود والكيلوت الأصفر)

، أنا — قل لى ، ألم يكن حسان الأومنيوس فى نفس لون اللومف ؟
(فبحسب روايته كان أسود اللون) •

، هانز (جد مندھش) — نعم •

يتختم على عند هذه النقطة أن أقحم بضع كلمات • كان أبو هانز يسأل أسئلة كثيرة أكثر مما ينبغى ، ويدفع استقصاءه فى خط يتبع أفكارا قبلية لديه ، بدلا من أن يدع الصبى الصغير يعبر عن أفكاره الخاصة • ولهذا السبب بدأ يغلب على التحليل الغموض والتشكك • وكان هانز يمضى فى طريقة الخاص ، فلا يقدم شيئا متى كانت هناك محاولات لجره بعيدا عنه • فاهتمامه فى الوقت الراهن يتركز بكل وضوح فى اللومف والطرطرة (التبول) ، ولا نستطيع أن نعرف لماذا • ومسألة الصخب الشديد هى فى ضالة حظها من الوضوح كمسألة الكيلوت الأسود والكيلوت الأصفر • وانى اعتقد أن ارهاف السمع عند الصبى قد مكته من أن يتبين بوضوح الاختلاف بين الصخب الشديد الذى يحدثه الرجل وهو يتبول والصخب الهين الذى تحدثه المرأة • فالتحليل ، بطريقة اصطناعية واكراهية بعض الشئ ، قد أرغم المعطيات التى قدمها هانز على التعبير عن الاختلاف ما بين الحاجتين الطبيعيتين • ولا يسعنى الا أن أنصح قرأتى •

الذين لم يمارسوا التحليل حتى الآن ، أن لا يحاولوا فهم كل شيء دفعة واحدة ، بل أن يوجهوا نوعا من الانتباه الحيادي لكل نقطة تبرز ، وان ينتظروا ما سوف يأتي بعد ذلك •

* * *

، اليوم الحادى عشر من ابريل • فى الصباح جاء هانز مرة أخرى الى غرفتنا ، وبعثنا به الى غرفته ، على نحو ما كنا نفعل دائما فى الأيام القليلة الماضية •

وفىما بعد بدأ يتحدث : « بابا ، لقد تخيلت شيئا : كنت فى البانيو(١) ، وعندئذ جاء السمكرى وفكه (٢) ، ثم أمسك بمشقاب كبير وغرزه فى بطنى »

هذه الأخيولة ترجمها أب هانز كما يلى

، كنت فى الفراش مع ماما • وعندئذ جاء بابا وطرمنى بعيدا •
وبتضييه الكبير دفعنى بعيدا عن مكانى بجوار ماما •

نعلق فى الوقت الحاضر حكمننا على ذلك •

ومضى هانز يسرد فكرة ثانية تخيلها : « كنا فى القطار مسافرين الى جموندين وفى المحطة أخذنا فى ارتداء ملابسنا ، ولكننا لم نستطيع أن نفرغ من ذلك فى الوقت الملائم ، فأخذنا القطار ومضى بنا » •

، وفىما بعد سألته : « هل رأيت قط حصانا يعمل لومف ؟ »

، هانز — نعم ، كثيرا جدا •

(١) أم هانز هى التى تعطيه حمامه •

(٢) ليحمله معه بغية اصلاحه •

، أنا — هل يحدث صخبا شديدا وهو يعمل لومف ؟

، هانز — نعم •

، أنا — بمذا يذكرك هذا الصخب الشديد ؟

، هانز — باللومف حين يسقط في وعاء التبرز •

، ان حصان الأومنييوس الذى يقع ويحدث صخبا شديدا بأقدامه هو بالتأكيد لومف يسقط فيحدث صخبا • فخوفه من التبرز ، وخوفه من العربات المحملة تحميلا ثقيلًا ، يكافىء خوفه من بطن محملة تحميلا ثقيلًا •

، بهذا الطريق المتنف بدأ يتزأى لأبى هانز الوضع الحقيقى للامور

* * *

، اليوم الحادى عشر من ابريل • أثناء الغداء قال هانز • « لو كان عندنا فقط بانيو فى جموندن ، بحيث ماكان يكون على أن أذهب الى الحمامات العمومية ! » الواقع أننا فى جموندن كنا نذهب به دائما الى الحمامات العمومية المجاورة ، لياخذ حمامه الساخن — وهو اجراء كان من عادته أن يحتج عليه بدموع ساخنة : وفى فينا أيضا يصرخ دائما اذا ما جعلناه يجلس أو يتمدد فى البانيو الكبير • فهو لا يأخذ حمامه الا وهو راکع أو واقف •

لقد بدأ هانز الآن يغذى التحليل بادلاءته التلقائية • فهذه الملحوظة التى أدلى بها تقييم الصلة ما بين أخيوئتيه الأخيرتين — أخيوئلة السمكرى الذى فك البانيو وأخيوئلة الرحلة الفاشلة الى جموندن • كان أبوه على صواب حين استخلص من الأخيوئلة الأخيرة أن هانز لديه شىء من النفور من جموندن • وهذه مناسبة أخرى جد ملائمة تذكرنا بهذه الحقيقة :

أن ماينبتق من الماشعور ينبغى فهمه ، لافى ضوء مايسبقه ، بل فى ضوء مايتبعه •

، سألته ما أن كان خائفا ، وان كان كذلك فمن أى شىء •

، هانز — من أن أسقط فى البانيو •

، أنا — ولكن لماذا لم تكن قط خائفا عندما كنت تأخذ حمامك فى البانيو الصغير ؟ •

، هانز — لأبى كنت أجلس فيه ، ولا استطيع أن أتمدد ، فقد كان لايتسع لذلك •

، أنا — وحين كنت تتركب القارب فى جموندن ، ألم تكن تخاف من أن تقع فى الماء ؟

، هانز — كلا ، لأنى كنت ثابتا ، ومن ثم لم يكن من الممكن أن أقع •
فى البانيو الكبير وحده يكون خوفي من أن أقع •

، أنا — ولكن ماما هى التى تعطيك حمامك فيه • فهل أنت تخاف من أن تتركك ماما تقع فى الماء ؟

، هانز — أخاف من أن ترخى يدها فتقع رأسى فى الماء •

، أنا — ولكنك تعرف أن ماما تحبك جدا ، ولا يمكن أن تتركك تقع •

، هانز — أنا فقط تخيلت ذلك •

، أنا — لماذا ؟

، هانز — لأدرى على الاطلاق •

، أنا — ربما لأنك كنت « شقيا » ، فتصورت أنها لم تعد تحبك ؟

، هانز — نعم •

، أنا — حينما كنت تشهد ماما وهي تعطى منه حمامها ، ربما تكون قد رغبت في ان ماما ترخى يدها بحيث تقع منه في الماء ؟

، هانز — نعم • ،

ولايسعنا الا أن نعترف أن أبا هانز قد أصاب هنا تماما في حدسه •

، اليوم الثاني عشر من ابريل • بينما كنا عائدين من لاينتس في عربة من عربات الدرجة الثانية ، التفت هانز الى الجلد الأسود الذي يكسو المقاعد وقال : « أخ ! هذا يجعلني أبصق ! الكيلوتات سوداء والأحصنة السوداء تجعلني أبصق أيضا ! لأنه يكون على أن أعمل لومف » •

، أنا — ربما أنك رأيت عند ماما شيئا أسود فارتعبت منه ؟

، هانز — نعم •

، أنا — حسنا ماذا كان ؟

، هانز — لأدرى — بلوزة سوداء ، أو جورب أسود •

، أنا — ربما كان شعرا أسود عند حمامتها ، عندما كنت تريد أن

تعرف ونظرت •

، هانز (مدافعا عن نفسه) — ولكنني لم أر حمامتها •

، وفي مرة أخرى ارتعب من جديد وهو يرى عربة تنطلق خارجة من بوابة الفناء المواجهة لبيننا • فسألته : « أليست البوابة على شكل مؤخرة ؟ » •

هـ هانز — والأحصنة هي اللومف ! •

، ومنذ ذلك الوقت كان كلما رأى عربية تنطلق خارجة يقول :

، أنظر ، ها هو لومفى ، يخرج ! » ونطق الكلمة على هذا النحو
« لومفى » هو جديد بالنسبة اليه تماما ، فله زنين كلمة تدليل • فأختى
بالنسب دائما تنادى طفلها « فومفى » Wumfy

وفي اليوم الثالث عشر من شهر أبريل رأى قطعة كبد في الحساء
فصاح متعجبا : « اخ ! لومف ! » كذلك فان كنتة اللحمية يأكلها على مضض
ظاهر هي الأخرى ، لأن شكلها ولونها يذكره باللومف •

، وفي المساء أخبرتنى زوجتى بأن هانز كان في الشرفة وأنه قال :
« تخيلت في نفسى أن هنه كانت في الشرفة ووقعت منها » •

، كنت قد قلت له مرة أو مرتين أن ينتبه حتى لا تقترب منه كثيرا من
أعمدة السور عندما تكون في الشرفة ، لأن السور كان غير عملى على
الاطلاق في تصميمه (على يد أحد الحرفيين من أتباع المذهب الانفصالى
في الفن) • كان يشتمل على فتحات كبيرة بحيث تحتم على أن أغلقها
بشبكة من السلك • كانت رغبة هانز المكتوبة جدا شفافة • سألته أمه ما أن
كانت رغبة هانز أن لا تكون هنه معنا ، فأجاب : « نعم » •

في اليوم الثالث عشر من أبريل • • موضوع هنه في المقام الأول •
عكما تذكر من تقاريرى الباكراة ، كان هانز يشعر بنفور شديد من الوليدة
الجديدة التى سلبتة جانبا من حب أبويه له • وهذه الكراهية لم تختف

بعد كلية ، ولكنها تعرضت جزئياً لتعويض زائد في حب مسرف (١) . كان قد عبر من قبل مرارا عن رغبته في أن طائر اللقلق لا ينبغي أن يأتي بأى مزيد من الاطفال ، وفي أننا ينبغي أن ندفع له نقودا حتى لا يحضر أى أطفال آخرين من الصندوق الكبير حيث يوجد الأطفال . (قارن خوفه من عربات الأثاث . ألا يبدو الاومنيوس في شكل صندوق كبير ؟) . وهو يقول أن هنه تصرخ كثيرا جدا وأن هذا يضايقه .

، وذات مرة قال على حين فجأة : « هل تستطيع أن تتذكر متى جاءت هنه ؟ كانت تترقد الى جوار ماما في الفراش ، غاية في اللطف والهدوء . (كان مديحه هذا يقطر زيفا !) .

، ونحن تحت ، أمام البيت ، يمكننا أن نتبين تقديما كبيرا . فحنى عربات الكارو تثير عنده خوفا أقل . صاح مرة ، وهو أدنى ما يكون الى الفرح : « ها هو حصان يأتى بشيء أسود على فمه ! » وأخيرا كان بوسعى أن أتبين أنه كان حصانا بكمامة من الجند . ولكن ما ز لم يكن بحال خائفا من هذا الحصان .

، وذات مرة ضرب الرصيف بعصاه وقال : « قل لى ، هل يوجد رجل تحت ، هنا ؟ — واحد مدفون ؟ — أو أن هذا فقط في المدافن ؟ » وعلى ذلك فقد كان هانز مشغولا ليس فقط بلعز الحياة بل أيضا بلعز الموت .

، وعندما دخلنا الى البيت من جديد ، رأيت صندوقا في الردهة الأمامية ، وقال هانز : « هنه سافرت معنا الى جموندن في صندوق كهذا في كل مرة سافرنا الى جموندن سافرت معنا في الصندوق . ألا تصدقنى بعد ؟ هذا صحيح يا بابا . صدقنى كان معنا صندوق كبير ، وكان مليئا بالأطفال ، كانوا يجلسون في البانيو الصغير » . (كان هناك بانينو صغير

(١) موضوع « هنه » أتى مباشرة في أعقاب موضوع « اللومف » ، وتفسير ذلك في نهاية الامر يبدأ يلوح لنا : فهنه كانت هي نفسها لومفا — والاطفال كانوا لومفا .

داخل الصندوق) • « وضعتهم أنا في داخله • حقا وصدقا • انى أتذكر ذلك جيدا (١) » •

، أنا — ما الذى تتذكره ؟ •

، هانز — ان هنة سافرت فى الصندوق ، لأننى لم أنسى ذلك •
• وشرفى ! •

، أنا — ولكن فى العام الماضى سافرت هنة معنا فى عربة القطار •

، هانز — ولكن قبل ذلك كانت دائما تسافر معنا فى الصندوق •

، أنا — ألم تكن ماما هى التى عندها الصندوق ؟ •

، هانز — نعم كان عند ماما •

، أنا — أين ؟ •

، هانز — فى البيت ، فى مخزن السطح •

، أنا — ربما كانت تحمله معها ؟ (٢) •

(١) كان هانز فى تلك اللحظة ينسج أخيوالة ونحن نرى أن الصندوق والبانير لهما نفس المعنى بالنسبة اليه ، فكلاهما يمثل المكان الذى يوجد فيه الاطفال • وينبغى أن نقتبه جيدا الى توكيدات هانز المتكررة فى هذا الموضوع •

(٢) الصندوق بالطبع هو الرحم — كان ابو هانز يحاول أن يجعله يتبين أنه يفهم ذلك • ويصدق ذلك على التواييت حيث كان الكثيرون من أبطال الاساطير يعرضون منذ الملك ساحون الاجادى •

(ملاحظة اضافية عام ١٩٢٣) قارن دراسة رانك : « اسطورة مولد

البطل » ١٩٠٩

Der Natus von der Geburt der Helden. Eny. Trau. The Myth of the Birth of the Hero. New York 1952.

، هانز — كلا ! وعندما تسافر الى جموندن فى المرة التالية ، فسوف
تسافر هنه فى الصندوق من جديد •

، أنا فكيف خرجت من الصندوق اذن ؟

، هانز — جرى اخراجها •

، أنا — على يد ماما ؟ •

، هانز — ماما وأنا • ثم ركبنا العربية • وركبت هنه على الحصان ،
وقال الحوذى : « شى ! • كان الحوذى يجلس فى المقدمة • هل كنت هناك
أنت أيضا ؟ ماما تعرف كل شىء عن ذلك • ماما لاتعرف ، فقد نسيت كل
شىء عن ذلك الآن ، ولكن لاتخبرها بشىء ! •

، جعلته يكرر كل ذلك •

، هانز — وعندئذ خرجت هنه •

، أنا — ولكنها لم تكن تستطيع حينذاك المشى على الاطلاق •

، هانز — حسنا ، حملناها وأنزلناها •

، أنا — ولكن كيف استطاعت أن تجلس على الحصان ؟ انها لم تكن
تستطيع الجلوس على الاطلاق فى العام الماضى ! •

، هانز — أوه ، نعم ! لقد كانت تجلس جيدا ، وصاحت : « شى ! » ،
وضربت بسوطها — « شى ! شى ! » — وهو السوط الذى كان لى عادة •
ثم يكن للحصان ركاب ، ولكن هنه ركبته مع ذلك • اننى لأمزح ، أنت
تعرف يابابا •

ماذا يمكن أن تكون دلالة هذا التشبث العنيد من جانب انصبى بكل هذا الهراء؟ أوه، كلا! لم يكن هذا هراء • كان محاكاة تستهدف السخرية، كان انتقام هانز من أبيه • كان ذلك وكأنه يقول: لو أنك توقعت منى حقاً أن أصدق أن طائر اللقلق قد أحضر هنة في أكتوبر، بعدما كان من رؤيتي — وكنا مانزال في الصيف، أثناء وجودنا في جموندن — كيف • كانت بطن ماما كبيرة فعندئذ أتوقع منك أن تصدق أكاذيبى » • فماذا يمكن أن تكون دلالة توكيده بأن هنة، في الصيف الماضى، قد سافرت معهم الى جموندن في الصندوق، اللهم الا أنه كان على معرفة بأن أمه حبلى؟ وكان هانز يتوقع أن تحدد هذه الرحلة في الصندوق، في كل عام من الأعوام التالية، فتلك واقعة تترجم عن طريقة مألوفة تبرز بها الى الشعور أفكار لاشعورية من الماضى، أو ربما ترجع هذه الواقعة الى أسباب خاصة، وتعبّر عن خوف هانز من أن يرى تجدد، مثل هذا الحمل في أجازة الصيف القادم • أضف الى ذلك، أننا نتبين الآن طبيعة هذه الظروف الخاصة التى أفسدت عليه حبه الذهاب الى جموندن، على نحو ماتكشف عن ذلك أخيلوته الثانية •

، وفيما بعد سألته كيف حدث أن أتت هنة — بعد ميلادها — الى فراش أمه •

مكن ذلك هانز من أن ينطلق — مستمتعا من كل قلبه — فى السخرية من أبيه •

، هانز — أتت هنة ببساطة • وضعتها مدام كراوس (القابلة) فى الفراش • لم تكن تستطيع أن تمشى بالطبع • ولكن طائر اللقلق حملها فى منقاره • لم تكن تستطيع أن تمشى بالطبع • (وأسترسل دون توقف) صعد طائر اللقلق الدرج حتى السطح، ثم طرق الباب، وكان الكلب نياما، وكان لديه المفتاح الصحيح، ففتح الباب، ووضع هنة فى فراشك أنت (١)، وكانت ماما نائمة — كلا، فقد وضعها طائر اللقلق فى فراشها

(١) ذلك من قبيل السخرية بالطبع • تماما كمطلبه اللاحق بأن لاينكشف شىء من هذا السر لأمه •

هي • كان ذلك في منتصف الليل ، وعندئذ وضعها طائر اللقلق في الفراش بكل هدوء ، لم يحدث أى صوت بقدميه ، وبعدئذ أخذ قبعته وانصرف • كلال لم تكن لديه قبعة •

، أنا — من أخذ قبعته ؟ ربما الطبيب ؟

، هانز — وبعد ذلك انصرف طائر اللقلق ، رجع الى بيته ، ثم دق جرس الباب • فتوقف كل من البيت عن النوم • ولكن لاتخبر بذلك ماما أو تينى (الطاهية) • ذلك سر •

، أنا — هل تحب منه ؟

، هانز — أوه ، نعم • أحبها جدا •

، أنا — هل كنت تفضل أن منه تكون على قيد الحياة ؟ أو تكون ؟ •

، هانز — كنت أفضل بالحرى أن لا تكون على قيد الحياة •

، أنا — لماذا ؟

، هانز — على الأقل ماكانت تصرخ هكذا ، وأنا لاأستطيع أن أتحمل صراخها •

، أنا — لماذا ؟ أنت نفسك تصرخ •

، هانز — ولكن منه تصرخ أيضا •

، أنا — لماذا لاتستطيع أن تتحمل صراخها ؟ •

، هانز — لأنها تصرخ عاليا جدا •

، أنا — ولكنها لاتصرخ أبدا •

، هانز — عندما نضربها ، بام بام ، على مؤخرتها العارية عندئذ
تصرخ •

، أنا — هل حدث قط أنك ضربتها ، بام بام ، ؟ •

، هانز — عندما تضربها • ماما ، بام بام ، على مؤخرتها ، عندئذ
تصرخ •

، أنا — وهذا يضايقتك ؟ •

، هانز — كلا • • لماذا ؟ فقط لأنها تحدث صخباً شديداً بصرخاتها •

، أنا — مادمت تفضل أنها لاتكون على قيد الحياة ، فمعنى ذلك أنك
لاتحبها على الاطلاق •

، هانز (موافقا) — هيم ! حسنا •

، أنا — ذلك هو السبب في أنك تخيلت ، عندما كانت ماما تعطي هنة
حمامها ، لو أنها أرخت يدها وتركتها • وعندئذ تقع هنة في الماء •

، هانز (مكملاً عبارتي) — • • ، وتموت •

، أنا — وعندئذ تنفرد وحدك بماما • والولد الطيب لاينبغي أن
يتمنى مثل هذا الشيء •

هانز — ولكنه يستطيع أن يتخيل ذلك •

، أنا — ولكن ذلك ليس شيئاً طيباً •

، هانز — لو تخيل ذلك فهذا أمر طيب مع ذلك ، بحيث يمكن أن
تكتب به للأستاذ (١) .

، وفيما بعد قلت له : « هل تعرف ، عندما تكبر هنة ، وتستطيع أن
تتكلم ، فسوقاً تحبها أكثر ؟ »

، هانز — أوه ، كلا ، فأنتى أحبها بالفعل . ففى الخريف عندما تكبر
سوف أذهب معها الى شتادبارك بمفردنا فقط ، وأشرح لها كل شىء .

وبينما كنت أقدم اليه مزيدا من التبصيرات ، قاطعنى ، ربما بغرض
أن يوضح لى أن الأمر لم يكن من جانبه سيئا الى هذا الحد ، أن يتمنى
موت هنة .

، هانز — أنت تعرف مع ذلك أنها كانت على قيد الحياة منذ زمن
طويل قبل أن تأتى هنا . فعندما كانت مع طائر اللقلق كانت على قيد
الحياة أيضا .

، أنا — كلا . ربما لم تكن فى نهاية الأمر عند طائر اللقلق .

، هانز — فمن الذى أتى بها اذن ؟ ان طائر اللقلق أتى بها .

، أنا — من أين أتى بها اذن ؟

، هانز — أوه ، من عنده .

، أنا — أين كان يحتفظ بها اذن ؟

، هانز — فى الصندوق . فى صندوق طائر اللقلق .

(١) أحسنت أيها الصغير هانز ، ليس لى أن أمل من أى راشد فى فهم
أفضل من ذلك للتليل النفسى .

، أنا — حسنا ، ولكن هذا الصندوق ماشكله ؟

، هانز — أحمر • مدهون أحمر • (دم ؟)

، أنا — من أخبرك بذلك ؟

، هانز — ماما •• تخيلت ذلك في نفسي ••• ذلك في الكتاب •

، أنا — في أى كتاب ؟

، هانز — في كتاب الصور • (جعلته يحضر كتاب الصور الأول الذى عنده • وكانت فيه صورة عش طائر اللقلق ، مع طيور لقلق على مدخنة حمراء • كان ذلك هو الصندوق • ومن الغريب انه كانت هناك على نفس الصفحة أيضا صورة حصان يجرى تركيب حدوة له (١) • قاييم هانز بازاحة الأطفال الى الصندوق ، لأنه لم يرهيم في العش •)

، أنا — وماذا صنع طائر اللقلق بهنه ؟

، هانز — عندئذ أتى بها طائر اللقلق الى هنا • في منقاره • أنت تعرف طائر اللقلق في شونبرون ، الذى عض المظلة • (ذكرى واقعة في شونبرون) •

، أنا — هل تعرف كيف أتى طائر اللقلق بهنه ؟

، هانز — أنت تعرف أنني كنت ماأزال نائما • ان طائر اللقلق لايستطيع أبدا أن يأتى ببنت صغيرة أو بصبي صغير في الصباح •

(١) في استباق لما سوف يأتى ، تجدر الإشارة الى أن beschlagen الكلمة الالمانية (يجرى تركيب حدوه له) لاختلف الا في حرف واحد عن beschlagen

الكلمة الالمانية (يجرى ضربه) - هامش الترجمتين الانجليزية والفرنسية •

، أنا — لماذا ؟

هانز — انه لا يستطيع ، أن طائر الملقق لا يستطيع أن يفعل ذلك •
هل تعرف لماذا ؟ حتى لا يراه الناس • وعندئذ ، فجأة في الصباح ، نجد
بنتا صغيرة عندهما (١) •

، أنا — ولكنك مع ذلك كنت شديد الرغبة في ذلك الوقت في أن تعرف
كيف فعل طائر الملقق ذلك ؟

، هانز — أوه ، نعم •

، أنا — كيف كان شكله عندما أتت ؟

، هانز (في نفاق) بيضاء جدا ولطيفة • غاية في الجمال •

، أنا — ولكنك عندما رأيتها أول مرة لم تعجبك •

، هانز — أوه ، أعجبتني ، كثيرا جدا !

، أنا — ولكنك أندهشت من أنها كانت صغيرة جدا •

، هانز — نعم •

، أنا — كانت صغيرة مثل ماذا ؟

، هانز — مثل فرخ طائر الملقق •

(١) ليس ثمة ما يدعو الى التوقف لتفحص لامنتظية هانز • ففي حوارهِ السابق برز من عنده عدم تصديقه لحكاية طائر الملقق وذلك بمناسبة ما استشعره من ضيق بأبيه لاسرافه في الالغاز • ولكن هانز قد استعاد الان هدوءه ، فراح يجيب على أسئلة أبيه بالتصورات الشكلية ، حيث ابتدع تفسيرات يتغلب بها على الصعوبات الكثيرة التي تنطوى عليها حكاية الملقق •

، أنا — ومثلُ ماذا أيضا ؟ ربما مثل لومف ؟

، هانز — أوه ، كلا . اللومف أكبر بكثير في الحقيقة أصغر قليلا
من هنة .

كنت قد تنبأت لإبيه بأنه من الممكن ارجاع فوبينا هانز الى أفكار
ورغبات تتصل بمولد شقيقته الصغيرة . ولكن كان قد فانتنى أن أنبئه الى
أنه ، بحسب النظرية الجنسية عند الأطفال ، يكون الطفل الوليد هو
« لومف » ، بحيث يتحتم على الطريق الذى يتبعه هانز أن يمضى عبر
العقدة الاخراجية . ولقد كان بسبب هذا الأهمال من جانبى أن تقدم
التحليل قد أعتراه الغموض بشكل مؤقت . أما الآن ، وقد اتضح الأمر ،
فقد حاول الأب مرة ثانية تفحص هانز حول هذه النقطة الهامة .

، وفي اليوم التالى جعلت هانز يكرر ماقاله لى فى اليوم السابق .
قال : « سافرت هنة الى جموندن فى الصندوق الكبير ، وسافرت ماما فى
عربة القطار ، وسافرت هنة فى قطار البضاعة مع الصندوق ، ثم عندما
وصلنا الى جموندن قممت مع ماما بحمل هنة خارج الصندوق ، ووضعناها
على الحصان . كان الحوذى يجلس فى المقدمة ، وكان مع هنة السوط
القديم » (السوط الذى كان لديه فى العام الماضى) « وضريت به
الحصان وراحت تصيح شئ ! ، وكان ذلك مسليا جدا ، وكان الحوذى
أيضا يضرب بالسوط : — أن الحوذى لم يضرب ابدا
بالسوط ، لأن السوط كان مع هنة . كان الحوذى يمسك باللجام — وكانت
هنة تمسك باللجام أيضا . » (فى كل مرة كنا نستقل عربة من المحطة الى
البيت . وهانز هنا يحاول أن يصلح بين الواقع والأخيولة .) « وفى
جموندن حملنا هنة وأنزلناها من فوق الحصان ، وصعدت بنفسها درجات
السلم . » (فى العام الماضى عندما كانت هنة فى جموندن ، كانت فى
الشهر الثامن من عمرها . وفى العام السابق على ذلك — وأخيولة هانز
تشير بوضوح الى ذلك التاريخ — كانت أمه عندما وصلت الى جموندن
حبلى فى الشهر الخامس .)

، أنا — فى العام الماضى كانت هنة بالفعل معنا .

هانز — في العام الماضي كانت معنا تركب العربة ، ولكن في العام السابق على ذلك عندما كانت تعيش معنا . . .

، أنا — هل كانت معنا بالفعل في ذلك الوقت ؟

، — نعم • أنت كنت دائما معنا ، وكان من عادتك دائما أن تركب معي القارب ، وكانت هنه خادمتنا •

، أنا — ولكن ذلك لم يكن في العام الماضي • فلم تكن هنه بعد على قيد الحياة •

، هانز — بلا ، لقد كانت على قيد الحياة حينذاك • وحتى حين كانت ماتزال في الصندوق أثناء السفر كانت تستطيع أن تجرى ، وكانت تستطيع أن تقول أنا ، • (لم تستطع أن تقول ذلك الا منذ أربعة أشهر)

، أنا — ولكنها لم تكن معنا على الاطلاق في ذلك الوقت •

، هانز — أوه ، بلا • فقد كانت ، كانت مع طائر اللقلق •

، أنا — ما عمرها اذن الآن ؟

، هانز — سيكون عمرها سنتين في الخريف • كانت هنه بالتأكيد على قيد الحياة ، وأنت تعرف أنها كانت على قيد الحياة •

، أنا — ومتى كانت مع طائر اللقلق في صندوق طائر اللقلق ؟

، هانز — قبل أن تسافر في الصندوق بزمن طويل جدا •

، أنا — اذن منذكم من الزمن استطاعت هنه أن تمشي ؟ فانها عندما كانت في جموندن لم تكن تستطيع بعد أن تمشي •

، هانز — في العام الماضي لم تكن تستطيع ، أما فيما عدا ذلك فكانت
تستطيع •

، أنا — ولكن هذه لم تكن في جموندين الا مرة واحدة •

، هانز — كلا ! كانت هناك مرتين • نعم ، هو كذلك • بوسعى أن
أتذكر تماما • سل ماما ، وسوف تخبرك بذلك في التو •

« أنا — ليس هذا صحيحا ، مع ذلك •

« هانز — بلا ! هذا صحيح • عندما كانت في جموندين أول مرة كانت
تستطيع أن تمشي وأن تركب الحصان ، وفيما بعد كان يتحتم حملها • —
كلا • فانها لم تركب الحصان الا في وقت لاحق ، وفي العام الياضي كان
يتحتم حملها •

، أنا — ولكنها منذ وقت قصير فقط استطاعت أن تمشي • وفي
جموندين لم تكن تستطيع أن تمشي •

، هانز — بلا • فقط أكتب ذلك • فاني أستطيع أن أتذكر ذلك تماما •
لماذا تضحك ؟

، أنا — لأنك مخادع ، لأنك تعرف تماما أن هذه لم تكن في جموندين
غير مرة واحدة •

هانز — كلا • هذا غير صحيح • ففي المرة الأولى ركبت هي على
الحصان ••• وفي المرة الثانية ••• (يدت عليه علامات الشك الواضح) •

، أنا — ربما كان الحصان هو ماما •

، هانز — كلا • حصان حقيقي بعربية وكارتا •

• أنا — ولكن كان من عادتنا دائما أن نركب عربة بحصانين •

• هانز — حسنا اذن ، كانت عربة بحصانين •

• أنا — ماذا كانت تأكل هنه داخل الصندوق ؟

• هانز — وضعوا لها داخل الصندوق خبزا وزبدا ورنجة وفجلا

(نفس الأشياء التي كنا نتناولها في العشاء في جموندن) ، وأثناء السفر

كانت هنه تدهن خبزها بالزبد وأكلت خمسين وجبة •

• أنا — ألم تكن هنه تصرخ ؟

• هانز — كلا •

• أنا — ماذا كانت تفعل اذن ؟

• هانز — كانت تجلس هادئة تماما في الداخل •

• أنا — ألم تكن تتحرك في الداخل ؟

• هانز — كلا ، كانت تأكل دائما طوال الوقت دون توقف ، ولم تتحرك

مرة واحدة • شربت هنه فنجانين كبيرين من القهوة — وفي الصباح كان

كل شيء قد انتهى ، وتركت وراءها بقايا الطعام في الصندوق ، أوراق

الفجلتين وسكيننا لقطع الفجل • لقد التهمت كل شيء كآرنب برى : دقيقة

واحدة وكان كل شيء قد انتهى • كان ذلك مضحكا حقا • هنه وأنا سافرنا

معا في الواقع في الصندوق ، نمت طول الليل في الصندوق • (سافرنا في

الواقع منذ عامين الى جموندن أثناء الليل •) وسافرت ماما في عربة

القطار • وظللنا نأكل طول الوقت عندما كنا نركب العربة أيضا ، كان ذلك

رائعا • لم تكن على الإطلاق فوق الحصان •• (غدا الآن مترددا ، لأنه

عرف أننا كنا قد ركبنا عربة بحصانين) ••• جلست في العربة • نعم

هكذا كانت ، ولكن هنه وأنا كنا في العربة وحدنا وماما ركبت على الحصان ، وركبت كارولين (خادمتنا في العام الماضي) على الحصان الآخر . . . هل تعرف ، ان ما أقوله لك ليس صحيحا على الاطلاق .

، أنا — ما هذا الذي ليس بصحيح ؟

، هانز — لاشيء منه صحيح . ضعني أنا وهنه في الصندوق (١) ، وسوف أطرطر في الصندوق . سوف أطرطر ببساطة في بنطلوني ، فأنا لأهتم بذلك على الاطلاق فليس فيه على الاطلاق ما يبعث على الخجل . هل تعرف ، هذا ليس بتهريج ، ولكنه أمر يبعث على التسلية جدا .

، وبعد ذلك حكى لى كيف أتى طائر اللقلق — تماما كما حكى ذلك بالأمس ، فيما عدا أنه حذف الجزء الخاص بأن طائر اللقلق أخذ قبعته وهو ينصرف .

، أنا — أين كان طائر اللقلق يحتفظ بمفتاح الباب ؟

، هانز — في جيبه .

، أنا — وأين يوجد جيب طائر اللقلق ؟

، هانز — في منقاره .

، أنا — في منقاره ! اننى لم أر قط حتى الآن طائر لقلق بمفتاح في منقاره .

(١) الصندوق الذى يوجد في الردهة الامامية والذى أخذناه ضمن متاعنا في جموندن .

، هانز — كيف بغير ذلك استطاع أن يدخل وكيف اذن يدخل طائر اللقلق من الباب ؟ كلا ، هذا غير صحيح • اننى أخطأت ببساطة • ان طائر اللقلق دق الباب الخارجى ، ففتح له واحد الباب •

، أنا — وكيف دق الباب ؟

، هانز — دق الجرس •

، أنا — وكيف فعل ذلك ؟

، هانز — استخدم منقاره ، فضغط به على الجرس •

، أنا — وهل أغلق طائر اللقلق الباب من ورائه ؟

، هانز — كلا ، اغلقته خادمة • كانت يقظة ، ففتحت الباب لطائر اللقلق ، ثم أغلقته من جديد •

، أنا — أين يعيش طائر اللقلق ؟

، هانز — أين ؟ فى الصندوق الذى يحفظ فيه البنات الصغيرات • ربما فى شونبرون •

، أنا — اننى لم أر قط صندوقا فى شونبرون •

، هانز — لا بد وأنه كان بعيدا • هل تعرف كيف يفتح طائر اللقلق الصندوق ؟ يستخدم منقاره — وللصندوق أيضا مفتاح — يستخدم منقاره برفع نصفه الأعلى ، شيفتح الصندوق هكذا • (ويوضح العمليه بتمثيلها على كالون المكتب •) وهذا مقبض أيضا •

، أنا — وبنيت صغيرة هكذا ألا تكون أثقل مما يحتمل طائر اللقلق ؟

، هانز — أوه ، كلا •

، نه — قل لى ، أليس الأمنيوس فى شكله كصندوق طائر اللقلق ؟

، هانز — بلا •

، أنا — وعربة الأثاث ؟

، هانز — وأيضا عربة « الببيع » التى تجتمع الأطفال الأثقياء

* * *

، اليوم السابع عشر من ابريل بالامس نفذ هانز مشروعه الذى كان يحلم به منذ وقت طويل ، فى أن يعبر الطريق الى داخل الفناء المواجه لمنزلنا • ولكنه اليوم لا يريد تنفيذه ، اذ كانت هناك عربة تقف عند رصيف التحميل تماما فى مواجهة بوابة الدخول • قال لى : « عندما تقف عربة هناك فانى أخاف من أن اعاكس الأحصنة فتقع وتحديث صخباً شديداً بأقدامها • »

، أنا — كيف تكون معاكسة الأحصنة ؟

، هانز — عندما تكون غاضبا منها تعاكسها ، وعندما تصيح :
(شى) ! ، • (١)

، أنا — هل عاكست قط أحصنة ؟

، هانز — نعم ، كثيرا جدا • أخاف من أننى أفعل ذلك ، ولكنى لأفعله فى الواقع •

، أنا — هل عاكست قط أحصنة فى جموندى ؟

(١) كثيرا ما كان هانز يرتعب بشدة حين يرى الحوذى يضرب حصانه ويمسح « شى ! »

، هانز — كلا •

، أنا — ولكنك تحب أن تعاكسها ؟

، هانز — أوه ، نعم • كثيرا جدا •

، أنا — هل تحب أن تضربها بالسوط ؟

، هانز — نعم •

، أنا — هل تحب أن تضرب الأحصنة كما تضرب ماما هنه ؟ فأنت تحب ذلك أيضا ، أليس كذلك ؟

، هانز — ليس هناك من ضرر على الأحصنة عندما تضرب : (قلت له ذلك مرة لأخفف من خوفه عندما يرى الأحصنة تضرب بالسياط •)
فعلت ذلك مرة في الواقع • فقد كان معي السوط مرّ فضربت به الحصان ،
فوقع وأحدث صخبا شديدا بأقدامه •

، أنا — متى ؟

، هانز — في جموندن •

، أنا — حصان حقيقي ؟ مشدود الى عربة ؟

، هانز — لم يكن مشدودا الى عربة •

، أنا — أين كان أذن ؟

، هانز — كنت فقط أمسك به حتى لايجري بعيدا • (كان ذلك كله بالطبع أبعد مايكون عن التصديق)

، أنا — أين كان ذلك ؟

- ، هانز — قرب المزود •
- ، أنا — من سمح لك؟ هل ترك الحوذى الحصان واقفا هناك؟
- ، هانز — كان ببساطة حصانا من الأسطبل •
- ، أنا — كيف وصل الى المزود؟
- ، هانز — أخذته الى هناك •
- ، أنا — من أى مكان؟ أخرجته من الاسطبل؟
- ، هانز — أخرجته لأننى كنت أريد أن أضربه •
- ، أنا — ألم تخرج قط حصانا فى الاسطبل؟
- ، هانز — أوه ، نعم لويزل (الحوذى فى جموندين •)
- ، أنا — هل سمح لك؟
- ، هانز — تحدثت اليه فى لطف ، فقال ان بوسعى أن أفعل ذلك •
- ، أنا — ماذا قلت له؟
- ، هانز — هل يمكننى أن آخذ الحصان ، وأضربه بالسوط ، وأصيح فيه • وقد قال • « نعم » •
- ، أنا — هل ضربته بالسوط كثيرا؟
- ، هانز — ماقلت له لك ليس فيه شىء من الصحة •
- ، أنا — مامقدار الصحيح فيه؟
- ، هانز — لاشىء منه صحيح ، انى فقط قلته لك على سبيل المزاح •
- ، أنا — ألم تخرج قط حصانا من الأسطبل؟
- ، هانز — أوه ، كلا •

- ، أنا — ولكنك كنت ترغب في ذلك •
، هانز — أوه ، نعم كنت أرغب في ذلك •
، أنا — في جموندن ؟
، هانز — كلا ، هنا فقط • تخيلت ذلك الصباح عندما كنت عاريا
تماما ، كلا ، في الصباح وأنا في الفراش •
، أنا — لماذا لم تخبرني قط بذلك •
، هانز — لم أفكر في ذلك •
، أنا — تخيلت ذلك في نفسك لأنك رأيتَه في الطريق ؟
، هانز — نعم •
، أنا — من الذى ترغب حقا في أن تضربه ؟ ماما ، ههه ، أو أنا ؟
، هانز — ماما •
، أنا — لماذا ؟
، هانز — لأننى ببساطة أحب أن اضربها •
، أنا — متى رأيت قط أحدا يضرب أمه ؟
، هانز — لم أر قط أحدا يفعل ذلك ، لم أر قط ذلك في حياتى كلها •
، أنا — وهذا مع ذلك هو ماتريد أن تفعله • كيف كنت تريد أن
تنجز ذلك ؟
، هانز — بمضرب السجاد • (كثيرا ما تهدده أمه بأن تضربه بمضرب
السجاد) •
، كنت مضطرا الى أن أوقف الحوار عند هذا الحد اليوم •

، وفي الطريق أوضح لى هانز أن الأومنيبوسات ، وعربات الأثاث ،
وعربات الفحم هي كلها عربات - صناديق لطائر اللقلق •
، ومعنى هذا نساء حبيبات • ونوبة السادية عند هانز ، وهي السابقة
مباشرة على ذلك ، لا يمكن أن تكون منفصلة عن الموضوع الحالي •

، اليوم الحادى والعشرين من ابريل • هذا الصباح قال هانز أنه
تخيل مايلى : « كان هناك قطار فى لاينتس ، وسافرت من لاينتس ، حيث
جدتى ، الى محطة الجمارك المركزية • لم تكن أنت قد فرغت بعد من هبوط
درجات المعبر ، عندما كان القطار الثانى قد بلغ شعلا الى سانت فايت (١)
وعندما نزلت أنت ، كان هناك قطار بالفعل ، فركبنا فيه » •

(كان هانز فى لاينتس بالأمس • وللوصول الى رصيف السفر لابد
من عبور معبر • ومن ذلك الرصيف يمكن للعين أن ترى على امتداد
ألقضبان محطة سانت فايت والأمر كله غامض بعض الشيء • كانت فكرة
هانز فى الأصل هي بالتأكيد أنه قد رحل فى قطار أول ، هذا الذى فانتى •
وأنه بعد ذلك أتى قطار ثان من سانت فايت فرحلت فيه من بعده ولكنه
قام بتحريف جانب من أخبولة الهروب هذه ، بحيث قال فى نهايتها : كلانا
لم يرحل الا فى القطار الثانى •

، هذه الأخبولة ترتبط بالأخبوط الاخيرة ، التى لم نقم بتفسيرها ،
والتي بحسبها استغرقنا وقتنا أكثر مما ينبغى فى ارتداء ملابسنا عند محطة
جموندن ، بحيث مضى بنا القطار قبل أن نستطيع النزول) •

، بعد الظهر ، أمام ألبيت جرى هانز فجأة داخل البيت ، عندما
أقبلت عربة بحصانين • لم يكن بوسعى أن أرى فى العربة والحصانين

(١) محطة أونترسانت فايت Unter St. Veit هي المحطة التالية
للاينتس بعد مغادرة نينا - هامش الترجمتين الانجليزية والفرنسية :

شيئا غير عادى • فسألته ماذا حدث • قال : « الحصانان مزهوان جدا ، بحيث أخاف أن يقعما • » (كان الحودى يثد إليه بقوة لجام الحصانين ، بحيث كانا يتهاديان في خطوات قصيرة ، ورأساهما عاليا الى الوراء ، وكان منظرهما فى الحقيقة مزهوا) •

، سألته من هو ، فى الواقع المزهو جدا •

هانز — أنت هو ، عندما آتى وادخل فى الفراش مع ماما •

، أنا — واذن فأنت تريدنى أن أقع ؟

، هانز — نعم • كان ينبغى أن تكون عاريا (يقصد عارى القدمين ، كما كان فرييتزل) وأن ترتطم بحجر ، وأن يسيل الدم ، وعندئذ أستطيع على الأقل أن أبقى بعض الوقت بمفردى مع ماما • وعندما تعود صاعدا مسكنا يكون بوسعى أن أهرب بسرعة ، وحتى لاترانى •

، أنا — هل — تذكر من الذى ارتطم بالحجر ؟

، هانز — نعم ، فرييتزل •

، أنا — عندما وقع فرييتزل ، ما الشئ الذى خطر ببالك (١) •

، هانز — أنه كان ينبغى أن ترتطم أنت بالحجر وتقع •

، أنا — وعلى ذلك فأنت تريد أن تبقى بمفردك مع ماما •

، هانز — نعم

، أنا — على أى شئ كنت قد وبختك فى الواقع ؟

، هانز — لأدرى (! ! !)

(١) وهكذا فان فرييتزل قد وقع بالفعل — وهو الامر الذى انكره من

، لماذا ؟

، هانز — لأنك كنت تغضب .

، هانز — ولكن هذا غير صحيح .

، هانز — بلا . أنه صحيح . كنت تغضب ؛ أنا أعرف ذلك . هذا لا بد
وأن يكون صحيحا .

، ومن الواضح أن هانز لم يتأثر بشكل بتفسيرى : أن صغار
الصبيان وحدهم يأتون ويدخلون فى الفراش مع أمهم ، بينما كبار الصبيان
ينامون فى فراشهم .

وأغلب ظنى أن رغبته فى « معاكسة » الحصان ، بمعنى أن يضربه
ويصيح به لانتجه الى أمه ، كما زعم ذلك ، بل تنتجه الى أنا . وليس من
شك فى أنه فقط وضع أمه فى الصدارة لأنه لم يكن يرغب فى أن يصرح لى
بحقيقة الأمر . فقد كان فى الأيام القليلة الاخيرة ودودا معى بصفة خاصة

وإذا ما تحدثنا بروح التفوق الذى مأسهل أن يحققه المرء بعد أن
تنقضى الواقعة ، فإنه يكون بوسعنا أن نصحح التفسير الذى قدمه أبو
هانز ، قائلين بأن رغبة الصبى فى « معاكسة » الحصان تنطوى على
عنصرين مكونين : فهى تتكون من رغبة سادية غامضة تجاه أمه ، ومن
نزعة واضحة للانتقام من أبيه . ولم يكن للنزعة الأخيرة أن تبرز قبل أن
يأتى دور الرغبة الأولى فتظهر فى صلتها بعقدة الحمل ففى عملية تكون
الفوبيا ، ابتداء من الأفكار اللاشعورية التى تكمن وراءها يحدث تكثيف ،
ولهذا السبب فان مسار التحليل لايمكن بحال أن يتبع مسار تكون العصاب

والىيوم الثانى والعشرون من ابريل . وفى هذا الصباح أيضا تخيل
هانز شيئاً بينه وبين نفسه : « صبى شوارع يركب عربة نقل كبيرة ، ثم
يأتى الحارس ويجرده من ملابسه ويتركه عارياً تماماً ، ويجعله يقف هناك

حتى صباح اليوم التالي ، وفي الصباح يعطى الصبي للحارس خمسين
الف فلورين حتى يستطيع أن يستأنف ركوبه على العربة •

(ان سكة حديد الشمال (١) تمتد في مواجهة بيتنا تماما • وعلى خط
قضبان جانبي هناك تقف عربة صغيرة (تروللى) ، رأى هانز يوما صبي
شوارع يركب عليها • فأراد هو أن يفعل نفس الشيء ، ولكننى أخبرته
بأن ذلك غير مسموح به ، وأنه لو فعل فسيلاحقه الحارس • ثمة عنصر
ثان في هذه الأخيولة هى الرغبة المكبوتة عند هانز فى أن يكون عاريا •)

استطعنا أن نلاحظ ، منذ بعض الوقت ، أن خيال هانز يعمل بأخيلة
مستمدة من وسائل المواصلات (٢) ، ويمضى بشكل منهجى من الأحصنة
التي تجر العربات الى السكك الحديدية • وهكذا فان كل فوبيا من الشوارع
ترتبط بهامع الوقت فوبيا من السكك الحديدية •

« وفى وقت الغداء أخبرونى أن هانز كان يلعب طوال الصباح بعروسة
من الكاوتشوك كان يسميها جريتا Grete • أدخل مطواة صغيرة فى الفتحة
التي كان مثبتا فيها فى الأصل الأصفارة الصغيرة المسطحة من القصدير ،
ثم مزق مابين رجل العروسة بحيث أمكن لسلاح المطواة أن يخرج من
ذلك الموضع • وقال للخادمة ، وهو يشير الى مابين رجلى العروسة :
« أنظرى ، هنا حمامتها ! »

« أنا — ما اللعبة التي لعبتها مع عروستك اليوم ؟

هانز — مزقتها مابين الرجلين • هل تعرف لماذا ؟ لأنه كانت توجد
مطواة فى داخلها هى مطواة ماما • كنت قد أدخلتها من الفتحة التي

(١) فى الاصل Nordbahn — المترجمون •

تستخدم لغرض Verkehr ، بمعنى « الممارسة غير المشروعة » و

(٢) أنظر هامش ٣ من ص ٧٤ من حالة دورا ، حيث كلمة « محطة ،

« الاتصال » و « الاتصال الجنىسى » ، فتهىء بطانة نفسية لكثير من فوبيات

السكك الحديدية •

تصرخ منها رأسها ، وعندئذ مزقت مابين رجليها ، فخرجت المطواة من هذا الموضع .

« أنا — لماذا مزقت مابين رجليها ؟ حتى تستطيع أن ترى حمامتها ؟

« هانز — كانت حمامتها موجودة من قبل ، وكنت أستطيع أن أراها على أى حال .

، أنا — لماذا أدخلت المطواة فيها ؟

، هانز — لأدرى .

، أنا — حسنا ، المطواة تشبه أى شيء .

، أحضر هانز المطواة لى .

، أنا — ربما تكون قد تخيلت أنها طفل صغير ؟

، هانز — كلا ، أنا لا أتخيل أى شيء على الاطلاق ، ولكن يبدو أن

طائر المقلق كان لديه مرة طفل صغير — أو أحد ما .

، أنا — متى ؟

هانز — ذات مرة . سمعت بذلك — أو ربما لم أسمع بذلك على

الاطلاق ؟ أو ربما أكون قد قلت ذلك خطأ ؟

، أنا — ماذا تقصد بقولك : خطأ ؟

، هانز — أن ذلك غير صحيح .

، أنا — كل شيء يقوله المرء هو صحيح الى حد ما .

، هانز — أوه ! نعم ، الى حد ما .

، أنا (بعد أن غيرت موضوع الحديث) — كيف تولد الفراخ في
تصورك •

، هانز — ان طائر اللقلق يجعلها ببساطة تكبر ، ان طائر اللقلق يجعل
الفراخ تكبر — كلا الله يفعل ذلك •

« أوضحت له أن الفراخ بيضا ، وأنه من البيض تخرج فراخ أخرى •

« ضحك هانز •

« أنا — لماذا تضحك ؟

هانز — لأن هذا الذى تقوله لى يسرنى •

قال لى بانه قد سبق له أن رأى ذلك بالفعل •

، أنا — أين ؟ •

، هانز — أنت فعلت ذلك •

، أنا — أين بضت أنا بيضة ؟

، هانز — فى جموندن ، بضت أنت بيضة فى الحشائش ، وخرجت
منها فى التو فرخة تقفز • أنت بضت مرة بيضة ، أعرف أنك فعلت ذلك ،

أعرف ذلك بالتأكيد • لأن ماما قالت ذلك •

، أنا — سوف أسأل ماما ما أن كان ذلك صحيحا •

، هانز — هذا غير صحيح على الاطلاق ، ولكنى أنا بضت مرة بيضة ،
وخرجت منها فرخة تقفز •

، أنا — أين ؟

، هانز — في جموندين ، رقدت في الحشائش ، كلا ، ركعت على ركبتى ، ولم يرني الأطفال على الاطلاق ، وفجأة في الصباح قلت : « ابحثوا أيها الأطفال ، فبالأمس بضت بيضه ! » وفجأة كلهم بحثوا ، وفجأة كلهم رأوا بيضة ، وخرج منها هانز صغير • حسنا ، لماذا تصحك ؟ ماما لاتعرف ذلك ، وكارولين لاتعرف ذلك ، لأن ما من أحد كان يرانى ، وفجأة بضت بيضة ، وفجأة كانت البيضة موجودة حقا وفعلا • بابا ، متى تخرج فرخة من البيضة ، عندما نترك البيضة وحدها ؟ هل ينبغى أن نأكلها ؟

، وضحت له الأمر :

، هانز — حسنا ، فلنترك البيضة للفرخة ، وعندئذ سوف تخرج فرخة • ولنضعها داخل الصندوق ، ونأخذها الى جموندين •

ان هانز الصغير قد أمسك بجرأة في يديه بعنان تحليله ، بالنظر الى تردد أبويه في تزويده بالتبصيرات التى كان عليهما أن يزوداه بها منذ وقت طويل • فمن خلال فعل أعراضى صارخ ، قال لهما : « أنظرا ذلك هو تصورى عن الميلاد كيف يحدث • » وما قاله للخادمة عن دلالة اللعبة التى كان يقوم بها على العروسة لم يكن صادقا ، فقد أنكر صراحة في حديثه مع أبيه أن رغبته كانت تقتصر على رؤيته حمامتها • وبعدما أخبره أبوه ، وكأنه يسدد قسطا من دينه ، كيف تخرج الفراخ من البيض ، فان عدم رضاه وعدم ثقته ومعرفته المتفوقه بالمسألة قد اثتلقت كلها في سخرية ساحرة ، تصاعدت في أقواله الأخيرة الى حد التلميح جد الواضح ألى ميلاد أخته •

، أنا — أى لعبة كنت تلعب بعروستك ؟

، هانز — كنت أناديهها : جريتا •

، أنا — لماذا ؟

، هانز — لأنى كنت أناديهها جريتا •

، أنا — كيف كنت تلعب ؟

، هانز — كنت ببساطة أرهاها كطفل صغير حقيقي •

، أنا — هل تحب أن تكون لك بنت صغيرة ؟

، هانز — أوه ، نعم ، لم لا ؟ انى أحب أن تكون لى بنت صغيرة

ولكن ماما لاينبغى أن تكون لها بنت صغيرة ، فانى لاأحب ذلك •

، (كثيرا ما عبر عن هذا الرأى من قبل • فهو مايزال يخاف من أن

يفقد مزيدا من مكانته بميلاد طفل ثالث •)

، أنا — ولكن النساء وحدهن يكون لهن أطفال •

، هانز — سوف تكون لى بنت صغيرة •

، أنا — من أين ستأتى بها اذن ؟

، هانز — حسنا ، من طائر اللقلق • فطائر اللقلق يخرج البنت

الصغيرة ، وفجأة تبيض البنت الصغيرة بيضة ، ومن البيضة تخرج منه

أخرى منه أخرى ومن منه تخرج منه أخرى • كلا ، تخرج منه واحدة •

، أنا — أنت ترغب فى أن تكون لك بنت صغيرة •

، هانز — نعم ، فى العام القادم ستكون لى بنت صغيرة ، وسوف

يكون اسمها منه أيضا •

، أنا — ولكن ماما لماذا لاينبغى أن تكون لها بنت صغيرة ؟

، هانز — لأننى أنا أريد أن تكون لى مرة بنت صغيرة •

، أنا — ولكنك لايمكن أن تكون لك بنت صغيرة •

، هانز — أوه ،بلى ، فالصبيان يكون لهم بنات ، والبنات يكون لهن
صبيان (١) •

انا — الصبيان لا يكون لهم اطفال ولكن النساء فقط المامات (الأمهات)
فقط لهن أطفال •

، هانز — ولكن لما لا يكون لى ؟

، أنا — لأن الله رتب الأمور هكذا •

، هانز — ولكن لماذا لا تكون لك أنت بنت صغيرة • أوه ، نعم ، فسوف
تكون لك واحدة بالتأكيد ، ما عليك إلا أن تنتظر •

، أنا — استطيع ان انتظر طويلا !

، هانز — ولكنى مع ذلك لك •

، انا — لكن ماما هى التى اتت بك الى العالم • وعلى ذلك فأنت

لماما ولى •

، هانز — هل هنه لى أو لماما •

، انا — هى لماما •

، هانز — كلا ، هى لى • لم لا تكون لى ولماما ؟

، انا — هنه هى لى ولماما ولك •

، هانز — ذلك هو رأيت ! •

طالما كان الطفل يجهل العضو التناسلى الأنثوى ، فان عنصرا اساسيا
ينقصه بالطبع لفهم العلاقات الجنسية •

، فى اليوم الرابع والعشرين من ابريل تلتقى هانز من زوجهتى ومنى

(١) هذا جزء صغير آخر من النظرية الجنسية الطفلية ذات دلالة غير
متوقعة •

تبصيرات الى حد معين : اخبرناه ان الأطفال يكبرون داخل أمهاتهم ،
ثم ينضغطون فيخرجون الى العالم مثل « لومف » ، وان ذلك ينطوى على
قدر كبير من الألم •

، وبعد الظهر خرجنا امام البيت • كان هناك تحسن ظاهر في حالته •
كان يجرى وراء العربات • والشئ الوحيد الذى كان ينم عن وجود بقية
من حصره كان ينحصر فى انه لم يكن يجترىء على الابتعاد عن المنطقة
المجاورة للباب الخارجى ، ولم يكن من الممكن حمله على الخروج فى اية
نزهة طويلة •

، وفى اليوم الخامس والعشرين من ابريل نطحني هانز براسه فى
بطنى ، على نحو ما فعل ذلك مرة من قبل • سألته ما أن كان عنزه • قال:
« نعم ، كبش • » فسألته اين رأى كبشا •

، هانز — فى جموندن : كان عند فريتزل كبش • (كان عند فريتزل
خروف حقيقى صغير يلعب به •)

، أنا — ينبغى أن تحدثنى عن الخروف الصغير • ماذا كان يفعل ؟

هانز — أنت تعرف أن الأنسة ميتسى (معلمة مدرسة كانت تسكن
فى البيت) كان من عاداتها دائما أن تضع هنة على الخروف الصغير ؟
ولكنه لم يكن يستطيع عندئذ أن ينهض ، ولم يكن يستطيع أن ينطح •
ولكنك اذا اقتربت منه فعادة ما ينطح ، لأن له قرنين ، كان من عادة
فريتزل أن يجره بحبل ، وأن يربطه الى شجرة • كان دائما يربطه الى
شجرة •

، أنا — هل نطحك الخروف الصغير ؟

هانز — لقد وثب نحوى ، أخذنى فريتزل مرة على مقربة منه

وأقتربت منه مرة ، ولم أكن أعرف ، وفجأة وثت نحوى • وقد كان ذلك مسليا جدا — ولم أكن خائفا •

، كان ذلك بالتأكيد غير صحيح •

، أنا — هل تعجب بابا ؟

، هانزا — أوه ، نعم •

، أنا — أو ربما لا •

، كان هانزا يلعب بلعبة هي حصان صغير • وفي تلك اللحظة وقع الحصان ، فصاح هانزا : « وقع الحصان ! أنظر أى صنخب شديد يحدثه ! »

، أنا — أنت متضايق بعض الشيء من بابا لأن ماما تحبه •
هانزا — كلا •

، أنا — واذن ، لماذا تبكي دائما عندما تعطينى ماما قبلة ؟ ألا كنت غيران ؟

، هانزا — غيران ، نعم •

، أنا — كنت تحب أن تكون أنت بابا •

، هانزا — هانزا أوه ، نعم •

، أنا — ماذا كنت تحب أن تفعل لو أنك كنت بابا ؟

، هانزا — وكنت أنت هانزا ؟ كنت أحب عندما أن أخصدك الى لا ينتس كل أيام الاحاد — كلا ، كل أيام الالامسيوع أيضا • لو كنت أنا بابا كنت أكون دائما لطيفا وطيبا •

ء أنا — ولكن ما الذى كنت تحب أن تفعله مع ماما ؟

ء هانز — اخذها الى لا يتنس أيضا •

ء أنا — وماذا أيضا •

ء هانز — لا شيء •

ء أنا اذن لماذا كنت غيران ؟

ء هانز — لا ادرى •

ء — وهل كنت فى جموندن أيضا غيران ؟

ء هانز — ليس فى جموندن • (هذا غير صحيح •) ففى جموندن كانت لى أسيائى الخاصة • وكان عندى حديقة فى جموندن وأيضا أطفال •

ء أنا — هل تستطيع أن تتذكر البقرة كيف كان لها عجل صغير ؟

ء هانز — أوه نعم • أتى العجل الصغير فى عربة • (قيل له ذلك ولا شك جموندن ، تلك نقطة أخرى ثانية ضد نظرية طائر اللقلق •) وبقرة أخرى ضغطته فخرج من مؤخرتها • (كان ذلك بالفعل نتاج تبصيره ، هذا الذى كان يحاول أن يناغمه مع نظرية العربة) •

ء أنا — ليس بصحيح أن العجل الصغير أتى فى عربة ، فقد خرج من البقرة فى الزريبة •

ء وجادل هانز فى ذلك ، قائلا انه رأى فى العربة فى الصباح • ونبهته الى أنه ربما قد قيل له ذلك عن العجل من أنه أتى فى عربة • وفى النهاية ، سلم بذلك وقال :

« أغلب الظن أن برتا أخبرتني بذلك — أولا — أو ربما كان صاحب الفندق ، اذا كان هناك ، وكان الوقت ليلاً • وعلى ذلك فصحيح في النهاية ما كنت أقوله لك — أو يبدو لى أن ما من أحد أخبرنى بذلك • »
، ان لم أكن مخطئا فان العجل الصغير قد حملوه بعيدا في عربة ،
ومن هنا كان الخلط •

، أنا — لماذا لم تتصور أن طائر اللقلق هو الذى أتى به ؟

، هانز — لم أكن أريد أن أتصور ذلك •

، أنا — ولكنك تصورت أن طائر اللقلق أتى بهنه ؟

، هانز — فى الصباح (يوم الولادة) تصورت ذلك • — قل لى يا بابا ، هل كان السيد رايتسنجلر (صاحب الفندق) هناك عندما خرج العجل الصغير من البقرة ؟ (١) •

، أنا — لا أدرى • هل تعتقد أنه كان هناك •

، هانز — أعتقد ذلك •• بابا ، هل لا حظت بين حين وآخر أن الأحصنة لها شىء أسود على أفواهاها ؟

، أنا — لاحظت ذلك بين حين وآخر فى الطريق فى جموندن (٢) •

، أنا — هل كثيرا ماكنت تدخل الى الفراش مع ماما فى جموندن ؟

(١) كان هانز — ولديه من الاسباب القوية مايجمله عديم الثقة فى المعلومات التى يقدمها الكبار — يتساءل مان كان صاحب الفندق أجدر بالتصديق من ابيه •

(٢) كان تسلسل الافكار كما يلى : خلال فترة طويلة رفض أبوه أن يصدق ما كان يقوله من وجود شىء أسود على أفواه الاحصنة ، لكن تثبت صحة ذلك فى نهاية الامر •

هانز — نعم •

أنا — وكنت تتصور في نفسك انك بابا ؟

هانز — نعم •

أنا — وعندئذ شعرت أنك خائف من بابا ؟

هانز — انت تعرف كل شيء ، لم أكن أعرف شيئا •

أنا — عندما وقع فريتزل تخيلت : وفقط لو أن بابا وقع هكذا !
هل تستطيع أن تتذكر الجنازة في جموندن ؟ (كانت الجنازة الأولى
التي شهدتها هانز • وكثيرا ما يسترجعها ، وهي ولا شك ذكرى
حاجبة) •

أنا — عندئذ تخيلت فقط لو أن بابا يموت وتصبح أنت بابا •
هانز — نعم : وماذا عن ذلك ؟

هانز : نعم •

أنا — أي العربات ما تزال تخاف منها ؟

هانز — كلها •

أنا — أنت تعرف أن هذا غير صحيح •

هانز — لست أخاف من العربات ذات الحصانين ، ولا من
العربات ذات الحصان الواحد • انى أخاف من الأومنيبوسات ومن
عربات الإثاث ، ولكن فقط عندما تكون محملة ، وليس عندما تكون

فارغة • وعندما يكون هناك حصان واحد ، وتكون العربية محملة الى اخرها ، عندئذ أخاف ، ولكن عندما يكون هناك حصانان وتكون العربية محملة الى آخرها ، فعندئذ لا أخاف •

، أنا — هل تخاف من الأومنيبوسات لانه يوجد بداخلها اناس كثيرون ؟

، هانز — لأنه توجد امتعة كثيرة على ظهرها •

، أنا — وعندما كانت ماما على وشك ان تكون لها منه (١) ، هل كانت هي ايضا محملة الى آخرها •

، هانز — ماما ستكون محملة الى آخرها مرة اخرى عندما يكون لها طفل آخر ، عندما يبدأ طفل آخر يكبر ، عندما يكون طفل آخر بداخلها •

، أنا — وانت تحب ذلك •

، هانز — نعم •

، أنا — أنت قلت أنك لا تحب أن يكون لماما طفل اخر •

، هانز — حسنا ، فلن تكون محملة مرة اخرى • قالت ماما بأنها اذا كانت لا تريد طفلا ، فان الله لا يريد طفلا هو الآخر • اذا كانت ماما لا تريد طفلا فلن يكون لها طفل • (بالأمس سأل هانز بالطبع ما اذا كان هناك أى أطفال آخرين في داخل ماما • وقالت له لا، وقلت له أنه اذا كان الله لا يريد ذلك فما من طفل سينمو في داخلها) •

(١) (حينما نلتقى بالتعبير « يكون له طفل ، أو « يكون لها طفل ، فالقصد هو الاتجاب - المترجمون) •

، هانز — ولكن ماما قالت لى انها اذا لم ترد هى فلن ينمو أى طفل ، وأنت تقول لى أن الله اذا لم يرد •

، أجبته ان الأمر هو كما قلت له ، وهو معلق عليه قائلاً : لقد كنت أنت هناك ، أليس كذلك ؟ فأنت بالتأكيد تعرف الأمر على نحو أفضل » •

عندئذ بادر الى استجواب أمه ، فصالحت مابين القولين بأن خالت بأنها اذا لم ترد هى ذلك فان الله ايضا لا يريد (١) •

، أنا — يبدو لى ، على أى حال ، أنك ترغب أن يكون لماما طفل •

، هانز — ولكنى لا أريد أن يحدث ذلك •

، أنا — ولكنك ترغب فيه •

، هانز — أوه ، نعم • أرغب •

، أنا — هل تعرف لماذا ترغب فى ذلك ؟ ذلك لأنك تريد أن تكون

بابا •

، هانز — نعم ... كيف يستقيم الأمر ؟

، أنا — أى أمر ؟

، هانز — أنت تقول أن الآباء لا يمكن أن يكون لهم أطفال ، فكيف

يستقيم الأمر مع رغبتى فى أن أكون بابا ؟

(١) Ce qui femme veut Dieu veut. (بالفرنسية فى الاصل الانى)

• ماتريده المرأة يريد الله ، • ولكن هانز بظننته المعهودة قد وضع هنا مرة أخرى من جديد اصبعه على مشكلة بالغة الاهمية •

، أنا — أنت ترغب في أن تكون بابا وأن تتزوج ماما ، أنت ترغب في أن تكون كبيرا مثلى ، وأن يكون لك شارب ، وترغب في أن يكون لماما طفلا .

، هانز — بابا ، عندما أتزوج لن يكون لى طفلا الا اذا اردت ذلك عندما أتزوج ماما ، واذا لم أرد طفلا ، فان الله أيضا لن يريد ذلك ، عندما أتزوج .

، أنا — هل ترغب في أن تتزوج ماما ؟

، هانز — أو ، نعم .

من اليسير ان نتبين أن استمتاع هانز بهذه الأخيولة يتعكر صفوه بسبب عدم تيقنه من الدور الذى يضطلع به الآباء وتشككه فيما أن كان انجاب الأطفال أمرا يخضع لتحكمه .

وفي مساء اليوم نفسه ، عندما وضعنا هانز فى فراشه ، قال لى لى :
« هل تعرف يا بابا ما سأفعله الان سوف أتحدث مع جريتا حتى العاشرة ، انها فى الفراش معى . وأطفالى هم دائما فى الفراش معى . هل تستطيع ان تخبرنى كيف ان الأمر كذلك ؟ » — ولما كان هانز يغلبه النعاس ، وعدته بأننا سوف ندون ذلك فى اليوم التالى ، فمضى فى نومه .

، لقد سبق أن أشرت فى تقارير سابقة الى أن هانز منذ عودته من جموندن كانت لديه بلا انقطاع أخايل تدور حول اطفاله ، وكان يجرى أحاديث معهم ، الى غير ذلك (١) .

(١) ليس من الضرورى فى هذا الصدد أن نفترض عند هانز وجود رغبة من طبيعة انثوية لانجاب الاطفال . لقد كان مع أمه أن عاش هانز ، كطفل ، أمتع خبراته ، وأنه الان يكرر هذه الخبرات ، ويضطلع بنفسه فيها بالدور الايجابى ، الذى كان بالضرورة من ثم دورا أمه .

، ومن ثم ففى اليوم السادس والعشرين من أبريل سأله لماذا يفكر دائما فى أطفاله •

، هانز — لماذا ؟ لأننى أرغب جدا فى أن يكون لى أطفال ، ولكنى لا أريد أبدا أن يحدث ذلك ، فانى لا أرغب فى أن يكون لى أطفال (١) •

، أنا — هل كنت تتخيل دائما أن برتا وأولجا والباقي كانوا أطفالك ؟

، هانز — نعم • وأيضا فرتزل وفريتول وبول (رفاق لعبه فى لاينتس) ولودى •

، وهذا الاخير اسم بنت ابتدعه لطفلته أفضلة التى يتحدث عنها كثيرا جدا •

— وقد يكون لى ان أنه هنا الى أن شخصية لودى ليست من ابتداء الأيام القليلة الأخيرة ، بل كانت موجودة فى تاريخ سابق على تلقيه التبصيرات الأخيرة (فى اليوم الرابع والعشرين من أبريل) •

« أنا — من هى لودى ؟ هل هى فى جموندن ؟

، هانز — كلا •

، أنا — هل هناك لودى ؟

، هانز — نعم ، انى أعرفها •

(١) هذا التناقض الواضح كان تناقضا بين الخيال والواقع ، بين الرغبة وتحقق الوجود كان هانز يعرف أنه فى الواقع طفل ، وأن أطفالا آخرين يستطيع أن يكرز معهم ضروب الحنان التى تسبق له أن استمتع بها •

، أنا — من هي اذن ؟

، هانز — الطفلة التي كانت لي (انجبتها) هنا •

، أنا — ماشكلها ؟ •

، هانز — شكلها ؟ عينان سوداوان ، شعر أسود ••• قابلتها
مرة مع ماريديل (جموندين) بينما كنت انتزه في المدينة •

، وعندما أردت أن أتعلم الأمر تبين لي أن الأمر محض ابتداء (١)

، أنا — وهكذا تخيلت أنك أما لهم ؟

، هانز — وكنت أيضا في الواقع أمهم •

، أنا — ماذا كنت تفعل مع أطفالك ؟

، هانز — كنت اجعلهم ينامون معي ، البنات والصبيان

، أنا — كل يوم ؟

، هانز — نعم ، بالتأكيد •

، أنا — هل كنت تتحدث اليهم ؟

، هانز — عندما لا أستطيع أن أضع كل الاطفال في الفراش ،
فانني أضع بعض الأطفال على الأريكة ، وبعضهم الآخر في عربة
الأطفال ، فاذا كان هناك بعض آخر مايزال باقيا • فانني أصعد بهم
الى طابق السطوح ، وأضعهم في الصندوق ، فلو تبقى بعض آخر
أضعهم في الصندوق الآخر •

(١) ومن الممكن مع ذلك أن يكون هانز قد التقى صدفة في جموندين
بشخص ما ، فانزله من نفسه منزلة أعلى • هذا الى أن لون العينين والشعر
في مثله الاعلى نسخة من أمه •

، أنا — وعلى ذلك فان صناديق أطفال طائر اللقلق كانت في طابق
السطوح ؟

، هانز — نعم •

، أنا — متى كان لك أطفال ؟ هل كانت هنه وقتها على قيد
الحياة ؟

، هانز — نعم ، كانت على قيد الحياة منذ وقت طويل •

، أنا — ولكن ممن كان لك الأطفال فيما تصورت ؟

، هانز — متى انا (١) •

، أنا — ولكنك في ذلك الوقت لم تكن لديك أية فكرة عن أن
الأطفال يأتون من شخص ما •

، هانز — تصورت ان طائر اللقلق قد اتى بهم • (كذب وهروب
بكل وضوح (٢)) •

، أنا — كانت جريتا معك في الفراش بالأمس ، ولكنك تعرف
جيدها ان الصبيان لا يمكن ان يكون لهم أطفال •

، هانز — نعم ، نعم • ولكني أعتقد ذلك على الرغم من كل
شيء •

، أنا — كيف عثرت على اسم لودي ؟ فما من بنت لها هذا
الاسم ربما لوتي ؟

(١) لم يكن يوسع هانز أن يجيب من وجهة نظر أخرى غير التبعيية
الذاتية •

(٢) كانوا أطفال خياله ، أي أطفال استمنائه •

، هانز - أوه ، كلا ، لودي • لا أدري ، ولكنه مع ذلك اسم
• جميل

، أنا (مازحا) - ربما تقصد شو كولودي ؟ (١)

، هانز (على الفور) - كلا ، سافالودي Saffalodi
..... لانى أحب جدا أن أكل المسجق والسلامى (٢) أيضا •

، أنا - قل لى ، اليس السافالودي شكله مثل « اللومف » ؟
، هانز - بلى •

، أنا - حسنا ، واللومف ما شكله ؟

، هانز - أسود • أنت تعرف ، مشيرا الى حاجبى وشاربى (
« كهذا وكهذا » •

، أنا - وماذا أيضا ؟ ومستدير كالمسجق المتبل (السافالادى) (٣) ؟
، هانز - نعم •

، أنا - عندما كنت تجلس على وعاء التبرز ، ويأتى لومف
هن كنت تتصور فى نفسك أنك بسبيل انجاب طفل ؟

، هانز (ضاحكا) - « نعم • حتى فى شارع - ، وهنيا
أيضا » •

Schokolade (١) هي الكلمة الالمانية للشكولاته - هامش
الترجمة الانجليزية •

Zerelatwurst Saffalodi (٢) (مسجق متبل) ويطيب لزوجتى

• أن تحكى كيف أن خالتها دائما ماتسمى ذلك Soffilodi وفيلودى •
وربما يكون هانز قد سمع ذلك •

(٣) نوع آخر من المسجق - هامش الانجليزية •

، أنا - هل تعرف ، عندما وقعت أحصنة الأُمْنِيوس ؟ كان الأُمْنِيوس يشبه في شكله صندوق الاطفال ، وعندما وقع الحصان الاسود كان يشبه تماما . . .

هانز - (مكلا) . . - يشبه تماما انجاب طفل .

، أنا - وماذا تصورت عندما أحدث بأقدامه صخبا شديدا ؟

، هانز - أوه ، عندما لا أريد أن أجلس على وعاء التبرز ، وأفضل بالحري أن ألعب ، عندئذ فاني أحدث بقدمي صخبا شديدا كهذا . (وضرب الارض بقدميه .)

، ذلك كان سبب اهتمامه بمسألة ما ان كان الناس يرغبون أو لا يرغبون في أن يكون لهم اطفال .

، وطوال النهار اليوم كان هانز يلعب لعبة تحميل وتفريغ صناديق الطرود ، وقال انه يرغب في الحصول على عربة - لعبة ، وعلى صناديق من هذا النوع ، ليلعب بها . وما كان يثير عنده أعظم الاهتمام في فناء الجمارك المواجه لنا انما كان تحميل وتفريغ العربات وكان من عادته أن يرتعب أشد الرعب عندما تبدأ في التحرك عربة تم تحميلها . كان من عادته ان يقول : « الاحصنة سوف تقع (١) » وكان من عادته أن يسمى أبواب سقيفة مبنى الجمارك « خروم » . (ومن ثم الخرم الاول ، الخرم الثانى ، الخرم الثالث الخ .) ولكنه الآن بدلا من « خرم » يقول « خرم مؤخرة » .

(١) السنا نقول في العادة nider Kommen . وتعنى حرفيا (ينزل الى أسفل) . عندما تلد امرأة ؟

(وفي الفرنسية أيضا يقال mettre bas (تضع الى أسفل) . عندما تلد اناث الماشية - هامش الترجمة الفرنسية .

، اختفى القلق تماما تقريبا ، فيما عدا أنه يفضل البقاء في المنطقة
المجاورة للبيت ، حتى يحتفظ بخط رجعة لنفسه ان هو ارتعب . ولكنه
الآن لا يهرب أبدا منتجئا الى البيت ، بل يبقى في الطريق طول الوقت .
وكما نعلم ، فقد بدأ مرضه بعودته باكيا على أثر نزهة خارج البيت ،
وعندما وجد نفسه مكرها على الخروج لنزهة ثانية ، لم يذهب الا الى
محطة الجمارك المركزية في شتادبان ، حيث ماتزال رؤية بيتنا ممكنة .
وفي فترة ولادة زوجتي أبعدها عنها بالطبع ، وقلقه الحالى ، الذى يمنعه
من أن يبتعد عن المنطقة المجاورة للبيت ، ليس في الحقيقة غير ذلك
الحنين الذى استشعره اليها في تلك الفترة .

* * *

، اليوم الثلاثون من شهر ابريل رأيت هانز يلعب من جديد مع
أطفاله الخياليين

فقلت له : هالو ، أما يزال اطفالك أحياء ؟ أنت تعرف تماما أن
الصبي لا يمكن أن يكون له أطفال » .

« هانز : » انا أعرف ذلك . كنت أهمهم فيما قبل ، أما الآن
« فانى أبوهم »

« أنا : » ومن هى أم الأطفال ؟

« هانز : » حسنا ، أنها ماما ، وأنت جدتهم »

« أنا : » وأذن فأنت تريد أن تكون كبيرا مثلى ، وأن تتزوج
ماما ، ومن ثم ترغب في أن يكون لها أطفال » .

« هانز : » نعم ، ذلك ما أربغ فيه ، وعندئذ سوف تكون جدتى
التي في لاينزر أمى) « هى جدتهم » .

كانت الامور تمضى الى نتيجة تبعث على الرضا ، فأوديب الصغير قد عثر على حل يفضل ذلك الذى سطره القدر • فبدلا من أن ينحى أباه بعيدا عن الطريق ، منحه نفس السعادة التى كان يرغب فيها هو نفسه ، رقيه الى مرتبة الجدا ، وجعله هو الآخر يتزوج أمه •

وقال : « هل تعرف ؟ دعنا ندون شيئا للاستاذ » .
« وفي اليوم الاول من شهر مايو جاعنى هانز وقت الغداء »
« أنا — حسنا ، وماذا يكون هذا الشيء ؟

« هانز : — فى هذا الصباح كنت فى المرحاض مع كل أطفالى • فى البداية عملت لومف وعملت ميه ، وكانوا ينظرون الى • ثم وضعتهم بعد على المرحاض ، فعملوا ميه وعملوا لومف ، ثم مسحت لهم بالورق مؤخراتهم • هل تعرف لماذا ؟ لاني أحب جدا أن يكون لى أطفال ، وعندئذ سوف أقوم بعمل كل شىء لهم — أصحبهم الى المرحاض ، انظف مؤخراتهم ، وأعمل لهم كل ما يعمل للاطفال » •
بعد الاعتراف الذى تضمنته هذه الاخيوالة ، يكون من العسير أن نجادل فى وجود اذة عند هانز ترتبط بالوظائف الخراجية •

، وبعد الظهر اجترأ للمرة الاولى على الذهاب الى شتادبارك • ولما كان ذلك هو يوم أول مايو ، فقد كانت حركة المرور بالطبع أقل من المعتاد ، ولكنها كانت مع ذلك كافية تماما — حتى ذلك الوقت — لاثارة رعبه • كان مزهوا جدا بما أنجزه ويعد تناول الشاي وجدنتى مضطرا لان أصحبه الى شتادبارك مرة أخرى • فى الطريق التقينا بأومنييوس ، نبهنى اليه هانز قائلا : « انظر ! عربة بصندوق طائر اللقاق ! » فاذا ذهب معى الى شتادبارك مرة أخرى غدا ، على نحو ما اتفقنا ، فسوف يكون بوسعنا حقا أن نعتبر أنه قد شفى من مرضه •

وفى اليوم الثانى من شهر مايو جاعنى هانز فى الصباح ، وقال :
« هل تعرف ؟ لقد تخليت شيئا هذا الصباح • » فى البداية نسى هانز

هذا الشيء ، ولكنه فيما بعو خكى لى مايلنى ، وأن بذت عليه علامات مقاومة شديدة : « حضر السمكرى ، وفى البداية اقتلع مؤخرتى بالكماشة ، ثم أعطانى مؤخرة أخرى ، ثم فعل نفس الشيء بتاع الميه بتاعى • لقد قال لى : ، دعنى أرى مؤخرتك ، وكان على أن استدير ، فاقتلعا ، ثم قال ، دعنى أرى بتاع الميه بتاعك ! » .

لقد أمسك أبو هانز بدلالة أخبولة الرغبة هذه ، ولم يتردد لحظة فيما يتصل بالتفسير الوحيد الذى يمكن أن تتطوى عليه .
• أنا — « لقد أعطاك بتاع ميه أكبر ومؤخرة أكبر » •
• هانز — « نعم » •

• أنا — مثل ما لبابا • لانك ترغب فى أن تكون بابا •
• هانز — نعم ، وأحب أن يكون لى شارب كشاربك ، وشعر فى البدن كشعرك • (وأشار الى الشعر على صدرى) •
وفى ضوء ذلك ينبغى أن نعيد النظر فى تفسير أخبولة هانز السابقة على تلك ، والتي فيها حضر السمكرى ، وفك البانيو ، وغرز مثقابا فى بطنه • كان البانيو الكبير يعنى مؤخرة ، وكان المثقاب أو المفك أو (كما فسرنا ذلك فى حينه) يعنى بتاع ميه (١) • فالأخيولتان متطابقتان •

(١) ربما يكون لنا أن نضيف أن كلمة « مثقاب » Rchrer لم يتم اختيارها بغير اعتبار لارتباطها بكلمتى « مولود » و « ميلاد » فان صح ذلك (geboren, Gebunt) فان هانز لم يميز بين « ينثقب » و « يتولد » geboren, gebchrt واننى انتقبل هذا الرأى الذى صدر عن محلل خبير من الزملاء ، ولكنى لست فى وضع يمكننى من أن أقطع أن كنا هنا ازاء رابطة تتسم بالعمق والعمومية بين الفكرتين ، أو كنا فقط ازاء مجرى تشابه لفظى خاص باللغة الالمانية • ان برومينيوس Paramantha ، خالق البشر ، هو أيضا من ناحية الاشتقاق اللغوى أو (الثاقب) • قارن ابراهام : « الحلم والاسطورة » ، ١٩٠٨ ، Abraham, Traum und Mhns.

« هذا الذى أن خوف هانز من البانينو الكبير قد أتيح له بذلك ضوء جديد (وهذا الخوف قد تناقص بالفعل •) فما يكدره أن تكون « مؤخرته » صغيرة بدرجة لا تطبق بالبانيو الكبير » •

وخلال الايام القليلة التالية كتبت لى أم هانز عدة مرات لتعبير عن سرورها بشفاء جيبها الصغير •

وبعد أسبوع وصلنى من أبى هانز التذييل التالى :

، أستاذى العزيز ،

يسرنى أن أقدم الاضافات التالية الى تاريخ حالة هانز :

١ - أن استحسن ، بعد تزويده بالجزء الاول من التصويرات ، لم يكن من الاحتمال على نحو مايمكن أن يكون قد صورته عليه • صحيح أن هانز كان يخرج فى نزعات ، ولكن كان ذلك فقط تحت الارغام ، وفى حانة من القلق الشديد • ذهب معى مرة الى حد محطة الجمارك المركزية ، حيث ما يزال يمكن رؤية بيتنا ، ولكن لم يكن من الممكن حمله على أن يمضى الى أبعد من ذلك •

٢ - فيما يتصل بـ « شراب التوت » و « بندقية للقتل » : كنا نعطى هانز شراب التوت حين يعانى الامساك • وهو غالباً ما يخلط بين Schiessen (يقتل) و Scheissen الكلمة الألمانية الدارجة للتبرز (تخرى) •

٣ - كان هانز فى جوالى الرابعة من عمره عندما أبعدها من غرفة نومنا الى غرفة خاصة به •

٤ - ثمة متخالف من اضطرابه ما يزال باقيا ، وان لم يعد بعد فى شكل خوف ، ولكن فقط فى شكل غريزة سوية لتوجيه الأسئلة • ومعظم الأسئلة ينصب على الاشياء : « مم تصنع ؟ » (انترموآيات

والآلات الخ ، والاشياء « من يصنعها ؟ » ، الى غير ذلك • وتتميز
غالبية أسئلة هانز بأنه يوجهها وان يكن قد أجاب عليها بالفعل
بنفسه • وكل ما يريده هو أن يتأكد • وعندما أرهقنى مرة بأسئلته
وقلت له : « هل تعتقد أننى أستطيع الاجابة على كل سؤال توجهه ؟ »
، أجاب : « حسنا ، كنت أعتقد أنك كما عرفت مسألة الحصان فستعرف
ذلك أيضا • • »

٥ - ان هانز لا يشير الآن الى مرضه الا على أنه واقعة
تاريخية « وقتما كانت عندى الحماسة • • » .

٦ - وثمة متخلفبقى بغير حل : فهانز ما يزال يعصر ذهنه
كيما يتبين ما يمكن أن تكون عليه علاقة الأب بطفله ، ما دامت الام هى
التي تخرجه الى العالم • ذلك ما يتضح من أسئلته من قبيل : « انى
أنتمى اليك أنت أيضا ، أليس كذلك ؟ » (وهو يقصد أنه لا ينتمى
فحسب الى أمه) فليس من الواضح بالنسبة له على أى نحو هو
ينتمى الى • ومن ناحية أخرى ، وليس لدى أى دليل مباشر على
أنه ، كما تفترض ، قد أستمع صدفة الى أبويه أثناء الجماع •

٧ - وربما يتحتم فى عرض الحالة أن نلح على ما يميز به
قلقه من شدة عاتية ، والا لكان من الممكن أن يقال بأن الصبى
كان سيخرج الى النزاهات على الفور لو أنه تلقى « علقه ساخنة » •

وفى الختام أضيف هذه الكلمات : ان الحصر المنبعث عن عقدة
الخصاء عند هانز قد تم ، فى أخيلوته الاخيرة ، المتغلب عليه أيضا ،
وتحولت توقعاته القلقة الاليمية الى توقعات سعيدة • نعم ، فان الدكتور
(السمكرى) قد حضر ، واقتلع قضيبه - ولكن فقط ليعطيه قضيبا أكبر
بدلا منه • وفيما عدا ذلك ، فان باحثنا الصغير قد اكتشف ببساطة ،
فى وقت باكر الحقيقة التى مؤداها ان كل معرفة ناقصة ، وان كل
خطوة يخطوها الى الامام فى طريق المعرفة تترك وراءها متخلفا
بغير حل •

تعليق

سوف أشرع الآن في تفحص معطيات هذه الحالة المرضية الخاصة بتطور فوبيا (زهاب) وانفضاضها عند الصبي دون الخامسة من العمر ، وسوف اضطلع بذلك من ثلاث زوايا • أولاً ، سوف أتقصى الى حد تقدم معطيات هذه الحالة تأييدا للآراء التي عرضتها في كتابي « ثلاث مقالات في نظرية الجنس (Drei Abhandlungen Zur Sexualtheorie) الذي نشرته عام ١٩٠٥ • وثانياً ، سوف أتقصى الى أي حد تعين معطيات هذه الحالة على فهم هذا الشكل جد الشائع من الاضطراب • وثالثاً ، سوف أتقصى ما أن كان يمكن الافادة منها بحيث تلقى ضوءاً على الحالة النفسية للاطفال ، أو بحيث تمدنا بنقد لأهداغنا التربوية •

(١)

أن أنطباعي هو أن لوحة الحالة الجنسية للطفل التي تقدمها معطيات هذه الحالة عن هانز الصغير تتفق تماماً مع الآراء التي سبق أن قدمتها في نظريتي عن الحياة الجنسية للاطفال (استناداً الى فحوص التحليل النفسى التي أجريتها على الراشدين) في الكتاب المذكور • ولكن قبل أن أتناول هذا الاتفاق في تفصيلاته ، يتحتم على أن أرد على اعتراضين سوف يرتفعان ضد استخدامى لهذا التحليل من أجل هذا الغرض • الاعتراض الاول ينحصر في أن هانز ليس بطفل عادى ، بلّ لديه — كما أثبتت الوقائع ، ونعنى مرضه — استعداد سابق للعصاب ، وأنه « فاسد الجيلة » (١) ، ومن هنا لا يكون من المشروع

أن نسحب عنى الاطفال الآخرين الأسوياء نتائج ربما كانت صحيحة بالنسبة اليه • وسأرجى النظر فى هذا الاعتراض بالنظر الى أنه يقتصر على الحد من قيمة معطيات حالة هانز ، دون أن يغيرها تماما •

أما الاعتراض الثانى ، وهو الاكثر استعصاء عنى المصالحه ، فينحصر فى أن التحليل النفسى لطفل على يد أب شرع فى العمل وهو مشبع بأرائى النظرية ، وملوث بأحكامى القبلية ، يتحتم أن يكون مجردا تماما من أية قيمة موضوعية • فالطفل ، كما سيقال ، هو بالضرورة شديد القابلية للايحاء ، وربما ليس تجاه أى شخص بقدر ما هو تجاه أبيه ، وسوف يستسلم لاي ايحاء كان من جانب أبيه ، عرفانا منه بكل هذا الاهتمام الذى يوجهه اليه ، فما من شىء مما يقوله يمكن أن ينطوى على امكانية الاقتناع ، فكل مستدعياته ، وكل أخابيله وأحلامه ، سوف تتبع بالطبع هذا الطريق الذى سيقته اليه بكل وسيلة ممكنة • ومرة أخرى باختصار ، فالأمر كله هو مجرد « ايحاء » وكل ما هنا لك من اختلاف هو أن الايحاء فى حالة الطفل يكون من الأيسر تبينه بالقياس الى حالة الراشد •

وثمة شىء فريد ، مازلت أذكره ، عندما دخلت الى معترك الآراء العلمية منذ اثنين وعشرين عاما ، هو تلك المسخرية التى استقبل بها الجيل السالف من أطباء الأعصاب وأطباء الأمراض العقلية فى تلك الأيام التوكيدات الخاصة بالايحاء وتأثيراته • ولكن منذ ذلك الحين تبدل الموقف بصورة أساسية • فالنفور السابق قد انقلب الى تقبل مسرف الترحيب ، وقد حدث ذلك ليس فقط نتيجة للانطباع الذى كان لأبد وأن تحدثه أبحاث لييبو Lièbault وبرنهايم Bernheim وتلاميذهما خلال هذه الاعوام العشرين ، بل أيضا لأنه قد اتضح منذ ذلك الحين عظم مايمكن أن يتحقق من اقتصاد فى الجهد الفكرى باستخدام هذه الكلمة التريدية (ايحاء) • مامن أحد يعرف ، ومامن أحد يهتم بأن يعرف ماهو الايحاء ، ومن اين يأتى ، ومتى يحدث ، - فيكفى أن كل ماهو مريبك فى مجال علم النفس يمكن وضعه تحت لافتة « الايحاء » •

ولست اتفق مع وجهة النظر الشائعة اليوم من أن أقوال الأطفال هي دائما أبدا كيفما اتفق ، وغير جديرة بالتصديق . فإلـ « كيفما اتفق » ليس له من وجود في الحياة النفسية . ويكون أقوال الأطفال غير جديرة بالتصديق فذلك يرجع الى غلبة الخيال عندهم ، تماما كما أن تكون أقوال الراشدين غير جديرة بالتصديق يرجع الى غلبة الأحكام القبلية عندهم . وفيما عدا ذلك ، فان الأطفال هم الآخرون لا يتذبذبون بغير سبب ، ولديهم على وجه الجملة من الميل الى حب الحقيقة بأكثر مما لدى الذين يكبرونهم . فلو أننا رفضنا أقوال هانز الصغير جملة وتفصيلا فإننا بكل تأكيد، نظلمه أشد الظلم . فبوسعنا على العكس أن نميز بوضوح بين المناسبات التي كان فيها ، تحت تأثير القوة القهارة للمقاومة ، يزيّف الوقائع أو يحتجزها ، والمناسبات التي كان فيها ، بسبب عدم تيقنه هو نفسه ، يجارى أباه (بحيث لا ينبغي أن نضع مايقوله موضع الاعتبار) ، والمناسبات التي كان فيها ، بعيدا عن أى ضغط يتفجر في فيض من المعلومات عما يجرى ،حقا في داخله ، وعن أمور لم يكن أحد سواه حتى ذلك الحين يعلم عنها شيئا . ان أقوال الكبار لا تنتطوى على يقين أكبر ومما يبعث على الاسف أن مامن تقرير عن تحليل نفسى يمكن أن يقدم صورة صحيحة عن الانطباعات التي تلقاها المحلل أثناء قيامه بالتحليل ، وأن مامن احساس نهائى بالاقتناع يمكن الحصول عليه من قراءة مثل هذا التقرير ، فذلك لا يتأتى الا بأن يعيش المرء التجربة الحية وهو يقوم بالتحليل . ولكن هذا القصور وهو بنفس الدرجة لصيق بتحليلات الكبار .

أن هانز الصغير يصفه أبوه بأنه طفل مرح وصريح ، وهكذا كان ينبغي أن يكون ، بالنظر الى التربية التي تلقاها على يدي أبويه ، والتي كانت تنحصر بصفه أساسية في استبعاد خطايانا التربوية المألوفة ، فظالالا كان بوسعه أن يمضى في تقصيياته في سذاجة سعيدة ، دون أن تخطر بباله تلك الصراعات التي كان يتحتم عما قليل أن تنشأ عن هذه التفصييات ، كان يفضى بكل شيء ، والملاحظات التي ترجع الى تاريخ سابق على الفوبيا ترتفع على كل شك أو تردد ، لقد كان مع تفجر المرض

وأثناء التحليل أن بدأت تتضح التفارقات بين ما كان يقوله وما كان يفكر فيه ، وكان ذلك من ناحية لأن المادة اللاشعورية ، التي كان يعجز عن السيطرة عليها دفعة واحدة ، كانت تجتاحه على الرغم منه ، ومن ناحية أخرى لأن محتوى أفكاره كان من شأنه ، بالنظر الى علاقته بأبويه ، أن يستثير التحفظات • وانى أعتقد ، بعيدا عن الانجياز ، أن هذه الصعوبات هي الأخرى لم تكن هنا بأعظم مما هي عليه في كثير من تحاليل الكبار •

صحيح أنه أثناء التحليل كان يتحتم اخبار هانز بكثير من الأشياء التي لم يكن يستطيع أن يقولها بنفسه ، وأنه كان يتحتم تقديم أفكار اليه وما من شيء بعد قد كشف عن وجودها لديه ، وأنه كان يتحتم توجيه انتباهه في ذلك الاتجاه الذي كان ابوه يتوقع مقدما شيء منه ، وذلك يقلل من القيمة الاقتناعية لهذا التحليل، ولكن هذا الاجراء هو ما يحدث في كل تحليل • فالتحليل النفسى ليس يبحث علمى محايد ، ولكنه اجراء علاجى • فماهيته ليست هي اثبات شيء بل مجرد تعديل شيء ، فأثناء التحليل النفسى يقدم المحلل دائما لمريضه (أن كثيرا أو قليلا بحسب الحالة) الصور الشعورية المتوقعة ، التي بفضلها يصبح في وضع يمكنه من أن يتعرف على المادة اللاشعورية ويمسك بها • فهناك بعض من المرضى الذين يحتاجون الى هذه المعونة بدرجة أكبر ، بينما يحتاج اليها بعض آخر بدرجة أقل ، ولكن ما من أحد يستطيع أن يستغنى كلية عن هذه المعونة ، ان كان له أن يمضى في العلاج • ان الاضطرابات الهينة ربما يمكن التخلص منها بجهود ذاتية من الفرد ، ولكن هذا مستحيل في حالة العصاب — وهو شيء انبثق ضد الأنا كعنصر غريب عليها • وكما يمكن مواجهة هذا العنصر على خير نحو ، لابد من معونة شخص آخر ، ويقدر ماتكون معونة هذا الشخص الآخر ممكنة ينفتح العصاب للعلاج • فاذا كان أى عصاب بطبيعته ذاتها يزور عن هذا « الشخص الآخر » — وتلك فيما يبدو خاصية من خصائص تلك الحالات التي تدخل تحت اسم الجفون الباكر — فعندئذ تكون هذه الحالة لنفس هذا السبب مستحيلة على العلاج بأى جهد من جانبا

وعليه فمن المسلم به أن الطفل ، بسبب قصور تطور أجهزته العقلية ، يحتاج الى معونة كبيرة بصفة خاصة • ولكن المعاوامات التي يزود بها المحلل مرضاه هي في نهاية الأمر مستمدة بدورها من خبراته التحليلية ، ويكون اقتناعا قائما على أسس متينة حقا أن نحن ، بهذا التدخل من جانب المحلل ، تمكنا من الكشف عن بنية المادة المولدة للمرض ، ومن القضاء على المرض في نفس الوقت •

ومع ذلك ، فإن مريضنا الصغير ، حتى في أثناء تحليله ، قد كشف عن قدر كاف من الاستقلالية يسمح بتبرئته من تهمة « الايحاء » وهو ككل الأطفال الآخرين قد قام بتطبيق نظرياته الجنسية الطفيلية على المادة التي أمامه ، دون أن يتلقى أى تشجيع حتى يقوم بذلك • وهذه النظريات بعيدة الى أقصى حد عن عقلية الراشدين • والواقع أنني في هذه الحالة قد فاتني أن أنبه أباه هانز الى أن الطريق الذى سوف يتأدى بهانز الى مشكلة ولادة الأطفال يتحتم أن يمر بالعقدة الاخراجية وهذا التقصير من جانبى ، وأن تمخض عن مرحلة غامضة في التحليل الا أنه كان مع ذلك وسيلة زودتنا بدليل رافع على أصالة واستقلالية العمليات النفسية عند هانز فقد غدا فجأة ينشغل « باللومف » ، دون أن يكون لدى أبيه — وهو الذى كان بحسب زعم الزاعمين يمارس الايحاء عليه — أدنى فكرة عن الكيفية التي تأدى بها الى ذلك ، أو عما يمكن أن يتمخض عنه ذلك • كذلك لا يمكن تحميل أبيه أية مسئولية ايحائية عن الأخيولتين الخاصتين بالسمكرى ، واللتين انبعثتا عن «عقدة الخشاء» المبكرة التكوين عند هانز • ويتحتم هنا أن أعترف أنني ، بدافع من اعتبارات نظرية ، قد أخفيت تماما عن أبى هانز ما كنت أتوقعه من أن الأمر سوف يتكشف عن وجود مثل هذه العلاقة ، وذلك حتى لاأفسد القيمة الاقناعية لدليل من نوع نادرا مايقع في قبضة أيدينا •

ولو أنني مضيت أتعلم في تفصيلات التحليل ، لكان بوسعى ان أقدم كثرة من الادلة على تحرر هانز من « الايحاء » ، ولكنى سوف

أتوقف الآن عن المخي في مناقشة الاعتراض الأول (١) . فانى على وعى من اننى حتى بهذا التحليل المعن ، لن انجح فى اقتناع أى شخص لايريد، أن يفتح للاقتناع ، ومن هنا فسوف أمضى فى مناقشة الحالة من أجل أولئك القراء المقتنعين بالفعل بالواقعية الموضوعية للمادة اللاشعورية المولدة للمرض . وأنى الأفعال ذلك فى يقين ييمث على السرور من أن هؤلاء القراء يتزايد عددهم بشكل مطرد .

* * *

ان السمة الأولى التى يمكن اعتبارها عند هانز الصغير جزءا من حياته الجنسية هى اهتمامه العارم بصفة جد خاصة بحمامته - وهو عضو يشير اسمه الى احدى وظيفتيه، التى هى بالكاد أقلهما أهمية، وهى وظيفة لايمكن تجاهلها فى فترة الحضنة . وهذا الاهتمام قد اثار عنده روح البحث والتقصى ، ومن ثم اكتشف أن وجوده أو عدم وجود حمامة يمكن من التفرقة بين الأحياء وغير الأحياء من الأشياء . لقد أعتقد أن كل الأحياء هم على شاكلته ، فلداهم هذا العضو الهام من أعضاء البدن ، لاحظ وجوده عند الحيوانات الكبيرة ، وتوقع أن كون الأمر كذلك عند أبويه كليهما ، بل أنه لم يتراجع عن اعتقاده ، حتى أمام شهادة عينيه ، فقرر وجود هذا العصفور عند اخته الحديثة الولادة . ويمكن القول بأنها كانت تكون هزة مروعة « لفلسفته عن العالم » لو أنه كان عليه أن ينتازل عن اعتقاده فى وجود هذا العضو عند كائن مماثل له ، كان ذلك يكون بمثابة اقتلاع لهذا العضو منه هو نفسه . وربما كان بسبب ذلك أن تهديد أمه له ، الذى كان ينصب بالتحديد على فقدانه لحمامته ، سرعان ما انطرد من بين أفكاره ، بحيث لم تتكشف تأثيراته الا فى وقت لاحق . وكان هذا التدخل من جانب الأم يرجع الى أن هانز كان يهوى فى العادة أن يتيح لنفسه أحاسيس اللذة باللعب فى عضوه : كان الصبى الصغير قد شرع يمارس

(١) (الاول من حيث المناقشة ، والثانى من حيث الترجمة - المترجمون)

هذا النشاط الأكثر شيوعا وسوية من الانشطة الجنسية للشبقية الذاتية .

أن اللذة التي يحصل عليها الفرد في عضوه الجنسي يمكن أن ترتبط بالنظرية (١) في شكلها الايجابي والسلبي ، وذلك على نحو وصفه الفريد أدلر وصف تحت ياسم « تشابك الغرائز » (٢) . ومن ثم بدأ هانز الصغير يتلمس الفرص لرؤية حمامات الآخرين ، ازدهرت استطلاعيته الجنسية ، وفي نفس الوقت كان يحب أن يستعرض حمامته . كان أحد أحلامه ، الذي يرجع بتاريخه الى بداية فترة الكبت ، يعبر عن رغبته في أن إحدى صديقاته الصغيرات تعينه على أن يطرطر ، بمعنى أن تشارك في رؤية الشهد ، ، وعليه فان الحلم يكشف عن أن هذه الرغبة كانت الى ذلك الحين قائمة لم تنكبت ، وقد أيدت المعلومات اللاحقة أنه كان من عادة هانز أن يشبع تلك الرغبة .

وسرعان ما ارتبط الجانب الايجابي من النظرية الجنسية عنده بدافع محدد . فلطاما كرر أبويه ولأمه تعبيره عن أسفه على أنه لم يشهد قط حتى الآن حمامتيهما ، وربما كانت حاجته الى المقارنة هي التي اضطرت له لذلك . ان الأناهي دائما للمعيار الذي يقيس به الفرد العالم الخارجى ، فالفرد يأخذ في تفهم العالم عن طريق مقارنته المتصلة مع نفسه . فقد لاحظ هانز أن الحيوانات الكبيرة لها حمامة أكبر نسبيا من حمامته ، ومن ثم توقع أن نفس الأمر يصدق على أبويه ، وكان شغوفاً بأن يتحقق من ذلك . تصور أن أمه أن تكون لها حمامة « مثل الحصان » . وعندئذ تسلح بالعزاء المريح : ان حمامته ستكبر معه . بيدو الأمر وكأن رغبة الطفل في أن يكبر قد تركزت في عضوه الانسالى .

(١) (السكوبتوفيليا ، أى اللذة الجنسية للنظر - المترجمون)

(٢) Der Aggressionsbetrieb in Leben und in der Neurose, 1969

(غريزة العدوان في الحياة وفي العصاب)

وهكذا ففي الجبلية الجنسية عند هانز الصغير كانت المنطقة الانسانية منذ ابدائية هي تلك المنطقة التي تزوده - من بين المناطق الشبقية عنده - بأعظم قدر من اللذة • واللذة الأخرى الوحيدة الماثية التي تكشفت عنده كانت اللذة الاخراجية ، ونعنى اللذة المرتبطة بفتحى الاخراج ، اللتين يتم عبرهما التبول والتبرز وفي أخيوالته الأخيرة الخاصة بانعيم ، والتي بها تغلب على مرضه ، تخيل هانز أن لدية أطفالا ، يأخذهم الى المرحاض ، ويجعلهم يطرطرون ، ويمسح لهم مؤخراتهم • ويعمل لهم باختصار « كل مايمكن عمله مع الأطفال » ، ومن هنا يبدو من المستحيل تجنب الاعتقاد بأن نفس هذه العمليات ، أثناء الفترة التي كان فيها هانز موضع العناية كطفل صغير ، كانت بالنسبة اليه مصدرا لأحاسيس لاذة • كان يحصل على هذه اللذة من مناطق الشبقية بمعونة الشخص الذى كان يعتنى به - ونعنى فى الواقع أمه ، وهكذا فان هذه اللذة كانت بالفعل قد حددت الطريق لاختيار الموضوع • ولكن من الممكن أيضا أنه فى تاريخ أبكر كان من عادته أن يتيح لنفسه هذه اللذة فى صورة شبقية ذاتية - أى أنه كان واحدا من أولئك الأطفال الذين يحبون احتجاز مخرجاتهم ، بحيث أزيد على القول بأن ذلك « من الممكن » لان الامر لم يتم الكشف عنه بوضوح فى التحليل ، « فعمل صخب شديد بالارجل » (الترفيس) ، يكون فى اخراجها مايتيح لهم الحصول على احاسيس شهوية • ولن وهو الامر الذى أصبح هانز فيما بعد يرتعب منه اتسد الرعب ، يؤيد هذه الامكانية • ولكن ، مهما يكن من أمر ، فان هذين المصدرين للذة لم يكن لهما عند هانز من أهمية تستلغف الانتباه بشكل خالص ، على نحو ما يكون ذلك غالبا عند أطفال اخرين • فقد اعتاد هانز النظافة فى وقت باكر ، فلم يكن للتبول اللا ارادى أثناء النهار أو أثناء الليل من دور فى سنواته الأولى ومامن أثر لديه ، كشفت عنه الملاحظة ، لنزعة عنده الى اللعب ببرازه ، وهى نزعة جد منفرة بالنسبة للراشدين ، وكثيرا ماتعاود الظهور فى نهاية عمليات النكوص النفسى •

وعند هذه النقطة ينبغى أيضا أن ننبه على الفور الى أنه أثناء

القويبا كان هناك ، بشكل لا يمكن تجاهله ، كبت لهذين العنصرين جيد المردهن من نشاطه الجنسي . كان يخجل من التبول أمام الآخرين ويتهم نفسه بأنه قد وضع يده على حمامته ، ويبدل جهوداً للتخلص من الاستمناء ، ويبدى اشمئزازه من « اللومف » و « البول » ومن كل شيء يذكره بهما . وفي الاخيولة التي يرعى فيها أطفاله تخلص هانز من هذا الكبت الاخير .

ان جبلة جنسية كهذه التي عند هانز لا يبدو أنها تتطوى على استعداد سابق لنشأة الانحرافات أو صورها السالبة (وسنقتصر هنا - من هذه الصور - على تناول الهستيريا) فبقدرما تبلغ اليه خبرتي (فما تزال هناك حتى الآن حاجة حقيقية الى التحدث بتحفظ في هذه النقطة) تتميز الجبلة الفطرية للهستيريين بكون المنطقة الانسالية أقل هيمنة بالقياس الى المناطق الشيقية الاخرى . وأما أن ذلك يصدق أيضا على المنحرفين جنسيا ، فأمر يكاد أن يكون غنيا عن البيان ولكن يتحتم علينا أن نستثنى بشكل صريح من هذه القاعدة شكلا بعينه من الاشكال التي يتخذها « الانحراف الجنسي » . فعند أولئك الذين سيمصبحون فيما بعد مثليي الجنسية ، نلتقي في الطفولة بنفس هذه الهيمنة للمنطقة الانسالية (وخاصة بهيمنة القضيب) التي نلتقي بها عند الاسوياء (١) . ان ما يستشعره مثلي الجنسية من تقدير كبير لعضوه الذكري ، هو في الواقع ما يحدد مصيرة ففى طفولته يختار النساء موضوعا جنسيا ، طالما اعتقد أنهم أيضا إهن أيضا مايعتبره جزءا من البدن لاغنى عنه ، وعندما يبلغ الى الاقتران بأنهن قد خدعنه في هذه النقطة ، فأنهن يتوقفن عن أن يكن موضع تقبل منه كموضوعات جنسية . فمثلي الجنسية لا يستطيع أن يتنازل عن وجود

(وكما تبادت بي توقعاتي الى أن أفترض ، وكما كشفت عن ذلك ملاحظاتي سادجر Sadger فإن جميع مثليي الجنسية يمررون في طفولتهم بمرحلة من النمو للناحييتين amphigenic حيث تتجه (الرغبة بدون تمييز الى الأفراد من الجنسين كموسوعات جنسية - هامش الترجمة الفرنسية .

القضيب عند أى كائن يمكن أن يجتذبه الى الاتصال الجنىسى وإذا كانت الظروف مواتية فسوف يثبت اللبيدولديه على « امرأة ذات قضيب » على شاب أنثوى المظهر • وعليه فمثلاوا الجنسية هم أشخاص لا يستطيعون ، بالنظر الى الاهمية الشبقية الذاتية للعضو الانسالى عندهم ، أن يتنازلوا عن وجود خاصية مماثلة فى موضوعهم الجنىسى • انهم فى مسار ارتقائهم من الشبقية الذاتية الى حب الموضوع قد توقفوا عند نقطة تثبتت هى أدنى الى المستوى الأول منها الى الثانى •

ليس من مبرر على الاطلاق للقول بغريزة خاصة من الجنسية المثلية • فان مايجعل الشخص مثلى الجنسية ليس خاصية فى حياته الغريزية بل خاصية فى اختياره للموضوع • وانى أرجع القارىء هنا انى باقدمته فى كتابى « نظرية الجنس » ، والذي مؤداه أننا قد توهمنا خطأ قيام اتحاد بين الغريزة والموضوع فى الحياة الجنسية هو من المتانة بأكثر مما عليه الأمر فى الواقع • فمثلى الجنسية يمكن أن تكون لديه غرائز سوية ، ولكنه عاجز عن تحرير هذه الغرائز من صنف من الموضوعات التى تتميز بخاصية معينة • وأثناء الطفولة ، حيث يبدو من المسلم لديه عمومية هذه الخاصية المعينة ، يكون بوسعه أن يسلك مثل هانز الصغير ، الذى كان مغرما فى غير تمييز بصغار البنات ، بحيث وصف مرة صديقه فريتزل على أنه « البنت التى يهاواها أكثر من سائر البنات » • كان هانز مثلى الجنسية (كما يمكن أن يكونه كل الأطفال) ، مما يتفق تماما مع الحقيقة التى لاينبغى أن تغيب عنا أبدا ، من أنه لم يكن يعرف الا عضوا انساليا من نوع واحد عضوا انساليا مثل عضوه (١) •

(١) (ملاحظة إضافية عام ١٩٢٣) - لقد وجهت النظر فيما بعد (١٩٢٢) الى أن مرحلة النمو الجنىسى التى كان يمر بها مريضنا الصغير تتميز دائما بمعرفة نوع واحد ليس غير للعضو الانسالى ، هو على التحديد العضو الذكرى • وفى تعارض مع مرحلة النضج اللاحقة تتميز هذه المرحلة لا بهيمنه العضو الانسالى ، بل بهيمنه العضو الذكرى (قضيبيا كان أم بظرا ، المترجم)

وفي نموه الملاحق ، على أى حال ، لم يتجه داعرنا الصغير الى الجنسية المثلية بل ذكورة عارمة نزاعة الى تعدد الزوجات (البوليغاميا) ، وكان يعرف أيضا كيف يتنوع من سلوكه بتنوع موضوعاته الأنثوية - متهور العدوانية في حالة ، مترددا وخجولا في حالة أخرى . لقد تحول حبه من أمه الى موضوعات حب أخرى ، ولكن في الوقت الذى ندرت فيه هذه الموضوعات عادة حبه اليها ، ليتفجر عصابا . وعندئذ فقط اتضح الى أى حد من الشدة بلغ حبه لأمه ، وعبر أية تقلبات مضى هذا الحب . ان الهدف الجنسي الذى كان يستهدفه مع رفيقات لعبه ، من النوم معهن ، انما نشأ في الأصل في علاقته بأمه . وقد عبر عن هدفه هذا في كلمات يمكن أن تكون ملائمة في فهم راشد ، وان كان مضمونها في الحالة الأخيرة أكثر ثراء (١) . لقد وجد الصبى طريقته الى حب الموضوعات بالطريقة المألوفة من خلال العناية التى نالها حين كان طفلا صغيرا ، ولكن نوعا جديدا من اللذة قد غدا الآن عنده أعظم اللذات على الاطلاق - ونعنى لذة النوم مع أمه . وننبه هنا الى أهمية اللذة النابعة من الملامسة الجلدية كعنصر مكون لهذا الهدف الجديد عند هانز ، والذي بحسب التسمية - المفتعلة كما رأينا - عند مول Moll يمكن وصفه على أنه أشباع لغريزة التحسيس (٢) .

وهانز في اتجاهه من أبيه وأمّه يؤيد ، بأقصى ما يكون عيانية وحسما ، ماسبق لى أن قدمته في كتابي « تفسير الأحلام » ، وفي كتابي « نظرية الجنس » عن العلاقات الجنسية للطفل بأبويه . كان هانز بحق أوديبا صغيرا يرغب في « تحية » أبيه عن طريقه ، وفي التخلص منه ، حتى ينفرد بأمه الجميلة وينام معها . هذه الرغبة نشأت في الأصل أثناء

(١) والتعبير الالمانى bai jemandem Schalfen ، ويعنى حرفيا « ينام مع » يستخدم أيضا (على نحو ما يستخدم في الانجليزية التعبير to lie with) بمعنى يضاجع ، هامش الترجمة الانجليزية ، « ويصدق هذا أيضا في العربية وفي الفرنسية - المترجمون . »

(٢) « Gontrectation » ، هي الحفزة الى لس أفراد الجنس الآخر بغير تمييز (هافلوك اليس ، ١٩١٠) - معجم هاريمان - المترجمون .

عطلة الصيف ، عندما عمل تناوب حضور الأب وغيابه على تنبيه هانز الى الشرط الضروري اللازم لعلاقته الحميمة بأمة ، هذه التي كان يصبو اليها . في ذلك الوقت ، كانت الصورة التي اتخذتها الرغبة هي ببساطة أن أباه ينبغي أن « يرحل » ، وفي مرحلة لاحقة أصبح من الممكن لخوفه من أن يعرضه حسان أبيض ، أن يربط نفسه مباشرة بتلك الصورة الاولى التي اتخذتها الرغبة ، وذلك بفعل انطباع أتفق أن استشعره لحظه رحيل شخص آخر ولكن فيما بعد (ربما لم يكن ذلك قبل عودتهم الى فيينا ، حيث لم يعد من الممكن التعويل على غيابات أبيه) اتخذت الرغبة صورة أخرى ، هي أن الأب ينبغي أن يرحل الى الابد - ينبغي أن يموت . والخوف الذي انبعث من رغبة هانز هذه في موت أبيه ، والذي بذلك يمكن القول بأنه كان يرجع الى دافع سوى ، كان يشكل العقبة الرئيسية في وجه التحليل ، حتى تمت ازالته أثناء الحديث الذي جرى في عيادتي (١) .

ولكن هانز لم يكن بأى حال شريرا صغيرا . فهو لم يكن حتى واحدا من أولئك الاطفال الذين في سنه ماتزال تنطلق عندهم في حرية تلك النزعة الى القسوة والعنف التي هي جانب من الطبيعة البشرية . بل على العكس من ذلك كانت لديه بشكل غير عادى نزعة الى الحنان والطيبة ، فقد قرر أبوه أن تحول النزعات العدوانية الى مشاعر الاشفاق قد تحقق عنده في سن جد باكرة . فقبل الفوبيا بوقت طويل كان قد أصبح يزعج عند رؤيته الأحصنة الارجيح وهي تنضرب ، ولم يكن بوسعه دون انفعال أن يرى أحدا يبكي في حضوره . صحيح أنه في مرحلة من التحليل ظهر جانب من ساديته المكبوحه ، في سياق بعينه (٢) :

(١) من المؤكد تماما أن هاتين المستدعيتين عند هانز : شراب التوت ، و « بندقية القتل » ، لابد وأنهما ترجعان الى أكثر من مجموعة من المحددات . فهما ، فيما يحتمل ، في علاقة مع كراهية لابييه بقدر ما هما عقدة الامسك عنده . والاب ، الذي استطاع بنفسه أن يمسك بهذه العلاقة الاخيرة ، قد أشار أيضا الى ما « لشراب التوت » من علاقة « بالدم » .
(٢) رغبته في أن يضرب . ويعاكس الاحصنة .

ولكنه كان سادية مكبوحه ، وسيكون علينا الآن أن نتقصى من السياق هذا الذى ظهرت تلك السادية في مكانه ، وما الذى ترمز اليه • كان هانز يحب في عمق نفسه هذا الأب الذى كان ضده يغذى تلك الرغبات في موته ، وبينما كان ذكائه لا يتقبل هذا التناقض (١) ، كان يكشف في واقع الأمر عن وجود هذا التناقض عندما كان ينطح أباه ثم يسارع في التواني تقبيل الموضع الذى تطلعه • ويتحتم علينا نحن أنفسنا أن نحترز من عدم تقبل هذا التناقض • فالحياة الانفعالية للانسان تتكون على وجه الجملة من أزواج من المتناقضات من هذا القبيل (٢) • ولو يكن الأمر كذلك ، لما كانت هناك فيما يحتمل كموتات أو أعصبة • وعند الراشد ، كقاعدة عامة ، لا يصبح أى زوج من أزواج المتناقضات هذه شعوريا في جانبية في آن واحد ، اللهم ألا في ذروة الحب المشبوب ، أما فيما عدا ذلك فعادة ما يمتضى الجانبان بحيث يكبح أحدهما الآخر ، حتى ينجح أحدهما في مواراة الآخر تماما ، وحجبه عن الأنتظار • ولكنهما عند الأطفال يستطيعان أن يتعايشا في سلام جنبا الى جنب خلال فترة طويلة من الوقت •

كان أعظم التأثيرات أهمية في مسار النمو النفسجنسى عند هانز هو ميلاد أخت صغيرة عندما كان في الثالثة والنصف من عمره • فهذا الحدث قد أبرز علاقاته مع أبويه ، وفرض على تفكيره مشكلات لا حل لها • وبعد ذلك ، فان رؤيته للعناية ، وهى تغدق على أخته الصغيرة ، قد بعثت في نفسه ذكريات أبكر تجاريب اللذة التى عاشها • وتأثير ذلك الحدث هو أيضا نمطى : ففى عدد يفوق كل توقع من تواريخ الحالات السويه والمرضية على السواء ، نجدنا مضطرين الى أن نتخذ نقطة بدايتنا من تفجر لذة جنسية واستطلاعية جنسية ترتبط — كما هو الشأن في هذه الحالة — بميلاد الطفل التالى • كان سلوك هانز تجاه الطارىء

(١) أنظر السؤال الحرج الذى وجهه الى أبيه (ص ٢٢٤) •

(٢) Das macht, ich binkein ausgckliigelt Buch, Ich bin ein

Menseh mit seinem Widerspruch C.F.M. yer, Huftens lerzte Tage

(انى لست في الواقع اسطورة عبودية بل انسان بكل التناقضات البشرية) •

الجديد هو على التحديد ما وضعته في كتابي « تفسير الأحلام (١) » وبعد أيام قليلة ، وهو يعانى الحمى ، فضح هانز مدى ضآلة ترحيبه بالاضافة التى طرأت على الأسرة . فهنا تظهر العدائية أولا ، ثم يأتى الحب فيما بعد (٢) . ومنذ ذلك الحين فصاعدا فان الخوف من أن يجيء طفل جديد أيضا قد وجد مكانا بين أفكاره الشعورية . وفى العصاب ، فان عدائته ، اننى كان قد تم بالفعل كبحها ، تمثلت فى خوف نوعى — هو الخوف من البانيو . وفى التحليل عبر هانز بشكل صريح عن رغبته فى موت أخته ، ولم يقنع بتلميحات يتحتم على أبيه أن يقوم بتتميمها . لم يكن ضميره ينظر الى هذه الرغبة على أنها من السوء مثل مثيلتها من الرغبة فى موت أبيه . ولكن من الواضح أنه كان فى لا شعوره لا يفرق بينهما ، فكل منهما قد انتزع ماما منه ، وحال دون انفراوه بها .

أضف الى ذلك أن هذا الحدث ، والمشاعر التى ابتعثها ، قد وجهت رغباته وجهة جديدة . ففى أخبويلته الاخيرة والمظفرة جمع معا كل رغباته الشبقية ، سواء منها ما يرجع الى مرحلة الشبقية الذاتية أو ما يرتبط بحب الموضوع . فى تلك الأخبويلة تزوج أمه الجميلة ، وكان له أطفال لا حصر لهم ، يعنى بهم على طريقته الخاصة .



ذات يوم ، بينما كان هانز فى الطريق ، استولت عليه نوبة من الحصر (القلق المرضى) . لم يكن بوسعه بعد أن يقول ما هذا الذى يخاف منه ، ولكنه فى البداية الأولى لحالة الحصر هذه فضح لأبيه دافعه الى أن يمرض والميزة التى يحصل عليها من المرض . كان يرغب فى أن يبقى مع أمه ، وأن « يتدلج » معها ، وتذكره بأنه كان قد أبعدها عنها وقت ميلاد الطفل الصغيرة ربما يكون أيضا — كما أشار أبوه — قد أسهم فى اذكاء

(١) الطبعة السابعة الالمانية ، ص ١٧٤ . الترجمة العربية : تفسير

الاحلام دار المعارف بمصر ، ص ٢٦٥ وما بعدها .

(٢) قارن خطفه عما ينتوى أن يفعله حين تكبر أخته وتستطيع أن تتكلم

(ص ٦٦٠) .

صباته اليها • وسرعان ما اتضح أن حصره لم يعد من الممكن وده من جديد الى صباته ، فقد كان يخاف حتى حين كانت تصحبه أمه • وفي الفترة الفاصلة ظهرت دلائل تشير الى هذا الذي غدا اللييدو (أذى تحول الآن الى حصر) متشبثا به • فقد عبر هانز عن خوف نوعي تماما من أن يعضه حسان أبيض •

والاضطرابات من هذا النوع تسمى « فوبيا » ، وربما كان من الممكن أن نصنف حالة هانز على أنها أجورافوبيا ، لولا هذه الحقيقة التي مؤداها أن ما يميز الأجورافوبيا هو أن الانتقال ، أذى يعجز المريض فيما عدا ذلك عن أن يقوم به ، يمكن دائما أن يتم بسهولة حين يصاحبه شخص معين — هو في الحالات القصوى الطبيب • وفوبيا هانز لا يتوفر فيها هذا الشرط ، فسرعان ما توقفت عن أن تكون لها أية صلة بالانتقال ، وأخذت تتركز بوضوح أكثر فأكثر على الأحصنة • وفي الايام الباكرة من مرضه ، حين كان قلقه في أعلى ذروته ، عبر هانز عن خوفه من أن « يدخل الحصان الى الغرفة » ، وكان ذلك هو الذي أعاننى كثيرا على فهم حالته •

في تصنيف الأعصاب ، لم يتم حتى الآن تعيين مكان محدد « للفوبيا » ويبدو من المؤكد أنه يتحتم اعتبارها فحسب مجرد زملا (١) يمكن أن تشكل جانبا من أعصاب مختلفة ، وأنا لسنا بحاجة الى تصنيفها بحسبانها كنها مرضيا قائما برأسه ، وبالنسبة الى الفوبيات من قبيل فوبيا هانز الصغير ، وهي في الواقع أكثرها شيوعا ، يبدو لي أن أسم « هستيريا الحصر » ليس غير ملائم • وقد اقترحت هذا المصطلح على الدكتور ف • شتل ، عندما كان يضطلع بوصف لحالات الحصر العصابي (٢) ، وانى لأمل أن يعم استخدامه ، فهذا المصطلح يجد ما

Syndromes (١)

W. Stekel, Nervöse Angstzustände und ihre Behandlung,

(حالات الحصر وعلاجها) 1908 .

يبرره في تشابه ما بين البنية السيكولوجية لهذه الفوبيات والبنية
السيكولوجية للهستيريا - وهو تشابه تام فيما عدا نقطة واحدة . ولكن
هذه النقطة مع ذلك هي نقطة حاسمة ، وملائمة تماما لأغراض التمييز .
ففى هستيريا الحصر فان اللييدو الذى تجرد من المادة المولدة للمرض
عن طريق الكبت لا يتبدن (بمعنى أنه لا يتحول من مجاله النفسى الى
تعصيب بدنى) ، بل يظل طليقا في صورة حصر . وفي الحالات الكلينيكية
التي تلتقى بها يمكن « لهستيريا الحصر » هذه أن تأتلف مع « هستيريا
التبدين » (١) بصفة النسب الممكنة . هناك حالات من هستيريا التبدين
الخالصة ، دون أى أثر للحصر ، تماما كما أن هناك حالات من هستيريا
الحصر ليس غير ، تتبدى في مشاعر حصر وفوبيات دون أن يمتزج بها
أى تبدين . وحالة هانز الصغير هي واحدة من النوع الأخير .

أن هستيريات الحصر هي الأكثر شيوعا بين الاعصبة النفسية .
ولكنها ، قبل كل شيء ، أبكر الأعصبة ظهورا في الحياة ، أنها بالدرجوة
الاولى أعصبة الطفولة . وعندما تستخدم أى عبارات من قبيل
أن « اعصاب » طفلها في حالة سيئة فبوسعنا أن نكون على ثقة ، في
تسع حالات من عشر ، من أن الطفل يعاني نوعا من الحصر ، أو
عدة أنواع في آن واحد . ومن سوء الحظ أن الميكانيزم المرهف
لهذه الاضطرابات العظيمة الدلالة : لم ينل بعد حظا كافيا من ادراسة .
فلم يتقرر بعد ما أن كانت هستيريا الحصر - تميزا لها من هستيريا
التبدين والاعصبة الاخرى - ترجع الى العوامل الجبلية وحدها ، أو
الى الخبرات الطارئة وحدها أو الى أئتلاف من النوعين (٢) . ويبدو

(١) (Conversion Hysteria)

(٢) (ملحوظة اضافية عام ١٩٢٣ .) - ان المشكلة هنا لم تلق المتابعة .
ولكن ليس من سبب يدعوننا الى أن نفترض أن هستيريا الحصر تشذ عن القاعدة
انتي مؤداها أن الاستعداد السابق والخبرة كليهما يتحتم أن يسهما في الاسباب
المولدة للعصاب . بيد أن رأى رانك عن آثار صدمة الميلاد يلقي ضوءا خاصا
على الاستعداد السابق لهستيريا الحصر ، وهو الاستعداد جد القوى في الطفولة .
(لقد نقد فرويد هذا الرأى فيما بعد عام ١٩٢٦ في الفصل الثامن من كتابه الكف
والاعراض والحصر . أنظر الترجمة العربية بقلم د . عثمان نجاني بعنوان
القلق . مكتبة النهضة . المترجمون) .

لي أن هستيريا الحصر ، من بين كل الاضطرابات العصائية ، هي أقلها حاجة الى استعداد جيلبي ، ومن ثم فهي أيسر الاعصبة حدوثا في أى وقت من الحياة •

وثمة خاصية أساسية من خصائص هستيريات الحصر من اليسير جدا أن نشئونها ، فهستيريا الحصر تنتزع أكثر فأكثر الى أن تصبح « فوبيا » • وفي النهاية يمكن أن يكون المريض قد تخلص من كل حصره ، ولكن ذلك فقط بثمن باهظ هو إخضاع المريض نفسه لكل ضروب الكفوف والتقييدات • فمئذ البداية في هستيريا الحصر ثمة جهد نفسى متواصل يعمل على أن يقيد نفسيا من جديد هذا الحصر الذى غدا طليقا ، ولكن هذا العمل ليس بوسعه لا أن يعيد من جديد الحصر الى لبييدو (١) لا ولا أن يجد نقطة لتقييده في نفس هذه العقد التى منها انبعث الليبيدو • فليس أمامه من سبيل الا أن يسد الطريق على كل فرصة يمكن أن تؤدى الى نشأه الحصر وذلك بأقامة موانع نفسية في صورة تحوطات أو كفوف أو تحريمات ، وهذه الصروح الدفاعية هي التى تتبدى لنا في صورة فوبييات وتشكل أمام ناظرينا لب المرض •

ويمكن القول بأن علاج هستيريا الحصر كان حتى الآن علاجا سالبيا تماما • فقد كشفت الخبرة عن استحالة ، بل وأحيانا عن خطورة ، محاولة شفاء فوبيا بوسائل عنيفة أى بحرمان المريض أولا من دفاعاته ، ووضعه بعد ذلك في موقف لا يستطيع فيه أن يتفادى ما يحتاجه من حصر متفجر • والخلاصة هي أنه ما من شئ يمكن عمله الا أن ندع المريض ، وقد اعيتنا الحيل ، يفتش له عن مأمن ، حيثما يعتقد أن بوسعه أن يجده ، وأن نكتفى بالنظر اليه — مما لا يعينه كثيرا — باحتقار على « جنبه الذى ليس له ما يبرره » •

كان والدا هانز الصغير ، منذ البداية ، قد عقدا عزمهما على أن لا يسخرأ منه أو يعنفأ معه ، بل أن يحاولا البلوغ الى رغباته المكبوتة

(١) تشير هذه العبارة الى نظرية فرويد الاولى في الحصر بوصفه طاقة الليبيدو المكبوت ، وقد صحح فرويد هذه العبارة بحيث أصبح الحصر هو الباعث على كبت الليبيدو (الترجمون) •

بطرائق التحليل النفسى • وقد كلل النجاح الجهود المضنية غير العادية لتي بذلها الأب ، وسوف نتيح لنا تقريره فرصة للنفاذ الى نسيج هذا النوع من الفوبيا ، وتتبع مسار تحليلها •

ليس من المستبعد ، فيما اعتقد ، أن تكون الاسهابات والتفصيلات فى هذا التحليل قد جعلته غامضا بعض الشيء بالنسبة الى القارىء • ومن ثم فسوف أبدأ بتقديم موجز مقتضب عنه ، بحيث استبعد منه كل ما هو جانبى ومشتت للانتباه ، موجها الانتباه الى النتائج وهى تتتابع فى خروجها الى الضوء واحدة بعد أخرى •

وأول شيء ننتبئه هو أن تفجر حالة الحصر لم يكن بأى حال فجائيا ، كما بدا للوهلة الأولى • فقبل ذلك بأيام ثقيلة صحا الطفل من حلم حصر ، مؤداه أن أمه قد رحلت ، ولم تدعمه الآن أم «يتدلج» معها • هذا الحلم وحده يشير الى وجود عملية كبت بالغة الشدة • وليس بوسعنا تفسير هذا الحلم ، على نحو ما نفعل مع كثير من أحلام الحصر الأخرى ، بأن نفترض أن الطفل قد استشعر فى حلمه حصاراً ناشئاً من سبب يدنى ، وأنه قد استفاد من هذا الحصر ليشبع رغبة لا شعورية ، كانت تظل بغير ذلك عميقة الانكبات (١) • بل يتحتم علينا بالحرى أن ننظر الى هذا الحلم على أنه حلم عقوبة وكبت بمعنى الكلمة ، بل — أكثر من ذلك — على أنه حلم فشل فى وظيفته ، طالما أن الطفل قد صحا من النوم فى حالة حصر • ونستطيع فى يسر أن نبني من جديد هذا الذى حدث بالفعل فى اللاشعور • كان الطفل يحلم بتدليلات أمه ، وبأنه ينام معها ، ولكن كل اللذة تحولت الى حصر ، وكل المضمون الفكرى الى نقيضه • فقد حقق الكبت انتصارا على ميكانيزم الحلم •

(١) انظر كتابى « تفسير الاحلام » ، الطبعة السابعة الالمانية ، ص ٤٣٣ •

(٢) انظر الترجمة العربية : تفسير الاحلام • دار المعارف بمصر ص ٣٥٤) •

ولكن البدايات الاولى لهذا الوقف السيكولوجى ترجع الى ما قبل ذلك أيضا ، فخلال الصيف السابق اعترت هانز حالات نفسية مشابهة ، هى مزاج من الصبابة والحصر ، تفوه فيها بأمر مشابهة ، وفى ذلك الوقت أتاحت له هذه الحالات أمتيازاً : إذ أخذته أمه معها فى فراشها • وبوسعنا أن نفترض أن هانز قد غدا منذ ذلك الحين فى حالة من الاستثارة الجنسية الشديدة التى كانت الأم موضوعاً لها • وهذه الشدة فى استثارته قد ظهرت فى محاولتيه لغواية أمه (وقعت المحاولة الثانية قبل تفجر قلقه مباشرة) ، وقد عثر بالصدفة على مسرب لاغراغ الاستثارة بالاستمناء فى كل مساء ، وبهذه الطريقة كان يحقق الاشباع • أما كيف تم التحول المفاجئ لهذه الاستثارة الى حصر : أتم تلقائياً ، أم تم نتيجة رفض أمه لعروضه العشقية ، أم تم نتيجة الابتعاث الطارىء للانطباعات الباكرة بفعل مرضه كسبب مباشر (وهو ما سوف نسمع عنه الآن) - فذلك ما لا نستطيع البت فيه ، والواقع أن ذلك أمر لا يهم ، فتلك احتمالات ثلاثة لا يمكن اعتبارها غير مسابرة بعضها لبعض • وتبقى هذه الحقيقة وهى أن استثارته الجنسية قد تحولت فجأة الى حصر •

لقد سبق أن وصفنا سلوك الصبى فى بداية هذا الحصر ، كما وصفنا المضمون الأول الذى نسبه الى هذا الحصر ، وهو على التحديد خوفه من أن حصانا يعضه ، عند هذه النقطة حدث أول تدخل للعلاج قال له أبواه ان حصره هو نتيجة الاستمناء ، وشجعاها على أن يقلع عن هذه العادة • وقد حرصت على أن يلحا - فى حديثهما معه - بأعظم الاهتمام على حبه لأمه ، فقد كان ذلك هو ما يحاول أن يطل محله خوفه من الأحصنة • هذا التدخل الأول أحدث تحسناً طفيفاً ، ولكن سرعان ما ضاعت من جديد تلك الأرض التى كسبناها • وذلك أثناء فترة من المرض البدنى • ظلت حالة هانز دون تغير • وسرعان بعد ذلك ما أرجع خوفه من أن حصانا يعضه الى انطباع عاشه فى جموندن • أب قال لابنته عند رحيلها هذه الكلمات من التحذير : « لاتضعى اصبعك عند الحصان ، قلو فعلت فسيعضك • » وكلمات « لاتضعى اصبعك عند » ، وهى التى

أستخدمها هانز في حكايته لهذا التحذير ، تشبه الكلمات التي صيغ بها التحذير ضد الاستمئاء • ومن هنا ، فقد بدا للوهلة الأولى وكأن أبوى هانز على حق في افتراضهما بأن ماكان يخافه هو اغراقه في الاستمئاء • ولكن العلاقة ماتزال في جملتها غير محددة ، ويبدو وكأنها كانت مجرد صدفة أن الأحصنة غدت شبحه المخيف •

كنت قد افترضت أن رغبة هانز المكبوتة يمكن أن تكون الآن رغبته في أن يرى بأى ثمن حمامة أمه • وحيث أن سلوكه تجاه الخادمة الجديدة جاء مؤيدا لهذا الافتراض ، فقد قدم له أبوه الدفعة الأولى من التبصيرات ، وهى على التحديد أن النساء ليس لهن حمامة • وقد استجاب هانز لهذه المحاولة الأولى لمعاونته ، بأخيولة مؤداها أنه رأى أمه تعرض حمامتها (١) • هذه الأخيولة ، وملاحظة أدلى بها هانز أثناء الحوار ، يتيجان لنا أن نلقى أول نظرة على العمليات النفسية اللاشعورية عند المريض • ذلك أن تهديد الخساء ، الذى وجهته إليه أمه منذ مايقرب من خمسة عشرة شهرا ، قد بدأ الآن يحدث تأثيره عليه بشكل آجل • فأخيولته من أن أمه تفعل نفس الشئ الذى سبق أن فعله هو (التعبير الشهير للأطفال « وأنت أيضا ! حين يوضعون موضع الاتهام) كانت تستهدف تبرير الذات ، كانت أخبولة حماية ودفاع • وينبغى أن نتنبه الى أن أبوى هانز كانا هما اللذان استخرجا ، من بين المادة الولدة للمرض والتي تعتمل فى داخله ، الموضوع الخاص باهتمامه «بالحمامات» وقد مضى هانز فى اثرهما على هذه الأرض ، ولكنه لم يدخل بعد فى التحليل بأقدام مستقلة • فلم يكن من الممكن بعد ملاحظة أى أثر علاجى مضى التحليل بعيدا تماما عن موضوع الأحصنة ، وتبصيره بأن النساء ليس لهن حمامة كان من شأنه بالحري أن يزيد من حرصه على أن يبقى على حمامته •

(١) ويخول لنا السياق أن نضيف : « ونلمسها ، (ص ٢١٠) • فهو نفسه فى نهاية الامر لم يكن يستطيع أن يعرض حمامته دون أن يلمسها •

ومع ذلك فليس التجاح العلاجي هو هدفنا الأول ، فنحن بالحري نحاول تمكين المريض من أن يبلغ الى أمساك شعوري برغباته اللاشعورية وذلك مايمكن تحقيقه بعملنا ، معتمدين على الاشارات التي يمدنا بها ، ومن ثم بمعونة فنياتنا في التأويل ، مقدمين عقده اللاشعورية الى شعوره في كلمات من عندنا . وسوف تكون هناك درجة معينة من التشابه بين مايسمعه منا وبين هذا الذي يفئس عنه ، والذي يحاول — على الرغم من كل المقاومات — أن يشق طريقه الى الشعور ، وهذا التشابه هو الذي يضع المريض في موقف يمكنه من أن يتعرف على المادة اللاشعورية . والمحلل يسبق المريض على طريق المعرفة ، بينما المريض يتبع ، من ورائه بقليل ، طريقه الخاص به ، حتى يلتقي الاثنان عند الهدف المعين . ومن عادة المحللين المبتدئين أن يخطأوا بين هذين الموقفين ، فيتوهمون أن اللحظة التي تتضح فيها لهم احدى العقدة اللاشعورية عند المريض هي أيضا اللحظة التي يتعرف فيها المريض نفسه على هذه العقدة . انهم يتوقعون أكثر مما ينبغي حين يتوهمون أنهم سوف يشفون المريض بمجرد تقديم هذه المعرفة اليه . ذلك أن المريض لايستطيع أن يفيد من هذه المعرفة بأكثر من أن يستعين بها في التعرف على العقدة اللاشعورية ، حيث تستقر عميقة في لاشعوره . أن نجحا مبدئيا من هذا القبيل هو الذي حصلنا عليه الآن عند هانز . فبوسعه الآن ، وقد سيطر جزئيا على عقدة الخشاء لديه ، أن يفضى اليها برغباته فيما يتصل بأمه . وقد فعل ذلك ، في شكل مايزال محرفا ، في أخبولة الزرافتين ، اللتين كانت احدهما تصيح في غير طائل لأن هانز قد استولى على الثانية . وقد عبر هانز عن « الاستيلاء » تعبيرا تشكيليا بحسبانه « جلوسا على » . وقد تعرف أبوه على الأخبولة من حيث هي تكرر . لمشهد في غرفة النوم كان يجري عادة في الصباح بين الصبي وأبويه ، وسرعان ماجرد الرغبة الخبيثة من قناعها الذي كانت ماتزال تتنكر فيه . كان أبو الصبي وأمه هما الزرافتان . أما السبب في اختيار أخبولة عن الزراف كأداة للتنكر فيجد مايفسره تماما : في زيارة قام بها الصبي لنفس هذه الحيوانات الكبيرة في شونبرون قبل

ذلك بأيام قليلة ، وفي رسم هانز للزرافة في وقت أبكر ، وهو الرسم الذي احتفظ به أبوه ، وربما أيضا في مقارنة لاشعورية تستند الى الرقبة الطويلة الجامدة عند الزرافة (١) . ومما قد تجدر ملاحظته أن الزراف ، بوصفه حيوانا كبيرا ومثيرا للاهتمام بالنظر الى حمامته ، كان بوسعها أن يدخل في منافسة مع الأحصنة في الاضطلاع بدور الشبح المخيف (أضف الى ذلك أن يكون أبوه وأمه كإيهما قد تبديا في صورة زرافتين ، كان يشكل إشارة لم تتم الافادة منها حتى الآن في تفسير « أحصنة الحصر ») .

وبعد قصة الزرافتين مباشرة أنتج هانز أخيوولتين صغيرتين : احدهما يشق فيها الطريق عنوة ألى داخل مكان ممنوع في شونبرون ، والأخرى يحطم فيها زجاج النافذة في عربة السكة الحديد في شتادبان وفي الأخيوولتين يبرز بوضوح الطابع المعيب للفعل الجدير بالعقاب ، كما يبرز أبو هانز شريكا . ومن سوء الحظ أن الأب لم ينجح في تفسير الأخيوولتين ، بحيث لم يفد هانز شيئا من سردهما عليه . وفي التحليل ، على أية حال ، فان الشيء الذي لم يتحقق فهمه يعود بالضرورة الى الظهور من جديد ، هو أشبه مايكون بروح هائمة يستحيل عليها أن تعرف الاستقرار قبل أن ينحل اللغز ويبطل السحر .

وليس بالنسبة الينا من صعوبة تعترض فهمنا لهاتين الأخيوولتين المتصفتين بالجناح . فيها تنتميان الى عقدة الاستيلاء على الأم عند هانز . فثمة نوع من الصور الغائم بزغ في نفس الصبي عن شيء ما يمكن أن يفعله مع أمه ، ويتحقق به استيلاؤه عليها ، وكيفا يعبر هانز عن هذا الفعل الذي لا يستطيع الامساك به ، يلجأ الى تعبيرين تشكيبين معينين يلتقيان عند سمتين مشتركيتين هما العنف والممنوع ، ويتفق مضمونهما بشكل عجيب مع الحقيقة الخبيثة ، الى حد يستثير أشد دهشتنا . وكل ما نستطيع قوله أنهما كانتا أخيوولتين رمزيتين .

(١) وربما يتفق مع ذلك اعجاب هانز فيما بعد برقبة أبيه .

للجماع ، ولم يكن من التفصيلات العديمة الأهمية أن كان أبوه يشاركه
الفاعلين : وكأني به يقول « بودى أن أفعل شيئاً مع ماما ، شيئاً ممنوعاً ،
لست أدري ماهو ، ولكني أعرف أنك أنت الآخر تفعله » •

ان أخبولة الزرافتين قد دعت اقتناعاً كان قد بدأ يستقر في ذهني
حين عبر هانز عن خوفه من أن « يدخل الحصان الى الغرفة » ، ووجدت
أن الفرصة المناسبة قد حانت عندئذ لتبصيره بأنه انما كان خائفاً من
أبيه لأنه كان هو نفسه يغذى في أعماقه رغبات من الغيرة والعداية ضد
أبيه - فقد كان من الضروري افتراض ذلك بحسبانه جانباً من
وجداناته اللاشعورية • وبتبصيره بذلك ، أكون قد فسرت
له جزئياً خوفه من الاحصنة : فالحصان هو بالضرورة أبوه -
هذا الذي لدى هانز من الأسباب الداخلية الوجيهة ما يدعو الى الخوف
منه • وبعض التفصيلات التي كشف هانز عن خوفه منها - الشيء
الاسود على أفواه الاحصنة والاشياء التي أمام عيونها (الشارب
والنظارة وهما امتياز ينفرد به الرجل الراشد) - قد بدت لي منقولة
بشكل مباشر من أبيه الى الاحصنة •

وبتبصيري لهانز بذلك أزلت عنده أعنى المقاومات التي تمنع
أفكاره اللاشعورية من أن تصبح شعورية : وكان أبوه في واقع
الامر هو الذي يضطلع بدور المحلل • ومنذ تلك اللحظة تخطينا ذروة
الحالة ، وأصبحت المادة تتدفق فياضة ، ووجد المريض الصغير
من الشجاعة ما جعله يحكى تفصيلات الفوبيا ، ولم يلبث أن بدأ
يسهم بشكل ايجابي في توجيه مسار التحليل (١) •

(١) وحتى في التحليلات التي يكون فيها المحلل والمريض ولا قرابة بينها ،
يلعب الخوف من الاب دوراً من أهم الادوار كمقاومة ضد المادة اللاشعورية المولدة
للمرض • والمقاومات تتخذ من ناحية صورة البواعث • أو من ناحية أخرى ،
كما هو في هذا المثال ، يكون بوسع جزء من المادة اللاشعورية ، بحكم مضمونه
ذاته ، أن يعمل على كف ظهور جزء آخر من نفس هذه المادة ذاتها •

ولم نتبين الا الآن من أى الموضوعات ومن أى الانطباعات يخاف هانز • لم يكن فحسب يخاف من الاحصنة أن تعضه - فسرعان ما توقف عن الحديث فى ذلك بل أيضا من العربات ، من عربات الاثا ، ومن الامنيوسات (والخاصية المشتركة بينها ، كما غدا واضحا الآن أنها كلها محملة تحميلا ثقيلًا) ، ومن الاحصنة التى تبدأ فى التحرك ، ومن الاحصنة التى تبدو كبيرة وثقيلة ، ومن الاحصنة التى تركز مسرعة • وهانز يفسر بنفسه ما تعنيه هذه التخصيصات ، كان يخاف من أن الاحصنة تقع ، ومن ثم أدخل فى فوبياه ، كل ما بدا من شأنه أن يبسر وقوعها •

وليس مما هو قليل الحدوث أن لا ينجح المحلل فى تبين المضمون الدقيق للفوبيا ، أو الصيغة اللغوية الدقيقة لحفرة حصارية ، أو ما انى ذلك ، الا بعد أن يمضى شوطا بعينه فى العمل التحليلي مع المريض • فالكبت لم يقتصر على أنه نزل بالعقد اللاشعورية ، ولكنه يظل باستمرار يهاجم مشتقاتها أيضا ، بل انه يمنع المريض من أن يصبح على وعى بنتجاته المرضية ذاتها ، وبذلك فان المحلل يجد نفسه فى ذلك الموقف ، المستغرب من طبيب ، اذ يعمل على اعانة المرض ، وتوجيه الاهتمام اليه • ولكن الذين يجهلون تماما طبيعة التحليل النفسى هم وحدهم الذين يبالغون فى أهمية هذا الطور من العلاج ، منتهين الى اننا ينبغي أن نتوقع بسبب ذلك أن يتمخض التحليل عن الأضرار بالمريض • وحقيقة الامر هى أنه يتحتم عليك أن تمسك بلك قبل أن يكون بوسعك أن تشنقه ، وأنه يتحتم علينا أن نتحمل عناء البدء بالامساك بالتكوينات المرضية التى نهدف الى تدميرها بالعلاج •

وقد سبق لى أن ذكرت ، فى تعليقاتى العابرة على تاريخ الحالة أنه من المفيد جدا أن نعوض على هذا النحو فى تفاصيل فوبييا ، فنبلغ من ثم الى اقتناع بالطبيعة الثانوية للعلاقة ما بين الحصر وموضوعاته • ذلك هو ما يفسر كون الفوبيات غير محددة الجال بشكل عجيب ، وفى نفس الوقت محدودة الشروط بشكل محكم •

ومن الواضح أن هانز قد أستمد مادة التنكرات التي لبسها خوفاً من الانتطاعات التي كان يفتلها طوال اليوم بالنظر الى وجود محطة الجمارك المركزية في مواجهة بيته ومما يتعلق بذلك أيضاً ماكتشف عنه هانز من حفزة وان تكن الآن في حالة كف بسبب الجمر الى اللعب بالحمولة التي على العربات ، بالطرود ، وألبراميل وأصناديق ، كما يفعل صبية الشوانع •

كان عند هذه المرحلة من التحليل أن تذكر هانز تلك الحادثة ، العديمة الدلالة في ذاتها ، والتي سبقت مباشرة تفجر المرض ، والتي يمكن بلا شك اعتبارها السبب المباشر لهذا التفجر • خرج في نزهة مع أمه ، فرأى حصان أو أومنيوس يقف ، ويضرب بأقدامه في كل اتجاه • أحدث ذلك عنده انطباعاً شديداً • فقد ارتعب ، واعتقد أن الحصان قد مات ، ومنذ ذلك الحين فصاعداً اعتقد ان كل الاحصنة سوف تقف • وقد نبهه أبوه الى أنه عندما رأى الحصان يقف لأبد وأن يكون قد فكر فيه هو ، في أبيه ، وأن يكون قد رغب في أن أباء يقف بنفس الطريقة ويموت • ولم يجادل هانز في هذا التفسير ، وبعد برهة قصيرة شرع يلعب لعبة تتحصر في أن يعرض أباه ، كاشفاً بذلك عن تقبله للتفسير الذي مؤداه أنه قد وحد بين أبيه والحصان الذي كان يخاف منه • ومنذ ذلك الحين فصاعداً كان سلوكه تجاه أبيه متصمرا وبلا خوف ، بل ومتبجحا بعض الشيء • ومع ذلك فإن خوفه من الاحصنة ظل مستمرا ، كما لم يكن قد اتضح بعد ، خلال أية سلسلة من التدايعات استطاع الحصان الذي يقف أن يبتعث الرغبات اللاشعورية عند هانز •

فلنوجز النتائج التي بلغنا إليها حتى الآن • فمن وراء الخوف الذي عبر عنه هانز في البداية ، وهو خوفه من أن حصانا يعرضه ، اكتشفنا خوفاً يستقر عنده في مستوى أعمق ، هو خوفه من أن حصانا يقف ، وكلا النوعين من الاحصنة ، هذا الذي يعرض وذلك الذي يقف ، قد تكتسفا على أنهما يرمزان لابيه ، الذي سيعاقب هانز على الرغبات الشريرة التي كان يضمهرها • ضده • وخلال هذه الفترة ابتعد التحليل عن موضوع أمه •

وعلى غير انتظار تماما ، وبالتأكيد. دون أن يستحثة أبوه بحال ، بدأ هانز الآن ينشغل بعقدة « اللومف » ، وبيدى تقززه من أشياء تذكره بافراغ أمعائه • ولما كان أبوه غير منتهى لان يمضى معه فى هذا الخط الجديد ، فقد مضى بالتحليل عنوة فى ذلك الاتجاه الذى كان يريد المضى فيه • وقد تأدى بهانز الى أن يتذكر حادثة وقعت فى جموندى ، كان انطباعه الخاص بها يكمن وراء انطباعه عن حصان الامنيوس الذى وقع • ففر ينزل ، رفيق اللعب الذى كان هانز يحبه كثيرا ، والذى ربما كان أيضا منافسه فى صديقاته الصغيريات العديديات ، ارتطمت قدمه وهو يلعب الحصان ، بحجر فوق وسأل الدم من قدمه • ورؤية حصان الامنيوس يقع قد ذكرته بهذه الحادثة •

وجدير بالملاحظة أن هانز ، الذى كان عندئذ ينشغل بأمر آخرى ، بدأ يانكار أن فريتزل وقع (وان كانت تلك هى الواقعة التى تشكل الرابطة بين المشهدين) ، ولم يسلم بذلك إلا فى مرحلة لاحقة من التحليل • وعلى أية حال ، فان ما يجدر ملاحظته بصفة خاصة هو كيف أن تحول اللييدو عند هانز الى حصر ثم اسقاطه على الموضوع الرئيسى للفوييا عنده ، وهو الاحصنة • كانت الاحصنة هى أكثر ما يشد اهتمامه من بين الحيوانات الكبيرة جميعها ، نلعبه الحصان كانت لعبته المفضلة مع الاطفال الآخرين • وكنت أعتقد ، وهذا ما أكده لى أبو هانز عندما سألته ، أن أول شخص قلم لهانز بدور الحصان لابد وأنه كان أبوه ، وكان هو الذى مكن هانز من أن يعتبر فريتزل بديل أبيه عندما وقعت الحادثة فى جموندى • وعندما استقر الكبت ، متمخضا عن انقلاب فى الوجدانات ، فان هانز ، الذى كان فيما سبق يجد المتعة فى الاحصنة ، تحتم عليه بالضرورة أن يخاف منها •

ولكن ، كما سبق أن قلنا ، كان بفضل تدخل أبى هانز أن بلغنا الى هذا الاكتشاف الأخير الهام عن الطريقة التى عمل بها السبب المباشر للمرض عمله • كان هانز نفسه مستغرقا فى اهتماماته اللومفية ، وفى هذا الطريق ينبغى أن نمضى معه آخر الأمر • ونتبين عندئذ أن هانز كان من

عادته فيما مضى أن يصر على مصاحبة أمة داخل المرحاض ، وأنه قد أحيا هذه العادة مع صديقته برنا في وقت كانت فيه تشغل مكان أمه ، ذلك حتى انكشفت الواقعة ومنع من أن يفعل ذلك . ان لذة النظر عندما يكون شخص محبوب يقضى حاجته الطبيعية هي مرة أخرى ، « تشابك غرائز » ، ظاهرة استطعنا أن نشهد لها مثالا عند هانز ، وفي النهاية مضى أبوه في رمزية اللومف ، وتبين ماهنالك من تشابه بين عربة محملة تحميلا ثقيلًا وبدن محمل بالبراز ، بين الطريقة التي بها تخرج عربة من بوابة خارجية والطريقة التي يخرج بها البراز من البدن ، وما الى ذلك .

ومهما يكن ، فان موقف هانز من التحليل قد تغير بصفة أساسية بالقياس الى ما كان عليه في المراحل السابقة . ففيما سبق ، كان بوسع أبيه أن يخطره مسبقا بما سوف يظهر ، بينما كان هانز فحسب يتبع أقوال أبيه ، مهرولا في اثرها ، أما الآن فان هانز هو الذى يمضى في المقدمة بخطى سريعة وثابتة ، بحيث أصبح من العسير على أبيه أن يلاحقه . أنتج هانز ، دون أى تدخل ، أخيوولة جديده : فالسمكرى فك البانيو الذى كان هانز بداخله ، ثم ضربه في بطنه بمتقابه الكبير ومنذ ذلك الحين كانت المادة التى تظهر تفيض من كل ناحية بما يزيد على قدرتنا على الفهم المباشر . لم نستطيع أن نفهم الا في وقت لاحق أنها كانت أخيوولة أنجاب ، الباشر . لم نستطع أن نفهم الا في وقت لاحق أنها كانت أخيوولة اجاب ، عانت التحريف بفعل الحصر . فالبانيو الكبير الذى تخيل هانز نفسه بداخله كان رحم أمه ، والمثقاب « Bohrer الذى تبينه الأب منذ البداية قضيبا ، يرجع السبب في ذكره هنا الى ارتباطه بالانولاد ، (الميلاد) ge boren (١) . والتفسير الذى نجدنا مضطرين لأن نعطيه للأخيوولة سوف يبدو بالطبع جد غريب : « بقضيبك الكبير ثقتنى (بمعنى ، ولدتنى ،) ووضعتنى في رحم أمى » . ولكن الأخيوولة في وقتها أفلتت من التفسير ، فاقترنت على أن تكون بالنسبة لهانز نقطة ارتباط يواصل منها تقديم معلوماته .

كسب هانز عن خوفه من أن تعطيه أمه حمامه في البانيو الكبير ، وكان هذا القلق من جديد قلقا مركبا • جزء منه ما يزال يستعصي على فهمنا ، ولكن الجزء الآخر يمكن فهمه دفعة واحدة بالرجوع الى أخته الطفلة وهي تأخذ حمامها • لقد اعترف هانز بأنه كانت لديه الرغبة في أن تترك الأم أخته الطفلة تقع وهي تعطيها حمامها ، بحيث تموت • كان قلقه ، وأمّه تعطيه حمامه ، هو خوف من الشار على هذه الرغبة الشريرة ، ومن أن تنزل به العقوبة فيصيبه نفس الشيء • ترك هانز الآن موضوع اللومف ، وانتقل مباشرة الى موضوع أخته الطفلة • ويوسعنا أن نستشعر ما يمكن أن يعنيه هذا التجاوز في الواقع : ان هنه الصغيرة هي نفسها لومف — كل الأطفال هم لومفات ، ويتولدون كاللومفات ونستطيع الآن أن نتبين أن كل عربات الأثاث وعربات النقل الثقيل والأومنيبوسات لم تكن غير عربات — صناديق — طائر اللقلق ، ولم تكن لها أهمية عند هانز الا من حيث أنها تمثلات رمزية للحمل ، وأنه عندما كان حصان ثقيل أو محمل تحميلا ثقيل يقع لم يكن هانز يبرى في ذلك الا شيئا واحدا — ميلاد طفل ، ولادة ein Nierkommen (١) • وهكذا فان الحصان الذي يقع لم يكن فحسب أبا يموت ، بل أيضا أمه تلد طفلا •

وعند هذه النقطة قدم لنا هانز مفاجأة ، لم تكن مهئين لها أقل تهيئة • كان قد لاحظ ، عند أمه ، الحمل الذي انتهى بميلاد أخته الصغيرة وذلك عندما كان في الثالثة والنصف من عمره • وقد استنطاع هانز تماما ، على الأثل بعد الولادة ، أن يتمثل في نفسه حقيقة ماجرى في الواقع ، دون أن يدلى — وهذا صحيح — بذلك لأحد ، بل ربما دون أن يكون قادرا على التعبير عنه • وكل ما كان يمكن تبينه في ذلك الوقت هو أن هانز ، بعد الولادة مباشرة ، اتخذ موقفا من الشك المتطرف تجاه كل ما يمكن أن يحمل اشارة الى وجود طائر اللقلق • أما كون هانز — في تعارض تام مع أقواله الصريحة — كان يعرف في لاشعورة من أين أتت

(١) أنظر هامش ص ٢٨٤ — المترجمون •

الطفلة وأين كانت قبل ذلك ، فذلك ما أثبتته هذا التحليل اثباتا لا يرقى اليه ظل من شك ، وربما يكون ذلك في الواقع هو من هذا التحليل الموضع الذى تستحيل مهاجمته .

وأعظم دليل قاطع على ذلك تقدمه لنا أخيوته (التى نشبت بها بأقصى عناد ، وزينها بكل هذه التفصيلات الثرية) عن كيف كانت هنه معهم فى جموندين فى الصيف السابق على ميلادها ، وكيف سافرت الى هنك معهم ، وكيف كان بوسعها أن تفعل عندئذ أكثر بكثير مما كانت تستطيعه بعد عام ، بعد ميلادها . والقحة التى حكى بها هانز هذه الأخيولة ، والاكاذيب العجيبة العديدة التى مزجها بها ، لم تكن بأى حال عديمة المعنى اذ كان ذلك يستهدف الانتقام من أبيه ، هذا كان يحمل له هانز ضغينة ، بسبب تضليلا اياه بخرافة طائر اللقلق . كان الأمر تماما وكأنه يقول : « أن كنت حقا قد اعتقدت أنتى من الغياء الى هذا الحد بحيث أصدق أن اللقلق قد أتى بهنه ، فعندئذ استطيع بدورى أن أتوقع منك أن تصدق خرافاتى . » وفعل الانتقام هذا من جانب باحثنا الصغير ضد أبيه قد جاءت فى اثره الأخيولة ذات الصلة الواضحة به عن معاكسة الأحصنة وضربها . وهذه الاخويولة هى الاخرى تشتمل على عنصرين . فمن ناحية كانت تقوم على المعاكسة ، هذه التى وجهها ضد أبيه قبل ذلك مباشرة ، ومن ناحية أخرى فانها تمخضت من جديد عن الرغبات السادية الغامضة المتجهة ضد أمه ، والتى سبق أن عبر عنها فى أخاييله (وأن لم تكن مفهومة فى بداية الأمر) عن فعل شئ ممنوع . بل أن هانز قد صرح شعوريا برغبته فى أن يضرب أمه .

لم يبق أمامنا الآن الكثير من الألغاز . فثمة أخويولة غامضة عن قطار يفوتهما ، يبدو أنها كانت طليعة للفكرة اللاحقة عن تسليم أبى هانز الى جدة هانز فى لاينتس ، اذ أن الأخيولة تتعلق بزيارة الى لاينتس ، وتظهر الجدة فى الأخيولة . أخويولة أخرى فيها صبي يعطى السائق خمسين ألف فلورين ليتركه يركب على العربة (ص ٢٧٣) تبدو وكأنها خطة لشراء أمه من أبيه ، هذا الذى يكمن جانب من قوته بالطبع فى ثرائه

وفي ذلك الوقت تقريبا ، أعترف أيضا ، بدرجة من الصراحة لم يبلغ اليها قط من قبل ، أنه كان يرغب في التخلص من أبيه ، وأن سبب رغبته في ذلك أن أباه كان يعكر عليه صفو خلوته مع أمه • ولا ينبغي أن ندهش حين خلتى بنفس الرغبات تعود الظهور باستمرار في مسار التحليل • فالرتابة ترجع فقط الى أن عملية التفسير قد اكتملت • أما بالنسبة الى هانز ، فهي لم تكن مجرد تكرارات ، بل درجات في ارتقاء مطرد يمضى من التلميح الوجل الى التصريح الشعورى بمعنى الكلمة ، بعيدا عن كل تحريص

وماسوف يأتى بعد ذلك لا يعدو أن يكون تأكيدات من جانب هانز لنتائج التحليل التى أرسنها تفسيراتنا • ففى فعل أعراضى لا يمكن أن يفتتح لاي لبس ، موه بعض الشئ على الخادمة ولكن ليس ابداً على الأب ، أبان هانز عن الكيفية التى يتم بها الميلاد فى تصويره ، ولكننا اذا نظرنا فى هذا الفعل الأعراضى عن كذب يكون بوسعنا أن نرى أنه قد أبان عن شئ آخر ، فقد كان يلمح الى شئ لم تأت الأثسارة اليه مرة أخرى فى التحليل • دفع مطواة كانت لامه فى ثقب مستدير بجسم المطاط ، ثم جعل المطواة عروسة من تسقط خارجه بتزويقه ما بين رجليها • فالتبصير الذى تلقاه من أبويه اثر ذلك مباشرة ، من أن الأطفال ينمون فى الواقع داخل أبدان أمهاتهم ثم يدفعون خارجين من هذه الأبدان كلومف ، انما جاء بعد الأوان ، فلم يكن بوسعنا أن يضيف اليه جديدا وثمة فعل أعراضى آخر ، حدث وكأنه مجرد صفة ، أنطوى على اعتراف منه برغبته فى موت أبيه ، ففى نفس اللحظة التى كان يتحدث فيها اليه عن هذه الرغبة فى الموت ، ترك هانز حصانا كان يلعب به يسقط من يده — رمى به الى الأرض فى الواقع • هذا الى أنه أيد فى كثير من عباراته الفرض الذى مؤداه أن ألغربات المحملة تحميلا ثقيلًا كانت تمثل بالنسبة اليه حمل أمه ، وأن وقوع الحصان يمثل ولادة طفل • ولكن أبرع هذه التأييدات كلها فى هذا الصددما كان من تدليله على أن الاطفال فى رأيه هم « لومفات » ، بابتداعه أسم « لودى » لطفله المفضل • ولكن هذه الواقعة لم تصل الى علمنا الا متأخرة ، اذ تبين

عندئذ أنه كان يلعب بهذا الطفل « السجق » ، طفله المفضل ، منذ وقت طويل مضى (١) .

لقد سبق أن تناولنا الاخيولتين الأخيرتين عند هانز ، اللتين أكتمل بهما شفاؤه . فاحداهما ، أخيوالة السمكرى وهو يزوده بحمامة جديدة هي — كما حدس أبوه — حمامة أكبر لم تكن مجرد تكرار للاخيولة الأبركر عن السمكرى والبيانو . فهذه الاخيولة الجديدة كانت أخيوالة رغبة مظفرة ، تغلب بها على خوفه من الخساء . أما أخيوالته الأخرى التى تصرح برغبته فى الزواج من أمه ، وفى أن يكون له منها أطفال كثيرون فإنها لم تقتصر على استنفادها مضمون العقد اللاشعورية التى تحركت الى السطح برؤية الحصان يقع ، والتى ولدت عنده الحصر . ذلك أن هذه الأخيولة قد صحت أيضا ذلك الجانب من أفكاره الذى لم يكن مقبولا على الاطلاق ، فبدلا من أن تقتل الأخيولة الأب ، جعلته عديم الأذى ، بأن منحه ترقية الزواج من جدة هانز . بهذه الأخيولة بلع المرض والتحليل كلاهما النهاية الملائمة .

عندما يكون تحليل حالة ما ماضيا فى تقدمه ، يكون من المستحيل البلوغ الى أى انطباع واضح عن بنية العصاب وتطوره . فذلك يتطلب عملية تركيبية ينبغى القيام بها بعد ذلك . وفى محاولتنا القيام بهذه العملية التركيبية عن فوبيا هانز الصغير سوف نجعل نقطة انطلاقنا وصف جبلته النفسية ، ورغباته الجنسية المهيمنة ، والأحداث التى سبقت ميلاد أخته ، مما قدمناه فى جزء باكر من هذا المقال .

(١) أذكر مجموعة رسوم للفنان هينه T. T. Heine فى عدد من مجلة Simplicissimus

حيث صور هذا الرسام العبقري حكاية جزار الخنازير الذى وقع فى آلة السجق ، والذى فى صورة سجقه صغيرة ، بكاه أبواه ، وتلقى بركات الكنيسة ، وصعد الى السماء . وفكرة الفنان تبدو للوهلة الأولى غير مألوفة ، ولكن حكاية « لودى » فى هذا التحليل تمكننا من أن نرجع فكرة الفنان الى أصلها الطفلى .

فمقدم أخته أدخل على حياة هانز كثرة من العناصر الجديدة ، التي لم تجعله منذ ذلك الحين غصاعدا يذوق طعم الراحة . فأولا كان عليه أن يعاني درجة معينة من الحرمان : بادئ ذي بدء ، انفصالا مؤقتا عن أمه ، وبعد ذلك نقصا دائما في قدر العناية والاهتمام اللذين كان يتلقاهما منها ، واللذين عليه منذ ذلك الحين فصاعدا أن يعتاد تشاطرهما مع أخته . وثانيا عاش هانز ابتعاث لذاته التي نعم بها عندما كان يتلقى العناية كطفل ، ابتعاثا مرجعه كل هذا الذي كان يرى أمه تعمل من أجل الطفل . ونتيجة لهذين التأثيرين غدت حاجاته الشبقية أكثر شدة ، بينما بدأت في نفس الوقت تلقى اشباعا غير كاف . وقد قام هانز بتعويض نفسه عن الخسارة التي لحقت به بسبب مجيء اخته بأن تخيل أن له أطفالا هو نفسه ، وطالما كان في جموندن - في زيارته الثانية لها ، وكان بوسعه في الواقع أن يلعب مع هؤلاء الأطفال ، كان يجد في ذلك منصرفا كافيا لعواطفه . ولكنه بعد عودته الى فينا أصبح من جديد وحيدا ، فاتجه بكل مطالبه الى أمه . وكان في الفترة الفاصلة قد عانى حرمانا آخر ، اذ نفى من غرفة أمه وهو في الرابعة والنصف من عمره . وعندئذ فان قابليته التي اشتدت للاستثارة الشبقية بدأت تعبر عن نفسها في أخايل - كان بها يستحضر في وحدته رفاق لعبه في الصيف الماضي - وفي اشباع منتظم من الشبقية الذاتية كان يحصل عليه بتنبهات استثنائية لعضو انساله .

وثالثا فان ميلاد أخته قد حدا به الى أن يعمل فكره وكان ذلك من ناحية يستحيل أن يتأدى به الى نتيجة ، وكان من ناحية أخرى يجره الى صراعات انفعالية . كان يواجه اللغز الكبير : من أين يأتي الأطفال الذي ربما يكون أول مشكلة تستنهض القوى العقلية للطفل ، والذي ربما كان لغز أبى الهول في طيبة ليس غير نسخة محرفة له . رفض هانز التفسير الذي قدم اليه من أن طائر اللقلق أتى بهنه . لأنه كان قد لاحظ قبل ميلاد الطفل بعدة أشهر أن بدن أمه قد انفتخ ، وأنها بعد ذلك رقدت في الفراش ، وأنها كانت تتأوه أثناء حدوث الميلاد ، وأنها عندما تركت الفراش ذهب عن بدنها الانتفاخ . ومن ثم فقد استنتج أن هنه كانت

داخل بدن أمه ، ثم خرجت منه بعد ذلك كلومف اذ كان بوسعه أن يتفخيله
عملية الولادة على أنها عملية لاذة أذ ربطها بمشاعره اللاذة الأولى عند
التبريز وبذلك كان لديه دافع مزدوح لرغبته في أن يكون له أطفال هو
نفسه ولدة ولادتهم ، ولذة العناية بهم (تعويضية ، ان جاز القول) •
لم يكن في ذلك كله مايمكن أن يتأدى به إلى الشكوك والصراعات •

ولكن كان هناك شيء آخر لايمكن الا أن يثير الارتباك عند هانز •
فأبوه لابد ، وأن كانت له علاقة ما بمولد هذه الصغيرة ، لأنه كان قد أعلن
أن هذه وهانز نفسه هما طفلاه • ومع ذلك فقد كان من المؤكد أن ليس
الأب هو الذى وضعهما بل الام • وهذا الاب كان يقف حائلا بينه وبين
أمه • فعندما يكون حاضرا لايسطيع هانز أن ينام مع أمه ، وعندما
كانت أمه ترغب في أن تأخذها معها في فراشها كان من عادة أبيه أن يصيح •
لقد تعلم هانز من الخبرة كيف يكون كل شيء على مايرام عندما يكون
أبوه غائبا ، وكان الأمر المعقول وحده هو أن يرغب هانز في التخلص منه •
وعندئذ لقيت عدائية هانز تعزيزا جديدا • فقد أخبره أبوه بتلك الأكذوبة
عن طائر اللقلق ، ومن ثم جعل من المستحيل عليه أن يطلب استيضاح
هذه الأمور • فهو لم يقتصر على أن منعه من أن يكون في الفراش مع
أمه ، بل حرمه أيضا من المعرفة التى كان يتعطش اليها • كان يضع هانز
في وضع مجحف من الناحيتين • وكان من الواضح أنه يفعل ذلك
لمصلحته الخاصة •

ولكن هذا الأب الذى لم يكن يستطيع هانز أن يمنع نفسه من
كراهيته كمنافس ، كان هو نفس الأب الذى أحبه هانز دائما ، وكان
مضطرا لأن يمضى في حبه له ، فقد كان هذا الاب أنموذجه ، وكان أول
رفيق لعب له ، وتعهده بالرعاية منذ طفولته الباكرة ، وكان هذا هو الذى
ولد عند هانز أول صراع وجدائى ، وهو صراع لم يستطيع أن يعثر على
حل مباشر له • ووفقا لتطور طبيعة هانز كان ولا بد في البداية للحب أن
تكون له اليد الطولى ، وأن يقوم بكبح الكراهية دون أن يقتدر مع ذلك
على تبديدها ، ذلك أن تلك الكراهية كانت تتلقى بلا انقطاع مددا جديدا
من جراء حب هانز لأمه •

ولكن أباه ليس فقط كان يعرف من أين يأتى الأطفال ، بل كان أيضا يفعل شيئا ما من شأنه أن يأتى بهم — وهو الشيء الذى لم يكن هانز يستطيع حدسه الا بشكل غائم ، و « الحمامة » لابد وأن تكون لها صلة بهذا الشيء ، اذ أن حمامة كانت تهتاج كلما فكر فى هذه الأشياء — وتلك الحمامة لابد أيضا وأن تكون كبيرة ، أكبر من حمامة هانز . فلو كان هانز قد انتبه لهذه الأحاسيس الارهاصية لما كان بوسعه أن يعترض أن ذلك الشيء هو ضرب من أعمال العنف تعانيه الأم ، ضرب من التحطيم ، من عمل فتحة فى شيء ما من الاقتحام عنوه لمكان مغلق — تلك كانت فى الواقع الحفزات التى كان يستشعرها تجيش فى داخله ، ولكن على الرغم من أن الأحاسيس التى استشعرها قضيبه قد وضعه على الطريق الى افتراض وجود مهبل ، الا أنه مع ذلك لم يقتدر على حل اللغز اذ لم يكن هناك بحسب خبرته من شيء موجود يشبه هذا الذى كانت تتطلبه حمامته . وعلى النقيض من ذلك تماما فإن اقتناع هانز بأن أمه لها حمامة تماما مثل ماله قد سد عليه الطريق الى حل اللغز . فمحاولته لحل هذه المشكلة ونعنى : ما الذى ينبغى فعله مع ماما كى يكون لها أطفال ؟ غاصت عميقا فى لاشعوره . وحفزناه الايجابيتان — حفزته العدوانية ضد أبيه وحفزته السادية العشقية تجاه أمه — ظلنا معطلتين ، الأولى بسبب ذلك الحب الذى كان قائما جنبا الى جنب مع الكراهية ، والثانية بسبب الحيرة التى أسلمته اليها نظرياته الجنسية الطفلية .

على هذا النحو ، استنادا منى الى نتائج التحليل ، وجدنتى مضطرا الى أن أعيد بناء العقيدة والرغبات اللاشعورية ، هذه التى تمخض كبتها وابتعاثها عن الفوبيا عند هانز الصغير . وأنى اذ أفعل ذلك ، فانى على وعى بأننى أنسب قدرا كبيرا من القدرة العقلية لطفل هو بين اربعة والخامسة من العمر ، ولكنى أترك زمام نفسى لهذا الذى اكتشفناه حديثا ، دون أن أتقيد بالأحكام القلبية لجهلنا . وربما كان من الممكن أن نستخدم خوف هانز من « عمل صخب شديد بالأرجل » انسد بضع ثغرات أخرى فى سجل أدلتنا . صحيح أن هانز صرح بأن ذلك يذكره بضربه بأرجله عندما كان عليه أن يقطع لعبه لكى يعمل « لومف » ، الأمر

الذى يضع هذا العنصر من العصاب فى علاقة مع مشكلة ما ان كانت أمه عن رضى قد رغبت فى أن يكون لها أطفال أو عن كره أرغمت على ذلك • ونكنى لا اعتقد، أن ذلك يقدم تفسيراً مكتملاً « لعمل صخب شديد بالأرجل » • لم يكن بوسع أبى هانز أن يؤيد ظنى فى وجود ذكرى ما ، تتحرك فى نفس الصبى ، عن ملاحظته مشهد جماع جنسى بين أبويه عندما كان ينام فى غرفة نومهما • فلنقتنع اذن بما استطعنا الكشف عنه •

ومن العسير أن نتبين — فى الموقف الذى كان يعيشه ، والذى فرغنا من تقديم لوجه عنه — هذا السبب الذى أدى إلى التغير المفاجيء عند هانز ، الى تحول الصبابة الليبيدية عنده الى حصر ، بعبارة أخرى من أى جانب كان بدء الكبت ؟ بما لا يمكن القطع باجابة لهذا السؤال قبل مقارنة هذا التحليل بعدد من التحليلات المماثلة • ما الذى قلب الميزان ؟ أكان قصوره العقلى عن أن يحل المشكلة العسيرة عن انجاب الاطفال ، وعن أن يجابه الحفزات العدوانية التى يطلقها الاقتراب الغائم من حل هذه المشكلة ؟ أم ترى كن قصوره البدنى ، كنوع من عدم التسامح الجبلى عن أن يتحمل الاشباع الاستمنائى الذى يعيشه بانتظام ؟ (بمعنى أم أن مجرد استمرار الهياج الجنىسى بمثل هذه الدرجة العالية من الشدة كان لابد بالضرورة وأن يؤدى الى انقلاب الوجدان ؟) — هذه المشكلة ينبغى أن نتركها مفتوحة بغير اجابة حتى يتاح لخبرات جديدة أن تأتى لمعونتنا •

وثمة اعتبارات تتصل بتسلسل الأحداث تمنعنا من أن نولى أهمية كبيرة للسبب المباشر لتفجير المرض عند هانز ، اذ كانت قد ظهرت عنده علامات على الخوف قبل وقت طويل من رؤيته حصان الأومنيبوس يقع فى الشارع • ومع ذلك فان العصاب قد ربط نفسه بشكل مباشر بهذا الحدث الطارىء ، واحتفظ بأثر منه ، اذ ارتفع بالحصان الى مرتبة « موضوع حصر » • ان الأنطباع الذى عاشه هانز ، حين اتفق له أن يرى

الحصان يقع ، لم يكن لينطوى بذاته على أية « قوة صدمية » ، فبهذا الحدث الذى اتفق لهانز أن رآه لم يكتسب فاعليته الكبيرة فى توليد المرض الا بفضل ما كان للحصان سبق من أهمية عنده كموضوع اهتمام وتفضيل ، والا بفضل ارتباطه بحدث أبكر وأكثر صدمية بمعنى الكلمة جرى فى جموندن ، وهو وقوع فرييتزل وهو يلعب دور الحصان ، والا بفضل وجود طريق ميسر للتداعى تأدى بهانز من فرييتزال الى الأب • حتى دل هذه الارتباطات ربما ما كانت لتكون كافية بحال ، لولا أن الانطباع ذاته - بفضل مرونة العلاقات الارتباطية وانفتاحها للالتباس - قد تكشف الى حد ملائم لابتعاث ثانية العقد التى كانت مترتبة فى لاشعور هانز ، عقدة ولادة أمه الحامل • ومنذ تلك اللحظة غدا الطريق مفتوحا أمام عودة المكبوت ، وقد عاد المكبوت على النحو التالى : المادة المولدة للمرض أعيد تشكيلها ونقلها على عقدة الحصان ، بينما الوجدانات المصاحبة كلها بلا استثناء تحولت الى حصر •

ومما تجدر ملاحظته أن المضمون الفكرى لفوبيا هانز ، على نحو ما كان عليه عندئذ ، كان لا بد وأن يعانى عملية أخرى من التحريف والابدال ، قبل أن يكون بوسع هذا المضمون أن يبلغ الى لاشعور • كانت الصيغة اللفظية الأولى التى عبر بها هانز عن حصره هى : الحصان سوف يعضنى » ، وكان ذلك مشتقا من حدث آخر جرى فى جموندن ، وكان يرتبط من ناحية برغباته ضد أبيه ، ويذكره من ناحية أخرى بالتحذير الذى كان قد تلقاه ضد الاستمناء • وثمة أمر محير ، ربما يرجع الى أبويه ، يفرض نفسه هاهنا على انتباهنا • فانى لست على ثقة من أن التقارير عن هانز فى تلك الفترة كانت تكتب بعناية كافية ، بحيث تمكننا من أن نقطع بما ان كان هانز قد عبر بهذه الصيغة عن حصره قبل أو فقط بعد أن وبخته أمه بخصوص استمنائه • انى أميل الى الاعتقاد بأن ذلك لم يكن إلا بعد ، وأن تعارض ذلك مع ألتنص الوارد فى تاريخ الحالة • ومهما يكن ، فمن الواضح أنه فى كل موضوع كانت عقدة العدائية عند هانز ضد أبيه تحجب عقده الشهوية تجاه

أمه ، تماما كما كانت الأولى تكشفها وتصفيه في التحليل .

وفي حالات أخرى من هذا القبيل كان يمكن أن يقال ساهو أكثر بكثير عن بينة العصاب وتطوره واتساع مجاله . ولكن تاريخ نوبة هانز الصغير كان جد قصير ، فتاريخ مرضه لم يكد يبدأ حتى حل محله تاريخ علاجه . وعلى الرغم من أنه أثناء العلاج ، بدت الفوبيا وكأنها تستفحل ، تمتد الى موضوعات جديدة ، وتفرض شروطا جديدة ، فان أبا هانز — بالنظر الى أنه هو نفسه كان يضطلع بعلاج الحالة — كان لديه بالطبع من الاستبصار الكافي ما يجعله يدرك أن الأمر يتعلق فحسب بمجرد انبثاق مادة موجودة بالفعل ، وليس بنتائج جديدة يمكن اعتبار العلاج مسئولاً عنها . وفي علاج حالات أخرى لن يكون من الممكن دائما التعويل على مثل هذا الاستبصار النافذ .

وقبل أن يكون بوسعى أن أعتبر هذه الصورة التركيبية مكتملة ، يتحتم على أن أتناول الحالة من زاوية أخرى ، مما يجبرنا الى لب الصعوبات التى تعترض طريق فهمنا للحالات العصابية . لقد رأينا كيف أن مريضنا الصغير اجتاحتته موجة عارمة من الكبت ، وأن هذه الموجة قد أنصبت بالتحديد على هذه العناصر المهيمنة من جنسيتها (١) . تخلى عن الاستمنا ، وابتعد فى اشتمئزاز عن كل ما من شأنه أن يذكره بالمرجات أو بالتطلع الى الآخرين وهم يقضون حاجاتهم الطبيعية . ولكن تلك لم تكن العناصر التى ابتعثها السبب المباشر للمرض (رؤيته الحصان يقع) كما لم تكن العناصر التى زودت الأعراض بمادتها ، أى بمضمونها فى الفوبيا .

وفى ذلك ما يتيح لنا هاهنا تمييزا جذريا . فسوف نبلغ الى فهم

(١) بل أن أبا هانز قد لاحظ فى نفس الوقت مع هذا الكبت ظهور قدر من الاعلاء عند هانز . فمنذ بداية حصره بدأ هانز يكشف عن اهتمام متزايد بالموسيقى ، وبدأت تزدهر عنده موهبته الموسيقية الموروثة .

أعمق للحالة بتحولنا الى تلك العناصر الأخرى التي تجيب على هذين الشرطين الاخيرين اللذين سبق ذكرهما . كانت تلك نزعات هانز سبق أن عانت الكبح ، وبقدر ما نستطيع أن نرى ، لم تستطع قط أن تترجم عن نفسها في تعبير غير مكفوف : مشاعر عداوية وغيره ضد أبيه ، وحفزات سادية (تباثير ترهص ، أن جاز القول ، بالجماع) ضد أمه . هذه الكبوحات الباكرة ربما كانت هي العوامل الشارطة للاستعداد للعصاب اللاحق . تلك النزعات العدوانية لم تجد لها عند هانز أى مخرج ، وعندما ، في وقت من الحرمان والهيياج الجنسي المتزايد ، حاولت هذه النزعات ، وقد نالها التعزيز ، أن تشق طريقها الى الخارج ، عندئذ تفجر هذا الصراع الذى نسميه « فوبيا » . أثناء مسار هذه الفوبيا ، نجح جانب من الأنتكار المكبوتة ، في صورة محرفة ومنقولة على عقدة أخرى ، في شق طريقه الى الشعور بوصفه مضمونا للفوبيا . ولكن مما لاشك فيه ان ذلك النجاح كان جديرا بالازدراء . فالنصر ما يزال لقوى الكبت ، هذه التى أنتهزت الفرصة لتمتد بسلطانها الى عناصر أخرى غير هذه التى كانت قد تمردت . ولكن ليس فى هذا ، مع ذلك ، ما ينال على الاطلاق من الحقيقة التى مؤادها أن لب مرض هانز كان يتوقف كلية على طبيعة العناصر الغريزية التى كان يتحتهم طردها .

فمضمون الفوبيا كان على نحو بحيث يتحتهم أن يلزم عنه تقييد كبير لحرية الحركة ، وكان ذلك أيضا مستهدفه الفوبيا . ومن هنا فقد كانت هذه الفوبيا رد فعل قويا ضد الحفزات الحركية الغائمة المتجهة بصفة خاصة الى أمه فالحصان كان دائما عند هانز يمثل لذة الحركة . (« انى حصان صغير » ، هكذا كان يقول هانز وهو يثب فى كل اتجاه) . ولكن بالنظر الى أن لذة الحركة هذه كانت تتضمن حفزة الجماع ، فان العصاب قد فرض على لذة الحركة قييدا ، وجعل من الحصان شعارا للرب . وهكذا يبدو الأمر وكأن الغرائز المكبوتة لم يبق لها من شىء فى العصاب الاشرف لزويد الحصر بتعلات تبرز ظهوره فى الشعور . ولكن كائنا ما كان وضوح هذا الأنتصار للقوى المضادة

للجنسية في قوبيا هانز ، الا أنه بالنظر الى أن هذا المرض هو ، بحكم طبيعته ذاتها ، مصالحة ، فليس من الممكن أن يقف نصيب الغرائز المكبوتة عند هذا الحد . فقوبيا هانز من الاحصنة هي ، في نهاية الامر ، عقبة تحول رون خروجها الى الشارع ، ومن ثم يمكن أن تكون وسيلة تسمح له بأن يبقى في البيت مع أمه الحبيبة . وهكذا فان حبه لأمه استطاع بهذه الطريقة أن يبلغ مظفرا الى هدفه . فمن خلال القوبيا ذاتها ، تشبث العاشق الصغير بموضوع حبه ، وان كانت اجراءات قد اتخذت بالتأكيد لتجعل هانز عديم الايذاء . أن الطابع الحقيقي لاضطراب عصابي انما يتبدى في هذه النتيجة المزدوجة .

لقد قدم الفريد أدلر منذ وقت قريب ، في مقال موح (١) ، رأيا مؤداه أن الحصر ينشأ من كبح مأسماه « غريزة العدوان » ونسب الى هذه الغريزة ، بعملية تأليفية كاسمة ، الدور الأساسي في كل ما يحدث للناس ، سواء كان ذلك « في الحياة أو في العصاب » . ومن حيث أننا أنتهينا في حالة القوبيا التي نحن بصددنا ، الى أن الحصر ينبغي تفسيره بوصفه ناجما عن كبت النزعات العدوانية عند هانز (النزعات العدوانية المتجهة ضد أبيه ، والنزعات السادية المتجهة الى أمه) فيبدو أننا بذلك قد قدمنا أسطح تأييد لرأى أدلر . ومع ذلك فاننى ماأستطعت قط أن أتقبل وجهة النظر هذه ، وانى لاعتبرها تعميما مضللا . اننى لاأستطيع أن أحمل نفسي على التسليم بوجود غريزة عدوان قائمة برأسها ، جنبا الى جنب مع الغريزتين المعروفتين من قبل ، غريزة حفظ الذات والغريزة الجنسية ، وعلى قدم المساواة معهما (٢) . يبدو لى أن أدلر قد جسد من قبل الخطأ في غريزة قائمة

(١) الفريد أدلر : « غريزة العدوان في الحياة وفي العصاب »

Der Aggressionsbetrieb im Leben und in der Neurose, 1908.
وهذا هو نفس المقال الذى سبق أن استعرت منه مصطلح « تشابك الغرائز »
confluence of instincts.

(٢) (ملحوظة اضافية عام ١٩٢٣) ككتبت هذه الفقرة في وقت كان مايزال =

برأسها ماهو في واقع الامر خاصة عامة وضرورية لكل الغرائز والحفيزات - وأعنى طابعها « الحفزي » والدينامي ، مما يمكن وصفه بأنه قدرتها على استهلال الحركة • فلو سلمنا بوجهة نظر أدلر، فعندئذ لن يبقى من الغرائز الأخرى شيء اللهم إلا أرتباطها بهدف أذ أرتباطها بالوسيلة لبلوغ هذا الهدف تكون قد سلبته منها «غريزة العدوان» وعلى الرغم من كل ماتتسم به نظريتنا في الغرائز من غموض وبعد عن اليقينية ، فاني أوتر في الوقت الحاضر التمسك بوجهة نظرنا الحالية ، التي تترك لكل غريزة قدرتها الخاصة بها على أن تكون عدوانية ، وبالنسبة للغريزتين المكبوتتين عند هانز ، فاني أميل الى أن اعتبرهما عنصرين من عناصر الليبيدو الجنسي المألوفة منذ وقت طويل •

= فيه أدلر يقف على أرض التحليل النفسي ، وقيل أن يقول الاحتجاج بالذكرى وينكر الكتب • ومنذ ذلك الوقت وجدتني مضطرا أنا نفسي الى أن أؤكد وجود « غريزة العدوان » ، ولكنها تختلف عن غريزة العدوان عند أدلر ، واني أفضل تسميتها « غريزة تدمير » • أنظر : مافوق مبدأ اللذة (١٩٢٠) - والانا والهي (١٩٢٣) Des Ich und das Es فتعارض هذه الغريزة مع الغرائز الليبيدية يتترجم في الاستقطاب المألوف بين الحب والكراهية • واختلافي مع وجهة نظر أدلر ، التي تصادر خاصة عامة للغرائز لصالح واحدة منها ، مايزال على حالة •

✽ الترجمة العربية : دار المعارف بمصر •

٢

سوف أشرع الآن فيما أرجو أن يكون نقاشا موجزا حول مدى ما يمكن أن تقدمه لنا قويا هانز الصغير مما يتسم بالعمومية والأهمية عن حياة الاطفال وتربيتهم • ولكن قبل ذلك يتحتم على أن أعود الى ذلك الاعتراض الذى طال احتجازه ، والذى بحسبه يعتبر هانز عصابيا ، « فاسد الجبله » ذا وراثه سيئه ، وليس بطفل عادى يمكن أن نتأدى منه الى الآخرين • ومنذ فترة طويلة وأنا أتألم كلما فكرت فى الطريقة التى سوف ينزل بها المتشيعون « للانسان السوى » على رأس هانزنا الصغير المسكين بمجرد أن يعرفوا بأنه من الممكن فى الواقع التديل على أنه كان لديه عيب وراثى • فأمه الجميله وقعت فريسه عصاب نتيجة صراع عانتة وهى يافعة • وقد أستطعت فى ذلك الوقت أن أكون لها عوناً ، وكانت تلك فى الواقع هى بداية علاقتى بأبوى هانز • ولست اجترىء الا فى أشد الحياء أن أتقدم ببعض الاعتبارات فى صالحه •

فأولاً ، لم يكن هانز بهذا الذى نقصد اليه عندما نقول بدقه : « فاسد الجبله » تقضى عليه وراثته أن يكون عصابيا • بل على العكس من ذلك كان متين البنيان من الناحية البدنية ، وكان رفيقاً صغيراً مزها لطيفاً سريع البديهة ، بوسعه أن يدخل السرور على الآخرين بالاضافة الى أبيه • ليس هناك من شك بالطبع فى نضجه الباكر جنسياً ، ولكننا نفتقر فى هذه النقطة الى المعطيات التى تكفى لمقارنة يمكن التعويل عليها • فاننى أعرف ، على سبيل المثال ، من بحث فسيح أجرى فى أمريكا ، أنه ليس من الامور النادرة بحال أن نعثر عند صبيان فى مثل هذه السن الباكرة على اختيارات للموضوع وعلى مشاعر عشقية ، ويمكن معرفة ذلك أيضاً من دراسة سجلات الطفولة لرجال أصبحوا يعرفون فيما بعد بأنهم « عظماء » • ومن هنا فانى أميل الى الاعتقاد بأن النضج الباكر جنسياً هو قرين - قك

أن يتغيب — للنضج الباكر عقليا ، ومن هنا فان النضج الباكر جنسياً هو شيء نلتقى به في الاطفال الموهوبين أكثر بكثير مما نتوقع .

وأكثر من ذلك ، اننى ألفت الانتباه في صالح هانز (معترفاً في صراحة بتحيزي) الى أنه ليس بالطفل الوحيد الذى أصيب بفوبيا في وقت أو آخر من طفولته . فمن المعروف جيداً أن الاضطرابات من هذا النوع شائعة بدرجة عجيبة تماماً ، حتى عند الاطفال الذين تكون تشبثتهم من الاحكام بحيث لا تترك مجالاً لتعليق . هؤلاء الاطفال ، في حياتهم اللاحقة ، اما أن يصبحوا عصابيين أو يبقون أصحاء . فالفوبيات عندهم تخرسها الصيحات في الحضانه لانها ليست متاحة للعلاج وان تكن مثيرة بكل تأكيد للانزعاج . وهى على مر الشهور والسنين تتحسر ، ويبدو الطفل وكأنه قد شفى ، ولكن ما من أحد يستطيع أن يعرف أية تغيرات سيكولوجية اقتضاها مثل هذا الشفاء ، ولا أية تغيرات في الشخصية انطوى عليها . ولكن عندما يأتى الينا مريض عصابى راشد للعلاج بالتحليل النفسى (ولنفترض أن مرضه لم يظهر الا بعد بلوغه الرشد) فاننا نتبين بانتظام أن عصابه مرتبط بحصر طفلى من هذا النوع الذى كنا بصدد دراسته ، وأنه في الواقع استمرار لهذا الحصر ، بحيث يبدو الامر ان جاز القول وكأن خيطاً من النشاط النفسى يتصل في غير توقف ابتداءً من صراعات طفولته ينغزل نسيجاً خلال حياته — وذلك بصرف النظر عما ان كان العرض الاول لهذه الصراعات قد تشبث بالبقاء أو انحسر تحت ضغط الظروف . وعلى ذلك فانى أعتقد أن مرض هانز ربما لم يكن أشد خطورة من مرض كثرة من الاطفال الآخرين الذين لا يوصمون بأنهم « فاسدو الجبله » ، ولكن بالنظر الى أن هانز جرت تشبثته بعيداً عن التخويف ، وبأقصى ما يمكن من تقدير ، وأدنى ما يمكن من اكرامه ، فقد اجترأ حصره على الظهور بشكل أكثر جسارة منه عند الآخرين . فعند هانز لم يكن هناك مكان لدوافع من قبيل القصد السىء والخوف من العقوبة ، والتي لا بد وأنها تسهم عند أطفال آخرين في ارغام الحصر على الانحسار . ويبدو لى أننا نهتم

أكثر مما ينبغى بالأعراض وأقل مما ينبغى بأسبابها • فكل ما نستهدفه في تربيتنا للاطفال هو أن يتركونا في سلام ، فلا تكون لدينا مشكلات، باختصار نستهدف عمل « طفل نموذجي » دون أن نتساءل ما ان كانت هذه الطريقة في صالح الطفل أو في غير صالحه • ومن هنا فاني أستطيع أن أتصور أنه ربما كان في صالح هانز أن تظهر هذه الفوبيا عنده ، لأنها شددت انتباه أبويه الى الصعوبات التي يتحتم على الطفل أن يواجهها عندما يكون عليه ، أثناء تربيته ككائن متحضر، أن يقهر في طبيعته حفزاته الغريزية الأنطوية ، ولأن اضطراب هانز قد تأدى بأبيه الى أن بعينه • وربما تكون لهانز الآن ميزة على الآخرين ، من حيث أنه لم يعد يحمل في نفسه هذه البذرة في صورة عقد مكبوتة ، هذه التي لا بد وأن يكون لها دائما اثرها على حياة الطفل اللاحقة ، والتي لا بد وأن تتمخض عن درجة معينة من التشوه في الشخصية ، ان لم تتمخض عن استعداد لعصاب لاحق • اني أميل الى الاعتقاد بأن الامر هو كذلك ، ولكني لست أدري ما ان كان كثيرون آخرون يشاطرونى رأىي ، بل ولست أدري ما ان كانت التجربة ستثبت أنني على حق •

ولكن يتحتم على الآن أن أتقصى أى ضرر قد أصاب هانز باخراجنا الى النور تلك العقد التي ليست فقط مكبوتة عند الاطفال بل أيضا موهوبة من الآباء • سهل شرع الصبى الصغير في القيام بأدنى « محاولة » جدية بخصوص رغبته تجاه أمه ؟ أو هل تمخضت مناصده السيئة ضد أبيه عن تصرفات شريرة ؟ ذلك بالتأكيد ما يمكن أن يخشاه كثير من الأطباء الذين يسيئون فهم طبيعة التحليل النفسى، ويتوهمون أننا نقوى من الغرائز الخبيثة حين نجعلها شعورية • مثل هؤلاء « الحكماء » هم منطقيون مع أنفسهم حين يتضرعون الينا بحق السماء بأن لا نلمس هذه الاشياء الخطيرة التي تتربص كامنة وراء العصاب • وهم اذ يفعلون ذلك يغيب عنهم ، وهذا حق ، أنهم أطباء ، وأن تحذيراتهم تشبه بشكل عجيب تحذيرات دوجبرى في رواية

شكسبير « ضجيج كبير من أجل لا شيء » (١) عندما نصح الحارس بأن يتجنب أى احتكاك باللصوص أو الأشرار الذين يمكن أن يلتقى بهم : « لأنه كلما قل اتصالك بمثل هذه الحثالة كان ذلك أفضل لشرفك » (٢) .

وعلى العكس من ذلك ، كانت النتائج الوحيدة للتحليل هي أن هانز قد شفى ، وتوقف عن أن يخاف من الاحصنة ، وأصبحت علاقته بأبيه هي بالحرى أدنى الى الألفة ، على نحو ما قرره الأب في شيء من المرح . ولكن كائنة ما كانت خسارة أبيه من احترام الصبي له ، فقد عوضه عن ذلك ما كسبه من ثقته . قال هانز : « اعتقدت أنك كنت تعرف كل شيء ، ما دمت قد عرفت ذلك عن الحصان » . ان التحليل لا يمحو في الواقع نتيجة الكبت . فالعرائز التي كانت من قبل مكبوحة تظل مكبوحة ، ولكن النتيجة نفسها تتحقق بطريقة مختلفة . فالتحليل يضع في مكان عملية الكبت ، التي هي عملية آلية وباهظة ، عملية تحكم في العرائز معتدلة وملائمة تتم بواسطة أعلى القوى العقلية . وفي كلمة ، فان التحليل يضع الادانة في مكان الكبت . وذلك يزودنا فيما يبدو بالدليل الذي طال البحث عنه على أن للشعور وظيفه بيولوجية ، وعلى أنه بدخوله الى المسرح تتحقق ميزة هامة (٣) .

[Much Abs about Nothing, act III, scene iii, Dogberry (1)]

If you meet a thief, you may suspect him, by virtue of your office, to be no true man; and for such kind of men, the less you meddle, or make with them why, the more is for your honesty.]

(٢) عند هذه القصة لا أستطيع أن أكتف سؤالا حائرا . من أين يحصل خصومى على معلوماتهم التي يقدمونها بكل هذه الثقة ، عن مسألة ما ان كانت العرائز الجنسية المكبوتة تلعب دورا ! وان كان كذلك فأى دور ضمن الاسباب المولدة للاعصبية ، من أين لهم لو أنهم سدوا أفواه مرضاهم بمجرد أن يبدأ هؤلاء المرضى في الحديث عن عقدهم أو مشتقاتها ! ذلك ان المصدر البديل الوحيد الذى يبقى بعد ذلك امامهم هو مؤلفاتي ومؤلفات أسيابى .

(٣) (ملحوظة اضافية عام ١٩٢٣) - انى استخدم هنا مصطلح

ولو كان الامر بيدي تماما ، لاجترأت على تزويد الصبى بالتبصير الوحيد الذى كان ينقصه ، والذى ضن به أبواه عليه . كنت أدمع ارهاصاته الغريزية بأن أعرفه بوجود المهبل والجماع ، وبذلك كنت أمعن فى التقليل من المتخلفات التى بقيت عنده بغير حل ، وأضع حدا لسيل أسئلته . وانى لعلى ثقة من أن ذلك التبصير الجديد لم يكن ليجعله يفقد لاجبه لأمه ، لا ولا طبيعته الطفلية ، ومن أنه كان سيفهم أن انشغاله بهذه الأمور الهامة ، بل والملحة ، يتحتم عليه فى الوقت الحاضر أن يسكن الى الراحة ، حتى نتاح لرغبته فى أن يكبر أن تتحقق . ولكن التجربة التربوية لم تذهب الى هذا الحد .

أما أنه يستحيل رسم حد فاصل بين «العصابيين» و «الأسوياء» — من الأطفال أو من الراشدين — ، وأما أن تصورنا عن « المرض » هو مجرد تصور عملى ، هو مسألة درجة ، وأما أن الاستعداد وأحداث الحياة يتحتم أن يأتلفا قبل أن نتخطى العتبة التى يبدأ من بعدها المرض ، وأما أنه نتيجة لذلك ينتقل عدد من الناس دون توقف من صنف الأسوياء الى صنف المرضى العصبيين ، بينما ينتقل عدد آخر أقل بكثير فى الاتجاه المضاد — فذلك كلها أمور كثر الحديث عنها ولقيت الكثير من القبول ، بحيث أننى بكل تأكيد لست وحيدا فى التمسك بصدقها . ومن المحتمل جدا ، وهذا أقل ما يقال ، أن تربية الطفل تستطيع أن تمارس تأثيرا قويا ، ان حسنا وان سيئا ، على هذا الاستعداد الذى تحدثنا عنه الآن ، بوصفه أحد العاملين المولدين « للمرض » ، أما ما ينبغى أن تهدف اليه التربية ، وفى أى موضع

« الشعور » فى معنى انصرفت عنه منذ ذلك الحين ، وهو على التحديد لوصف عمليات التفكير العادية من قبيل تلك التى تقتدر على الدخول الى الشعور . ونحن نعلم أن عمليات التفكير من هذا القبيل يمكن أن تحدث أيضا قبل — شعوريا ، ويحسن بنا أن نعتبر « شعوريتها » . من وجهة نظر ظاهرياتية بحتة . ولست أقصد بذلك أن أدهض ما هو متوقع من أن الشعور فى هذا المعنى الاكثر تحديدا لا بد وان يضطلع أيضا بوظيفة بيولوجية .

يتحتم عليها أن تتدخل ، فذلك ما تبدو الاجابة عليه في الوقت الحاضر
جد عسيرة . فحتى الآن لم تتخذ التربية لنفسها من هدف الا التحكم
في الغرائز ، وقد يكون أدنى الى الدقة أن نقول قمع الغرائز . ولم
تكن النتائج بأى حال باعثة على الرضى . وحيث نجحت هذه التربية
لم يكن ذلك الا لصالح عدد قليل من الافراد المحظوظين ، ممن لم
يطلب اليهم أن يقمعوا غرائزهم . بل ما من أحد تقصى بأية وسائل ،
وبأى ثمن من التضحيات ، هذا القمع للغرائز المزعجة قد أنجز . فلو
أننا وضعنا بدلا من تلك مهمة أخرى ، تستهدف بدلا من ذلك جعل
الفرد قادرا على أن يصبح عضوا في المجتمع متحضرا ونافعا بأقل
ما يمكن من التضحية بايجابيته ، فعندئذ تكون الاضواء التي أمدنا بها
التحليل النفسى عن منشأ العقد المولدة للمرض ، وعن نواة كل عصاب ،
جديرة بأن ينظر اليها المربون بحسبانها هاديا ، تجل قيمته على
الوصف ، لتصرفاتهم تجاه الاطفال . أما ما يمكن أن تكون عليه النتائج
العملية المترتبة على ذلك ، والى أى حد يمكن أن تؤدى التجربة الى
تبرير تطبيق هذه النتائج في نظامنا الاجتماعى الحالى ، فتلك أمور
أتركه للآخرين يدرسونها ويبتنون فيها .

وليس لى أن أغادر فوبيا مريضنا الصغير قبل أن أعبر عن فكرة
تسبغ ، فى رأى . على هذا التحليل (الذى انتهى الى الشفاء) قيمة
خاصة . فلو تحدثت بالدقة ، فان هذا التحليل لم يعلمنى شيئا جديدا ،
شيئا لم أكن من قبل قادرا على حدسه (وان يكن ذلك على الاغلب فى
صورة أقل تحددا ، وعن طريق غير مباشر بدرجة أمعن) من تحليلات
مرضى آخرين فى سن أكثر نضجا . ولكن أعصبة هؤلاء المرضى الآخرين
يمكن فى كل حالة ارجاعها الى نفس العقد الطفلية التى كشفنا عنها وراء
فوبيا هانز . ومن هنا فانى أميل الى أن أنسب الى هذا العصاب
الطفلى أهمية جد خاصة كنمط وكأنموذج ، والى أن أفترض أن الكثرة
الكثيرة لظواهر الكبت التى تكشف عنها الاعصبة ، والكثرة الكثيرة
للمواد المولدة للمرض فى هذه الاعصبة ، ليس ثمة ما يمنع من أن
تكون راجعة الى عدد جد قليل من العمليات التى تعمل دائما عملها
فى نفس العقدة ، فى نفس المضمون الفكرى .

٤

تذییک (١٩٢٢)

تذييل (١٩٢٢)

منذ بضعة أشهر - في ربيع عام ١٩٢٢ - تقدم الى شاب وأخبرني أنه هانز الصغير ، الذى كان عصابه الطفلى موضوع مقالى الذى نشر عام ١٩٠٩ ، كنت جد مسرورا أن أراه مرة أخرى ، لاننى بعد نهاية تحليله بعامين تقريبا انقطعت صلتى به ، فلم أسمع شيئا عنه منذ أكثر من عشر سنين . كان نشر هذا التحليل ، وهو أول تحليل لطفل ، قد أحدث اثارة شديدة بل واستنكارا أشد ، وتوقع البعض مستقبلا أشد ما يكون سوءا لهذا الصبى الصغير المسكين ، الذى « انتهكت براءته » فى مثل هذه السن الغضة فكان ضحية تحليل نفسى .

ولكن ما من شىء من هذه التوجسات قد تحقق ، فقد أصبح هانز الآن شابا قويا فى التاسعة عشرة من عمره . وصرح بأنه على ما يرام تماما ، ولا يعانى من أية اضطرابات أو كفوف . فهو ليس فقط قد اجتاز مراهقته دون أن تتال منه ، بل انه أيضا قد واجه بنجاح محنة من أشد المحن على حياته العاطفية . فقد وقع الطلاق بين أبويه ، وتزوج كل منهما من ناحيته . ونتيجة لذلك كان يعيش بمفرده ، ولكنه كان على علاقة طيبة بأبويه كليهما ، ولم يكن يأسف الا على انفصاليه - نتيجة لتفرق الاسرة - عن شقيقته الصغرى التى كان شديد التعلق بها .

وشىء واحد مما أخبرني به هانز قد بدا لى عجيبا بشكل خاص ، ومن ثم فانى لا أخاطر بتقديم أى تفسير عنه . فقد أخبرني بأنه عندما قرأ تاريخ حالته ، بدأ له كل شىء غريبا عليه ، فهو لم يتعرف على نفسه ، ولم يكن بوسعه أن يتذكر شيئا ، ولم يكن الا حين بلغت به

القراءة الى رحلة جموندين أن لاح له وميض باهت من الذكرى بأنه من الممكن أن يكون هو الذى يدور حوله الحديث . وهكذا فان التحليل لم يصن الاحداث من الامنيزيا ، بل ان التحليل نفسه قد اجتاحتها الامنيزيا . وأى شخص يألف التحليل يمكن أن يخبر بين الحين والحين شيئاً مماثلاً فى نومه . يوقظه حلم ، فيصمم على تحليله فى التو ، ثم يستغرق فى النوم من جديد وهو يشعر برضى تام عما انتهى اليه جهده ، وفى الصباح التالى يكون حلمه وتحليله على السواء قد جرفهما النسيان .

٥

ملاحظات عن حالة عصاب قهري

رجل (الفيران)

١٩٠٩



تصدير

بقلم

مصطفى زيور

تمتاز حالة « رجل الفيران » وهى حالة عصاب قهري بما يمتاز به هذا النوع من العصاب من بيان البعد السيمانطيقى أى المعنى والدلالة التى تتضمنها الاعراض العصابية على نحو أكثر وضوحا مما هى عليه فى الأعصبه الهستيرية . ذلك أن الحيل الدفاعية فى العصاب القهري وبخاصة الكبت لا تنصب على كافة أحداث الطفولة والصادر المباشرة للصراع العصابى كما هو الحال فى الهستيريا ، وإنما تنصب على الروابط بين المركبات النفسية وعزل وجداناتها عنها بحيث يعرفها المريض ويجهلها معا ، أى يتذكرها ولكن معناها يغيب عنه .

هذه المعرفة المقترنة بالمجهلة تجعل المريض بهذا العصاب مسرحا للنضال بينهما ، نضال من شأنه أن تستعين المجهلة بدفاعات من الدرجة الثانية يستمددها المريض من العقلانية من حيث النمط لا من حيث مقدمات الاستدلال العقلانى ، بحيث لا يقتصر الامر على أفكار قهرية وإنما يتميز المريض بهذا العصاب بتفكير يتصف بالقهر هو مصدر عذابه ومطية رغباته معا .

فإذا تأملنا الدفاعات الاخرى بالاضافة الى أنواع الدفاع السابق ذكرها ، من قبيل الاضمار والحذف التى تجعل منطق المريض يبدو لنا نابيا مفتقرا الى الاتساق ، ثم ذلك الدفاع الرهيب أعنى قهر الشك الذى يجعل افشاءات المريض سلسلة من الجزم والنفى يمتنع علينا معها أن يستقر فهمنا على شىء ، ويبدو المريض وكأنه عاجز عن أن يرى لنفسه رأيا — نقول اذا تأملنا هذه الخصائص للتفكير القهرى

تبين لنا سبب قصور النظريات السابقة على التحليل النفسى ، والتي كانت لا تأخذ فى الاعتبار الا هذه الخصائص ، وتنتهى الى تفسير مقارن فى مستوى التفكير الشعورى من قبيل : « الوهن النفسى » (بسيكاستنيا بيجرانيه) أو « جنون الشك » وما الى ذلك ، أى تفسيرات تلحق العصابى القهرى اما « بالضعف النفسى » مما يجعل المريض عاجزا عن الامساك بزمام تفكيره ، أو تلحقه بطائفة قريية من المرض العقلى .

وواضح أن هذه التفسيرات تتضمن نظرة يائسة من حيث الشفاء ، ولا تزال كذلك لدى بعض أطباء النفسى الذين لا يعرفون طريقا الى هذا المرض غير طريق العقاقير مثل المطمئنان وما اليها .

وسيرى القارىء — اذا وضع نصب عينيه هذه الخلفية لموقف الطب النفسى التقليدى — مبلغ عبقرية فرويد فى اختراق حجب الدفاعات وازالة مبهمتها ، ثم مهارته الفذة وحذقه فى فض معميات التفكير القهرى فيستبين البناء السيكلوجى التحتانى ، وبذلك يصبح المتخيل ، مصدر التكوينات المرضية ، فى متناول الفكر الشعورى وزيائه . فيستقيم بعد اعوجاج ، ويستقامته يستقيم اللوغوس بعد تعثر . واستقامة اللوغوس هو الشفاء كما نراه يتحقق لدى رجل الفئران .

ومما تجدر الإشارة اليه معالجة فرويد فى الفصل النظرى ، لظاهرتى القهر والشك وهما أبرز مقومات العصاب القهرى . فقد أوضح فرويد على نحو يظفر بالاقناع أن الشك — فضلا عن دوره الدفاعى كما سبق بيان ذلك — انما هو نتيجة للتكوين الاساسى فى العصاب أعنى ما يتصف به من ثنائية الوجدان وما ينجم عن ذلك من حرب طاحنة بين الحب والكراهية ، بحيث أن شك المريض انما هو فى نهاية الامر شكه فى قدرته على الحب لما يلقاه الحب لديه من اقتحامات الكراهية المتصفة بسادية عنيفة . ومن ثم فان القهر محاولة لتعويض زائد ازاء الشك والتردد .

فعندما يتاح لدفعة شبقية أو مضادة لها أن تجد طريقا ملتقا تتسلل خفية من خلاله بغية الأشباع ، فان كل الطاقة المحجوزة خلف ما يقيمه الشك من الكف والمنع ، تلقى في مساندة يلزم عنها لزوما أن تخترق الدفعة كل الحواجز في طريقها نحو التنفيذ ، والا غاص المريض في لجة هوجاء من الحصر .

من ذلك نتبين مصدر القهر سواء كان هلك في ميدان الفكر أو الفعل .

ومما يميز هذا العصاب ردة الفعل الى الفكر بحيث ينطبق على الفكر ما ينطبق على العقل من قهر يحتال المريض تخفيفا لعبءة بتشبيق الفكر بحيث يصبح قهر الفكر معاناة وشبقا معا .

ومما يميز حالة رجل الفئران عن غيرها، أن فرويد على غير عادته لم يمزق مذكراته — بعد النشر — التي كان يسجلها في مساء كل يوم عن مضمون جلسات التحليل النفسى لهذا المريض ، فأمكن بذلك نشر هذه المذكرات أخيرا . ويضيق المقام عن ذكر ما تلقىه هذه المذكرات من أضواء جديدة .

ونقتصر على الاشارة الى مسألتين : الاولى هي ما نتبينه من فنيات التحليل في الحقبة التي جرى أثناءها علاج رجل الفئران قبل أن يطور هذه الفنيات ويصقلها في السنوات التالية . والمسألة الثانية ما ذكره فرويد في هذه المذكرات عن حادثة تعثر أثناء التحليل كان من شأنها اختلاط الامر لديه ونسيائه لبعض افشاءات المريض . حتى تبين له أن ذلك يرجع الى « مشكلة ذاتية » لديه ما أن فطن اليها حتى استقامت ذاكرته . وتعد هذه الواقعة من أروع أمثلة « مضاد التحليل » التي ينبغى على المحلل أن يتناوله بالتحليل ، كما يتناول التحويل لدى المريض . وبغير هذا التحليل المزدوج للتحويل ومضاد التحويل يمتنع على المحلل أن يمضى بمريضه الى الشفاء .

ملاحظات عن حالة عصاب قهرى

(رجل الفئران)

ملاحظات عن حالة عصاب قهري (١)

(رجل الفئران)

المادة التي تنطوي عليها الصفحات التالية سوف تكون من نوعين :

أولاً : سوف أقدم بعض اجزاء مقتطفه من تاريخ حالة عصاب قهري . وهذه الحالة ، بالنظر الى طولها ، وفداحة تأثيراتها ، ورأى المريض نفسه فيها ، جديرة بأن تعتبر على درجة من الخطورة . والعلاج الذي استمر نحو عام تأدى الى الشفاء التام لشخصية المريض ، وازالة كفوفه .

وثانياً : سوف أقدم ، انطلاقاً من هذه الحالة ، وواضعا أيضاً في اعتباري حالات أخرى سبق لى تحليلها ، بضع مفاهيم متفرقة موجزة عن نشأة الظواهر القهرية وميكانيزماتها المرهفة . وهذه المفاهيم ،

(١) ظهر هذا المقال أول مرة عام ١٩٠٩ بعنوان :
Bemerkungen Ober einen Fall von zwanganerose Jabrbueh für
Psychoanaly tische und paschopathologische Forachungen.
Vol. I

ثم ظهر بعد ذلك في :

Sammlung kleiner Schriften zur Neurosenlebre

(مجموعة مقالات قصيرة عن الاعصبة) ، السلسلة الثالثة ، ١٩١٣ .
Gesammelte Schriften. v. VIII وقد تمت ترجمته الى الفرنسية

(المؤلفات الكاملة ل فرويد) على يد ماري بونابارت ور . ليفنشتاين ،
وظهرت تلك الترجمة أولاً في المجلة الفرنسية للتحليل النفسى عام ١٩٣٢ .
Revue Francaise de Psychanalyse (مجلد ٥ ، عدد ٣)

ويوجد هذا المقال في المجلة العاشرة من :
workxs of S. Freud Standard Edi. The Complete Psychological

على ما آمل ، تكمل وتواصل ملاحظاتي الاولى عن هذا الموضوع ،
وهي التي نشرتها عام ١٨٩٦ (١) .

وبرنامج من هذا القبيل يتطلب فيما يبدو لي شيئا من التبرير ،
والا فقد يذهب الظن بالبعض الى أنني أعتبر هذه الطريقة في عرض
الحالة مبرأة من كل نقد ، وأنموذجية جديدة بالتقليد ، بينما أنا في
الواقع أكيف نفسي ، ليس غير ، لصعوبات بعضها خارجي وبعضها
الآخر ينتمي الى صميم الموضوع . وكان يسرنى أن أقدم عن هذه
الحالة ما هو أكثر ، لو كان ذلك من حقي أو بوسعي أن أفعله . فإني
لا أستطيع في الواقع تقديم تاريخ كامل للعلاج ، لان ذلك سوف
يتطلب مني أن أخوض في تفاصيل عن ظروف حياة مريض . فالاهتمام
الفضولي في عاصمتنا هذه ، والذي يلاحق بتركيز خاص أعمالى
العلاجية ، يحول بينى وبين أن أقدم لوحة أمينة عن الحالة . هذا الى
أننى أصبحت أميل أكثر فأكثر الى أن أعتبر التحريفات التي عادة
ما يلتجؤ اليها في مثل هذه الظروف . عديمة الجدوى وتتفتح للنقد .
فان كانت التحريفات هينة فشلت فيما ترمى اليه من حماية المريض
من الاستطلاع الفضولي ، بينما ان هي تعدت ذلك اقتضت تضحية
جد باهظة ، اذ تجرد من المعقولة سياق الوقائع ، هذا الذي يستند
في تماسكه التحديد الى الجزئيات الصغيرة من الحياة الواقعية .
ويترتب على هذه الحقيقة تلك المفارقة التي مؤداها أنه من الايسر
كثيرا أن نفشى من حياة المريض أعظم الاسرار الحميمة من أن نفشى
أنته الوقائع وأكثرها براءة ، لانه بينما لا يكون من شأن الاولى أن

Weitere Bemerkungen über die Abwehr-Neuropsy (١)

ehossen Gessmmlie Werke, Vol. I

(١) (ملاحظات أخرى عن دفاع الاعصبة النفسية، القسم الثانى منه

بعنوان : طبيعة وميكانيزم العصاب القهرى) ١٨٩٦ ، (المقالات المجموعة،

مجلدا) وفى Standard Ed.

Collected Papers, Vol. I

تلقى أى ضوء على هويته ، فان الثانية ، التى عادة ما يعرف بها ، من شأنها أن تكشف عن هويته لكل الناس •

ذلك هو عذرى عما قمت به ، على هذا النمو الجذرى ، من ايجاز شديد لتاريخ هذه الحالة وتاريخ علاجها • بل وبوسعى أن أقدم أيضا أسبابا أكثر وجاهة لاقتصارى على بضع نتائج متفرقة من مباحث التحليل النفسى فى العصاب القهرى • ويتحتم على أن أعترف بأننى لم أبلغ حتى الآن حد النفاذ المكتمل فى البنية المعقدة لحالة خطيرة من العصاب القهرى • كما يتحتم أن أعترف بأنه حتى لو كان بوسعى أن أقدم عرضا مكتملا لتحليل حالة ما ، لكان يستحيل على أن أجعل بنية هذا العصاب — على نحو ما نتبينها أو نحدسها فى ممارسة — متاحة لفهم الآخرين عبر هذه الطبقات المترابكة التى يجتازها العمل التحليلى • ومما يزيد كثيرا من صعوبة مثل هذا العمل مقاومات المريض ، والصور التى تتخذها هذه المقاومات • ولكن حتى بصرف النظر عن ذلك ، ينبغى التسليم بأن العصاب القهرى ليس فى ذاته بشئ يسير على الفهم — فهو يقل كثيرا فى ذلك بالقياس الى حالة الهستيريا • وكان ينبغى بطبيعة الحال أن نتوقع أن يكون الامر على عكس ذلك • فلغة العصاب القهرى — ونعنى الوسائل التى يعبر بها عن أفكاره الدفينة — ليست ، ان جاز القول ، غير لهجة من لغة الهستيريا ، ولكنها لهجة كان ينبغى أن نقدر على فهمها بشكل أيسر ، لأنها أدنى ارتباطا بأشكال التعبير التى يتخذها تفكيرنا الشعورى ، اذا ما قيست بلغة الهستيريا • فلغة العصاب القهرى ، قبل كل شئ ، لا تتطوى على قفزة من عملية نفسية الى تعصيب بدنى — تبدين هستيرى — الامر الذى يستحيل أن يكون مفهوما لدينا بشكل تام •

وإذا كان الواقع لا يؤيد توقعاتنا تلك ، فربما يرجع ذلك ليس غير الى معارفنا الاقل عمقا بالعصاب القهرى • فالاشخاص الذين يعانون درجة خطيرة من العصاب القهرى يسعون الى العلاج بالتحليل أقل كثيرا مما يفعل مرضى الهستيريا • انهم يسترون مرضهم عن

حولهم طالما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، وغالبا ما لا يلجأون الى الطبيب الا بعد أن يكون عصابهم قد بلغ مرحلة مستقطلة الى حد ، بحيث لو قارناه مثلا بمرضى السل الرئوى ، لادى الى رفض قبولهم بالمصحة . هذا الى أنني أعقد هذه المقارنة لانه في حالات العصاب القهري ، الهينة أو الخطيرة ، متى تناولها التحليل في مرحلة باكرة ، نستطيع ، كما هو الشأن في حالة هذا المرض المعدى المزمن ، أن نتبين سلسلة من النتائج العلاجية الباهرة .

في هذه الظروف لا يبقى أمامنا الا أن نفرض الوقائع على هذا النحو من القصور وعدم الاكتمال الذي نعرفها عليه والذي يحق لنا أن نصرح به . وهذه المعارف الجزئية التي نقدمها في هذه الصفحات ، على الرغم من أن البلوغ اليها كان مضنيا بدرجة كافية ، ربما لا تكون بذاتها جد باعثة على الرضا، ولكنها يمكن أن تكون نقطة بدء لعمل باحثين آخرين ، وقد يبلغ الجهد المشترك الى نجاح ربما لا يكون في متناول جهد فردي .

١

مقتطفات من تاريخ الحالة



مقتطفات من تاريخ الحالة

رجل ما يزال في شبابه ، جامعي التعليم ، قدم الى نفسه قائلاً أنه قد عانى من القهور (أفكار ودفعات قهرية) بصفة مستمرة منذ طفولته ، وان اثبتت هذه المعاناة بصفة خاصة في السنوات الاربع الاخيرة . كانت السمات الاساسية لاضطرابه هي : أنه يستشعر مخاوف من أن ينزل شيء (مكروه) بشخصين يحبهما جدا شديداً - أبيه وسيدة كان يحبها في اجلال : هذا الى أنه كان يستشعر حفزات قهرية - من قبيل حفزة مثلا الى أن يقطع رقبتة بموسى ، أضف الى ذلك انه كانت تنشأ عنده تجريبات ، أحيانا ما تتصل بأمور تافهة تماما . قال لى انه قد ضيع سنوات يناضل ضد أفكاره هذه ، الامر الذى جعله متخلفا في الحياة . ولقد حاول علاجات عديدة ، ولكن ما من واحد منها كان ذا نفع له ، فيما عدا دورة علاجية من الاستشفاء بالمياه في احدى المصحات على مقربة من س - ، وربما كان ذلك فيما يعتقد راجعا الى أنه عقد علاقة هناك مع امرأة أتاحت له ممارسة منتظمة للاتصالات الجنسية . أما هنا في فينا ، فليست لديه فيما يقول فرص من هذا القبيل ، فالاتصالات الجنسية لا تتاح له الا نادرا ، وعلى فترات غير منتظمة . وكان يشتمز من البغايا . وبصفة عامة ، كانت حياته الجنسية - على حد قوله - فقيرة ، فالاستمناء لم يلعب فيها غير دور ضئيل ، في عامه السادس عشر أو السابع عشر . كانت قدرته الجنسية تبدو عادية ، وقد قام بأول اتصال جنسى في عامه السادس والعشرين .

ولد عندى انطبعا بأنه شخص صافى الذهن حاد الذكاء . وعندما سألته عن هذا الذى جعله يهتم كل هذا الاهتمام بأن يخبرنى عن حياته الجنسية ، أجاب بأن ذلك هو ما كان يعرفه عن نظرياتي .

ولكنه في الواقع لم يقرأ شيئاً من مؤلفاتي ، فيما عدا أنه كان منذ وقت قصير يقاب صفحات واحد من كتبي ، فوقع على تفسير لتداعيات لفظية غريبة (١) ، ذكرته كثيراً بتأليفه « الفكرية المضنية » المتصلة بأفكاره التي قرر بسببها أن يعهد بنفسه الى .

(١) بداية العلاج

في اليوم التالي تعهد بأن يلتزم باتباع الشرط الواحد والوحيد للعلاج — وهو على التحديد أن يقول كل شيء يخطر بباله ، حتى ولو كان ذلك أليماً بالنسبة اليه ، أو بدا له عديم الاهمية أو عديم المعنى ، أو عديم الصلة بالموضوع . وعندئذ تركت له الحرية في أن يختار الموضوع الذي يرغب في البدء به . فبدأ حديثه كما يلي (٢) :

أخبرني بأنه كان لديه صديق ، وكانت فكرته عن هذا الصديق عالية بشكل غير عادى . كان من عادته أن يلجأ اليه في كل مرة تستبد به حفزة اجرامية . ويسأله ما ان كان يحتقره كمجرم . وكان من عادة صديقه عندئذ أن يزوده بدعم معنوى ، اذ يؤكد له بأنه رجل لا يعيب سلوكه أى شيء ، وربما اعتاد منذ طفولته أن ينظر الى حياته بمنظار أسود . واستطرد يقول بأنه ، في وقت أبكر من حياته ، كان هناك شخص آخر له مثل هذا التأثير عليه . كان ذلك الشخص طالباً في التاسعة عشرة من عمره (بينما كان هو نفسه في ذلك الوقت في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة ، وكان فيما يبدو يحمل الحب لهذا المريض ،

Zur Psychopathologie des Alltagslebens, 1904. (١)

« في سيكوباتولوجية الحياة اليومية » .

(٢) ما يلي مستمد من ملاحظات كنت أدونها في مساء يوم الجلسة ، ويقترّب ما أمكن من نفس كلمات المريض . — وأجدنى هنا مضطراً الى التحذير من ممارسة التدوين أثناء الجلسات لأقوال المريض . فما يترتب على ذلك من تشتت في انتباه المحلل يضر بالمريض بأكثر مما تستطيع تبريره هذه الزيادة في الدقة التي يمكن البلوغ اليها في سرد تاريخ الحالة .

وقد أذكى عنده قيمة الذات بدرجة غير عادية ، الى حد جعل مريضنا يعتقد بأنه عبقرى . هذا الطالب أصبح فيما بعد مدرسا عليه ، وعندئذ غير فحاة من سلوكه نحوه ، فراح يعامله على أنه أبله . وبمرور الوقت تبين له أن ذلك الطالب كان سُغوفاً باحدى شقيقتاه . واتضح له أنه كان يتخذهُ مجرد وسيلة لتبيح له أن يدخل الى أسرته . كانت أول صفة كبرى في حياته .

ثم استطرد دون أن يبدى أية علامة على الانتقال .

(ب) الجنسية الطفلية

وبدأت حياتى الجنسية فى وقت باكر جدا . بوسعى أن أتذكر مشهدا يرجع الى عامى الرابع أو الخامس ، (ومنذ عامى السادس وصاعدا أستطيع أن أتذكر كل شىء) بزغ هذا المشهد فى رأسى بشكل واضح تماما بعد ذلك بسنوات . كانت عندنا مربية شابة رائعة الجمال تسمى الأنسة بطرس (١) . كانت ذات مساء مستلقية على الارىكة وهى تقرأ . وكنت مستلقيا الى جانبها ، وسألتها بأن تسمح لى فى أن أدخل تحت النصف الأسفل من ثوبها . فسمحت لى بذلك ، بشرط أن لا أتحدث

(١) ان الدكتور الفريد أدلر ، الذى كان يوما من المحللين النفسيين ، التى ترتبط بالاقتوال الاولى الاستهلالية التى ينطق بها المرضى . وامامنا وجه الانتباه ذات مرة فى محاضرة له فى جلسة ضيفة الى الاهمية الخاصة هنا مثال على ذلك . فكلمات المريض الافتتاحية تبرز التأثير الذى يمارسه الرجال عليه ، أى تبرز الدور الذى يلعبه فى حياته الاختيار المثلى الجنسية الموضوع . ولكن أقواله انتقلت بعد ذلك مباشرة الى موضوع ثان ، سوف يصبح فيما بعد ذا أهمية كبيرة ، هو على التحديد الصراع بين الرجل والمرأة والتناقض بينهما فى الاهتمامات . وحتى كونه قد تذكر مربيته الاولى الجميلة باسم عائلتها ، الذى هو بالصدفة اسم مذكر ، فذلك أمر ينبغى أن يوضع موضع الاعتبار فى هذا الصدد . ففى الاوساط البورجوازية فى فينا أشيع فى العادة مناداة المربية باسمها الاول ، وبهذا الاسم يتم فى العادة تذكرها .

عن ذلك الى أحد . كانت بالكاد ترتدى شيئاً ، ورحت أعبت بأصابعي في عضوها التناسلي وفي الجزء الاسفل من بدنها الذي أدهشني كشيء غريب جدا . ومنذ ذلك الحين أصابتنى استطلاعية متحرقة ومضنية لمشاهدة البدن الانثوي . وما زال بوسعي أن أتذكر هذا الهياج الذي كان يستبد بي وأنا أنتظر في الحمام (الذي كان في ذلك الحين مسموحاً لي أن أذهب اليه مع شقيقتي والمربية) حتى تنزع المربية عنها ملابسها وتنزل في الماء . وبوسعي أن أتذكر أشياء أكثر منذ عامي السادس فصاعداً . في ذلك الوقت كانت عندنا مربية أخرى ، كانت هي الأخرى شابة وجميلة . كانت لديها دماغ في ردفها ، وكان من عاداتها أن تعصرها في المساء . وكان من عاداتي أن أتقرب في تلهف لحول تلك اللحظة لاشبع استطلاعي . وكذلك كان الحال في الحمام ، وان كانت الأنسة ليना أكثر تحفظاً من سابقتها . (واجابة منه على سؤال ألقيته أخبرني المريض : كقاعدة عامة لم أكن أنام في غرفتها بل في الاغلب مع أبوي) . وأذكر مشهداً لا بد وأن يكون قد حدث وأنا في السابعة من العمر (١) . كنا نجلس معاً ذات مساء - المربية والطاهية وخادمة أخرى وأنا وشقيقي الذي يصغرنى بعام ونصف . كان النساء الشباب يتحدثن ، وتنبهت فجأة الى الأنسة لينا وهي تقول : « مع الصغير يمكن الآن عمل ذلك ، أما بول (أنا) فهو عديم المهارة ، وسوف يفشل بالتأكيد في العملية » . لم أفهم في وضوح ما كانت تعنيه ، ولكنني استشعرت في ذلك الاستهانة بي فرحت أبكى . وشرعت لينا تسري عني ، وقصت على كيف أن إحدى الخاديمات التي فعلت ذلك مع صبي صغير كانت مسؤولة عنه قد دخلت السجن لعدة شهور . ولست أعتقد أنها قد ارتكبت بالفعل معي أي شيء ممنوع ، ولكنني كنت على قدر كبير جداً من الحرية معها . فعندما كنت أدخل الى فراشها كان من عاداتي أن أعريها وأتحسسها ، ولم تكن تبدي أي اعتراض . لم تكن شديدة الذكاء ، وكان لديها بشكل واضح تحرق جنسي شديد . وكانت

(١) سلم المريض بعد ذلك بأن هذا المشهد يمكن أن يكون قد حدث بعد ذلك بعام أو عامين .

في الثالثة والعشرين من عمرها ، وكان قد سبق لها أن أنجبت طفلا ،
تزوجت من أبيه فيما بعد ، بحيث أنها اليوم مدام « هوفرات » (١) .
وحتى الآن كثيرا ، التقى بها في الطريق .

وعندما كنت في السادسة من عمري كنت أعانى بالفعل من
الانتصاب ، وأعرف اننى ذهبت ذات يوم الى أمى أشكو لها من ذلك
الانتصاب . وأعرف أيضا اننى ، كيما أفعل ذلك ، كان على أن أتغلب
على بعض الهواجس . لاننى كنت استشعر وجود علاقة ما بين هذا
الموضوع وبين أفكارى واستطلاعتى ، وكان من عادتى في ذلك الوقت
أن تستبد بى فكرة مريضة مؤاذاها أن أبوى يعرفان أفكارى ، وقد
فسرت ذلك لنفسى بأن افترضت بأننى لا بد وأن أكون قد نطقت بها
بصوت عال ، دون أن أسمع نفسى وأنا أنطق بها .

« وانى اعتبر ذلك بداية مرضى . كانت هناك بعض شخصيات ،
بعض خادمت ، يعجبني كثيرا جدا ، وكانت لدى رغبة شديدة جدا
في أن أراهن عاريات . ولكنى كنت وأنا أشعر بهذه الرغبة استشعر
احساسا يبعث بغرابته على القلق (٢) فكان أمرا ما يتحتم أن يقع لو
أننى فكرت في هذه الرغبة ، وكأنه يتحتم على أن أفعل كل شيء لأمنع
هذا الامر من أن يقع .

« واجابة على سؤال منى قدم لى مثلا لهذه المخاوف : « مثلا

(١) (ان اللقب النمسوى Hofrat يمنح للبارزين من الاطباء والمحامين
وأساتذة الجامعات ، والموظفين المدنيين الخ . وربما يعادل في إنجلترا
الحديثة رتبة الشرف المعروفة بالفروسية Knighthood — هامش الترجمة
الانجليزية) .

(٢) « بالالمانية Unbeimleh وهى كلمة يصعب ترجمتها وقد جرى
العرف لدى المحللين النفسيين على ترجمتها في الانجليزية بكلمة Uncanny
وفي الفرنسية Equietante etrangeté وقد كتب فرويد مقالا هاما في
هذا المفهوم .

من أن أبى يموت » ومنذ سن جد باكرة ، ولستوات طويلة ، كانت الأفكار عن موت أبى تشغل ذهنى وتسبب لى اكتئابا شديدا » •

عند هذا الموضوع عرفت فى اندهاش أن الأب ، الذى كانت أفكار المريض القهرية ما تزال تدور حوله حتى الوقت الحالى ، كان قد مات قبل ذلك بسنوات عدة •

ان الظواهر التى وصفها المريض فى الجلسة الاولى من علاجه ، والتى يرجع تاريخها الى عامه السادس أو السابع ، لم تكن فقط ، كما أعتقد ، مجرد بداية مرضه ، بل هى مرضه ذاته • انها عصاب قهري مكتمل لا ينقصه أى عنصر أساسى ، انها فى آن واحد النوأة والانموذج الاصلى لعصابه اللاحق — فهى ان جاز القول كيان عضوى برعى ، يستحيل علينا بغير دراسته أن نتمكن من الامساك بالانتظام المعقد لمرضه الحالى • فنحن نرى الطفل يستبد به عنصر من عناصر الغريزة الجنسية هو النظرية (السكوبتوفيليا) ، ترتب عليه أن كانت تتنابه بصفة مستمرة رغبة جد قوية تتعلق بأفراد الجنس المؤنث ممن يحظن باعجابه — هى رغبته فى أن يراهن عاريات • وهذه الرغبة تتناظر الفكرة القهرية اللاحقة • واذا كانت خاصية القهر لم تظهر بعد فى الرغبة ، فذلك لان أنا الطفل لم يكن بعد قد وضع نفسه فى معارضة تامة ضد هذه الرغبة • ولم يكن بعد قد اعتبرها شيئا غريبا عليها • ومع ذلك فقد كانت هناك بالفعل معارضة فعالة من مصدر أو آخر ضد هذه الرغبة ، اذ أن ظهور هذه الرغبة كان يصحبه دائما وبانتظام وجدان أليم (١) ، وكان من الواضح أن هناك صراعا يزدهر فى نفسية هذا الداعر الصغير • فجنبنا الى جنب مع هذه الرغبة القهرية ، وفى ارتباط وثيق معها ، كان هناك خوف قهري : ففى كل مرة تتنابه رغبة من هذا القبيل ، لم يكن بوسعها أن يدفع عن نفسه الخوف من أن شيئا مروعا سيقع • هذا الشيء المروع كان منذ تلك الفترة يتشخ بهذه

(١) يتحتم على أن أنبه الى أنه كانت هناك محاولات لتفسير القهور دون أى اعتبار للوجدانية ! •

الخاصية المميزة من اللاتجدد ، هذا الذى يشكل ، منذ الآن فصاعداً ،
خاصية لا تتبدل لكل مظهر من مظاهر العصاب . ولكن عند طفل لن
يكون من العسير أن نكشف القناع عن هذا الذى يتحجب وراءه لا تحدد
من هذا القبيل . فلو أننا بلغنا الى معرفة مثال محدد لما يعبر عنه العصاب
القهرى بعموميات غير محددة ، فبوسعنا أن نكون على ثقة من أن هذا
المثال المحدد يشكل الفكرة الاصلية والحقيقية التى كانت هذه العموميات
تستهدف حجبتها . ومن ثم فان الخوف القهرى الحالى عند مريضنا ،
اذا ما نقصينا دلالاته الاصلية ، يكون كما يلى :

« اذا عنت لى هذه الرغبة فى أن أرى امرأة عارية فان أبى يتحتم
أن يموت » فالوجدان الاليم كان يتخذ بشكل قاطع طابع الغرابة
المقلقة . والخرافة ، وكان منذ هذه اللحظة بالفعل يولد حفزات الى
عمل شئ ما لتفادى الكارثة الوشيكة . وكان من شأن هذه الحفزات
أن تتطور فيما بعد الى الاجراءات الدفاعية التى تبناها المريض .

وهكذا نجدنا أمام : حفزة شبقية وحركة من التمرد ضدها ، أمام
رغبة لم تصبح بعد قهرية ، وخوف يناضل ضدها هو بالفعل قهرى ،
أمام وجدان أليم وحفزة الى انجاز اجراءات دفاعية . تلك هى القائمة
الكاملة للعصاب . والواقع أنه يوجد شئ أكثر ، هو على التحديد نوع
من التكوين شبه الهذائى (١) ذى مضمون عجيب أن أبويه يعرفان
أفكاره لانه كان ينطق بها بصوت عال دون أن يسمع نفسه وهو ينطق
بها . ولن نبعد عن الصواب ان نحن سلمنا أن الطفل فى قيامه بهذه
المحاولة للتفسير كان لديه احساس غائم بهذه الظواهر النفسية الغريبة
التي نسميها لا شعورية والتي يستحيل أن نستغنى عنها ان كان لنا أن
نلقى أى ضوء علمى هذا الموضوع . الغامض . « انى أنطق بأفكارى
بصوت عال ، دون أن أسمعها » ذلك ما يبدو وكأنه اسقاط الى العالم

(١) « delirium » مصطلح يستخدم هنا بمعنى خاص يأتى شرحه

فيما بعد ، ص ٤٧٣ — هامش الترجمة الانجليزية « . »

الخارجى لافتراضنا بأنه كانت لديه أفكار دون أن يعرف أى شىء عنها ، انه يبدو وكأنه ادراك داخل النفس لما هو مكبوت •

الأمر واضح : فهذا العصاب الطفلى البرعى كان ينطوى على مشكلة وعلى سخف ظاهر ، شأنه شأن أى عصاب معقد عند الراشد • فماذا يمكن أن تعنيه فكرة الطفل من أنه اذا عنت له الرغبة الداعرة فسيحتتم على أبيه أن يموت ؟ هل الأمر مجرد سخف ؟ أم ان هناك وسيلة لفهم هذه الكلمات باعتبارها نتيجة حتمية تلزم عن أحداث ومقدمات أبكر ؟ •

فاذا ما طبقنا على هذا العصاب المعارف التى اكتسبناها من حالات أخرى ، فانه لن يكون بوسعنا أن نتجنب الافتراض ، فى هذه الحالة كما فى غيرها ، بأن الطفل قبل أن يبلغ عامه السادس وقعت له أحداث صدمية ، وصراعات وكبوتات مما جرفته الامنيزيا ، ولكنها تركت وراءها ، من قبيل المتخلفات ، مضمون هذا الخوف القهرى • وسوف نتبين فيما بعد الى أى حد يكون بوسعنا أن نعثر من جديد على تلك التجارب المنسية ، أو أن نعيد بناءها فى شىء من اليقين • وفى انتظار ذلك ، ينبغى أن نلح بالاهمية على هذه الواقعة ، التى ربما كانت أكثر من مجرد صدفة ، وهى أن الامنيزيا الطفلية عند المريض قد أنتهت على وجه الدقة مع عامة السادس •

وانى لاعرف حالات أخرى عديدة من العصاب القهرى المزمّن كانت بدايتها كما فى هذه الحالة ، فى الطفولة الباكرة ، برغبات داعرة مماثلة ، مصحوبة بمخاوف مشؤومة ، وبنزعة الى القيام باجراءات دفاعية • فقد التقيت بهذه البداية فى عدد من الحالات الاخرى • فهى نمطية بصورة مطلقة ، وان كان من المحتمل أن لا تكون هذه البداية هى النمط الوحيد الممكن • بقيت كلمة أخرى أحب أن أضيفها فى موضوع التجارب الجنسية الباكرة للمريض ، قبل أن أنتقل الى أحداث الجلسة الثانية • فمما لا يسهل الجدول فيه ، أن هذه التجارب كانت

هامة جديرة بالاعتبار ، سيان في ذاتها أو بالنسبة الى نتائجها . ولكن ذلك أيضا كان هو الحال في الحالات الاخرى من العصاب القهري التي أتيج لى أن أقوم بتحليلها . فمثل هذه الحالات على العكس من حالات الهستيريا ، تتسم دائما أبدا بخاصية النشاط الجنسى السابق لاوانة . فالاعصبة القهرية بأكثر كثيرا من الهستيريات ، توضح لنا كيف أن العوامل التي تتمخض عن العصاب النفسى تكمن في الحياة الجنسية الطفلية للمريض ، وليس في حياته الجنسية الحالية . فأحياة الجنسية الحالية لعصابى قهري كثيرا ما تتبدى للملاحظ غير المتمرس ، سوية تماما ، والواقع أنها كثيرا ما تكشف عن شذوذات وعناصر مرضية أفن يكثير مما عليه الأمر في حالة مريضنا هذا .

(ج) الخوف القهري الكبير

اعتقد أننى سأبدا اليوم بتلك التجربة التي كانت السبب المباشر في قدومى اليك . كان ذلك في شهر أغسطس أثناء المناورات في س : كنت أعانى قبل ذلك ، وأضنى نفسى بكل أنواع الافكار القهرية ، ولكنها سرعان ما تبددت جميعها أثناء المناورات . كنت حريصا على أن أبين للضباط العاملين أن الضباط الاحتياطيين من أمثالى ليس فقط قد تعلموا كثيرا ، بل بوسعهم أيضا أن يتحملوا كثيرا . وذات يوم انطلقنا من س - في مسيرة قصيرة . وفي أثناء الاستراحة فقدت نظارتى الانفية ، وعلى الرغم من أنه كان بوسعى أن أعثر عليها ، الا أننى لم أكن أرغب في أن يتأخر تحركنا ، ومن هنا صرفت النظر عن هذه الحالة . ولكنى أبرقت الى نظاراتى الخاص في فينا ليعث الى بنظارة أخرى مع عودة البريد . وأثناء الاستراحة نفسها كنت أجلس بين ضابطين ، أحدهما ، وهو نقيب تشيكي الاسم ، سوف يتضح أنه لم يكن قليل الاهمية بالنسبة لى . كُنت استشعر نوعا من الرعب منه ، اذ كان من الواضح أنه ولع بالقسوة (١) . لست أقول أنه كان

(١) سوف تكون الاشارة اليه فيما بعد باسم النقيب القاسى -

رجلا سيئا ، ولكنه في ميس الضباط كثيرا ما دافع عن ضرورة ادخاله العقوبات البدنية ، بحيث كان يتحتم على أن أعارضه بشكل جد حاسم ، حسنا ، فأتثناء تلك الاستراحة خضنا في حديث أخبرني النقيب خلاله أنه قد قرأ عن عقوبة مروعة بشكل خاص شائعة في الشرق .

هنا يتوقف المريض ، وينهض من الأريكة ، ويرجوني في أن أعفيه من سرد التفاصيل . أكدت له أنني أنا نفسي لا أستسيغ القسوة بحال ، وأننى بالتأكيد لا رغبة لى في تعذيبه ، ولكننى بطبيعة الحال لا أستطيع أن أعفيه من شىء لا أملكه فذلك مثله أن يطلب الى أن أحضر اليه القمر (١) . ذلك أن التغلب على المقاومات هو شرط للعلاج ، ولا يمكن الاستغناء عنه تحت أى ظرف من الظروف . (كنت قد شرحت له فكرة المقاومة في بداية الجلسة ، عندما أخبرنى بأن لديه الكثير في نفسه مما يلزمه أن يتغلب عليه أن كان له أن يقص على هذه التجربة) . ومضيت أقول بأننى سأفعل مع ذلك كل ما فى وسعى لاحدس الدلالة المليئة لاية تلميحات يقدمها الى . أرنيما كان يفكر فى الاغدام باجلاس المتهم المحكوم عليه على الخازوق ؟ كلا — ليس هذا . . . كان المحكوم عليه يجرى تقييده . . . كان حديثه من عدم الوضوح بحيث لم يكن بوسعى أن أحدس فى التوفى أى وضع كان يتم ذلك التقييد — وعلى اليته كان يقلب وعاء . . . به فئران . — ونهض قائما من جديد وعليه كل علامات الرعب والمقاومة — وتشق طريقها داخلة — فى أسته ، قلت مكملا .

وفى لحظة هامة من حديثه ، كان يبدو على وجهه تعبير معقد وغريب . ولم يكن بوسعى أن أفسره الا على أنه رعب من لذة لديه لم يكن على وعى بها . واستطرد بأقصى صعوبة : فى تلك اللحظة ومضت فى ذهنى فكرة أن ذلك كان يحدث لشخص جد عزيز عندى (١) ،

(١) « فكرة » ، هكذا قال — فان المصطلح الاقوى والاكثر دلالة . (رغبة) أو بالاحرى « خوف » قد احتجزته الرقابة بكل وضوح . وليس بوسعى لسوء الحظ أن أقدم صورة صادقة لما يطبع كل ملاحظاته من لا تحديد مميز بشكل خاص .

واجابة منه على سؤال مباشر قال بأنه لم يكن هو نفسه الذى يقوم بتنفيذ العقوبة ، ولكن كان ذلك يجرى ، ان جاز القول ، بطريقة لا شخصية • وبعد أن استحثته بعض الشئ تبينت أن ذلك الشخص الذى كانت تتجه اليه تلك « الفكرة » عنده كان السيدة التى تحظى باعجابه •

=

توقف عن السرد ليؤكد لى أن هاتين الفكرتين كانتا بالنسبة اليه منفرتين وغريبتين تماما ، وليخبرنى بأن كل ما يأتى بعد ذلك يتعاقب فى ذهنه بأقصى سرعة مذهلة • وفى نفس الوقت مع الفكرة كانت تبرز دائما « عقوبة » ، وهى الاجراء الدفاعى الذى كان يتحتم عليه أن يتخذه كيما يمنع الاخيوالة من أن تتحقق • فعندما تحدث اليه النقيب عن ذلك التعذيب المروع ، وبرزت لديه الفكرتان ، استطاع ، بما لديه من صيغة مألوفة : (هى كلمة « ولكن ! » مصحوبة بإشارة استنكار وبالكلمات التى يردددها لنفسه : « أى شخص هذا الذى تفكر فيه ؟ ») أن ينجح أيضا فى أن يتخلص من الفكرتين كليهما •

هذه النتيجة كانت مفاجأة لى ، وهى لا شك قد حيرت القارىء • فنحن لم نسمع حتى الآن الا عن فكرة واحدة — فكرة السيدة التى تعانى التعذيب بالفئران • وحيث أن أباه كان قد توفى منذ سنوات عديدة ، فان هذا الخوف القهرى كان أشد امعانا فى السخف من الخوف الاول ، ومن ثم فقد حاول أن يفلت من الاعتراف به لفترة أطول قليلا •

وفى مساء اليوم التالى سلمه نفس النقيب طردا وصل بالبريد وقال له « الم لازم (١) دفع عنك الرسوم • ينبغى أن تسددها له » • كان بالترد النظارة الانفية التى أبرق فى طلبها • وعلى أية حال ، فقد تخلقت فى نفسه فى تلك اللحظة « جزاء » هى على التحديد : ينبغى

(١) الاسماء هنا ليس لها تقريبا من أهمية •

أن لا يستد هذا الرسوم (١) ، والا فان « ذلك » سوف يحدث :
(أى أن أخيوالة الفيران سوف تتحقق بالنسبة لآبيه وللأيدة) • وعلى
الفور ، بمقتضى نوع من الأجراء كان مألوفاً لآديه ، كما يناضل ضد
هذا الأجراء ، برز لآديه هذا الأمر الداخلى فى صورة قسم : ينبغى
عليك أنت أن تسدد ٣٨٠ كراونا (٢) للملازم أ • قال هذه الكلمات
لنفسه بصوت نصف عال تقريبا •

وبعد يومين انتهت المناورات • وقد قضى كل تلك الفترة الفاصلة
فى جهود ليسدد للملازم أ ذلك المبلغ الضئيل ، ولكن نشأت سلسلة
من الصعوبات من طبيعة خارجية فى الظاهر لتحول دون هذا السداد •
فقد حاول أولاً أن يقوم بالسداد عن طريق ضابط آخر كان فى طريقه
الى مكتب البريد • ولكنه استشعر راحة كبيرة عندما أعاد الية هذا
الضابط النقود ، قائلاً بأنه لم يقابل هناك الملازم أ ، وذلك لان هذه
الطريقة فى وقائه بقسمه لم تكن لترضيه ، لانها لم تكن تتفق مع
حرفية كلمات القسم ، وهى : « ينبغى عليك أنت أن تسدد المبلغ
للملازم أ » وأخيراً ألتقى بالملازم أ ، وهو الشخص الذى يفتش
عنه ، ولكنه رفض أن يتقبل المبلغ ، معلناً بأنه لم يسدد عنه شيئاً ،
وليس له علاقة بالبريد ، فذلك كان من اختصاص الملازم ب • وقد
أوقع ذلك مريض فى حيرة شديدة ، فقد كان معنى ذلك أنه يستحيل
عليه الوفاء بقسمه ، اذا كان يستند الى واقعة زائفة • عندئذ ابتدع
وسيلة جد عجيبة للتخلص من مأزقة ، هى على التحديد أن يذهب الى
مكتب البريد مع كلا الرجلين أ وب ، وهناك يتحتم على أن يدفع الى
الموظفة الشابة بالبريد مبلغ ٣٨٠ كراونا ، ويتحتم على الموظفة الشابة
أن تدفع ذلك المبلغ نفسه الى ب ، وعندئذ يقوم هو نفسه بسداد
المبلغ الى أ طبقاً لنص قسمه •

(١) كانت الرسوم المعينة هى ثمن النظارة الانفية • فى النمسا
يشيع فى البريد نظام « الدفع عند التسلم » — هامش الترجمة الانجليزية •
(٢) هذا المبلغ كان يعادل فى ذلك الوقت ثلاث شلنات وبنسين —
هامش الترجمة الانجليزية •

ولن يدهشنى عند هذا الموضوع أن أسمع أن القارئ قد توقف عن أن يكون قادرا على المتابعة • إذ أنه حتى البيانات التفصيلية التي قدمها الى المريض عن الوقائع الخارجية في تلك الايام ، وعن استجاباته لها ، كانت مليئة بالناقضات الذاتية وكان التباسها يبعث على اليأس • ولما سرد على القصة للمرة الثالثة ، وليس قبل ذلك • استتعت أن أجعله يتبين ابهاماتها ، وأن أكشف له عما تنطوى عليه من أخطاء الذاكرة وأنواع النقل التي تورط فيها • وسوف أوفر على نفسى عناء سرد هذه التفصيلات ، هذه التي سوف ننبين الاساسى منها بعد قليل ، وسأقتصر على أن أضيف أن المريض في نهاية هذه الجلسة الثانية كان يتصرف وكأنه في حالة من الذهول والخلط • فكثيرا ما كان يخاطبني على أنني « نقيب » ، ربما لاننى أخبرته في بداية الجلسة بأننى أنا نفسى لا أستسيغ القسوة مثل النقيب م ، وأنه ليس في نيتى أن أعذبه في غير طائل •

والمعلومة الاخرى الوحيدة التي حصلت عليها منه خلال هذه الجلسة هي أنه منذ البداية الاولى لقهوره ، وفي كل المناسبات السابقة التي كان يستشعر فيها الخوف من أن شيئا سوف يقع للأشخاص الذين يجبههم ، بما لا يقل عن المناسبة الحالية ، كان يعتقد أن المصائب التي يتحتم أن تنزل بهم ، سوف تصيبهم ليس فقط في الحياة الحالية ، بل أيضا في الحياة الابدية — في الآخرة • كان حتى عامه الرابع عشر أو الخامس عشر متدينا بشكل جد متزمت ، ولكنه منذ ذلك الوقت فصاعدا غدا بالتدريج هذا المفكر المنححر الذي هو اليوم • وقد صالح هذا التناقض بين معتقداته وقهوره بأن قال لنفسه : « ماذا تعرف عن العالم الآخر ، بل ماذا يعرف عنه الآخرون ؟ وحيث أنه ما من شيء يمكن معرفته عنه ، اذن فأنت لا تخاطر بشيء — واذن فأفعل » • وهذا الشكل من الدليل قد بدأ ولا اعتراض عليه عند هذا الرجل الذي يتسم في مناسبات أخرى بصفاء الذهن بصفة خاصة ، ولكنه بهذه الطريقة أستطاع أن يستغل عدم يقينية العقل البشرى في مواجهة هذه المشكلات لصالح الاتجاه الدينى الذي هجره •

وفي الجلسة الثالثة أكمل المريض قصته الفريدة عن جهوده للوفاء بقسمه القهري . في ذلك المساء انعقد آخر اجتماع للضباط قبل انتهاء المناورات . كان من نصيبه أن يرد بكلمة على النخب الذي شربه الجميع تكريما « للضباط الاحتياطيين » . تحدث فأحسن الحديث ، ولكنه كان وكأنه في حلم ، فقد كان في قرارة نفسه يتعذب في غير انقطاع من جراء قسمه . قضى ليلة مروعة . فالحجج والحجج المضادة كانت تتصارع في داخله . كانت الحجة الرئيسية بطبيعة الحال هي أن الواقعة التي يقوم عليها قسمه - وهي أن الملازم أ قد سدد عنه الرسوم - قد تكشفت زائفة . ومع ذلك فقد راح يعزى نفسه بفكرة أن المسألة لم تنته بعد بالنظر الى أن أ سوف يسافر معه في الصباح التالي جانبا من الرحلة حتى محطة السكة الحديد عند ف (١) ، ومن ثم يكون أمامه متسع من الوقت ليطلب اليه هذه الخدمة الضرورية . ولكنه في واقع الأمر لم يفعل ذلك ، وترك أ يرحل بدونه ، ولكنه أصدر تعليمات الى مراسلته لكي يخبر أ بأنه ينتوى زيارته بعد الظهر من ذلك اليوم . وقد يبلغ مريضنا المحطة في التاسعة والنصف صباحا . أودع أمتعته هناك ، ثم تفرغ لمهام مختلفة كان عليه أن يقوم بها في تلك المدينة الصغيرة ، وفي نيته بعد ذلك أن يقوم بزيارة أ . كانت القرية التي يقيم فيها أ على مسافة ساعة تقريبا من السفر بالعربة من مدينة ف - وكانت الرحلة بالسكة الحديد الى المكان الذي يوجد فيه مكتب البريد تستغرق ثلاث ساعات . ومن هنا فقد حسب حسابه بحيث أن تنفيذ خطته المعقدة يترك له بالكاد وقتا يمكنه من اللحاق بقطار المساء الذي يغادر ف - الى فيينا . كانت الفكرتان اللتان تتصارعان في داخله هما ، من ناحية : « لست الا جبانا ، فاني أريد بكل وضوح أن أتجنب هذا الكدر في أن أطلب هذه الخدمة من أ - وفي أن ينظر الى على أنني مجنون ، ومن أجل ذلك فاني أرغب في عدم الوفاء بقسمي » . ومن ناحية أخرى : « ان

(١) في الاصل ا ، ولم نشأ أن نترجمها ب حتى لا تختلط بشخصية الملازم ب - المترجمون .

الأمر على العكس اذ من الجبن تحقيق هذا القسم ، لاني لا أرغب في الوفاء به الا لاتخلص من قهوري » • وروى لى انه فى كل مرة ، فى مداولاته الداخلية ، تتعادل عنده على هذا النحو حجتان متناقضتان ، كان من عادته أن يسلم زمام نفسه الى أحداث عارضة وكأنها مشيئة الله • ومن هنا فعندما طلب اليه حمال فى المحطة : « قطار العاشرة يا سيادة الملازم ؟ » • كانت اجابته : « نعم » وعلى ذلك سافر فى الساعة العاشرة ، محققا بذلك سياسة الامر الواقع ، التى أراحته الى حد بعيد ، وكذلك احتجز فى عربة المطعم مكانا للغذاء • وفى أول محطة وقف بها القطار خطر له أن الوقت ما يزال امامه كيما ينزل ، وينتظر القطار المسافر فى الاتجاه المضاد ، ويذهب عائدا الى بلدة ف - ويستقل عربة الى المكان الذى يقيم فيه الملازم أ ، حيث يقوم معه فى القطار برحلة الثلاث ساعات الى المكان الذى يوجد فيه مكتب البريد ، وهكذا • ولم يحل بينه وبين تنفيذ هذا المخطط الا كونه قد ارتبط مع مشرف عربة الطعم باحتجاز مكان للغذاء ومع ذلك فانه لم ينتازل عن مخططه ، ولكنه أجل فقط نزوله الى المحطة التالية • وبهذه الطريقة مضى يؤجل النزول من محطة الى التالية حتى بلغ الى محطة كان يستحيل عليه أن ينزل بها بسبب بعض أقاربه المقيمين هناك • وعندئذ عقد عزمه على أن يمضى الى فينا ، حيث يلتقى هناك بصديقه ، ويشرح له الموقف ، ثم يعود بقطار الليل الى بلدة ف - ان ارتأى صديقه ذلك • وعندما عبرت له عن شكى فى امكانية تنفيذ ذلك من الناحية العملية ، أكد لى بأنه كان سيكون لديه نصف ساعة كاملة ما بين وصول قطاره وقيام القطار الآخر • وعندما وصل الى فينا لم يعثر على صديقه فى المطعم الذى كان يتوقع أن يجده فيه ، ولم يصل الى شقة هذا الصديق الا فى الحادية عشر مساء ، فشرح له الموقف فى نفس الليلة • أبدى صديقه دهشة شديدة من أنه ما يزال لديه شك فيما ان كان مصابا بقهورة وطمأنته فى تلك الليلة بحيث أنه نام نوما هادئا • وفى صباح اليوم التالى ذهب معه الى البريد ليرسل الـ ٣٨٠ كراونا الى مكتب البريد الذى كان قد وصل اليه الطرد المحتوى على النظارة الانفية •

كانت هذه الواقعة الاخيرة هي التي زودتني بنقطة البدء التي
أستطيع منها تصحيح التحريفات المختلفة التي أنطوت عليها قصته •
فبعدها أعاده صديقه الي رشه أرسل ذلك المبلغ الصغير من النقود ،
لا الي الملازم أ ولا الي الملازم ب ، بل مباشرة الي مكتب البريد •
ومن ثم فلا بد وأنه كان يعرف بأنه مدين بالرسوم المقررة على الطرد،
لموظفة البريد وليس لاي شخص آخر ، بل ولا بد وأنه كان يعرف
ذلك قبل أن يبدأ رحلته في القطار • وقد اتضح أن المريض كان في
الواقع يعرف ذلك ، قبل أن يطلب اليه النقيب م تسديد الرسوم وقبل
أن يقطع علي نفسه القسم ، فقد تذكر الآن أنه قبل ساعات من لقائه
بالنقيب القاسى كان قد التقى بنقيب آخر أطلعته على حقيقة الأمر
كله • فهذا النقيب الاخير لم يكذ يسمح اسمه حتى أخبره بأنه كان
في مكتب البريد منذ برهة قصيرة ، وأن السيدة الشابة التي تعمل
هناك قد سألته عما ان كان يعرف الملازم هـ (مريضنا) الذي وصله
طرد بنظام « الدفع عند التسلم » • وأجاب الضابط بأنه لا يعرفه ،
ولكن السيدة الشابة قالت بأنها تثق في هذا الملازم الذي لا تعرفه ،
وأنها في انتظار قدومه سوف تدفع عنه الرسوم • وعلى هذا النحو
تسلم مريضنا النظارة الانفية التي كان قد أبرق في طلبها • كان
النقيب القاسى قد ارتكب خطأ اذ طلب اليه ، وهو يسلمه الطرد ،
أن يقوم بتسديد مبلغ ٣٨٠ كراونا للملازم أ ، ولا بد وأن المريض
قد تبين هذا الخطأ • ولكنه على الرغم من ذلك قطع على نفسه قسما
ينبنى على هذا الخطأ ، وهو قسم استحالة عذابا بالنسبة اليه • وهو
اذ يفعل ذلك حجب عن نفسه ، تماما كما حجب عنى وهو يسرد
القصة ، واقعة النقيب الآخر ووجود السيدة الشابة الواثقة فيه في
مكتب البريد • ومع ذلك فانى أعترف بان هذا التصحيح لم يكن من
شأنه الا أن يجعل سلوكه أكثر سخفا ، وأكثر لا معقولية عما كان
يبدو عليه من قبل •

وبعد أن ترك المريض صديقه وعاد الي أسرته استبدت به
الشكوك من جديد • فحجج صديقه لم تكن لتختلف عن حججه التي

يردها لنفسه ، وهو لم يكن يغيب عنه بحال أن الراحة المؤقتة التي استشعرها ترجع فحسب الى التأثير الشخصي لصديقه ، وليس الى أى شخص آخر . كان قراره باستشارة طبيب يدخل بشكل بارع ضمن النسيج الكلى لشبهه هذائه على النحو التالي . كان في نيته أن يقنع الطبيب بأن يعطيه شهادة مؤداها أنه من الضروري له ، كيميائياً ، أن يقوم بطقوس كهذه التي ابتدعها فيما يتصل بالملازم أ ، وكان يأمل أن يفتتح الملازم ، بفضل هذه الشهادة ، فيقبل منه الـ ٣٨٠ كراونا . والصدفة التي جعلت واحداً من كتبي يقع في يديه في هذه اللحظة هي التي اتجهت به الى . وعلى أى حال لم يكن الامر معي أن يحصل على شهادة ، فكل ما طلبه مني ، وكان منطقياً تماماً ، أن أخلصه من قهوره . وبعد ذلك بعدة شهور ، عندما بلغت مقاومته ذروتها ، استشعر من جديد غواية السفر الى بلدة ف - لبيحث عن الملازم أ وليمضى معه في مهزلة تسديد النقود له .

(د) بدء تلقين في طبيعة العلاج

ليس للقارئ أن يتوقع أن يسمع مني في التوما يمكن أن ألقيه من ضوء على قهور المريض الغربية والسخيفة عن الفيران . فالفنيات الحقة للتحليل النفسي تتطلب من الطبيب أن يكبح استطلاعيته ، ويترك للمريض حرية مطلقة في اختيار الترتيب الذي تتتابع بحسبه الموضوعات الواحد بعد الآخر أثناء العلاج . ومن هنا فقد استقبلت المريض في الجلسة الرابعة بهذا السؤال : « بأى موضوع سوف تبدأ الحديث اليوم ؟ » .

أجاب : « لقد عقدت العزم على أن أخبرك بشيء أعتبره غاية في الأهمية ، وقد سبب لي عذاباً منذ البداية » . وعندئذ أخبرني بكل تفصيلات المرض الاخير لابيه الذي مات من انتفاخ رئوي (امفيزيميا) قبل ذلك بتسع سنوات . وذات مساء ، وكان يعتقد أن الأمر عند أبيه لا يعدو أن يكون مجرد أزمة ، سأل الطبيب متى يمكن

أعتبر أن الخطر قد زال • كانت الاجابة : « مساء بعد باكر » • لم يخطر بباله قط أن أباه لن تمتد به الحياة الى هذا الموعد • وفي الحادية عشرة والنصف مساء رقد يستريح ساعة • وعندما استيقظ في الواحدة صباحا أخبره طبيب صديق أن أباه قد مات • وقد أُنب نفسه على أنه لم يكن حاضرا أثناء وفاته ، وقد أشتد تأنيبه لنفسه عندما أخبرته الممرضة بأن أباه قد نطق اسمه مرة في الايام الاخيرة ، وقال لها وهي تتقدم الى سريره : « أنت بولس ؟ » وأعتقد أن أمه وشقيقاته كان يغلب عليهن تأنيب أنفسهن بنفس الطريقة ، ولكنهن لم يتكلمن قط عن ذلك • وعلى أية حال ، فان هذا التأنيب لم يعذبه في البداية • ذلك لانه لم يصدق ، خلال فترة طويلة ، حقيقة موت أبيه • كان كلما سمع نكته طيبة يقول دائما لنفسه : « ينبغي أن أحكيها لأبى » • وكان خياله أيضا منشغلا بأبيه ، بحيث كان اذا ما سمع طرقا على الباب يقول لنفسه : « هاهو أبى قد حضر » ، وعندما كان يدخل الى غرفة كان يتوقع أن يجد أباه فيها • وعلى الرغم من أنه لم ينس قط أن أباه قد مات ، فان توقعه لمثل هذا الظهور الاشباحى لم يكن ينطوى بالنسبة اليه على أى طابع مرعب ، بل على العكس من ذلك كان شديد الرغبة فى أن يتحقق ذلك • ولم يكن قبل مرور عام ونصف أن عاودته ذكرى تفصيله فى حق أبيه ، وبدأت فى تعذيبه بشكل مروع ، بحيث غدا ينظر الى نفسه على أنه مجرم • كانت المناسبة التى أدت الى ذلك هى وفاة زوجة عمه وزيارة عزاء قام بها الى بيتها • ومنذ ذلك الحين فصاعدا وسع من نطاق أفكاره الحصارية بحيث اشتملت على العالم الآخر • وكانت النتيجة المباشرة لهذا التطور أن أصبح معوقا بشكل خطير عن العمل (١) • قال لى بأن الشئ الوحيد الذى مكنه

(١) ان وصفا أكثر تفصيلا لهذه الواقعة قدمه لى المريض فيما بعد ، مكنى من ان أنتهم تأثير هذه الواقعة عليه • فقد قال عمه ، زوج المتوفية ، وهو ينتحب : « ان الرجال الآخرين يسمحون لانفسهم بكل متعة ممكنة ، أما أنا فقد عشت لهذه المرأة وحدها » وقد أعتقد مريضنا أن عمه انما كان يلح بذلك الى أبيه ، ويلقى بذلك الشكوك على وفاء هذا الاخير لزوجته ،

من أن يمضى في الحياة في ذلك الوقت انما كان ذلك العزاء الذى كان يتلقاه من صديقه ، هذا الذى كان دائما ما يمسح عنه تأنيباته الذاتية استنادا الى اسرافها في المبالغة .

وقد انتهزت هذه الفرصة كيما أقدم اليه لمحة أولى عن المبادئ التى يستند اليها علاج التحليل النفسى ، بدأت أقول انه عندما يكون هناك عدم تناسب بين الوجدان ومضمونه الفكرى (فى المثال : بين شدة التأنيب الذاتى وسببه) يقول غير الاخصائى ان الوجدان يزيد كثير عن سببه — أى أن التأنيب مسرف — ومن ثم فان الاستدلال الذى يستند اليه يكون باطلا ، من قبيل اعتقاد الشخص — فى هذا المثال — أنه مجرم • وعلى العكس من ذلك يقول المحلل : « كلا • ان الوجدان له ما يبرره • فشعور الاثم لا يقبل الطعن • ولكنه ينتمى الى مضمون آخر مجهول (لا شعورى) ، ويتطلب التنقيب عنه • وهذا المضمون الاخير قد أدخل مكانه ببساطة ، وبفضل ترابط زائف ، للمضمون الفكرى المعروف (الشعورى) • نحن لم نتعود أن نستشعر وجدانات قوية دون أن يكون لها أى مضمون فكرى ، ومن هنا فعندما يكون المضمون متغيبا ، فاننا نقبض ، كبديل ، على مضمون آخر ، يكون ملائما بشكل أو آخر ، تماما كما تفعل الشرطة ، عندما تعجز عن القبض على القاتل الحقيقى ، فتقبض بدلا منه على متهم زائف • هذا الى أن حقيقة كونهما فى حالة ترابط زائف هو الوسيلة الوحيدة التى تفسر لنا عدم جدوى العمليات المنطقية فى محاربة الفكرة القهرية المضنية » وختمت حديثى بأن سلمت بأن هذه الطريقة الجديدة فى النظر الى الأمر من شأنها أن تولد للنظرة الاولى ألغازا هائلة : اذ كيف للمريض أن يسلم بأن تأنيبه الذاتى على أنه مجرم فى حق أبيه له ما يبرره ، بينما هو لابد يعلم أنه لم يرتكب فى الواقع أية جريمة ضد أبيه ؟

وعلى الرغم من أن عمه قد نفى بأقصى القطع مثل هذا التأويل لكلماته ، فلم يعد من الممكن بعد ابطال تأثيرها عليه .

وفي الجلسة التالية كشف المريض عن اهتمام شديد بما قدمته له من تفسيرات ، ولكنه اجترأ ، على حد قوله ، على أن يتقدم ببعض شكوكه — سألتني : كيف أن معرفة كهذه ، بأن التائب الذاتي أى شعور الاثم له ما يبرره ، يمكن أن يكون لها تأثير علاجي ؟ — أوضحت له أن ليست المعرفة هي التي لها هذا التأثير ، بل اكتشاف المضمون المجهول الذي يرتبط به في واقع الأمر التائب الذاتي — قال المريض : « نعم ، تلك كانت على وجه التحديد هي النقطة التي يستهدفها سؤالى » . وعندئذ قدمت له ملاحظات قصيرة عن الفروق البسيكولوجية بين الشعور واللاشعور ، وعن كون كل ما هو شعورى يتعرض لان يبلى ، بينما كل ما هو لا شعورى يظل نسبياً غير قابل للتغيير ، ودلت على ملاحظاتي بالقطع الاثرية الموجودة في غرفتي . قلت له بأن هذه القطع كانت في الواقع مجرد أشياء تم العثور عليها في مقبرة ، وكان انطمارها هناك هو الذي حفظها من أن تبلى : فتدمير بومبىي انما بدأ الآن فقط باخراجها من تحت الاطمار . — بعد ذلك سألتني المريض : « هل يمكن أن نتنبأ بشكل يقينى بما سيكون عليه اتجاه الفرد من الافكار التي يتم الكشف عنها ؟ فواحد يمكن أن يتغلب على التائب الذاتي ، بينما يمكن أن لا ينجح آخر في ذلك » . — قلت له : « كلا ، فمن طبيعة الامور أن الوجدان غالباً ما يتم التغلب عليه أثناء تقدم العمل التحليلى ذاته . فبينما تبذل كل الجهود للمحافظة على بومبىي ، يسعى الناس بأى ثمن للتخلص من الافكار الاليمة من هذا القبيل » . — فمضى يقول : « لقد قلت لنفسي بأن التائب الذاتي لا يمكن أن ينشأ الا بانتهاك الفرد لقوانينه الاخلاقية الباطنية الخاصة به ، وليس بانتهاكه لاية قوانين خارجية — وافقته على ذلك ، وقالت بأن الفرد الذى ينتهك القوانين الخارجية غالباً ما ينظر الى نفسه على أنه بطل — فاستطرد المريض يقول : « ان هذه الظاهرة لا يمكن بالتالى أن تحدث الا اذا كان هناك بالفعل انشطار في الشخصية . وانى لأتساءل ما ان كان من الممكن لى أن استعيد تكامل (وحدة) شخصيتى . فلو تحقق لى ذلك فاننى على ثقة من أننى سأبلغ في حياتى الى نجاح ربما يخطى بكثير غالبية

الناس « • أجبتّه باننى أنفق معه تماما فى تصوّره هذا عن انشطار شخصيته • كل ما كان يلزمه هو أن يعتبر هذا التعارض الجديد ، بين الذات الاخلاقية والذات الشريرة ، مماثلا للتعارض الذى سبق لى أن ذكرته بين الشعور واللاشعور • فالذات الاخلاقية هى الشعور ، والذات الشريرة هى اللاشعور (١) •

وعندئذ قال المريض : « اننى اعتبرت نفسى رجلا أخلاقيا الا أنى استطيع أن أتذكر بشكل قاطع أننى ارتكبت فى طفولتى أفعالا صادرة من تلك الذات الاخرى » • - قلت له بأنه ها هنا قد وقع بالصدفة على خاصية من أهم خصائص اللاشعور ، هى على التحديد صلته بالطفولة • وأوضحت له أن اللاشعور هو الطفلى فىنا ، فاللاشعورى هو هذا الجزء من النفس الذى انفصل عنها فى الطفولة ، فلم يتابع المراحل اللاحقة من تطورها ، والذى أصبح بالتالى مكبوتا • ومشتقات هذا اللاشعور المكبوت هى منهل الافكار اللاارادية التى تشكل مرضه • فأضفت قائلا بأن بوسعه الآن أن يتبين خاصية أخرى من خصائص اللاشعور ، وانه ليسرنى أن يبلغ بنفسه الى اكتشاف هذه الخاصية - ولكنه قال : « اننى لا أجد جديدا اضيفه ، ولكننى أتساءل ما ان كان فى وسع المرء أن يبرأ من اضطرابات قديمة الى هذا الحد • وعلى وجه الخصوص ، ما الذى يمكن عمله فى فكرتى عن العالم الآخر ، وهى التى لا يمكن دحضها بالمنطق ؟ » - قلت له بأننى لا أنكر خطورة حالته ، لا ولا خطورة أفكاره المرضية ، ولكن فى نفس الوقت يعتبر شبابه نقطة فى صالحه الى أقصى حد ، وكذلك أيضا فى صالحه ما عليه شخصيته من تكامل • وفى هذا الصدد قلت كلمة أو كلمتين عما تكون لدى من رأى طيب عنه ، وقد أسبغ عليه ذلك سرورا ملحوظا •

وفى الجلسة التالية بدأ بأن أخبرنى بأنه يتحتم عليه أن يذكر

(١) كل ذلك بالطبع ليس صحيحا الا بصورة جد غليظة ولكن يصلح كمدخل تمهيدى للموضوع .

لى حادثة وقعت له فى طفولته : فمئذ السابعة من عمره • كما سبق أن أخبرنى ، كان لديه خوف من أن يحدس أبواه أفكاره ، وهذا الخوف قد لازمه فى الواقع طيلة حياته كلها • وعندما بلغ الثانية عشرة كان يحب صببة صغيرة ، هى ثقيفة صديق له (وأجابة على سؤال منى ، قال بأن حبه لها لم يكن شهويا ، لم يشعر بالرغبة فى أن يراها عارية لأنها كانت جد صغيرة) • ولكنها لم تظهر له من الحب بقدر ما كان يتمنى • وعندئذ خطرت له هذه الفكرة ، بأنها يمكن أن تكون أكثر حبا له لو نزلت به كارثة ، وكمثال لهذه الكارثة فان موت أبيه قد فرض نفسه على ذهنه • رفض فى التو وبشدة هذه الفكرة وحتى الآن فانه لا يستطيع أن يسلم بأن ما خطر بذهنه على هذا النحو يمكن أن يكون « رغبة » ، كان من الواضح بالنسبة اليه أن المسألة لا تعدو أن تكون « تداعى أفكار » (١) • ومن قبيل الاعتراض سألته : « اذا لم تكن تلك رغبة ، فلماذا نفيتها عن نفسك بكل هذه القوة ؟ » — أجاب : « بسبب مضمون الفكرة ، ألا وهو امكانية موت أبى » — نبهته الى أنه ينظر الى العبارة وكأنها تتطوى على جريمة عيب فى الذات الملكية ، فمن المعروف جيدا بالطبع بأنه مما ينطوى على العقوبة بالمثل أن يقول المرء : « الامبراطور حمار » أو أن يموه على هذه الكلمات المحرمة بقوله :

لو قال أحد ان الامبراطور •• فسوف أريه » • وأضفت بأننى أستطيع فى يسر أن أدس هذه الفكرة التى نفاها عن نفسه بكل هذه القوة ، ضمن سياق يستبعد كل احتمال لمثل هذا النفى • مثال ذلك : « اذا مات أبى فسوف أقتل نفسى على قبره » • صدمه كلامى هذا بشكل ظاهر ، ولكنه لم يتخل عن اعتراضه • وعندئذ وضعت حدا للجدل بقولى بأنى متأكد من أن تلك لم تكن المرة الاولى التى خطرت له فيها فكرة موت أبيه ، فمن الواضح أنها نشأت فى تاريخ أبكر ، وسيكون علينا ذات يوم أن نقتفى تاريخها الى الوراء • — وعندئذ

(١) ليس العصايبون القهريون وحدهم هم الذين ينعون بمثل هذه العبارات التهوينية .

شرع يخبرنى بأن فكرة مماثلة على وجه التحديد قد ومضت فى رأسه مرة ثانية قبل موت أبىه بستة أشهر • فى ذلك الوقت (١) كان بالفعل واقعا فى حب السيدة الشابة ، ولكن الصعوبات المالية جعلت من المستحيل عليه أن يفكر فى الاقتران بها • وعندئذ خطرت له فكرة أن موت أبىه يمكن أن تجعله من الثراء بدرجة تكفى للاقتران بها • وفى دفاعه عن نفسه ضد هذه الفكرة بلغ الى حد أن تمنى أن لا يترك له أبوه أى شىء ، بحيث لا يحصل على تعويض عن خسارته الفادحة • ونفس هذه الفكرة خطرت له ، ولكن فى صورة أهون بكثير ، للمرة الثالثة ، فى اليوم السابق على موت أبىه فعندئذ خطرت له فكرة « انى الآن على وشك أن أفقد أعز من أحب فى الحياة » • وفى مواجهة ذلك خطرت له فى التوفى فكرة مضادة : « كلا ، بل هناك شخص آخر سيكون فقده أشد ايلاما لى » (٢) • هاتان الفكرتان أثارتا دهشته الى أبعد حد ، لانه كان على ثقة من أن موت أبىه ما كان يمكن بحال أن يكون موضوع رغبة عنده بل فقط موضوع خوف •

وبعد هذه الكلمات التى نطق بها المريض فى حماسة ، بدا لى من المفيد أن أشرح بضع تصورات نظرية جديدة عليه • قلت له أنه بحسب نظرية التحليل النفسى فان كل خوف يناظر رغبة قديمة هى الآن مكبوتة ، ومن هنا فان هذه الاعتراضات من جانبه ينبغى أن تجعلنا نفترض وجود نزعات مضادة تماما • وذلك يتفق أيضا مع مطلب نظرى آخر ، هو على التحديد أن اللاشعور ينبغى أن يكون مضادا تماما للشعور • — كان شديد التأثر بما قلته وشديد الشك فيه • تساءل كيف يمكن بحال أن كانت لديه مثل هذه الرغبة ، بالنظر الى أنه كان يحب أباه أكثر من أى شخص آخر فى العالم ، لم يشك لحظة فى أنه لم يكن يتردد فى التنازل عن كل سعادة ممكنة فى الحياة لو أنه بذلك كان يستطيع أن ينقذ حياة أبىه • — أجبته بأن مثل

(١) كان ذلك منذ عشر سنوات •

(٢) هنا اشارة لا يمكن أن تخطئها الملاحظة الى التعارض بين

موضوعى حبه : أبىه والسيدة الشابة •

هذا الحب الشديد هو على وجه الدقة الشرط لكبت الكراهية . فمن المؤكد أنه يستطيع في يسر ، ازاء أشخاص لا يحفل بهم ، أن يستشعر جنبا الى جنب نزعات من الحب المعتدل مع نزعات مساوية من الكراهية المعتدلة : ولنفترض على سبيل المثال أنه موظف ، فمن الممكن عندئذ أن يعتبر رئيسه لطيفا كرئيس ، ولكنه في نفس الوقت مخادع كمحام ، وعديم الانسانية كقاض . وشكسبير يجعل بروتس يتحدث بطريقة مشابهة عن يوليوس قيصر : « كان قيصر يحبني واني لابيكيه ، وكان محظوظا واني لسعيد بذلك ، وكان شجاعا واني لامجده ، ولكن لانه كان طموحا فاني قتلته » (١) . ولكن هذه الكلمات تشير دهشتنا لانها أدنى الى الغرابة ، اذ كنا نتصور حب بروتس لقيصر أعمق من ذلك . فلنعد الى مريضنا . ذكرت له بأنه لو كان ازاء شخص جد حميم ، زوجته مثلا لو كان متزوجا ، لكانت تكون لديه نزعة الى توحيد مشاعره العاطفية ، مغفلا - كما هو الشأن عند كل البشر - النقائص التي يمكن أن تشير كراهيته لها ، بحيث يتعلمى عن هذه النقائص . وهكذا فقد كانت شدة حبه هي على وجه التحديد التي منعت كراهيته وان كانت هذه التسمية ضربا من التعليل - من أن تظل شعورية . هذه الكراهية لأبد وأن يكون لها مصدرها . والكشف عن هذا المصدر هو بالتأكيد مشكلة . كانت أقواله تشير الى تلك الفترة التي كان يخاف فيها من أن يحدس أبواه أفكاره . ومن ناحية أخرى أيضا يمكننا أن نتساءل كيف أن مثل هذا الحب الشديد من جانبه لم ينجح في اطفاء كراهيته ، على نحو ما يحدث في العادة عند وجود حفزتين متضادتين . لا يسعنا الا أن نفترض أن الكراهية لأبد وأنها ترتبط بمصدر ما جعلها مستحيلا على الازالة . وعليه كانت بالتأكيد رابطة من هذا النوع هي التي أبقت على كراهيته حية ضد أبيه ، هذا من ناحية بينما من ناحية أخرى ، كان حبه الشديد هو الذي منع هذه الكراهية من أن تصبح شعورية . ومن ثم لم يبق أمام هذه الكراهية

1. Julius Caesar (111.2)

إلا أن تظل في اللاشعور ، وان استطاعت بين حين وحين أن تبرز للحظة في الشعور .

قال المريض بأن ذلك كله يبدو معقولا تماما ، ولكنه لم يكن بالطبع مقتنعا به بأى حال من الأحوال (١) . قال لى بأن بوده أن يسأل كيف أمكن لفكرة من هذا القبيل أن تكون لها عودات ، كيف أمكنها أن تظهر للحظة عندما كان في الثانية عشرة ، وتظهر ثانية عندما بلغ العشرين ، ثم مرة أخرى بعد ذلك بعامين ، لتختفى فلا تظهر بعد ذلك . لم يكن بوسعه أن يعتقد أن كراهيته كانت خامدة في الفترات الفاصلة ، ومع ذلك فلم يستشعر خلال هذه الفترات الفاصلة أية علامة على التائب الذاتى — أحبته على ذلك قائلا بأنه فى كل مرة يسأل شخص سؤالا كهذا فانه تكون لديه بالفعل الاجابة عليه ، وكل ما يلزمه هو تشجيعه على المضى فى الحديث . — عندئذ مضى ، دون ما ارتباط فى الظاهر بما سبق ، يقول بأنه كان أعز صديق لابييه ، وكان أبوه أعز صديق له . وفيما عدا هذه الموضوعات القليلة التى عادة ما ينتجب الآباء والأبناء بعضهم بعضا — (ما الذى يمكن أن يعنيه بذلك ؟) كانت بينهما علاقة حميمة باكثر مما عليه الآن علاقته مع أعز صديق له . أما فيما يتصل بالسيدة الشابة ، التى من أجلها استهان بأبييه فى تلك الفكرة التى خطرت له ، فقد كان يحبها فى الواقع حبا شديدا ، ولكنه لم يستشعر قط بالفعل أية رغبات شهوية تجاهها ، من قبيل تلك التى كان يستشعرها دواما فى طفولته . فعلى وجه الجملة ، كانت حفزاته الشهوية أقوى بكثير فى طفولته منها أثناء بلوغه : — وعندئذ نبهته الى أنه قد قدم الآن الاجابة التى كنا

(١) مثل هذه المناقشات لا تستهدف اقناع المريض فالغرض منها فحسب هو اجتذاب العقدة المكتومة الى الشعور ، واذا كان صراع حول هذه العقدة فى مجال العمليات النفسية الشعورية ، وتيسير انبثاق مادة جديدة من اللاشعور . فالشعور بالافتناع لا يبلغ اليه المريض الا بعد أن يتناول بنفسه من جديد المادة المستخلصة . وطالما لم يبلغ المريض بعد الى تمام الافتناع فالمادة لم يتم استفادها بعد .

ننتظرها ، وأنه كشف في الوقت نفسه عن الخاصية الثالثة الأساسية
للاشعور • فالمصدر الذي يغذى كراهيته لآبيه ، ويجعلها مستحيلة
على الازالة كان بكل وضوح من طبيعة الرغبات الشهوية ، وفي هذا
الصدد لا بد وأن يكون قد استشعر ، على نحو أو آخر ، وجود أبيه
كعائق • وأصفت قائلًا بأن الصراع من هذا النوع بين الشهوية وحب
الطفل لآبيه هو نمطى تماما • فاحتجاب الكراهية ، الذي سبق أن
أشار إليه المريض ، قد حدث لأن التفجر الباكر لمشاعره الشهوية قد
ترتب عليه ، كنتيجة مباشرة ، تساؤل بالغ في شدة تلك المشاعر • ولم
تظهر كراهيته من جديد الا حين استبدت به من جديد رغبات شبقية
شديدة ، وكان ذلك بسبب ابتعاث الموقف القديم • وقد اتفق معي
على أنني لم أوجهه لا الى موضوع الطفولة ولا الى موضوع الجنس ،
بل كان هو الذي أثار الموضوعين بمحض ارادته — ومضى المريض
يسألنى لماذا ، في تلك الفترة التي كان فيها شديد الحب للسيدة الشابة
لم يتخذ ببساطة قرارا في داخله بأن العقبة التي كانها أبوه في طريق
حبه لم تكن لترجح في الميزان للحظة واحدة حبه لآبيه — أجبت بأنه
يكاد يكون من المستحيل القضاء على شخص في « غيابه » • فمثل
هذا القرار ما كان يقتدر على اتخاذه الا اذا كانت رغبته المستهجنة
في التخلص من الأب كعائق تظهر لأول مرة في هذه المناسبة ، بينما
هي في الواقع رغبة كبتت منذ وقت طويل ، ومن ثم لم يكن بوسعها أن
يتصرف ازاءها الا كما تصرف من قبل في طفولته ، واذن كانت في مأمن
من القضاء عليها • فتلك الرغبة (رغبة التخلص من أبيه كعائق) لا بد
وأن تكون قد نشأت في وقت كانت فيه الظروف جد مختلفة ، في وقت
ربما لم يكن فيه بعد يجب أباه أكثر من الشخص موضوع شهويته ،
أو في وقت كان فيه لا يقتدر بعد على اتخاذ قرار واضح • وعليه
فلا بد وأن ذلك كان في طفولته جد الباكرا ، قبل أن يبلغ السادسة
من عمره ، وقبل أن تشكل ذكرياته وحدة متصلة ، ولا بد وأن تكون
الامور قد بقيت على حالها منذ ذلك الحين • — وبهذا التفسير توقفه
حديثنا في ذلك اليوم •

وفي الجلسة التالية ، وهي السابعة ، أستأنف المريض من جديد الحديث في نفس الموضوع . قال انه لا يستطيع أن يصدق بأنه كانت لديه يوما مثل هذه الرغبة ضد أبيه . واسترسل يقول بأنه يذكر رواية للكاتب سودمان تركت في نفسه انطباعا عميقا . هذه الرواية تصور امرأة استشعرت ، وهي تجلس الى فراش أختها المريضة ، الرغبة في أن تموت أختها هذه بحيث تتمكن هي بعد موتها من أن تتقترن بزوجها . وعلى اثر ذلك انتحرت المرأة اعتقادا منها بأنها ليست جديرة بالحياة بعد ما هوى بها الاثم الى هذه الخساسة . قال أن بوسعه أن يفهم ذلك تماما ، وأنه لن يكون الا عدلا أن نتسبب أفكاره في موته هو ، لانه لا يستحق أقل من ذلك (١) . — نهته الى أنه من الحقائق جد المعروفة لدينا أن المرضى يحصلون من مكابذاتهم على نوع من الاشباع ، بحيث أنهم جميعا في الواقع يقاومون الى حد ما شفاءهم . وطلبت اليه أن لا يغيب عن باله أن علاجا كعلاجنا هذا تصحبه دائما مقاومة ، ولم أتوقف عن تذكره بذلك .

وعندئذ مضى يقول بأنه يرغب في التحدث عن فعل اجرامي ، لا يتعرف في مرتكبه على نفسه ، وان كان يذكر تماما أنه ارتكبه . وذكر نصا من نيتشه (٢) : « اتى فعلت ذلك » تقول ذاكرتي « كلا ، لا يمكن أن أكون قد فعلت ذلك » يقول كبريائي في اصرار لا يلين . وفي النهاية تنهزم ذاكرتي . واستطرد يقول : « حسنا ، فان ذاكرتي لم تنهزم في هذه النقطة » . — « ذلك على وجه التحديد لانك تستمد لذة من تأنيباتك الذاتية ، من حيث هي وسيلة لعقوبة الذات » . — « ان أخى الاصغر (وانى في الواقع أحبه الآن كثيرا ، وهو يسبب لى في الوقت الحاضر قدرا كبيرا من المشغولية ، لانه يريد أن يعقد زواجا

(١) شعور الاثم هذا اشد ، يكون تناقضا مع انكاره السابق لرغبته في موت أبيه . وذلك نمط شائع من الاستجابة لفكرة مكبوتة بزغت الى الشعور : فالانكار يعقبه مباشرة اثبات ، وان يكن بشكل غير مباشر .
Tenaets von Gut und Bose, iv, 68. (٢)

(فيما وراء الخير والشر) .

هو في رأي حماقة ، وقد خطر لى قبل الآن أن أذهب فأقتل تلك الشخصية حتى أحول بينه وبين الزواج منها) حسنا ، ان أخى الاصغر هذا وأنا كثيرا ما كنا نتعارك ونحن أطفال . وكان كل منا جد مغرم بالآخر في نفس الوقت ، ولم نكن يفترق أحدنا عن الآخر . ولكنى كنت ببساطة أمتلىء غيرة منه لانه كان أكثر منى قوة وأكثر وسامة ، ومن ثم كان يحظى بالتفضيل » . - « نعم . فقد سبق أن وصفت لى مشهدا من الغيرة يتصل بالآنسة لينا » . - « حسنا ، بعد حادث من هذا النوع (كان ذلك بالتأكيد قبل أن أبلغ الثامنة ، لاننى لم أكن يعد قد ذهبت الى المدرسة ، وهى التى بدأت الذهاب إليها فى الثامنة) بعد حادث من هذا النوع ، فقلت ما يلى : كان لدينا نحن الاثنين بندقيتان للعب من النوع العادى . عمرت بندقيتى بعضا تنظيف البندقية وقتلت له أن ينظر فى الماسورة ليرى شيئا . وبينما كان ينظر الى داخل البندقية ضغت على الزناد . جاءت الضربة فى جبهته ولكنها لم تصبه بأذى . ولكن كان فى نيتى فى الواقع أن أوذيه جدا . وبعد ذلك خرجت عن طورى تماما ، وألقيت بنفسى على الارض ، وساءت نفسى كيف كان من الممكن على الاطلاق أن أفعل شيئا كهذا . ولكنى فعلت ذلك » . - وانتهزت الفرصة للتدليل على رأيى . فاذا كان قد احتفظ بذكرى فعل غريب على نفسى الى هذا الحد ، فليس فى وسعه أن ينكر امكانية حدوث شىء مشابه ، نسيه الآن تماما ، اذ حدث له فى سن أبكر من ذلك ويتصل بأبيه - عندئذ أخبرنى بأنه على وعى من أنه استشعر أيضا حفزات انتقامية ، ولكن فى هذه المرة ضد السيدة الشابة التى كان يحبها حبا مليئا بالتبجيل ، والتى قدم عن شخصيتها لوححة فى حماسة متقدة قال ، ربما يكون من الصحيح أنها لا تستطيع أن تحب فى يسر ، ولكنها كانت تحتجز نفسها كلية لذلك الرجل الواحد الذى ستكون له يوما . لم تكن تحبه ، وعندما تيقن من ذلك ، تخلقت فى رأسه أخبولة شعورية عن مدى ما سيصير اليه يوما من ثراء عريض ، فيتزوج من امرأة أخرى ، وعندئذ يصحبها لزيارة تلك السيدة الشابة كيما يؤذى مشاعرها . ولكن عند هذه النقطة توقفت الاخبولة ، لانه كان مضطرا لان يصارح نفسه بأن المرأة الاخرى (زوجته) لا يهمها

شئ من أمره ، وعندئذ اختلطت عليه الافكار ، وفي النهاية استقر في ذهنه بوضوح أن هذه المرأة الاخرى يتحتم أن تموت في هذه الاخيولة ، تماما كما في محاولته ضد أخيه ، تبين في نفسه هذه السمة ، التي تروعه بشكل خاص ، وهي الجبن (١) • — وفيما تلا من حديث ، نبهته الى أنه يتحتم عليه أن يعتبر نفسه غير مسئول بحال عن أية سمة من مثل هذه السمات في شخصيته ، لان كل هذه الحفزات المستهجنة نشأت من طفولته ، فهي تناظر مشتقات من شخصيته الطفلية ، ما تزال باقية في لا شعوره • كما يتحتم عليه أن يعرف أن المسؤولية الاخلاقية لا يمكن تطبيقها على الاطفال • وأضفت قائلاً أنه انما بفضل عملية نمو يشب الرائد ، بمسئوليته الاخلاقية ، عن طوق مجموعة استعداداته الطفلية (٢) • وعلى أية حال ، فقد عبر مريضى عن شكه في أن تكون كل حفزاته الشريرة قد نشأت من هذا المصدر • ولكنى وعدته بأن أثبت له ذلك في مسار العلاج •

ومضى المريض يذكر أن مرضه قد استفحل بدرجة خطيرة منذ موت أبيه • وقلت له بأننى أتفق معه في ذلك بقدر ما أعتقد أن حزته على موت أبيه هو السبب الرئيسى في استفحال مرضه • فان حزته قد وجد في مرضه ، ان جاز القول ، تعبيره الباثولوجى • وأخبرته بأنه بينما فترة الحداد العادية يمكن أن تمتد من عام الى عامين فان الحداد الباثولوجى ، من قبيل حداده ، يمكن أن يمتد الى غير نهاية •

ذلك من تاريخ الحالة هو كل ما أستطيع أن أعرضه في تفصيل وتتابع منطقى وهو يطابق على وجه التقريب هذا الجانب الايضاحى من العلاج ، وهذا العلاج قد امتد أكثر من أحد عشر شهرا •

(١) هذه السمة عنده سوف تجد تفسيراً فيما بعد .

(٢) انى انما أوردت هذه الحجج لادلل لنفسى مرة اخرى على عدم جدواها • وليس بوسعى أن أفهم كيف أن معالجين نفسيين آخرين يستطيعون أن يؤكدوا أنهم يهاجمون الاعصبة بنجاح بمثل هذه الاسلحة .

(هـ) بعض الأفكار القهرية وتفسيرها

ان الأفكار القهرية ، كما هو معروف تماما ، تبدو في الظاهر عديمة الدافع أو عديمة المعنى ، شأنها تماما شأن الأحلام . والمشكلة الاولى هي أن نعثر لها على معنى ، وعلى مكان ضمن سياق الحياة النفسية للفرد ، بحيث نجعلها متاحة للفهم ، بل ومعقولة . ويحسن بنا في محاولتنا ترجمة هذه الأفكار القهرية ، أن لا نتزعج أبدا مما تبدو عليه من استحالة على الفهم . فأكثر الأفكار القهرية غرابية وأغرابا يمكن توضيحها اذا ما تعمقنا بحثها بدرجة كافية . فنحن نعثر على تفسيرها متى تبيننا العلاقة الزمنية بين الافكار القهرية وتجارب المريض ، أى بتقصينا متى ظهرت لأول مرة فكرة قهرية معينة ، وفي ظل أية ظروف خارجية يمكن أن تعاود الظهور عادة . وعندما لا تنجح فكرة قهرية — وهو ما يحدث غالبا — في أن تستمر في الوجود بشكل دائم ، فان مهمة توضيحها تكون أيسر بنفس الدرجة ومتى عثرنا على العلاقات البينية التي تربط الافكار القهرية بتجارب المريض ، يكون من اليسير علينا أن تقنع بأن ما من صعوبة تعترض بلوغنا الى أى شئ آخر يمكن أن يكون محيرا أو جديرا بالمعرفة في البناء الباثولوجي الذي نحن بصدده : دلالة الفكرة القهرية ، وميكانيزم نشأتها ، والقوى النفسية الغريزية التي صدرت عنها .

وكمثال واضح بنوع خاص سوف أبدأ ياحدى الحفريات الانتحارية، هذه التي كثيرا ما تواتر ظهورها عند مريضنا . فهذا المثال يكاد يتضح تحليله من مجرد سرده . قال لى انه ذات مرة ضاعت عليه ثلاثة أسابيع بغير مذاكرة ، بسبب تغييب السيدة الشابة التي كان يحبها : كانت قد سافرت لتمريض جدتها التي اشتد عليها المرض . وبينما كان مستغرقا في جزء جد عويص من مذاكرته خطرت له الفكرة : « لو تلقيت أمرا بأن تؤدى امتحانك عن هذه الفترة الدراسية في أول فرصة تسنح ، فيمكنك أن تتدبر بحيث تطيع الأمر . ولكنك اذا تلقيت أمرا بأن تطيع رقيبك بموسى ، فماذا أنت فاعل ؟ » وفجأة

أحسب بأن هذا الأمر قد صدر إليه بالفعل ، واندفع الى خزائنة الملابس يفتش عن الموس ، وعندئذ خطرت له الفكرة : « كلا ليست المسألة بهذه البساطة • ينبغي (١) أن تذهب فتقتل هذه العجوز » • وفي اثر ذلك سقط على الارض في مكانه مرتعبا •

وفي هذا المثال توجد العلاقة بين الفكرة القهرية وتجارب المريض ضمن الكلمات الافتتاحية من قصته • فالسيدة الشابة التي يجربها كانت متغيبية ، بينما كان هو مستغرقا في جزء جد عويص من مذاكرته استعدادا لامتحانه ، حتى يقرب ما أمكن من يوم اقترانه بها • وبينما كان مستغرقا في عمله استبد به الحنين الى سيدته الشابة ، ففكر في سبب تغيبها • واستولى عليه ما كان من الممكن أن يكون ، عند رجل سوى ، نوعا من الشعور بالحنق ضد جدتها : « لماذا يتحتم أن تمرض هذه العجوز في الوقت الذي أحن فيه بكل هذه الشدة الى رؤية حبيبتي ؟ » وينبغي أن نفترض أن شيئا مماثلا ، ولكن أكثر شدة بكثير ، قد حدث في نفس مريضنا — نوبة غضب لا شعورية يمكن أن تأتلف مع حنينه فتترجم عن نفسها في هذه العبارة : أوه ! بودى أن اذهب فأقتل هذه العجوز التي تسلبني حبيبتي ! » وعندئذ يأتي في اثر ذلك الأمر « أقتل نفسك ، عقوبة على هذه النزوات الهمجية السفاحة ! » كل هذه العملية تبرز في شعور المريض القهرى مصحوبة بأعنف الوجدانات ، ولكن في ترتيب معكوس : الامر بالعقوبة أولا ، وبعد ذلك ينفجر ذكر الرغبة الاثمة • ولست أعتقد أن هذه المحاولة للتفسير تبدو منعسفة ، أو أنها تتطوى على كثرة من العناصر الافتراضية •

وثمة حفزة أخرى يمكن اعتبارها انتحارية بشكل غير مباشر ، وقد لازمته فترة طويلة ، ولم يكن تفسيرها بنفس الدرجة من اليسر • ذلك أن علاقتها بتجارب المريض نجحت في أن تتحجب وراء ارتباط

(١) يقتضى المعنى هنا أن نضيف كلمة أولا •

من تلك الارتباطات الخارجية الصرفة هذه التي ينفر منها كثيراً
تفكيرنا الشعوري •

ذات يوم بينما كان في رحلة في أجازة صيف خطرت له فجأة
فكرة أنه مسرف البدانة (بالالمانية Dick) ، وأنه يتحتم عليه أن
ينقص من وزنه • ومن هنا بدأ يغادر المائدة قبل توزيع الحلوى ،
ويندفع في الطريق بغير قبعة في الحرارة القائطة لشمس أغسطس ،
ثم يشرع في تسلق الجبل وهو يجرى ، فلا يتوقف الا بعد أن يغرقه
العرق •• وفي احدى المناسبات برزت نواياه الانتحارية عارية من
وراء هوسه هذا في أن ينقص من وزنه • فبينما كان يقف ذات يوم
على حافة جرف شديد الانحدار تلقى فجأة الامر بأن يقفز الى أسفل،
مما كان يؤدي به الى موت محقق • ولم يكن بوسع مريضنا أن يعثر
على تفسير لهذه الحفزة القهرية اللامعقولة ، حتى خطر له فجأة
أن سيدته الشابة كانت في ذلك الوقت تنزل في نفس المصيف ، ولكنها
كانت في صحبة ابن عمومة لها من الانجليز ، كان شديد الحذب عليها،
وكان مريضنا شديد الغيرة منه • كان ابن العمومة هذا اسمه ريتشارد،
وبحسب العادة المألوفة في انجلترا كانت شهرته ديك Dick • كان
مريضنا يرغب في أن يقتل هذا الـ « ديك » ، كانت غيرته منه وحنقه
عليه أكثر بكثير مما يستطيع أن يعترف به لنفسه ، وكان ذلك هو
السبب في أنه فرض على نفسه من قبيل العقوبة هذه المكابذات
للانقاص من وزنه • هذه الحفزة القهرية قد تبدو جد مختلفة عن
الامر المباشر بالانتحار ، وهو الذي شرحناه آنفاً ، ولكنها يشتركان
مع ذلك في خاصية واحدة هامة • فكلاهما قد نشأ استجابة لغضب جد
عنيف — غير متاح للشعور — يتجه ضد الشخص الذي يعكر
الخب (١) •

(١) ان استخدام الاسماء والكلمات لخلق ارتباطات بين الافكار
اللاشعورية (حفزات وأخايل) من ناحية ، والاعراض من ناحية أخرى،
يوجد في العصاب القهري بدرجة أقل تواتراً بكثير وأقل غلظة مما عليه

ومع ذلك فإن بعض القهور الأخرى عند المريض ، وان كانت أيضا تدور حول سيدته الشابة ، تكشف عن ميكانيزم مختلف وترجع بأصلها الى غريزة مختلفة ، فبالإضافة الى هوسه في أن ينقص من وزنه ، استحدثت سلسلة بأسرها من القهور ، وذلك في الفترة التي كانت فيها سيدته الشابة تنزل في نفس المصيف ، وكانت هذه القهور، بشكل جزئي على الاقل ، تدور مباشرة حول هذه السيدة . فذات يوم ، وكان معها في نزهة بالقرب ، وعصفت ريح شديدة ، تحتم عليه أن يرغمها على أن تلبس قلنسوته ، لان أمرا كان قد تكون في ذهنة بأن ما من شيء ينبغي أن يحدث لها (٢) . كان ذلك نوعا من قهر الحماية ، واليك أمثلة أخرى منه . ففي مرة أخرى بينما كانا يجلسان معا أثناء عاصفة رعديّة ، اعتراه قهر ، لا يدري له سببا ، بأنه يتحتم عليه أن يعد الى أربعين أو خمسين بين كل ومضة برق وقصفة الرعد التي تصحبها . وفي يوم رحيلها ارتطمت قدمه بحجر ملقى في الطريق فتحتم عليه أن يحمله بعيدا عن الطريق ، لان الفكرة خطرت له بأن عربة حبيبته سوف تهر بعد ساعات في هذا الطريق ، ويمكن أن تتعرض لحادثة بسبب هذا الحجر . ولكن بعد دقائق قال لنفسه بأن ذلك سخف ، وتحتم عليه أن يعود ثانية ليعيد الحجر الى مكانه الاصلى في منتصف الطريق . وبعد أن رحلت السيدة الشابة أصبح مريضنا فريسة لقهر الفهم ، مما جعله بلاء لا يطاق بالنسبة الى جميع رفقاءه،

الحال في الهستيريا . ومع ذلك ، يحضرنى مثال آخر جرى فيه استخدام نفس هذا الاسم « ريتشارد » استخداما مماثلا من جانب مريض قمت بتحليله منذ وقت طويل . فهذا المريض ، على اثر عراق مع شقيقة راح يقدر فكره بشكل قهري للعثور على وسيلة يتخلص بها من ثروته ، معلنا أنه لم يعد يرغب في أن تكون له أية علاقة بالمال ، وما الى ذلك . وكان اسم أخيه ريتشارد Rickard (ريشارد) في الفرنسية تعني « رجل غني » .

(٢) « مما يمكن أن تقع على لائمه » هذه الكلمات تنبئ اضافتها ليكمل المعنى .

كان يحتم على نفسه أن يفهم على وجه التحديد معنى كل مقطع مما يقال له ، وكأنه لو فاته ذلك يضيع كنزاً لا يقدر بثمن • ومن هنا فقد ظل يسأل : « ماذا كان هذا الذي تفوهت به الآن ؟ » • وبعدما كان محذثه يكرر عليه ما قاله كان يتحتم عليه أن يعتقد بأنه سمع شيئاً مختلفاً في المرة الاولى ، ويغلبه شعور بعدم الرضا •

كل هذه المظاهر لمرضه كانت تستند الى حدث بعينه كان يحكم في تلك الفترة علاقاته مع سيدته الشابة • هذا الحدث كان قد وقع في فيينا ، قبل زواجه الى الريف • فبينما كان يستأذن سيدته الشابة في الرخيل في أجازة الصيف ، قالت له شيئاً فهمه على أنه رغبة من جانبها في أن تتبرأ منه على مشهد من بقية الصحاب ، وقد جعله ذلك جد تعس • وأثناء إقامتها في الأجازة بالصيف ، سنحت الفرصة لمناقشة هذه المسألة ، واستطاعت السيدة الشابة أن تثبت له أن كلماتها تلك التي أنشأ فهمتها ، كانت على العكس تستهدف حمايته من أن يكون موضع سخرية • وقد جعله ذلك جد سعيد من جديد • وكان أوضح تلميح لهذا الحادث متضمناً في قهر الفهم ، هذا الذي أنبنى صرخه وكان المريض يقول لنفسه : « بعد مثل هذه التجربة يتحتم عليك أن لا تسىء فهم أى شخص مرة أخرى ، لو شئت أن توفر على نفسك ألماً لا داعى له » • وهذا القرار لم يكن فقط مجرد تعميم ابتداء من حدث وحيد ، بل كان أيضاً نقل — ربما بسبب غياب السيدة الشابة — من شخصية وحيدة عالية المكانة عنده الى جميع الآخرين الأدنى منها • وقهر الفهم هذا ما كان يمكن أن ينشأ ، ليس غير ، عن الرضا الذي استشعره من التفسير الذي قدمته اليه السيدة الشابة ، فلا بد وأن هذا القهر يعبر عن شىء أو آخر بالإضافة الى ذلك ، لان مريضنا ينتهى دائماً ، في هذا القهر ، بأن يشك ، في عدم رضا ، فيما ان كان ما سمعه في المرة الاولى قد أعيد عليه بشكل صحيح •

والاوامر القهرية الاخرى التى ذكرناها تضعنا على الطريق الى هذا الشىء الآخر • فقهر الحماية عنده لا يمكن أن يكون الا استجابة

— تعبر عن الندم والتكفير — لتقيض هو حفزة عدائية ، استشعرها
 حتما تجاه سيده الشاب ، قبل أن توضح له حقيقة المسألة . وقهر
 الغد عنده أثناء العاصفة الرعدية يمكن فهمه — بالاستعانة ببعض
 المعطيات التي قدمها — على أنه إجراء دفاعي ضد مخاوف من خطر
 الموت . وتحليل القهور التي تناولناها في البداية قد تنبها الى أن
 نعتبر الحفزات العدائية عند مريضنا عنيفة بشكل خاص ، وأنها من
 قبيل الحق الارعن ، فما نحن نتبين ، حتى بعد أن أوضحت له السيدة
 الشابة حقيقة المسألة ، أن حنقه ضد هذه السيدة استمر يسهم في
 تكوين قهوره . فقهر الشك عنده ، فيما أن كان قد سمع على نحو
 صحيح ، هو تعبير عن الشك الذي ما يزال يكمن متربصا في نفسه ،
 فيما أن كان قد فهم حقا سيده الشاب فمها صحيحا ، وفيما أن كان
 على حق اذ اعتبر كلماتها دليلا على حبها له . فالشك المتضمن في قهر
 الفهم عنده هو شك في حبها له . فهناك صراع بين الحب والكراهية
 يحدث في قلب هذا العاشق ، وموضوع كل من هاتين العاطفتين هو
 شخص واحد وبعينه . وهذا الصراع قد ترجم عن نفسه في صورة
 عيانية في فعل قهري عظيم الدلالة في رمزيته : ابعاده الحجر عن
 الطريق الذي كانت ستمر به عربتها ، ثم محوه هذا الصنيع العشقي
 باعادته الحجر الى مكانه الاصلى ، بحيث يمكن أن تتعرض عربتها
 للاصطدام به وتصاب هي نفسها بأذى . ولن يكون حكما صحيحا
 على هذا الجزء الثاني من الفعل القهري اذا ما وقفنا في تقديره عند
 السطح ، فاعتبرناه مجرد دحض منطقي لفعل مرضى ، وتلك دلالة
 يود المريض أن يضيفها عليه . فهذا الجزء من الفعل — بالنظر الى أن
 المريض قد قام به بشكل قهري — يفسح بذلك كيانه كجزء من هذا
 الفعل المرضي ، ولكنه يرجع في تحديده الى دافع مضاد لذلك الدافع
 الذي يحدد الجزء الاول من الفعل القهري .

ان الافعال القهرية من هذا القبيل ، في مرحلتها المتعاقبتين ،
 والتي فيها المرحلة الثانية تمحو المرحلة الاولى ، هي ظواهر نمطية
 في الاعصبة القهرية . وطبيعي أن يسيء التفكير الشعوري للمريض
 فهم هذه القهور ، فيفسرها بردها الى دوافع ثانوية — أي يلجأ

باختصار الى تعقيها (١) . ولكن دلالتها الحقيقية تكمن في كونها تعبيراً عن صراع بين حفزتين متضادتين متساويتين في القوة تقريباً . وقد وجدت حتى الآن أن هذا التعارض كان دائماً أبداً تعارضاً بين الحب والكراهية . والافعال القهرية من هذا القبيل تتطوى على أهمية خاصة من الناحية النظرية ، لأنها تكشف لنا عن نمط جديد في تكوين الاعراض . فالذى يحدث بانتظام في الهستيريا هو مصالحة يتم الوصول إليها نتيجاً للنزعتين المتضادتين كليهما في نفس الوقت أن تترجما عن نفسيهما - مما يتيح ضرب عصفرين بحجر واحد (٢) ، بينما هنا في العصاب القهري تترجم كل من النزعتين المتضادتين عن نفسها على نحو منفرد ، احدهما أولاً ثم تليها الاخرى ، وان كانت هناك محاولة بالطبع لاقامة نوع من العلاقة المنطقية (غالباً ما تكون مجافية لكل منطق) بين النزعتين المتضادتين (٣) .

(١) قارن ارنست جونز في مقاله (التعتيل في الحياة اليومية)

Rationalization in Every-day Life, 1908 (J. of Ab. Psy) .

(٢) تارن (الاخييل الهستيرية في صلتها بالجنسية الثائية ،

فرويد ١٩١٨) .

Hysterical Phantasies and their Relation to Bisexuality, Col.

Papers, Vol. II.

(٣) مريض آخر بالعصاب القهري حكى لى مرة القصة التالية ، كان يسير ذات يوم في حديقة شونيرون (بفينا) عندما ارتطمت قدمه بفرع شجرة ملقى على الارض التقطه وقذف به بين الشجيرات التي تمتد على حافة الطريق . وفي طريق عودته الى البيت استبد به فجأة الانزعاج من أن فرع الشجرة في وضعه الجديد يمكن أن يكون بارزاً بعض الشيء فيتسبب في اذاء شخص يمر من نفس الطريق من بعده . تحتم عليه أن يقفز من الترام مهولاً الى الحديقة ومتجهاً الى نفس المكان ، فاعاد فرع الشجرة الى مكانه الاصلى على الارض .

وذلك على الرغم من أن أى شخص آخر غير المريض كان سيجد على العكس أن فرع الشجرة هو بالضرورة أكثر خطراً على المارة في وضعه الاصلى على الارض منه حيث وضعه بين الشجيرات . والفصل الثانى العدوانى ، الذى قام به بشكل قهري قد تزيد في فكره الشعورى بدواعي تنتمى في الواقع للفعل الاول الانسانى .

أن الصراع بين الحب والكراهية قد ترجم عن نفسه عند مريضنا في مظاهر أخرى أيضا . ففي الوقت الذي عاودته فيه نزعته الى الورع ، كان من عادته أن يبتدع لنفسه صلوات كانت تستغرق منه وقتا أكثر فأكثر ، حتى بلغت ساعة ونصفا . وكان السبب في ذلك أنه تبين ، على العكس من بلعام (١) ، أن شيئا ما يندس دائما بين كلماته الورعة فيقلب معناها الى الضد . فلو قال مثلا : « يحفظه الله » فان روحا شريرة تسارع فتدس كلمة « لا » . وفي إحدى هذه المناسبات خطرت له الفكرة بأن يتلو لعنات ، اعتقادا منه بأنه في هذه الحالة لا بد وأن تندس الكلمات المضادة . وفي فكرته هذه استطاع مقصده الاصلى ، الذي كانت تكبته صلواته ، أن يشق طريقه . وفي النهاية وجد خلاصه من محنته في أن يهجر الصلوات واضعا في مكانها صيغة موجزة ، تتألف من الحروف أو المقاطع الاولى لصلواته المختلفة . وكان يتلو هذه الصيغة على نحو من السرعة بحيث لا يمكن أن يندس فيها شيء .

وحكى لى المريض ذات مرة حلما يترجم عن نفس الصراع في طرحه على المحلل : حلم المريض أن أمى قد ماتت ، وكان يتوق أن يقدم لى عزاءه ، ولكنه كان يخشى أن ينفجر ، أثناء قيامه بذلك ، في ضحكة وحقنة ، على نحو ما تكرر ذلك منه في مناسبات مماثلة ماضية . ومن ثم فقد فضل أن يترك لى بطاقته بعد ما يدون عليها حرفى العزاء P.C. ، ولكن الحرفين استحالوا أثناء كتابتهما الى حرفى التهنة P. F. .

كانت الطبيعة المتناقضة لعواطفه تجاه سيده الشابة من الواضح بحيث يستحيل عليها أن تقبل تماما من ادراكه الشعورى ، وان يكن لنا أن نستخلص ، من الطابع القهري لهذه العواطف المتناقضة ، أنه كان يستحيل عليه أن يقبل مدى شدة حفزاته السالبة

(١) (نعرف من العهد القديم ان بلعام كان نافذ الدعاء ، فالذى يباركه مبارك والذي يلعنه ملعون) سفر العدد ٢٢ - (المترجمون) .

ضد هذه السيدة . كانت هذه السيدة الشابة قد رفضت منذ عشر سنوات أول طلب منه للزواج بها . ومنذ ذلك التاريخ تناوبت عليه فيما يعلم فترات : فترات يعنتقد أثناءها أنه يجبها بشدة ، وفترات يشعر فيها أنه لا يحفل بها . وفي كل مرة أثناء العلاج تجابهه ضرورة اتخاذ خطوة تقربه من النهاية السعيدة لعلاقتها الغرامية ، كانت المقاومة عنده تتخذ في العادة صورة الاقتناع بأنه في نهاية الامر لم يعد يحفل بها كثيرا — وان كان من الصحيح أن هذه المقاومة كانت سريعا ما تنهار . وذات مرة عندما كانت السيدة الشابة طريحة الفراش من شدة المرض ، وكان هو أشد ما يكون انشغالا عليها ، حطرت له ، وهو ينظر اليها ، رغبة في أن ترقد هكذا الى الابد . وقد شرح هذه الفكرة بسفسطة عبقرية : مدعيا بأنه انما تمنى لها أن تظل أبدا مريضة حتى لا يكابد هذا الخوف المروع من أن تقع حبيبته من جديد فريسة للمرض ! (١) . وبين حين وآخر كان من عادته أن يشغل ذهنه بأحلام يقظة ، كان يتعرف عليها هو نفسه بوصفها « أخاييل انتقام » ، وكان يستشعر الخجل من ذلك . ومن ذلك أنه ، اعتقادا منه بأن سيدته الشابة تولى أهمية كبيرة للمركز الاجتماعي لرجل يريد الزواج منها ، تكونت لديه الاخيولة التالية : تتزوج هي من موظف كبير ، ويدخل مريضنا في نفس هذا المجال من العمل مع ذلك الموظف ، ويتقدم مريضنا بأسرع منه كثيرا ، بحيث يصبح ذلك الموظف تحت رئاسته . وذات يوم يرثكب ذلك الموظف فعلة تتنافى مع الامانة ، فتأتى زوجته وترتمى عند أقدام مريضنا وتتوسل اليه أن ينقذ لها زوجها . فيعدها بذلك ، ولكنه يكشف لها عن أنه لم يلتحق بهذا العمل الا بدافع حبه لها ، وتوقعا منه لمثل ما حدث . أما الآن ، وقد أنقذ لها زوجها ، فقد انتهت رسالته ، فيقدم استقالته .

وقد تكونت لديه أخاييل أخرى كان يسدى فيها خدمات كبيرة

(١) ليس من شك في أن دانعا آخر قد أسهم في نشأة هذه الفكرة التهريية : هو رغبته في أن يراها عاجزة عن الدفاع أمام رغبته .

لسيدته الشابة دون أن تدري هي أنها قد صيرت عنه . في هذه الأحيال .
لم يتعرف الا على جبهه ، دون أن يتبين بدرجة كافية أصل أريحيته
هذه ، وما يستهدفه من كيت تعطشه للانتقام ، على طريقة الكونت دي
مونت كريستو عند ديماس . ومع ذلك فقد اعترف بأنه أحيانا ما كانت
تستبد به حفزات جد واضحة الى أن ينزل الضرر بالسيدة التي يحبها .

(و) السبب المباشر للمرض

وذات يوم حكى لى المريض ، بشكل عرضي ، حادثة ، استطعت
أن أتبين فيها على الفور السبب المباشر لمرضه ، أو على الأقل السبب
المباشر الحديث لهذه النوبة التي تفجرت منذ ست سنوات ، والتي
ما تزال مستمرة حتى اليوم . لم يكن هو نفسه على وعى بأنه أدلى
بشيء ذي أهمية ، وهو لا يستطيع أن يتذكر أنه قد أولى يوما هذه
الحادثة أى اهتمام ، هذا الى أنه لم ينس الحادثة قط . مثل هذا
الاتهام من جانبه يتطلب ايضا نظريا .

في الهستيريا ، القاعدة هي أن الاسباب المباشرة الحديثة للمرض
يجتاحها النسيان (الامنيزيا) بقدر ما يحتاج التجارب الطفلية التي
يفضلها تتمكن الاسباب المباشرة الحديثة من تحيل طاقتها الوجدانية
الى أعراض . وحيث لا يستطيع النسيان أن يكون مكتملا ، فإنه
يفرض على السبب المباشر الحديث الصدمى عملية تآكل فيسلبه على
الاقل أهم عناصره المكونة . في مثل هذا النسيان نتبين الدليل على
الكبت الذي حدث . ولكن الامر مختلف في الاعصبة القهرية . فالاصول
الطفلية يمكن أن يكون قد اجتاحها النسيان ، وان يكن هذا النسيان في
العالم غير مكتمل ، أما الاسباب المباشرة الحديثة للمرض فهي على
العكس من ذلك تظل باقية في الذاكرة . فالكبت هنا يستخدم ميكانيزما
آخر (١) ، هو في الواقع أبسط : فالسبب المباشر (الصدمة) ، بدلا

(١) يعرف الآن باسم ميكانيزم العزل في الانجليزية والفرنسية
isolation (المترجمون) .

من أن يعانى النسيان ، يتجرد من شحنته الانفعالية ، بحيث أن ما يبقى منه فى الشعور لا يزيد عن المضمون الفكرى مجردا تماما عن كل لون ، فيبدو لصاحبه عديم الاهمية • والاختلاف بين ما يحدث فى الهستيريا وما يحدث فى العصاب القهرى ، أى بين هذين النوعين من الكبت ينحصر فى العملية النفسية التى بوسعنا أن نعيد بناءها وراء الظاهرة ، والنتيجة هى دائما على وجه التقريب واحدة فى الحالتين ، لان المضمون الفكرى العديم اللون نادرا ما يلتفت اليه المريض • فهو لا يلعب أى دور فى حياته النفسية الشعورية •

وكيما نميز بين هذين النوعين من الكبت ليس لدينا فى السطح ما يمكن التعويل عليه ، اللهم الا توكيد المريض بأنه يشعر فى حالة (العصاب القهرى) بأنه كان دائما يعرف الحادثة ، وأنه يشعر فى الحالة الأخرى (الهستيريا) بأنه قد نسى الحادثة منذ زمن بعيد (١) •

ذلك هو السبب فيما يحدث كثيرا من أن العصابين القريين ، الذين يعانون التأنيبات الذاتية ، والذين ربطوا وجداناتهم هذه بأسباب زائفة ، يذكرون للمحلل فى نفس الوقت الاسباب الحقيقية لتأنيباتهم الذاتية ، دون أن يتجه ظنهم قط ان هذه التأنيبات قد انفصلت ببساطة عن تلك الاسباب الحقيقية • وهم حين يذكرون مثل هذه الحادثة ، التى هى السبب الحقيقى لتأنيباتهم الذاتية ، فانهم أحيانا ما يضيفون فى دهشة ، أو حتى فى كبرياء « ذلك ما لا يحرك

(١) وعليه ينبغى التسليم بأنه فى حالة العصاب القهرى يوجد نوعان من المعرفة ، فمن المنطقى بنفس الدرجة أن نقول ان المريض « يعرف » صدماته ، أو أن نقول بأنه لا يعرفها • فهو يعرفها من حيث أنه لم ينسها ، وهو لا يعرفها من حيث أنه على غير وعى بدلالاتها ، وغالبا ما يكون الامر كذلك فى الحياة العادية • فالخدم الذين كان من عادتهم أن يخدموا شوبنهور فى مطعمه المألوف كانوا « يعرفونه » بمعنى ما ، وذلك فى وقت لم يكن فيه عدا ذلك معروفا فى فرانكفورت أو فى خارجها ، ولكنهم لم يكونوا يعرفونه بالمعنى الذى نعنيه حين نتحدث اليوم عن شوبنهور •

عندي ساكنا » • كان ذلك هو ما حدث في الحالة الأولى من العصاب القهري التي أتاحت لي ، منذ سنوات عديدة ، أن أفهم طبيعة هذا المرض • كان المريض ، وهو موظف حكومي ، يعاني من وسوسات لا حصر لها • كان هو نفس الرجل الذي سبق أن وصفت فعله القهري المنصب على فرع الشجرة في حديقة شوتبرون • لفت انتباهي أن أوراق العملة التي كان يدفعها لي أجرا للجلسات كانت دائما أبدا نظيفة ولا معة (كان ذلك قبل أن تظهر العملة الفضية عندنا في النمسا) • وأشارت إليه ذات مرة بأن المرء يستطيع دائما أن يتعرف على موظف الحكومة بأوراق العملة الجديدة التي يتسلمها من خزانة الدولة ، وعندئذ اخبرني بأن أوراق العملة التي يقدمها لي ليست جديدة بحال ، ولكنه كان « يكوئها » في منزله • وقال موضحا بأنها كانت عنده مسألة ضمير أن لا يقدم لاحد أوراق عملة قذرة ، لأنها تأوى كل أنواع الميكروبات الخطرة ، ويمكن أن تسبب ضررا للذي يتسلمها • في ذلك الوقت لم تكن لدى الافكرة غائمة عن العلاقة بين الاعصبة والحياة الجنسية ، ومن هنا اجترأت في مناسبة أخرى أن أسأل المريض عن موقفه من تلك المسألة • أجابني في مرح : « هذا على ما يرام تماما • فاني لا أعاني على الاطلاق أى حرمان في هذا المجال • ذلك أنى ألب دور العم العزيز في عدد من الاسر الراقية ، وبين حين وآخر استغل وضعي هذا لادعو شابة صغيرة لتخرج معي لقضاء يوم من الفزهة في الريف • وبعد ذلك أرتب الامر بحيث يفوتنا القطار الاخير للعودة ، فنكون مضطرين لقضاء الليل بعيدا عن المدينة • وأستأجر دائما غرفتين — اذ أنى أتصرف بسخاء • وعندما تكون الفتاة في فراشها أذهب اليها ، واستمنيها بأصابعي » • « ولكن ألا تخشى أن يصيبها بأذى وأنت تعبت بيدك القذرة في عضوها ؟ » — عند ذلك تفجر غاضبا : « أذى ؟ كيف يمكن أن يصيبها ذلك بأذى ؟ لم يسبب ذلك حتى الآن أى أذى لاية واحدة منهم ، وكن كلهن يستمتعن بذلك ! وبعضهن قد تزوجن الآن ، ولم يسبب ذلك لهن أى أذى على الاطلاق ! » — فهم اعتراضى بشكل جد سيء ، فلم يعد قط بعد ذلك • وليس في وسعي أن أفسر التعارض بين نزمته في أوراق العملة ولا

مبالته في استغلال الشبايات الصغيرة اللاتي كان يؤتمن عليهن ،
الإيان أفترض بأن وجدان التائب الذاتي قد عانى نقلا . كان الهدف
من هذا النقل واضحاً بدرجة كافية : فلو كان لتأنيباته الذاتية أن تبقى
حيث يجب أن تكون ، لكان يتحتم عليه أن يتخلى عن شكل من أشكال
الاشباع الجنسي الذي ربما كان مرغماً عليه بفعل بعض المصدقات
الطفلية القوية . وعليه ، فالنقل قد ضمن له حصوله على ميزة هائلة
من مرضه (الكسب الأولى) .

ولكن ينبغي الآن أن أعود الى السبب المباشر للمرض عند
مريضنا بدراسة تفصيلية أمين . نشأت أمه في أحضان أسرة ثرية
من أقاربها البعيدين . وكانت تلك الأسرة من أصحاب المصانع الكبيرة .
وكان أبوه على أثر زواجه من أمه قد عمل في مصانع هذه الأسرة ،
بحيث أنه لم يبلغ الى ما بلغ اليه من ثراء عريض الا بفضل زواجه .
ومن خلال المداعبات التي كان يتبادلها الزوجان ، اللذان كانا يعيشان
معا في نقاهم تام ، عرف مريضنا أن أباه كان ، قيل أن يتعرف على
أمه ، قد تقدم الى فتاة جميلة ، لكنها معدمة من أسرة متواضعة .
وحسبنا ذلك تمهيدا للموضوع . وبعد أن مات الأب قالت الام
لمريضنا ذات يوم بأنها كانت تبحث أمر مستقبله مع أقاربها الاثرياء ،
وأن واحدا من أبناء عمومتها أعلن عن استعداده لان يزوجه من احدي
بناته عندما يفرغ من تعليمه ، وكان من شأن علاقات العمل مع مصانع
تلك الأسرة الثرية أن تهييء له مستقبلا باهرا في حياته المهنية . هذه
الخطة من جانب أسرته أثارت عنده هذا الصراع : أيبقى مخلصا
للسيدة الشابة التي يحبها على الرغم من فقرها ، أم يتبع مثال أبيه
فيتزوج من الفتاة اللطيفة الثرية العريضة التي اختارتها الأسرة له ؟
وقد فض مريضنا هذا الصراع ، الذي كان في الواقع صراعا بين حبه
والتأثير العنيد لرغبات أبيه ، بأن وقع مريضا ، أو بتعبير أكثر صحة ،
أنه بوقوعه في المرض قد أفلت من مهمة فض هذا الصراع في الحياة
الواقعية (١) .

(١) يجدر بنا أن ننبه الى أن هروبه في المرض قد أصبح ممكنا .

والدليل على صحة هذا الرأي ينحصر في أن النتيجة الأساسية لمرضه هي عجز عنيد عن العمل ، الأمر الذي مكنه من أن يؤجل لسنوات الانتهاء من تعليمه ولكن نتائج مثل هذا المرض لا يمكن بحال أن تكون غير مقصودة ، فان ما يبدو نتيجة تترتب على المرض هو في الواقع السبب أو الدافع الى الوقوع في المرض .

وكما كان متوقعا ، فان المريض في البداية لم يتقبل ايضا للمسألة . قال بأنه لا يستطيع أن يتصور أن خطة الأسرة لزواجه يمكن أن تنمخض عن مثل هذا الاثر : فثلك الخطة لم تثر عنده أدنى اهتمام في ذلك الوقت . ولكنه في المسار اللاحق للعلاج تحتم عليه أن يتأدى الى الاعتقاد بصحة افتراضى ، وذلك بطريقة فريدة الى أقصى حد . فبفضل أخبولة تحويل عاش المريض ، بحسبانها جديدة وحالية ، نفس تلك الوقائع من الماضى التى كان قد نسيها ، أو التى لم تخطر بذهنه الا على نحو لا شعورى . فقد جاءت فترة في العلاج عسيرة وغامضة ، وفي النهاية تكشفت عن أن مريضنا كان قد ألتقى مرة بفتاة شابة على الدرج بمنزلى ، ظن في التو أنها ابنتى . وفي نفس الوقت رفع بخياله من ثروة أسرته ومكانتها الى المستوى الذى يتفق مع الانموذج الذى في ذهنه . ولكن حبه الذى لا يتزعزع لسيدته الشابة كان يناضل في نفسه ضد هذه الغواية . وبعد ما اجتزنا سلسلة من أعنى المقاومات وأمر الشتائم من جانبه ، لم يعد بوسعه بعد ذلك أن يستمر في الافلات من التأثير المقنع لهذا التماثل المكتمل بين أخبيل التحويل وواقع حياته في الماضى . وسأورد هنا واحدا من الاحلام التى رآها في تلك الفترة ، كيما أقدم مثلا لطريقته في تناول المسألة : رأى في الحلم ابنتى تقف أمامه بقطعتين من الروث في مكان عينيها . وما من أحد يفهم لغة الاحلام يجد صعوبة كبيرة في

بالنسبة اليه بفضل توحده بأبيه ، فهذا التوحد قد مكن وجداناته من النكوص الى متخلفات طفولته .

ترجمة هذا الحلم : فالحلم يعلن أنه كان يتزوج ابنتى لا من أجل
عينيهما الجميلتين بل من أجل ثروتها •

(ز) عقدة الأب وتصفية قهر الفييران

ثمة حيط يربط ما بين السبب المباشر لمرض مريضنا فى سنوات
الرشد وبين طفولته • فقد وجد نفسه (فى الرشد) فى موقف شبيه
بالموقف الذى كان يعلم أو يعتقد أن أباه قد عاشه قبل زواجه • وبذلك
أصبح بوسعه أن يوحد نفسه بأبيه ولكن أباه المتوفى كان من ناحية
أخرى أيضا يلعب دورا فى نوبة مرضه الحالى • فالصراع ، الذى هو
أساس مرضه ، كان فى صميمه نضالا بين التأثير العنيد لرغبات أبيه
وبين تفضيلاته العشوائية الخاصة • فلو وضعنا فى اعتبارنا ما أدلى
به المريض أثناء الجلسات الأولى من علاجه ، تحتم علينا أن نفترض
أن صراعه كان صراعا جد قديم ، وأنه نشأ فى وقت قديم قدم
طفولته •

فبحسب كل المعلومات ، كان أبو مريضنا رجلا جد ممتاز • كان
قبل زواجه صف ضابط • وكمختلفات لتلك الفترة من حياته ، احتفظ
بصرامة عسكرية الطابع ، وبميل الى استخدام اللغة الفاحشة •
وبالإضافة الى تلك الفضائل التى نحفرها عادة على كل قبر ، كان يتميز
بروح الفكاهة الودية وبتسامح عطوف تجاه أقرانه • أما أنه كان أحيانا
متهورا وعنيفا فذلك بالتأكيد ما لا يتنافى مع بقية خصاله ، بل هو
بالحرى تنمة ضرورية لها • ولكن ذلك قد عرض أطفاله لاشد العقوبات
قسوة ، حين كانت تغلب عليهم « الشقاوة » فى صغرهم • وعلى أى
حال ، فعندما كبروا ، كان الأب يتميز عن غيره من الآباء بأنه لم يحاول
أن يفرض نفسه عليهم كسلطة قدسية ، بل بأنه كان يشركهم فى معرفة
ما يعانیه هو فى حياته من اخفاقات وتعاسات صغيرة ، وذلك فى صراحة
طبية • كان ابنه بالتأكيد بعيدا عن المغالاة عندما أعلن أنهما كانا
يعيشان معا كأعز صديقين ، اللهم الا فى نقطة واحدة (انظر ص ٣٨٩) •

ولابد أنه كان بسبب هذه النقطة ذاتها أن الأفكار حول موت أبيه قد شغلت ذهنه حين كان صبيا صغيرا وذلك بدرجة من الشدة مسرفة وغير مألوفة (ص ٣٦٩) ، وكان بسبب تلك النقطة أيضا أن تلك الافكار قد تبدت في المضمون اللفظي لقهوره الطفلية ، ولم يكن من الممكن الا بسبب هذه النقطة ذاتها أنه استطاع أن يتمنى موت أبيه ، حتى يتمكن من اثاره تعاطف فتاة صغيرة بعينها بحيث تغدو أكثر لطفا معه (أنظر ص ٣٨١) .

لم يكن ثمة شك في وجود شيء في مجال الجنسية يقف بين الأب وابنه ، وفي أن الأب قد وقف موقف المعارضة من الحياة الشبقية الباكرة الازدهار عند الابن وعندما عاش للمرة الاولى الاحاسيس اللاذة للجماع ، بعد موت أبيه بسنوات ، قفزت فكرة الى رأسه : « ولكن هذا رائع ! ان المرء ليقتل أباه من أجل ذلك ! » كان ذلك في نفس الوقت صدى وتفسيرا للأفكار القهرية في طفولته . هذا الى أن أباه ، قبل موته بقليل ، عارض بشكل مباشر في هذا الذي أصبح فيما بعد العاطفة المشبوبة التي تهيمين على مريضنا . كان قد لاحظ أن ابنه يسعى دائما الى صحبة السيدة الشابة ، فنصحها أن يبتعد عنها ، قائلا له ان ذلك تهور ولن يجلب عليه الا السخرية .

الى هذه المعطيات الجديدة تماما نستطيع أن نضيف مادة جديدة ، اذا ما اتجهنا الى تاريخ الجانب الاستمنائي من الانشطة الجنسية لمريضنا . وفي مسألة الاستمناء يوجد تناقض بين آراء الاطباء وآراء المرضى ، وهو تناقض لم يلق حتى الآن حظه من الدراسة . فالمرضى يتفقون جميعا في اعتقادهم بأن الاستمناء ، ويقصدون به الاستمناء أثناء مرحلة البلوغ ، هو أصل ومصدر كل اضطراباتهم . أما الاطباء فهم على وجه الجملة ، لا يعرفون ما ينبغي أن يكون عليه رأيهم ، ولكنهم ، استنادا الى ما يعرفونه من أنه ليس العصائبيون وجددهم بل معظم الاسوياء أيضا يمرون بفترة من الاستمناء أثناء مرحلة بلوغهم ، يميل أغلبهم الى رفض تأكيدات المرضى بحسبانها مبالغات مسرفة . وفي رأيي أن المرضى هم من جديد أدنى الى الصواب من الاطباء ، وذلك لان

المرضى لديهم ضرب من حدس الحقيقة ، بينما يتعرض الاطباء لخطر اغفال حقيقة هامة . ان الرأى الذى يقرره المرضى هو بالتاكيد غير مساير للوقائع ، وذلك بالمعنى الذى يقصدون اليه وهو على التحديد أن الاستمناء أثناء مرحلة البلوغ (وهو الذى يمكن اعتباره دائما تقريبا ظاهرة نمطية) مسئول عن كل الاضطرابات العصابية . فرأيهم يتطلب تأويلا . ان استمناء البلوغ ليس فى الواقع ألا انبعاث لاستمناء الطفولة ، هذا الذى لم يحظ حتى الآن بأية دراسة ، ان الاستمناء الطفلى ، كقاعدة عامة ، يبلغ ذروته ما بين الثالثة والرابعة أو الخامسة ، وهو أوضح تغبير عن الجبله الجنسية للطفل ، هذه التى ينبغى التفتيش فيها عن الاسباب المولده للاعصبة اللاحقة . وعليه فان المرضى بهذه الطريقة المتكررة يلقون بمسئولية مرضهم على جنسيتهم الطفلية ، وهم فى ذلك على حق تماما . ومن ناحية أخرى فان مشكلة الاستمناء تصبح مستحيلة على الفهم اذا ما حاولنا تناولها كوحدة اكلينيكية قائمة بذاتها متناسين أن الاستمناء يمكن أن يمثل افراغا لكل حفزة من تشكيلة الحفزات الجزائية المكونة للجنسية ولكل ضرب من الاخاييل التى تولدها مثل هذه الحفزات . ان التأثيرات الضارة للاستمناء ليست الا بدرجة ضئيلة جدا مستقلة بذاتها — أى راجعة فى تحديدها الى طبيعة الاستمناء ذاتها . فهذه التأثيرات فى جوهرها ليست غير جزء لا يتجزأ مما للحياة الجنسية ككل من دلالة فى توليد المرض . وكون كثرة كثيرة من الناس تقتدر على تحمل الاستمناء أى تحمل قدر معين منه — دون أن ينالهم ضرر ، فذلك ما يكشف ببساطة عن أن جبلتهم الجنسية ، وعن أن مسار التطور الذى سلكته حياتهم الجنسية ، كانا على نحو بحيث يمكنهم من ممارسة الوظيفة الجنسية ضمن الحدود التى تبيحها الثقافة (١) بينما أناس آخرون ، جبلتهم الجنسية ليست مواتية الى هذا الحد ، أو مسار التطور الذى سلكته حياتهم الجنسية قد تعرض للاضطراب ، يقعون مرضى بسبب جنسيتهم ، أى أنهم لا يستطيعون انجاز ما هو ضرورى من

(١) فرويد ، ثلاث مقالات فى نظرية الجنس ، ١٩٠٥ .

كبح أو اعلاء لحفزاتهم الجنسية الجزئية ، دون أن يلجأوا الى الكفوف أو التكوينات البديلة •

كان سلوك مريضنا فيما يتصل بالاستمناء أعظم ما يكون استلفاتا للانتباه • فهو لم يمارسه أثناء مرحلة البلوغ بأى قدر يستحق الذكر ، وعليه ، كان له أن يتوقع ، بحسب بعض الآراء ، أن يكون بريئا من العصاب • ولكن من ناحية أخرى ، اعترته اندفاعة الى ممارسة الاستمناء فى عامة الحادى والعشرين ، بعد موت أبيه بقليل • كان يشعر بالخزى الشديد من نفسه فى كل مرة يسمح فيها لنفسه بهذا النوع من الاشباع ، وسرعان ما تخلى عن هذه العادة ومنذ ذلك الوقت فصاعدا لم يعاود الاستمناء الظهور عنده الا فى مناسبات نادرة ، وجد خاصة • قال لى بأن رغبته فى الاستمناء كانت تستتار حين يعيش لحظات ، أو يقرأ فقرات ، تكون جميلة بنوع خاص • حدث ذلك على سبيل المثال ذات مرة عصر يوم جميل من أيام الصيف ، عندما سمع فى وسط فينا حوزيا ينفخ فى بوقه على أجمل نحو ممكن ، حتى أوقفه عن ذلك شرطى ، لان النفخ فى الابواق غير مسموح به فى وسط المدينة • وحدث ذلك مرة أخرى عندما قرأ فى « الحقيقة والاسطورة » (١) كيف أن جوته الشاب حرر نفسه فى غمرة حنان من آثار لعنة ألقبها عاشقة غيورة على أول امرأة من بعدها تقبلت شفتيه كان من جراء هذه اللعنة قد عانى الحرمان أمدا طويلا ، بهذا التأثير الوهمى ، ولكنه الآن قد كسر قيوده ، فراح يقبل حبيبه طربا مرات ومرات •

ولم يكن مريضنا قليل الاندهاش من أن تتقابه هذه الاندفاعة الى الاستمناء وعلى التحديد فى لحظات بهذا الجمال وهذا الجلال فلم يسعنى الا أن أنبهه الى أن هاتين المناسبتين تلتقيان فى سمة مشتركة — التحريم ، ثم التصرف على نحو مضاد للنهى •

وينبغي أيضا في هذا الصدد أن نتفحص سلوكه الغريب في وقت كان فيه يستعد للامتحان ، ويتلهم بأخيولته المحببة من أن أباه ما يزال حيا ، ويمكن أن يظهر في أية لحظة . كان من عادته أن يرتب الامر بحيث تأتى ساعات عمله متأخرة ما أمكن في الليل . وبين منتصف الليل والواحدة صباحا كان يتوقف عن العمل ليفتح الباب الخارجى للشقة كما لو كان أبوه يقف وراء الباب ، ثم يعود الى الردهة ، يخرج قضيبه ويتأمله في المرآة . هذا التصرف الغريب يغدو متاحا للفهم اذا ما افترضنا أنه يتصرف كما لو كان يتوقع زيارة من أبيه في الوقت الذى تخرج فيه الاشباح . كان على وجه الجملة متكاسلا في مذاكرته أثناء حياة أبيه ، وكان ذلك في الغالب مبعث ضيق لآبيه . أما الآن ، والأب يعود شبعا ، فعليه أن يستشعر السرور اذ يجد ابنه منكبا على المذاكرة . ولكن كان مستحيلا على أبيه أن يستشعر السرور من الجزء الاخير من تصرفه ، ففي هذا الجزء لابد وان المريض كان يتحدى أباه وهكذا عبر المريض في فعل قهري واحد ، غير متاح للفهم ، عن كلا الجانبين من علاقته بأبيه ، تماما كما تصرف فيما بعد ازاء سيده الشابة من خلال فعله القهري المنصب على الحجر الملقى في الطريق .

واستنادا الى هذه البيانات ، وإلى معطيات أخرى مماثلة ، اجتزأت على أن أفصح له عن تصورى من أنه قد ارتكب ، وهو طفل دون السادسة ، سيئة من طبيعة جنسية ترتبط بالاستمناء ، وأنه عوقب عليها عقابا صارما من أبيه . وهذه العقوبة ، بحسب افتراضى ، قد وضعت حدا ، وهذا صحيح ، لاستمنائه ، ولكنها من ناحية أخرى خلفت وراءها حقدا لا ينمحي ضد أبيه ، وعمدت الأب بصفة دائمة في دور المعكر لصفو الاستمتاع الجنسى عند المريض (١) . وما كانت أشد دهشتى عندما أخبرنى المريض بأنه قد سمع من أمه ، في مناسبات عديدة ، حادثة من هذا القبيل ، ترجع الى أبكر طفولته ، ومن الواضح أن هذه الحادثة قد أفلتت من النسيان عند الام بسبب ما ترتب عليها

(١) قارن افتراضاتى من هذا القبيل في إحدى الجلسات الاولى

من نتائج هامة • أما هو نفسه فلا يذكر منها شيئا على الاطلاق • كانت القصة كما يلي : عندما كان جد صغير — كان من الممكن تحديد التاريخ بصورة أدق نظرا لحدوثها في نفس الوقت الذي مرضت فيه أخت كبرى له مرض الموت — ارتكب شيئا مشينا ، ضربه من أجله أبوه • وتفجر الصبى الصغير في ثورة شنيعة من الغضب ، وانهاهال بالشتم على أبيه حتى وهو تحت ضرباته • ولكن نظرا لانه كان يجهل لغة الشتائم ، فقد شتم أباه بأسماء كل الأثيياء المألوفة التي خطرت بذهنه ، فكان يصرخ : « أنت يالجمبة ! أنت يا طبق ! » وهكذا • أما الاب ، وقد صدمه هذا التفجر من الغضب العاصف ، فانه توقف عن ضربه ، معلنا : « هذا الطفل اما أن يصبح رجلا عظيما أو مجرما خطرا ! » (٢) • ويعتقد المريض أن هذا المشهد قد خلف عنده ، كما خلف عند أبيه ، أثرا دائما • فقد قال أن أباه لم يعد مرة أخرى الى ضربه ، كما أنه ينسب الى هذه التجربة جانبا من التغيير الذي طرأ على شخصيته • فمنذ ذلك الحين فصاعدا غدا جبانا — وذلك خوفا من عنف الغضب عنده • أضف الى ذلك أنه طوال حياته كلها كان يرتعب خوفا من الضرب • كان من عادته أن يتسلل بعيدا ويختبئ ، يملؤه الرعب والاستهجان ، عندما كان واحد من أشقائه أو شقيقاته ينضرب •

عاد المريض بعد ذلك فسأل أمه من جديد • أكدت له القصة ، وأضافت أنه كان في ذلك الوقت بين الثالثة والرابعة من عمره ، وأن العقوبة قد نزلت به لانه كان قد عض أحدا ما • ولم يكن بوسع الأم أن تذكر من التفاصيل ما يزيد على ذلك ، اللهم الا فكرة أبعد ما يمكن عن أن تكون أكيدة ، وهى أن هذا الشخص الذى عضه الصبى

(٢) هذان الاحتمالان لا يستنفذان كل الامكانيات المحتملة • فقد نسى أبوه أكثر نتائج هذه التفجرات السابقة لوانها شيوعا — وهو العصاب •

الصغير ربما كان مربيته . ولم تنطو رواية الأم على أية إشارة للطبيعة الجنسية لهذه الفعلة السيئة (١) .

(١) كثيرا ما نلتقى في التحليل النفسى بأحداث من هذا القبيل ، ترجع بتاريخها الى أ بكر السنوات من طفولة المريض ، هذه التى فيها ، على ما يبدو ، يبلغ النشاط الجنسى الطفلى ذروته ، وينتهى غالبا الى نهاية كارثية بسبب صدفة تعسة أو عقوبة ، مثل هذه الاحداث يمكن أن تظهر بشكل غائم فى الاحلام . ولكنها غالبا ما تكون من الوضوح بحيث يعتقد المحلل أنه قد أحكم الإمساك بها ، ومع ذلك فانها تروغ من أى استجلاء حاسم . وما لم يمرض المحلل بأقصى براعة وحذر فقد يجد نفسه مضطرا الى أن يتركها دون أن يبت فيها ان كان المشهد المعنى قد جرى فى الواقع أم لا . ومما قد يعيننا على اتخاذ الطريق الصحيح فى تفسيرنا لهذا المشهد ، أن نتبين أن أكثر من صياغة للمشهد (غالبا ما تختلف كل منها عن الاخريات اختلافا كبيرا) يمكن استخلاصها من أخايل المريض اللاشعورية . واذا أردنا أن لا نضل فى حكمنا على الواقعية التاريخية لتلك الاحداث فينبغى قبل كل شئ أن تضع نصب أعيننا أن « ذكريات الطفولة عند الناس لا تثبت الا فى مرحلة لاحقة ، عادة ما تكون فى سن البلوغ ، وأن هذا ينطوى على عملية معقدة من اعادة الصياغة ، تشبه من كل وجه تلك العملية التى تصوغ بها الشعوب الاساطير عن تاريخها الباكرو . وعندئذ يغدو للتو واضحا أن الفرد ، فى أخاييله عن طفولته ، يحاول ، ما تقدم به النمو ، أن يمحو ذكرى أنشطته الشبقية الذاتية . وهو يبلغ الى ذلك بأن يرفع آثار ذكرياته الخاصة بها الى مستوى حب الموضوع ، تماما كما يفعل المؤرخ فى الواقع حين ينظر الى الماضى فى ضوء الحاضر . وفى ذلك ما يفسر العلة فى أن هذه الاخايل تزخر بالفوايات والاعتصابات ، بينما تكون الوقائع قاصرة على الأنشطة الشبقية الذاتية ، والترتيبات أو العفويات التى أثارها . هذا الى أنه يغدو واضحا أن الفرد فى نسجه الاخايل عن طفولته يشبق ذكرياته (يصبغها بالجنسية) ، بمعنى أنه يعتقد صلة بين الوقائع العادية ونشاطه الجنسى ، فييسط اهتمامه الجنسى عليها — وان كان وهو ، يفعل ذلك ربما يتبع آثار صلة قائمة بالفعل . وما من أحد يذكر مقالى « تحليل فوبيا عند صبى فى الخامسة » (وهو المقال الثانى من هذا المجلد) هو بحاجة لان يقال له بأن ليس من قصدى

أما وقد ناقشت في الهامش قيمة هذا المشهد الطفلى فحسبى أن انبه هنا الى أن ظهور ذكرى هذا المشهد قد زعزع عند المريض للمرة الاولى رفضه أن يصدق بأنه في وقت جد باكر من طفولته قد استولى

في هذه الملاحظات أن انتقص من الاهمية التى أضفيتها حتى الآن على الجنسية الطفلية بحيث لا تكون أكثر من اهتمام جنسى فى سن البلوغ . كل ما أريده هو أن أقدم بضع نصائح عن الفتيات التى يمكن أن تعين على ايضاح صنف من الاخييل التى تستهدف تزييف لوحة نشاط الجنسية الطفلية .

ونادرا ما يسعدنا الحظ بحيث نقدر ، كما فى المثال الحالى ، على التحقق من الوقائع التى تستند اليها هذه الاخييل المنسوجة عن الطفولة الباكرة ، وذلك بالرجوع الى شهادة لا يرقى اليها الشك من جانب راشد . وحتى فى هذه الحالة فان الشهادة التى أدلت بها أم مريضنا تترك الطريق مفتوحا أمام احتمالات متنوعة . فكونها لم تقرر الطبيعة الجنسية للفتلة السيئة التى عوقب عليها الطفل ربما كان مرجعه نشاط الرقيب عندها ، اذ أنه عند جميع الآباء يكون ذلك العنصر الجنسى من ماضى أطفالهم هو على التحديد الذى يتوق الرقيب — أكثر ما يتوق — الى حذفه وبنفس الدرجة من الاحتمال ربما يكون الطفل قد لقى التأنيب من جانب مربيته أو أمه نفسها بسبب « شقاوة » عادية من طبيعة غير جنسية ، وتكون استجابة الصبى كانت من العنف بحيث استدعت عقابه من جانب أبيه . وفى الاخييل من هذا النوع عادة ما يخل محل المربيات والخاديمات الشخصية الأكثر امتيازاً وهى الام . وقد كشف التفسير الأكثر عمقا لاحلام المريض المتصلة بهذه الحادثة عن أوضح العلامات الدالة على وجود نتاج أخىولى فى ذهنه من طبيعة بطولية بارزة . وفى هذا النتاج الأخىولى كانت رغباته الجنسية تجاه أمه وأخته ، وكذلك الموت الباكر لهذه الاختر ، ترتبط بالعقوبة التى عاناها البطل الصغير على يدى أبيه . لقد كان من المستحيل على أن أفكك هذا الرداء من النسيج الأخىولى خيطا خيطا ، فنجاح العلاج هو على التحديد ما حال بينى وبين ذلك . شفى المريض وبدأت حياته العادية تفرض مطالبتها : كانت تنتظره مهام كثيرة طال عهده باغفالها ، ولم يكن ذلك يتفق واستمرار العلاج . ومن هنا فليس لى أن الام على هذه الثغرة فى التحليل . فالنتائج العلمية للتحليل

عليه الحقد (الذى غدا فيما بعد كامنا) ضد أبيه ، هذا الذى كان المريض يحبه كثيرا • وينبغى أن أعترف بأننى كنت أتوقع أن يكون لظهوره أثر أكبر ، إذ أن الحادثة كثيرا ما حكيت له - حتى من جانب أبيه نفسه - بحيث يستحيل أن يكون هناك أى شك فى واقعتها الموضوعية • ولكن بهذه القدرة على تزييف المنطق ، والتي تثير دائما الحيرة بوجودها عند أناس يمثل هذا الذكاء الفائق كالعصابيين القهريين ، مضى يعارض القيمة التدليلية لهذه القصة استنادا الى أنه هو نفسه لا يستطيع أن يذكر المشهد • ومن هنا لم يكن الا من خلال الطريقة الاليمة للتحويل أن استطاع البلوغ الى اقتناع بأن علاقته بأبيه كانت تستلزم بالضرورة افتراض هذه النتمة اللاشعورية • فسرعان ما وصلت الامور الى نقطة بدأ فيها ، فى أحلامه وأخايل

النفسى ليست فى الوقت الحاضر غير نتاج جانبى لاهدافه العلاجية ، ومن أجل ذلك فغالبا ما تتحقق معظم الكشوف على التدديد فى تلك الحالات التى يفشل فيها التحليل .

ان مضمون الحياة الجنسية فى الطفولة ينحصر فى النشاط الشبقى الذاتى من جانب الحفزات الجنسية الجزئية المهيمنة ، وفى آثار حب الموضوع ، وفى صياغة تلك العقدة التى يجدر تسميتها العقدة النسوة للاعصبة . وهذه العقدة هى التى تشتمل على أبكر الوجدانات ، حبا وكراهة على السواء ، تجاه الابوين والاخوة والاخوات ، وذلك على الاغلب بعد أن تكون استطلاعية الطفل قد استيقظت فى العادة بميلاد أخ أو أخت . ان وحدانية الشكل التى تميز مضمون الجنسية الطفلية (أى النزعات المتضمنة فى العقدة) ، بالإضافة الى الطابع الثابت للنزعات المضطلة بالتعديل والتى تظهر فيما بعد متصدية لنزعات الجنسية الطفلية تلك ، بوسعها فى يسر أن يفسرا التماثل الثابت الذى يخصص - كقاعدة عامة - الاخايل التى نضاغ عن مرحلة الطفولة ، وذلك بصرف النظر عن عظم أو ضآلة ما أسهمت به التجارب الواقعية فى اقامة هذه الاخايل ، وما يميز بصفة أساسية العقدة النسوة للطفولة أن أبا الطفل يتحتم أن يضطلع بدور الخصم فى المجال الجنسى والمعوق للانشطة الجنسية الشبقية الذاتية . وغالبا ما تكون الاحداث الواقعية هى المسئولة فى العادة عن تحقق ذلك الموقف الوجدانى .

يقظته وتداعياته ، ينهال بأفزع الشتائم وأقذرها على شخصى وعلى عائلتى ، وان كان فى تصرفاته الارادية لم يعاملنى قط الا بأعظم الاحترام . كان سلوكه ، وهو يخبرنى بهذه الشتائم ، سلوك شخص غلبه اليأس . كان يتساءل « كيف يمكن لرجل عظيم مثلك سيدى الاستاذ ان يسلم نفسه على هذا النحو للشتائم من جانب وضيع تافه حقير مثلى ؟ ينبغى ان تلتقى بى الى الخارج فما استحق سوى ذلك » وبينما كان يتكلم على هذا النحو كان ينهض من الاريكة ، ويجول فى الغرفة — وهو تصرف أرجعه فى بادىء الامر الى شعوره المرهف :

قال بأنه لا يستطيع أن يتصور النفوس بمثل هذه الاشياء الفظيعة بينما يستلقى على الاريكة بكل ارتياح . ولكنه سرعان ما عثر بنفسه على تفسير أكثر اقناعا ، هو على التحديد أنه كان يتجنب أن يكون على مقربة منى خوفا من أن أضربه . وحين كان يبقى على الاريكة كان يتصرف كشخص فى رعب يائس يحاول أن ينجذ نفسه من عقوبات لا حدود لها ، كان يدفن رأسه بين يديه ، أو يغطى وجهه بذراعاه ، ثم يقفز فجأة ويندفع بعيدا ، وقد التوت ملامح وجهه من التأكيد ، وما الى ذلك . تذكر أن أباه كان حاد الطبع ، وأحيانا لم يكن يعرف فى عنفه أين يقف . وهكذا رويدا رويدا ، فى مدرسة المكابدة هذه ، بلغ المريض الى الشعور بالافتقار الذى كان يعوزه — وان تكن الحقيقة بالنسبة لاي عقل محايد ، واضحة بذاتها . وعندئذ انفتح الطريق الى تصفية قهر الفيران عنده . لقد بلغ العلاج نقطة التحول ، فعدت متاحة كمية من المعطيات الواقعية كانت حتى الآن حبيسة ، ومن ثم أتاحت اقامة الوحدة الكلية للاحداث .

وكما أشرنا من قبل ، فسوف أقنصر فى وصفى للاحداث على موجز عنها أكثر ما يمكن أن يكون اختصارا . ومن الواضح أن أول مشكلة تتطلب الحل هى :

لماذا كان للحديثين اللذين أدلى بهما النقيب التشيكي — قصته عن الفيران ، وطلبه الى المريض أن يسدد النقود للملازم ؟ — أن يثيرا مثل هذا التأثير المزعج وهذه الاستجابات الباثولوجية العنيفة ؟ كان افتراضى أنها مسألة « حساسية عقدية » ، وأن الحديثين قد

مسا بعنف نقطا بعينها مسرفة الحساسة من لا شعوره وقد تأكدت صحة ذلك فكما هو الشأن في كل ما يتصل بالمسائل العسكرية ، كان مريضنا في حالة توحد لا شعوري مع أبيه ، هذا الذي قضى عدة سنوات في الخدمة ، وكان من عادته أن يحكى الكثير من وقائع هذه الفترة من حياته . اتفق بالصدفة — إذ أن الصدفة يمكن أن تلعب دوراً في تكوين النكتة — أن إحدى المغامرات الصغيرة لأبيه كانت تنطوي على عنصر هام مشترك بينها وبين طلب النقيب تسديد النقود . كان أبوه ، بصفته صف ضابط ، يحتفظ في عهده بمبلغ صغير من المال ، وقد ضيعه في إحدى المناسبات في لعب الورق (وهكذا كان « فأر لعب ورق » (١)) .

وكان سيكون في موقف حرج لولا أن أحد أصحابه أقرضه المبلغ . وبعد ما ترك أبوه الجيش ، وأصبح رجلاً ثرياً ، حاول العثور على ذلك صاحب الشهم ليرد إليه المبلغ ، ولكنه لم يتمكن من اقتفاء أثره . لم يكن المريض على ثقة من أن أباه قد وفق في رد المبلغ . كان تذكر المريض لخطيئة شباب أبيه هذه مثار ألم عنده ، وذلك لأنه على الرغم مما يبدو وفي الظاهر ، كان شعوره يزدحم بالانتقادات المريرة العدائية تجاه شخصية أبيه . وكلمات النقيب : « يتحتم عليك أن تسدد الـ ٣٨٠ كراونا للملازم أ » . قد دوت في أذنيه تلميحا لهذا الدين الذي لم يسدده أبوه .

ولكن معرفته بأن الموظفة الشابة في مكتب البريد في س — قد دفعت عنه بنفسها الرسوم المقررة على الطرد ، وبأنها قد امتدحت شخصه (٢) قد زاد من شدة تطابقه مع أبيه ، وإن كان ذلك في اتجاه

(١) حرفياً تعنى فأر لعب الورق ، كلمة المانية عامية تعنى « مقامر لعب الورق » .

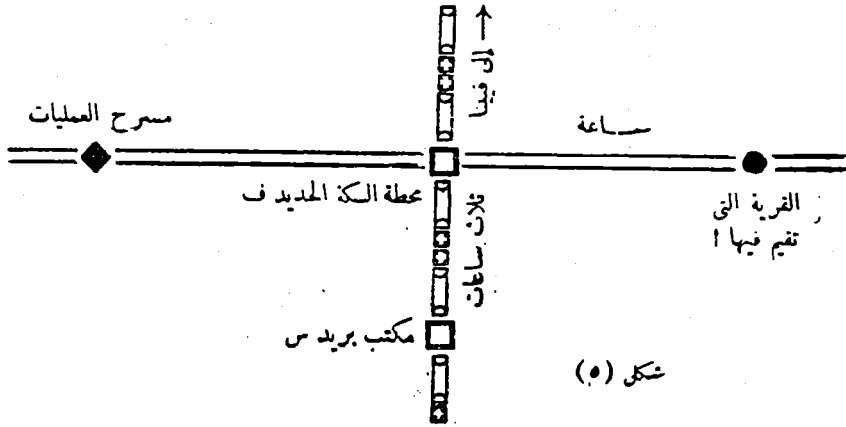
(٢) لا ينبغي أن ننسى أن المريض قد عرف ذلك قبل أن يطلب إليه النقيب ، عن سوء فهم ، أن يسدد المبلغ الى الملازم أ . كانت تلك هي النقطة الحيوية في القصة ، ويحكمها هوى المريض الى ذلك النيه من التشويش ، وحال — لفترة ما — بينى وبين أن أبلغ الى أية فكرة عن دلالة الامر كله .

مختلف تماما . في هذه المرحلة من التحليل أدلى المريض بمعطيات جديدة مؤداها أن المنزل الذي كان على مقربة من مكتب البريد كان لصاحبه بنت جميلة ، وكانت بشكل قاطع تشجع ضابطنا الشاب الوسيم ، بحيث أنه فكر في العودة الى هناك بعد انتهاء المناورات ، ليجرب حظه معها . ولكن هذه الابنة الحسنة كانت لها منافسة هي الموظفة الشابة في مكتب البريد . وكأبيه في قصة زواجه كان بوسعه الآن أن يتردد الى أى الفتاتين يتجه بتفضيله عندما يفرغ من خدمته العسكرية . وبوسعنا الآن أن نتبين على الفور كيف أن تردده الغريب بين أن يسافر الى فيينا أو أن يعود أدراجه الى حيث يوجد مكتب البريد ، وكيف أن الغواية الدائبة التي كان يستشعرها في أن يرجع قافلا من رحلته (انظر ص ٣٧٥) لم يكونا عديمي الدلالة على نحو ما تبديا لنا في البداية . وبالنسبة الى تفكيره الشعوري ، كانت الجاذبية التي تتطوى عليها بالنسبة اليه مدينة س — ، حيث يوجد مكتب البريد ، ترجع الى ما يستشعره من ضرورة رؤيته للملازم . أكيما يستعين به في الوفاء بقسمه . ولكن ما كان يجذبه في حقيقة الامر انما كان هو الموظفة الشابة في مكتب البريد ، ولم يكن الملازم غير بديل مناسب لها اذ كان يقيم في نفس المكان ، كان في الوقت مسئولا عن البريد الحربى . وعندما سمع بعد ذلك أن الملازم . أ لم يكن هو القائم بالخدمة في البريد في ذلك اليوم ، بل الملازم ب ، أدخل هذا الاخير أيضا في « توليفاته » ، وعندئذ كان بوسعه في شبه هذائته (١) أن يكرر بازاء الملازمين ذلك التردد الذي كان يستشعره ازاء الفتاتين اللتين كانتا تبديان ميلا اليه (٢) .

(١) انظر فيما بعد ص ٥٢٨ .

(٢) (ملحوظة اضافية عام ١٩٢٣) — لم يدخر مريضنا جهيدا في تشويش القصة الصغيرة الخاصة بتسديد الرسوم عن نظارته الانفية ، بحيث ربما يكون عرضي لها قد فشل هو الآخر في ايضاحها بشكل تام . ومن ثم فاني أقدم هنا خريطة صغيرة (شكل ٥) ، حاول بها مترجمائى الى الانجليزية ، مستر ومسر ستراسى ، أن يجعلوا الموقف عند نهاية

ولتوضيح آثار قصة النقيب عن الفيран يتحتم علينا أن نتتبع مسار التحليل عن كتب • بدأ المريض بانتاج كمية هائلة من مادة المستدعيات ، التي لم تلق مع ذلك في البداية أى ضوء على الملابس التي نشأ فيها قهره • ففكرة العقوبة التي يتم توقييعها عن طريق الفيран قد لعبت دور المثير لعدد من غرائزه ، واستدعت كمية بأسرها من الذكريات ، بحيث أن الفيран ، في الفترة القصيرة الفاصلة ما بين قصة النقيب عن العقوبة بالفييران وطلبه اليه تسديد الرسوم ، واكتسبت سلسلة من الدلالات الرمزية ، كانت تتضاف اليها بلا انقطاع خلال الفترة التي تلت ذلك دلالات جديدة • ويتحتم على أن بأنى لا أستطيع أن أقدم الا صورة جد ناقصة عن الامر كله • ان ما ابتعثته فكرة العقوبة بالفييران ، أكثر من أى شىء آخر انما كانت شبقيته الاستيه ، هذه التي لعبت دورا هاما في طفولته ، والتي ظلت نشطه •



المناورات أكثر وضوحا . فقد لاحظنا بحق أن سلوك المريض يظل غير مفهوم ما لم تنص صراحة على واقعة أخرى هي على التحديد أن الملازم أ. كان يقيم سابقا في مدينة س . حيث يوجد مكتب البريد ، وكان مسئولاً هناك عن البريد الحربى ، ولكنه في الايام القليلة الاخيرة أوكل هذه المهمة الى الملازم ب ، اذ نقل هو الى بلدة أخرى . وكان النقيب (القاسى) على غير علم بهذا الانتقال ، وفي ذلك ما يقر خطاه في افتراضه بأن الرسوم ينبغي تسديدها للملازم أ .

لسنوات عديدة بأهاجة متصلة راجعة الى الديدان . وهكذا اكتسبت الفيران دلالة « النقود » (١) . فقد قدم المريض ما يشير الى هذه الرابطة بأن استجاب لكلمة Ratten (فيران بالمستدعية Raten (أقساط مستحقة) . وفي حالته القهريه شبه الهذائية صك لنفسه عمله نقدية من الفيران . فعلى سبيل المثال ، عندما أخبرته في اجابتي على سؤال منه بمقدار ما انتقاه من النقود عن ساعة من العلاج قال لنفسه (وهو ما عرفنه بعد ذلك بستة أشهر) : كذا من الفلورينات — كذا من الفيران . . . وشيئا فشيئا ترجم المريض الى هذه اللغة كل عقدة النقود عنده ، وهى التى كانت تدور حول ميراثه من أبيه ، ومعنى ذلك أن كل أفكاره المرتبطة بهذا الموضوع قد انتقلت — عن طريق القنطرة اللفظية : Raten-Raten (قسط مستحق — فأر) الى حياته القهريه ، وأصبحت تحت هيمنة لا شعوره هذا الى أن ما طلبه النقيب اليه من أن يسدد الرسوم المستحقة على الطرد كان من شأنه أن يدعم الدلالة النقدية للفيران ، ولكن عن طريق قنطرة لفظية أخرى Spieltratte (فأر لعب ورق) هذه التى رجعت به الى دين أبيه في مقامرة لعب الورق .

ولكن المريض كان يعرف أيضا أن الفيران حملة أمراض معديه خطيرة ، ومن ثم كان بوسعه أن يستخدمها رمزا لرعبه (وهو رعب له ما يبرره بدرجة كافية في الجيش) من عدوى الزهري . وكان هذا الرعب يحجب كل أنواع الشكوك فيما يتصل بنوع الحياة التى عاشها أبوه أثناء خدمته العسكرية . ومن ناحية أخرى ، لما كان حامل عدوى الزهري هو القضيبي نفسه ، فقد غدا بوسع المريض أن يعتبر الفأر عضوا تناسليا ذكريا . وتلك رمزية ترجع في تحديدها الى سبب آخر أيضا ، ذلك أن القضيبي (وعلى الاخص قضيبي الطفل) يمكن مقارنته بدودة ، وكانت قصة النقيب عن العقوبة بالفيران تدور حول فيران

Freud, Character and Anal Erotism, 1908.

(١) أنظر

« فرويد : الشخصية والشبقية الشرجية » Collected Papers, Vol. II.

تنبش في الشرح ، تماما كما كانت تفعل في شرحه وهو طفل ديدان
الاستكارس . وهكذا كانت الدلالة القضيبية للفيران تستند هي الاخرى
الى الشبكية الشرجية . وفوق ذلك فان الفأر حيوان قذر يتغذى من
المخرجات ويعيش في « المجارى » (١) وربما لا تكون هناك حاجة
لان نوضح الى أى حد من العظم غدا اتساع هذاء الفأر ممكنا بفضل
هذه الدلالة الجديدة . فعلى سبيل المثال « كذا من الفيران - كذا
من الفلورينات » يمكن أن تكون تخصيصا ممتازا لمهنة نسائية معينة
كان المريض يحتقرها بشكل خاص . ومن ناحية أخرى ، فمن المؤكد
أنها ليست مسألة خلوة من الدلالة أن احلال القضيب محل الفأر في
قصة النقيب قد أدى الى استدعاء موقف جماع عن طريق الشرح
الامر الذى كان يستثير بالضرورة نفوره عند ربطه بأبيه وبالسيده
الشابة التى يحبها . وعندما نضع في اعتبارنا أن نفس هذا الموقف
يظهر من جديد في التهديد القهرى الذى تخلق في نفسه بعدما طلب
اليه النقيب تسديد الرسوم ، فسوف نذكر على الرغم منا بعض
الشتائم الشائعة بين السلافيين الجنوبيين (٢) . هذا الى أن كل هذه
المعطيات ، وأخرى غيرها أيضا ، تدخل ضمن السياق الكلى لموضوع
الفيران وذلك وراء النداعى الحاجب : Heiraten (يتزوج) .

ان قصة العقوبة بالفيران ، كما ظهر من حديث المريض عن
الموضوع ، ومن تعبيرات وجهه وهو يحكى القصة لى ، قد ابتعثت
كل ما كان مكبوحا عنده قبل الاوان من حفزات القسوة ، الانانية ،

(١) اذا ما استشعر القارئ ميلا الى انكار امكانية شطحات الخيال
هذه عند الشخص العصابى ، فبوسعى أن أذكره بأن الفنانين أحيانا ما
انغمسوا في نزوات خيال من هذا القبيل . ذلك على سبيل المثال حال
Diableries érotiques (شيطانيات شبكية) من عمل لوبوفتان
Le Poivetin

(٢) الكلمات الحرفية لهذه الشتائم يمكن العثور عليها في المجلة
الدورية Anthropolphyteia التى يقوم على نشرها ف.س.كراوس.
F. S. Kraüss

والجنسية على السواء ولكن على الرغم من كل هذه المعطيات الثرية ، ظلت دلالة الفكرة القهرية عنده بعيدة عن الوضوح ، حتى ظهرت ذات يوم في تداعياته أثناء التحليل « امرأة الفيران » في « أيولف الصغير » من مؤلفات إبسن ، وعندئذ لم يكن هناك بد من أن نسبتببط أن الفيران ، في الكثير من الأشكال التي اتخذها شبه هذائه القهرى ، كانت تتطوى أيضا على دلالة أخرى — هى على التحديد الاطفال (١) .

و حين تقصيت منشأ هذه الدلالة الجديدة ، وجدتنى فجأة اصطدم بأصول من أهم وأبكر ما يمكن فذات مرة حين كان المريض يزور قبر أبيه ، رأى حيوانا ، ظنه فأرا ، ينحدر من فوق القبر (٢) . واعتقد أن هذا الحيوان قد خرج بالفعل من قبر أبيه ، بعدما فرغ لتوه من تناول وجبة من جثته . أن تصور الفأر يرتبط دائما بالاسنان الحادة التى تفرض وتعض (٣) . ولكن الفيران لا يمكن أن تكون حادة الاسنان ،

- (١) ليس من شك في أن امرأة الفيران عندإبسن ترجع الى أسطورة هاملان عن عازف الزمار الارقط ، هذا الذى بدأ باستدراج الفيران الى الماء ، ثم عاد بنفس الطريقة فاستدرج الاطفال الى خارج المدينة حيث لم يعودوا تظ . وكذلك أيضا فان أبولف الصغير قد ألقى بنفسه فى الماء بسحر من امرأة الفيران . وفى الاساطير بصورة عامة لا يظهر الفسار ككائن منفرد ما يظهر ككائن مشئوم يبعث على القلق والحيرة — كحيوان شيطانى chthonie ان جاز القول ، يرمز لارواح الموتى .
- (٢) كانت ولا شك « عرسة » من تلك التى توجد بأعداد كبيرة فى المدافن الرئيسية بفينا .
- (٣) قارن كلمات مفيستوفوليس (عندما يريد أن يدخل من باب يحرسه سحر « خمسة وخميسة ») :

'Doch dieser Schwelle Zauber zu zerspalten

Bedarf ich eines Rattenzahns.

Noch einen Biss, so ist's geshehn!

(ولكن لا يبطال سحر هذه العتبة)

تلزمنى سنة فأر « ويستحضر

بالتعويدة فأرا » عضة أخرى من

السنة ، وينتهى الامر) .

Goethe, Faust, Part 1.

شرهة قذرة ، دون أن تتألمها العقوبة : فهي تتعرض بقسوة للتعذيب ، وللقتل في غير رحمة من جانب الإنسان ، على نحو ما لاحظته المريض مرارا في زعب منه . وكثيرا ما أشفق على هذه الكائنات المسكينة . ولكنه هو نفسه كان على التحديد ذلك الكائن الصغير التعس القدر المنفر ، الميل الى أن يعرض الناس عندما يستبد به الغضب ، وكانت تتألم العقوبة المروعة من أجل ذلك (انظر ص ٥٠٨ ، ٥٠٩) . وكان يمكن القول بحق أنه يجد في الفأر (١) « صورته الحية » كان الامر وكأن القدر عندما سرد عليه النقيب القصة ، يضعه في اختبار تداعي الكلمات : تفوه القدر بـ « كلمة — مثير للعقدة » فلم يكن منه الا أن استجاب بفكرته القهرية .

وعليه ، فبحسب أبكر تجاربه وأكثرها أهمية في نتائجها ، كانت الفيران أطفالا . وعند هذه النقطة أدلى المريض بواقعة كان قد طال احتجازه لها بعيدة عن سياقها ، ولكنها تقدم الآن نفسيرا كاملا للاهتمام الذي كان يتحتم عليه أن يستشعره تجاه الأطفال . فالسيدة الشابة ، التي كان يهيم بها منذ سنوات عديدة ، والتي كان لا يستطيع مع ذلك أن يحزم أمره ليتزوج منها ، كان مقضيا عليها بالعقم ، بسبب عملية جراحية نسائية ، تمت فيها ازالة المبيضين معا . كان ذلك في واقع الامر السبب الرئيسي في ترده ، وذلك لانه شديد الولع بالاطفال .

كان عندئذ فقط أن أمكننا فهم تلك العملية الغامضة التي بها تكونت فكرته القهرية . فبالاستعانة بمعارفنا عن النظريات الجنسية الطفلية وعن الرمزية (كما تبينها من تفسير الاحلام) يمكننا ترجمة

'Er sieht in der geschwollnen Ratte Sein (1)
ganz natürlich Ebebild.'

ذلك أنه يرى في الفأر المزهو بنفسه
الصورة الحية لنفسه

Faust, Part 1, Scene in Auerbach's Cellar.

الامر كله والبلوغ الى دلالاته • فعندما أخبر النقيب المريض ، أثناء استراحة بعد الظهر التي فقد فيها نظارته الانفية عن العقوبة بالفيران فأن المريض لم يستلفته أول الامر الا ما يطبع الموقف من قسوة وشهوية واعرة • ولكن على اثر ذلك مباشرة نشأ ارتباط مع مشهد طفولته الذي فيه قام هو نفسه بعض أحد ما • فالنقيب — وهو الرجل الذي نافح عن هذه العقوبة — قد غدا عند المريض بديل أبيه ، ومن ثم اجتذب اليه جانبا من الغضب المبتعث ، وهو الغضب الذي كان قد تفجر في الموقف الاصلى ضد أبيه القاسى والفكرة التي خطرت في شعوره للخط ، من أن شيئا من هذا القبيل يمكن أن يحدث لشخص عزيز عليه ، ربما يمكن ترجمتها الى رغبة من قبيل : « انما أنت الذى ينبغى فعل ذلك فيك ! » ، وهى رغبة تتجه ضد حاكى القصة ، ولكن من خلاله تتجه ضد أبيه • وبعد يوم ونصف (١) من ذلك ، عندما سلمه النقيب الطرد ، وطلب اليه أن يسدد ٣٨٠ كراونا الى الملازم • أ، كان المريض عندئذ على وعى بالفعل بأن « رئيسه القاسى » قد وقع فى خطأ ، وبأنه (المريض) لا يدين بهذه الرسوم الا للموظفة الشابة بمكتب البريد • ومن ثم فقد كان من الممكن فى يسر أن يخطر له أن يفكر فى اجابة ساخرة من قبيل : « أفتحسبني سأدفع مع ذلك ؟ » — أو « بل أمك هى التى تدفع ! » ، أو « أتراهن ان كنت أدفع له المبلغ ؟ » — وهى اجابات ما من قوة قهرية ترغمه على التقوه بها • ولكنه بدلا من ذلك ، وقد ابتعثت عنده عقدة الأب وذكرى مشهد طفولته ، تخلقت فى ذهنه اجابة من قبيل : « نعم ! سوف أسدد المبلغ الى أ عندما ينجب أبى أو السيدة الشابة أطفالا ! » ، أو « بقدر ما هو من المؤكد أن أبى أو السيدة الشابة يمكن أن ينجبا أطفالا ،

(١) وليس فى مساء نفس اليوم كما أخبرنى أولا . فمن المستحيل تماما أن تكون النظارة الانفية التى أبرق فى طلبها قد وصلت فى نفس اليوم . ولكن المريض اقتضب الفترة الزمنية الفاصلة فى ذكرياته ، لأنها كانت الفترة التى تكونت فيها الارتباطات النفسية الحاسمة ، والتى حدثت فيها الواقعة التى انكبتت — ونعنى واقعة التقائه مع الضابط الذى أخبره بالتصرف الودى من جانب الموظفة الشابة بمكتب البريد .

فسوف أسدد له المبلغ ! » وباختصار ، وعد ساخر يقتترن بشرط غير معقول يستحيل تحقيقه (١) .

ولكن الآن وقعت الجريمة ، فقد أهان أعز شخصين لديه — أباه وسيدته الشابا . وهذه الجريمة اقتضت العقوبة ، وكانت العقوبة تنحصر في أنه ربط نفسه بقسم يستحيل عليه الوفاء به ، ويستلزم منه طاعة حرفية لهذا الطلب المستند الى أساس خاطيء من جانب رئيسه . كان القسم كما يلي : « يتحتم عليك الآن أن تسدد المبلغ فعلا الى . أ » . وفي طاعته القسرية هذه كبت ما كان يعرفه على نحو أفضل من أن طلب النقيب كان يستند الى وقائع خاطئة : « نعم ، يتحتم عليك أن تسدد المبلغ الى . أ ، على نحو ما طلب ذلك منك بديل أبيك . فالأب لا يمكن أن يكون على خطأ » . وكذلك الملك أيضا لا يمكن أن يكون على خطأ ، فلو خاطب فردا من راياه بلقب ليس له ، فان هذا الفرد يحمل ذلك اللقب منذ ذلك الوقت فصاعدا .

ولم يبلغ الى شعور المريض الا وعى غائم بهذه الوقائع . ولكن ثورته ضد أمر النقيب ، والتحول المفاجيء لهذه الثورة الى ضدها ، كانا كلاهما متمثلين في شعوره . فأولا جاءت الفكرة بأن لا يدفع المبلغ ، والا فانها (أى العقوبة بالفيران) سوف تقع ، وبعد ذلك جاء تحول هذه الفكرة الى قسم في الاتجاه المضاد ، كعقوبة على ثورته .

ولنتمثل الآن من جديد تلك الملابس العامة التى تكونت فيها الفكرة القهرية الكبرى عند المريض . كان الليبيدو عنده قد ازدادت شدته نتيجة فترة طويلة من الحرمان جنبا الى جنب مع ذلك الترحيب

(١) وهكذا فان اللامعتولية تعنى السخرية في لغة التفكير القهرى، تماما كما تعنى ذلك في لغة الاحلام (انظر فرويد ، تفسير الاحلام ، الطبيعة السابعة الالمانية ص ٢٩٥) . وفي الترجمة العربية ، فرويد : تفسير الاحلام . دار المعارف بمصر . الفصل السادس ص ٤٢٥ وما بعدها .

الودى الذى يمكن لضابط شاب أن يعول عليه عندما يتجه الى النساء. هذا الى أنه ، فى الوقت الذى بدأت فيه المناورات ، كان هناك نوع من الفتور بينه وبين سيدته الشابة . وكان من شأن ازدياد شدة الليبيدو أن يهيىء ابتعاث صراعه القديم ضد سلطة أبيه ، فاجترأ على التفكير فى الاتصال الجنىسى مع نساء أخريات . وراح ولاؤه لذكرى أبيه يتضاءل بقدر ما كانت تزداد شكوكه فى مزايا سيدته الشابة . وفى هذا الاطار النفسى ترك نفسه تنزلق الى سبهما هما الاثنىن ، وبعدئذ فرض على نفسه العقوبة من أجل ذلك كان بذلك يكرر أنموذجا قديما . وعندما تردد طويلا فى نهاية المناورات بين ما ان كان يتحتم عليه المضى الى فينا أو أن يتوقف للوفاء بقسمه ، كان بذلك يجسد فى صورة واحدة هذين الصراعين اللذين كانا يعترضانه منذ البداية — ما ان كان يتحتم عليه أولا أن يبقى مطيعا لابيه ، وما ان كان يتحتم عليه أولا أن يبقى مخلصا لسيدته الشابة (١) .

وبودى أن أضيف كلمة عن تفسير مضمون « العقوبة » التى كان مؤداهما كما ينبغى أن نذكر « والا فان العقوبة بالفيران سوف تنفذ فيهما هما الاثنىن » . كان يستند الى تأثير نظريتين من نظريات الجنىسية الطفلية ، سبق لى أن عرضت لهما فى مكان آخر (٢) . أولى هاتين النظريتين أن الاطفال يخرجون من الشرح والثانية — وهى

(١) ربما لا يخلو من أهمية أن نلاحظ مرة أخرى أن طاعته لابيه تطابق تخليه عن سيدته الشابة . فلو أنه توقف وقام بتسديد المبلغ الى أ.لكان بذلك يضطلع بتكفير ازاء أبيه ، ويكون فى نفس الوقت قد تخلى عن سيدته الشابة ، وذلك لصالح شخص آخر أكثر جاذبية وفى هذا الصراع انتصرت السيدة الشابة — وذلك بالتأكيد بفضل تفكير سوى من جانب المريض .

On the Sexual Theories of Children, 1908, Collected Papers, Vol. II. (٢)

(فى نظريات الجنىسية الطفلية ، المقالات المجموعة ، ترجمة مستر

ومسز ستراشى ، مجلد ٢) .

نتيجة منطقية للاولى — أن الرجال يمكنهم أنجاب الاطفال ، تماماً
كالنساء . وبحسب القواعد الفنية فى تفسير الاحلام ، يمكن لفكرة
« الخروج من المستقيم » أن تتمثل فى الفكرة المضادة ، وهى « الدخول
فى المستقيم » (كما فى العقوبة بالفيران) ، والعكس بالعكس .

وليس لنا أن نتوقع — لافكار قهرية خطيرة من هذا القبيل الذى
هى عليه فى هذه الحالة — تفسيراً يكون أكثر بساطة ، أو يتحقق بأية
وسيلة أخرى . فعندما بلغنا الى التفسير الذى قدمناه آنفاً نلاشى
قهر الفيران عند المريض .

٣

اعتبارات نظرية

(أ) بعض الخصائص العامة للتكوينات القهرية (١)

في عام ١٨٩٦ قدمت تعريفاً للأفكار القهرية على أنها « تأنيبات تعود إلى الظهور — في صورة محرقة — من تحت الكبت ، تأنيبات تنتسب دائماً أبداً إلى فعل جنسى قام به المريض في لذة أثناء طفولته » (٢) . وهذا التعريف ، كما يبدو لي الآن ، يفتح للنقد من ناحية الشكل ، وإن كانت عناصره المكونة لا يمكن الاعتراض عليها . كان التعريف ينزع أكثر مما ينبغي إلى التوحيد ، وكان يتخذ كأنموذج له نفس تلك العملية التي يمارسها العصائبيون القهريون ، عندما يكذبون معاً — بميلهم المتميز إلى اللاتحدد — تحت لافتة « الأفكار القهرية » تكوينات نفسية أعظم ما تكون بعداً عن التجانس (٣) . وقد يكون من الأصح في الواقع أن نتحدث عن « تفكير قهري » ، وأن تبرز

(١) أن عدداً من النقاط التي تناولها هنا وفي القسم الثاني قد سبق بالفعل أو وردت في الكتابات عن العصاب القهري ، على نحو ما يتضح في الدراسة الشاملة التي قام بها لوينفلد في مؤلفه الذي يعد المرجع الرئيسي العميق لهذا النوع من المرض :

L. Lowenfeld, Die Psychischen Zwangsercheinungen, 1904.

Further Remarks on the Defence Neuro-Psychoses, (٢)

1896, Collected Papers, Vol. P. 162.

(ملاحظات أخرى عن دفاع الأذهنة العصبية ، ١٨٩٦ ، المقالات

المجموعة ، ترجمة مستر ومسز ستراشي ، مجلد ١) .

(٣) هذا الخطأ في تعريفى يلقى إلى حد ما يصححه في المقال نفسه .

ففي ص ١٦٣ منه نجد هذه الفقرة : « ومع ذلك فإن الذكريات المنبعثة والتأنيبات الذاتية المترتبة عليها لا تظهر قط في الشعور على حالها دون تحريف . فالفكرة القهرية ، والوجدانات القهرية التي تظهر في الشعور ، والتي تحتل في الحياة الشعورية مكان الذكرى المولدة للمرضى ، هي تكوينات ائتلافية من الأفكار المكتوبة والأفكار الكابتة » . ومعنى ذلك أنه يتحتم في التعريف أن نلح بشكل خاص على هذه الكلمات : « في صورة محرقة » .

هذه الحقيقة وهي أن التكوينات القهرية يمكن أن تمثل أفعالا نفسية أشد ما تكون تنوعا مما يمكن تصنيفه بشكل متميز في : رغبات ، وغوايات ، وحفزات ، وأفكار ، وشكوك وأوامر ، ونواه . وبصورة عامة ينزع المرضى الى طمس هذه التمايزات ، فيعتبرون ما تبقى من هذه الافعال النفسية ، بعدما تكون قد تجردت من شحنتها الوجدانية مجرد « أفكار قهرية » . وقد قدم مريضنا الحالى ، في إحدى جلساته الاولى ، مثالا لهذا النمط من السلوك ، عندما أراد أن يخفف رغبة الى مجرد « تداعى أفكار » (أنظر ص ٣٨٠ ، ٣٨١) .

هذا الى أنه يتحتم الاعتراف بأن فينومينولوجية التفكير القهرى ذاتها لم تلق حتى الآن عناية كافية . فأتساءل النضال الدفاعى الثانوى الذى يشنه المريض ضد « أفكاره القهرية » التى شقت طريقها الى شعوره ، تظهر تكوينات نفسية تستحق تسمية خاصة . (من قبيل ذلك مثلا تلك السلسلة من الافكار التى شغلت ذهن مريضنا فى رحلة عودته من المناورات) . هذه التكوينات النفسية التى تظهر ليست مجرد اعتبارات منطقية خالصة تظهر مناهضة للافكار القهرية ، ولكنها ان جاز القول ، مزاج من كلا النوعين من التفكير ، فهذه التكوينات الدفاعية تندس فيها بعض مقدمات القهر الذى تناهضة ، وهكذا فانها وان استخدمت أسلحة المنطق الا أنها تستند الى أساس من التفكير الباثولوجى . وفى رأى فان مثل هذه التكوينات الدفاعية تجدر تسميتها « شبه هذآات » (١) . وكما أوضح هذا التخصيص ، فسوف أقدم مثالا ينبغى أن يوضع فى مكانه الصحيح من سياق تاريخ حالة المريض . فقد سبق أن وصفت السلوك الغريب الذى استسلم له المريض فى وقت ما بينما كان يستعد لامتحان - كيف كان من عادته أن يعمل فى وقت متأخر من الليل ، وأن يذهب فيفتح الباب

(١) deliria (E), delires (Fr.) نلاحظ هنا أن فرويد يطلق

هذا المصطلح على ظواهر نفسية لا تطابق تلك التى يطلق عليها الطبيعى النفسى هذا الاسم - وانما يستخدمه كما يستخدم مصطلح [delire de toucher].

الخارجى لروح ابيه ، ثم يتأمل عضوه الجنسى فى المرأة (أنظر ص ٥٠٨) • كان يحاول أن يعيد نفسه الى الرشد بأن يسأل نفسه عما يمكن أن يقوله أبوه عن هذا كله لو أنه كان حقا ما يزال حيا ولكن هذا التكبير لم يتمخض عن أية نتيجة طالما كان يظهر عنده فى تلك الصورة المنطقية • فالسلوك الغريب لم يتوقف الا بعد أن قام المريض بتحويل نفس هذه الفكرة الى تهديد « شبه هذائى » : لو أنه عاد مرة أخرى الى مثل هذه الحماسة فسوف ينزل بأبيه سوء فى العالم الآخر •

وليس من شك فى أن التمييز بين نضال دفاعى أولى ونضال دفاعى ثانوى يستند الى أساس متين ، ولكن قيمة هذا التمييز تتضاءل بصورة غير متوقعة عندما نتبين أن المرضى أنفسهم يجهلون منطوق أفكارهم القهرية • وقد يبدو هذا متناقضا ، ولكنه يستند الى المنطق التالى : فأتساءل تقدم التحليل النفسى ليس المريض وحده هو الذى يستجمع سجايعه بل مرضه أيضا ، واذ يغدو من الجسارة بحيث ينطق بأصح مما كان ينطق من قبل • فاذا ما تركنا لغة المجاز هذه ، يمكن القول بأن ما يحدث هو ما يلي : ان المريض الذى كان حتى الآن يدير عينيه فى رعب بعيدا عن نتاجاته الباثولوجية يبدأ فى التنبه اليها ، فيبلغ الى معرفتها بشكل أوضح وأكثر تفصيلا (١) •

هذا الى أنه توجد طريقتان محددتان للبلوغ الى معرفة أكثر دقة عن التكوينات القهرية • ففى المقام الاول تكشف التجربة عن أن « أمرا » قهريا (أو رغبة قهرية أو ما الى ذلك) ، مما لا يعرفه المريض فى حياته اليقظة الا فى صورة بترء وشائهة ، كبرقية شوهاها الايجاز ، يمكن أن يظهر منطوقه الصريح فى الحلم • مثل هذه المنطوقات تظهر فى الاحلام عبارات منطوقة ، ومن ثم تمثل استثناء للقاعدة التى تنص

(١) كثير من المرضى يديرون أعينهم بعيدا ممعنين فى ذلك الى حد أنهم يعجزون تماما عن تقديم مضمون فكرة قهرية أو عن وصف فعل قهرى ، رغم أنهم قاموا به مرات ومرات •

بأن المنطوقات في الاحلام مستمدة من منطوقات الحياة الواقعية (١) .
وفي المقام الثاني ، كثيرا ما تتأدى ، أثناء الفحص التحليلي لتاريخ
جاللة ، الى الاقتناع بأنه اذا ما تتابعت قهور ، الواحد بعد الآخر ،
فانها غالبا ما تكون في نهاية الامر — حتى وان لم تتطابق منطوقاتها
— قهرا واحدا وبعينه . فربما يكون القهر عند ظهوره الاول قد تم
التخلص منه بنجاح . ولكنه يعاود الظهور مرة ثانية في صورة محرفة ،
بحيث لا يمكن التعرف عليه . فربما بسبب ذلك التحريف ، على وجه
التحديد ، أنه يقتدر على الصمود بشكل أكثر فاعلية في النضال الدفاعي .
ولكن الصورة الاصلية هي الصحيحة وكثيرا ما تقدم لنا دلالتها في
صراحة تامة . وعندما تبلغ ، بعد عناء شديد ، الى استجلاء فكرة
قهريّة مستعلّقة على الفهم ، فغالبا ما يحدث أن يخبرنا المريض أن
فكرة أو رغبة أو هواية على التحديد ، كهذه التي بلغنا الى استجلائها ،
قد ظهرت لديه بالفعل في احدى المناسبات قبل أن تنشأ عنده الفكرة
القهريّة ، ولكنها لم تستمر في البقاء .

ولو أردنا تقديم أمثلة من تاريخ حالة مريضنا الحالي ، لجرنا
ذلك لسوء الحظ الى استطراد مسرف الاسهاب .

فالفكرة التي نصفها من الناحية الرسمية بأنها « فكرة قهريّة » ،
تكشف من ثم ، في صورتها المحرفة ، من المنطوق الاصلى ، عن آثار
النضال الدفاعي الاولى . وهذا التحريف الذي طرأ عليها هو الذي
يمكنها أن تستمر في البقاء ، ما دام التفكير الشعوري يعجز بذلك
عن أن يفهم حقيقتها . تناما كما لو كانت حلما ، لان الاحلام هي
الاخرى نتاج ائتلافات وتحريفات ، وهي الاخرى يعجز التفكير
الشعوري عن أن يفهم حقيقتها .

وهذا العجز عن الفهم من جانب التفكير الشعوري يمكن أن

(١) انظر : تفسير الاحلام ، الطبعة السابعة الالمانية ، ص ٢٨٣ .
والترجمة العربية : تفسير الاحلام . دار المعارف بمصر ، ص ٤١٩ .

نتبين فعاليته ليس فقط فيما يتصل بالافكار القهرية ذاتها ، بل أيضا فيما ينصل بنتائج النضال الدفاعى الثانوى ، وذلك ، على سبيل المثال ، هو حال الصيغ الوقائية ، وبوسعى أن أقدم مثالين مناسبين على ذلك • كان من عادة مريضنا أن يستخدم - كصيغة وقائية - كلمة ينطقها بسرعة هى aber (لكن) مصحوبة بإشارة استتكار • قال لى فى احدى المناسبات ان هذه الصيغة قد تعدلت e أخيرا ، فلم يعد ينطقها (آبر) ولكنه ينطقها aber (أبير) • وعندما سألته عن السبب فى هذا التعديل ، قال لى بأن حرف e الساكن لم يكن يحقق له شعورا بالأمن ضد احتمال الاندساس ، الذى كان يرتعب منه ، من جانب بعض العناصر الغريبة المضادة ، ومن ثم عقد عزمه على أن ينطق بحرف é متحركا • وهذا التفسير (وهو عينة ممتازة من الاسلوب العصابى القهرى) كان قاصرا بشكل واضح ، فأقصى ما يمكن أن يكونه هو التبرير • أما الحقيقة فهى أن كلمة abér (أبير) كانت شبيهة فى نطقها بكلمة Abwehr (أبثير) «دفاع» ، وهى كلمة تعلمها من خلال مناقشتنا النظرية فى التحليل النفسى • النفسى • فهو بذلك قد أستغل العلاج بشكل شبه هذائى وغير مشروع ، كيما يدعم صيغة وقائية •

وفى مرة أخرى تحدث الى عن كلمته السحرية الاساسية ، التى كان يتتى بها كل شر ، والتى صاغها من الحروف الاولى لاكثر صلواته قوة وبركة ، وذيلها بحروف amen (آمين) فى نهايتها • وليس بوسعى أن أورد الكلمة هنا لاسباب ستتضح فى التو • ذلك أنه عندما ذكر لى هذه الكلمة لم يسعنى الا أن أتبين أنها ليست فى الواقع غير معكوس اسم سيدته الشابة • كان اسمها يشتمل على حرف (س) ، وقد جاء فى آخر الكلمة أى قبل حروف « آمين » مباشرة • ومن هنا يكون بوسعنا أن نقول انه بهذه العملية قد أتاح لسائله المنوى samen أن يلتصق بالمرأة التى يحبها ، ومعنى ذلك أنه فى الخيال قد استمنى عليها • ومع ذلك فانه هو نفسه لم يتنبه قط الى هذه

الصلة جد الظاهرة ، فقوى الدفاع عنده قد سمحت لنفسها أن تخذعها القوة المكبوتة • وذلك أيضا مثال طيب على القاعدة التي بمقتضاها :

ان الشيء الذي يراد كبحه يبلغ — مع الوقت وبانتظام — الى أن ينفذ داخل الوسيلة التي تستخدم لكبحه •

قد أكدت من قبل بأن الافكار القهرية قد عانت تحريفا شبيها بهذا التحريف الذي عانته أفكار حلم قبل أن تصبح المضمون الصريح للحكم ، فان ما يشد انتباهنا هنا هو الاسلوب الذي يتخذه هذا التحريف • ولا ينبغي أن يكون هناك ما يحول بيننا وبين بيان الأشكال المختلفة التي يتخذها هذا التحريف ، وذلك عن طريق مجموعة من القهور التي تمت ترجمتها وأكتمل استجلاؤها • ولكن ضمن الاطار الخاص بهذه الحالة يستحيل على أن أزيد على بضع عينات لم تكن كل قهور مريضنا من تعقيد البنية ، ومن صعوبة التفسير ، على النحو الذي كان عليه قهره الكبير عن الفيران • ففى بعض قهوره الاخرى ، كان الاسلوب المستخدم بسيطا جدا — هو على التحديد أسلوب التحريف بالحذف أو الاضمار • وهذا الاسلوب يتضح بشكل بارز فى النكات اللفظية ، ولكنه أيضا فى الحالة التي أمامنا يعمل كوسيلة للوقاية ضد الفهم •

وعلى سبيل المثال ، فان واحدا من أقدم القهور وأكثرها خطورة عند المريض (مما كان يمثل تذكيرا) كان كما يلى : « اذا تزوجت من السيدة الشابة فسوف ينزل سوء بأبى فى العالم الآخر ؟ » • فاذا أعدنا وضع الحلقات الوسيطة المحذوفة وهى التى تبيينها من التحليل ، نجدنا أمام هذه السلسلة من الافكار : « لو كان أبى حيا لغضب من مشروع زواجى من السيدة الشابة كما غضب فى مشهد طفولتى ، بحيث كنت أتفجر غاضبا ضده مرة أخرى متمنيا له كل

(١) هذه القدرة المطلقة سوف نتناولها فيها بعد ص ٤٤١ •

ما يمكن من سوء ، وبفضل ما لرغباتى من قدرة مطلقة (١) ولن يكون مفر من أن ينزل به كل هذا السوء » .

وثمة مثال آخر يمكن البلوغ الى فهمه اذا أعدنا وضع الحلقات الوسيطة المحذوفة وهو أيضا من طبيعة تحذيرية أو تحريمية زاهدة، كانت للمريض ابنة أخت صغيرة ساحرة وكان شديد التعلق بها . وذات يوم خطرت هذه الفكرة فى رأسه : « لو استبحت لنفسك جماعا فسوف ينزل سوء بايلا Ella (سوف تموت) » . فاذا ما أعدنا وضع الحلقات الوسيطة المحذوفة نجدنا أمام ما يلي : « فى كل مرة تستبجح جماعا ، حتى مع امرأة غريبة ، فلن يكون بوسعك أن تتجنب التفكير فى أن الجماع فى حياتك الزوجية لا يمكن قط أن ينجب لك طفلا (بالنظر الى عقم سيدته الشابة) . وسوف يحزنك ذلك كثيرا بحيث تحسد شقيقتك على ابنتها الصغير ايللا ، وسوف تحقد عليها بسبب طفلتها . هذه الرغبات الحسودة لن يكون مفر من أن تتأدى الى موت الطفلة » (١) .

(١) ثمة مثال من أحد مؤلفاتى الأخرى Der Witz (١٩٠٥) « النكات وعلاقتها باللاشعور » « الطبعة الرابعة الألمانية ص ٦٣ » ، يذكر القارىء الطريقة التى يستخدم بها أسلوب الحذف الاضمارى فى صنع النكات : « فى فينا صحفى داهية مشاكس ، أدت به طعونه اللاذعة الى أن يتعرض للاذى البدنى ، مرات ومرات ، من جانب ضحاياه ، وفى احدى المناسبات ، حين تناول النقاش سيئة جديدة صدرت من واحد من خصومة المعتادين ، تعجب أحد الحاضرين قائلا : « لو سمع س بذلك ، فسوف تذوق أذناه اللكمات من جديد » . . واللامعتولية البادية فى هذه العبارة لا تلبث أن تختفى اذا ما وضعنا بين شقى العبارة هذه الكلمات : « سوف يكتب عن الرجل مقالا من المرارة بحيث . . الخ » — هذه النادرة القائمة على الحذف الاضمارى هى ، كما يمكن أن نلاحظ ، شبيهة فى مضمونها ، وأيضا فى شكلها ، بالمثال الاول الذى أوردناه فى النص . (من هذا القبيل ما يروى عن جحا فى النكات الشعبية، اذ جلس يوما أمام بيته يتناول تمرا ، غمر عليه صديق بادره بالتحية : « سلام عليكم يا جحا » ، فلم يكن من

ان أسلوب التحريف بالحذف الاضمارى هو ، على ما يبدو ، نمطى فى الاعصبة القهرية فقد التقت به أيضا فى الافكار القهرية لمرضى آخرين . وثمة مثال يتسم بالشفافية بنوع خاص ، وينطوى على أهمية خاصة ، بالنظر الى تماثل فى البنية بينه وبين قهر الفيران . كانت حالة من الشك ظهرت عند سيدة تعاني أساسا من أفعال قهرية . خرجت تلك السيدة فى نزهة مع زوجها فى نورمبرج ، واصطحبته الى متجر حيث انشغلت فى شراء أشياء مختلفة لطفلها ، ومن بينها مشط . أما زوجها فقد كانت عملية الشراء هذه بالنسبة الى مذاقه مهمة أطول مما يحتمل ، فأخبر زوجته بأنه قد لمح فى طريقه قطعة نقدية — فى محل للعاديات — يتوق الى اقتنائها ، وأضاف بأنه متى فرغ من شرائها فسيعود اليها ليلتقى بها حيث هما فى نفس المتجر . ولكنه تغيب عنها ، بحسب تقديرها ، وقتا طويلا أكثر من اللازم . ومن ثم سألته حين عاد اليها أين كان . أجاب : « فى محل العاديات الذى اخبرتك عنه » . وفى نفس اللحظة استولى عليها شك مضم فىما ان لم يكن هذا المشط الذى اشترته الآن لطفلها ، لديها دائما من قبل فى الواقع . وكانت بالطبع عاجزة عن أن تتبين الحلقة النفسية البسيطة التى كانت مضمرة فى هذا الشك . فكل ما كان يلزم هو أن ننظر الى الشك على أنه عانى نقلا وأن نعيد بناء السلسلة المكتملة للأفكار اللاشعورية كما يلى : « لو صح أنك لم تكن حقا الا فى محل العاديات ، ولو كان على حقا أن أصدق ذلك ، فعندئذ يمكننى بنفس الدرجة أن أصدق أن هذا المشط الذى اشتريته منذ لحظة كان لدى دائما منذ سنوات » . ومن ثم فقد كانت السيدة بذلك ترسم خطأ موازيا من التهكم الساخر ، تماما كما فكر مريضنا : « نعم ، بقدر ما هو صحيح أن أبى والسيدة الشابة سينجبان أطفالا ، فأنتى بالتأكيد سوف أسدد الرسوم الى » أ « .

جاء الا أن أجابه : « كده يعنى كده ! » ولم يفهم الصديق هذه الاجابة فراح يستوضحه ، فقال « أرد عليك التحية فتسألنى : « ماذا تأكل ؟ » فأجيبك ، فتسألنى : « هلا اشركتنى معك فى هذا الطعام ؟ » فأجيبك « كده ! » فتسألنى : « كده ليه » فأجيبك « كده يعنى كده ! » — المترجمون .

كان الشك في حالة الزوجة راجعا الى غيرتها اللاشعورية ، التي جعلتها تعتقد أن زوجها قد أمضى فترة غيابه عنها في زيارة غرامية .

ولن أحاول في هذا المقال أن أقوم بأية دراسة للدلالة السيكولوجية للتفكير القهري . مثل هذه الدراسة يمكن أن تتطوى نتائجها على قيمة هائلة ، ويمكن أن تعمل على توضيح تصوراتنا عن الشعور واللاشعور ، بأكثر مما تستطيعه أية دراسة للهستيريا أو لظواهر التثويم المغناطيسى . ولو أن الفلاسفة وعلماء النفس ، ممن يصوغون نظريات براءة عن اللاشعور استنادا الى معارفهم القائمة على التقولات أو الى تعريفاتهم التي يتواضعون عليها ، بدأوا بتلقى هذه الانطباعات المقنعة التي يمكن البلوغ اليها من الدراسة المباشرة لظواهر التفكير القهري ، لكان ذلك أمرا مرغوبا فيه الى أقصى حد . وكان بودنا أن نمضى الى حد مطالبتهم بالقيام بذلك ، لو لم تكن هذه المهمة أكثر مشقة بكثير من طرائق العمل التي ألفوها . وفي الاعصبة القهرية ، حسبى أن أضيف بأن العمليات النفسية اللاشعورية أحيانا ما تقتحم داخلية الى الشعور في صورتها الخالصة غير المحرفة ، وأن مثل هذه الاقتحامات يمكن أن تحدث في كل مرحلة من مراحل العملية اللاشعورية للتفكير . كذلك فإنه في الوقت الذي يتحقق فيه هذا الاقتحام ، غالبا ما يمكن التعرف على الافكار القهرية على أنها تكوينات جد قديمة العهد . وفي ذلك ما يفسر تلك الظاهرة الشديدة الغرابة التي تنحصر في أنه ، عندما يحاول المحلل مستعينا بالمريض ، تحديد التاريخ الذي ظهرت فيه لأول مرة فكرة قهرية ، يجد المريض نفسه مضطرا الى أن يرجع بذلك التاريخ الى الوراء وأكثر فأكثر كلما تقدم التحليل ، فلا يفتأ يعثر على مناسبة « أولى » جديدة لظهور القهر .

(ب) بعض الفرائب السيكولوجية للعصابيين القهريين

اتجاههم من الواقع والخرافة والموت

في هذا القسم سوف أتناول بعض الخصائص النفسية عند العصبيين القهريين ، والتي وان لم تكن هامة في ذاتها ، الا أنها مع

ذلك تسد على فهمنا الطريق الى أشياء أكثر أهمية . كانت هذه الخصائص جد بارزة عند مريضنا الحالي ، ولكنى أعرف بأنها لا ترجع الى مرضه ، وأنا نلتقى بها بصورة نمطية تماما عند عصابين قهريين آخرين .

كان مريضنا يؤمن بالخرافة بدرجة كبيرة ، وذلك على الرغم مما كان عليه من تعليم عال وثقافة واسعة وفطنة كبيرة ، وعلى الرغم من أنه كان يقندر أحيانا على أن يؤكد لى بأنه لا يؤمن بكلمة واحدة من كل هذا الهراء . وهكذا فقد كان معا مؤمنا بالخرافة وغير مؤمن بها ، وكان هناك فارق واضح بين اتجاهه وبين الايمان بالخرافة عند غير المتعلمين وهو ايمان لا يعرف الشك . كان فيما يبدو يفهم أن ايمانه بالخرافة يرجع الى تفكيره القهرى ، وان كان فى بعض الاحيان يستسلم تماما لهذا الايمان . ومثل هذا السلوك المتناقض والمتذبذب يمكن أن نتبين دلالاته بأقصى سهولة اذا ما نظرنا اليه فى ضوء فرض سوف أشرع فى تقديمه الآن . اننى لم أتردد فى أن أفترض بأن المريض كان لديه ، فيما يتصل بهذه الامور ، رأيان منفصلان ومتناقضان وليس رأيا واحدا لم يتحدد بعد . وتذبذبه بين هذين الرأيين يرجع بكل وضوح الى اتجاهه فى اللحظة من قهوره . فلا يكاد يتغلب على أحد هذه القهور حتى يبتسم فى فهم ساخرا من قابليته للتصديق ، وما من شئ يحدث يستطيع أن ينال من ثباته ، ولكنه ما أن يعانى من جديد تسلط قهر آخر لم تتم تصفيته — أو ما أن يعانى ، وهو ما يعد مكافئا ، تسلط مقاومة — حتى تقع أكثر المصادفات غرابة ، سندا لايمانه الساذج .

ومع ذلك فان ايمانه بالخرافة كان ايمان رجل مثقف ، فكان يتجنب الخرافات السوقية من قبيل الخوف من يوم الجمعة أو من الرقم ١٣ وما الى ذلك . ولكنه كان يؤمن بالندير وبأحلام النبوة ، كان يلتقى دائما بنفس الشخص الذى كان ، لسبب لا يعرفه ، قد خطر بفكره منذ هنيهة ، أو يتلقى خطابا من شخص يكون قد خطر فجأة بباله ، بعد أن غاب عن ذهنه سنوات . وفى نفس الوقت كان

من الامانة — أو كان بالحرى من الولاء لشكليات ايمانه — بحيث لم يفس الحالات التى تتمخض فيها أقوى نذيراته عن شىء على الاطلاق .
ففى احدى المناسبات على سبيل المثال ، عندما رحل فى اجازته الصيفية ، استشعر فى نفسه احساسا أكيدا بأنه لن يعود قط الى فينا حيا .
وكذلك اعترف أيضا بأن الغالبية العظمى من نذيراته كانت تتعلق بأمور ليست بذات أهمية شخصية خاصة ، وبأنه حين كان يلتقى بأحد معارفه ، الذى لم يخطر بباله لسنوات طويلة الا منذ هنيئة ، لم يكن هناك شىء يحدث بينه وبين صاحب هذا الظهور الخارق . ولم يكن بوسعها بالطبع أن ينكر أن كل الاحداث الهامة فى حياته قد وقعت دون أن يكون لديه أى نذير عنها ، وأن موت أبيه على سبيل المثال ، قد مات فجأة على غير انتظار منه تماما . ولكن الحجج من هذا القبيل لم تغير شيئا من تنافر معتقداته . فهى لم تتمخض الا عن اثبات الطابع القهرى لايمانه بالخرافة ، وكان من الممكن بالفعل استخلاص ذلك من الطريقة التى بها يجيء ويذهب ذلك الايمان مع ازدياد مقاومته ونقصانها .

لم أكن بالطبع فى وضع يمكننى من تقديم تفسير منطقى لكل تلك الحكايات الخارقة من ماضيه السابق . ولكن فيما يتصل بالامور المماثلة التى حدثت أثناء فترة علاجه ، كان بوسعى أن أثبت له أنه كانت له هو نفسه دائما يد فى صنع هذه المعجزات ، وكان بوسعى أن أبين له الوسائل التى استخدمها . كانت وسائله فى العمل هى الرؤية والقراءة الهامشية ، والنسيان ، وأهم من ذلك كله خداعات الذاكرة وفى النهاية اعتاد أن يساعدى بنفسه فى الكشف عن سر حيله المستتدة — ان جاز القول — الى « خفة اليد » ، التى كانت بها تتحقق تلك الخوارق .
وثمة أصل طفلى هام لاعتقاده فى صدق النذيرات والنبوءات تكشف لنا عندما تذكر المريض أنه كان يجرى تحديد موعد لشيء ما ، فكثيرا ما كان من عادة أمه أن تقول : « لن يكون بوسعى أن .. فى هذا اليوم أو ذاك . سوف أكون طريحة الفراش فى ذلك الحين » . وعندما كان يحين اليوم المحدد كانت أمه فى الواقع بلا استثناء تلازم الفراش ! .

ليس هناك من شك في أن المريض كانت لديه رغبة في العثور على خبرات من هذا النوع تكون تكثت لآيمانه بالخرافة ، وأنه كان من أجل هذا السبب يشغل نفسه كثيرا بالمصادفات غير المفهومة في الحياة اليومية ، وهى التى نألفها جميعا ، وكان يعوض عن قصور هذه المصادفات بنشاطه اللاشعورى • وقد التقيت برغبة مشابهة عند كثيرين آخرين من العصابين القهريين ، واشتبهت في وجودها عند كثيرين آخرين غيرهم • ويبدو لى أنها رغبة يسهل تفسيرها بالرجوع الى الخصائص السيكولوجية للعصاب القهري • ففى هذا المرض ، كما سبق أن أوضحت (ص ٣٩٩) ، يتحقق الكبت ، لا النسيان ، بل بتقطيع العلاقات السببية ، وذلك بسحب الوجدان بعيدا • هذه العلاقات المكتوبة تبدو مستمرة فى البقاء على نحو قائم (سبق أن قارنته فى مكان آخر بادراج نفس المصدر (١)) ، وهكذا تتزاح هذه العلاقات ، بعملية اسقاط ، على العالم الخارجى ، حيث تكون شاهدا على ما تم استبعاده من الشعور •

وثمة رغبة أخرى يتشاطرها أيضا العصابين القهريون ، وهى من بعض الواجه تتصل بالرغبة السابقة الذاكر ، هى الرغبة فى « عدم التيقن » فى حياتهم ، أو الرغبة فى الشك • وتتضى هذه الخاصية يتأدى بنا الى تقص عميق للحفزات الغريزية • ان استحداث « عدم التيقن » هو احدى الوسائل التى يستخدمها العصاب لسحب المريض بعيدا عن الواقع وعزله عن العالم — الامر الذى يعد هدفا من أهداف كل عصاب نفسى • ومرة أخرى ، من الواضح الى أقصى حد مدى الجهود التى يبذلها المرضى أنفسهم كيما يكونون قادرين على تجنب اليقين والبقاء فى الشك • فبعضهم فى الواقع يترجمون عن هذه النزعة بشكل بارز فى نفورهم من الساعات والمنبهات (لأنها على الاقل تحقق اليقين فى الوقت) ، وهم يلجأون الى وسائل لا شعورية يصطنعونها

Zur Psychopathologie des Alltagslebens (1905) (١)

(سيكوباتولوجية الحياة اليومية — الطبعة العاشرة الالمانية ،

ص ٢٨٧) .

لابطال فعالية هذه الآلات المزيلة للشك • ومريّتنا الحالّي قد استحدث موهبة خاصة لتجنب معرفة أية وقائع يمكن أن تعينه على البت في صراعه • من ذلك أنه كان يجهل تلك الامور الخاصة بسيدته الشابة ، والتي كانت على أعظم درجة من الارتباط بمسألة زواجه كان من الواضح أنه لا يستطيع أن يعرف من الذي أجرى لها العملية، وما ان كانت العملية قد استأصلت أحد المبيضين أو كليهما • كان يتحتم على أن أكرهه على أن يتذكر ما نسيه ، وعلى أن يتقصى المعلومات عما أغفل الانتباه اليه •

ان ما يستشعره العصابيون القهريون من نزوع الى عدم التيقن والشك يتأدى بهم الى أن يتجهوا بأفكارهم الى تلك الموضوعات التي يستشعر ازاءها كل البشر عدم التيقن ، والتي يتحتم على معارفنا وأحكامنا عنها أن تظل مفتوحة للشك • والموضوعات الرئيسية من هذا النوع هي :

الأبوة ، وطول العمر ، والحياة بعد الموت ، وأيضا الذاكرة — وهذه الاخيرة من عادتنا جميعا أن نصدقها دون أن يكون لدينا أدنى ضمان بأنها جديرة بالثقة (١) •

والعصابيون القهريون يفيدون الى أقصى حد من عدم يقينية الذاكرة في تكوين أعراضهم ، وسوف نتبين الآن الدور الذي تلعبه في المضمون الفعلي لأفكار المرضى مسألة طول العمر ومسألة الجياة بعد

(١) كما يقول ليختنبرج Lichtenberg ان عالم الفلك يعرف

ما ان كان القمر مسكونا أو غير مسكون بنفس الدرجة من اليقين تقريبا التي يعرف بها من هو أبوه ، ولكن ليس بنفس درجة اليقين التي يعرف بها من هي أمه . لقد عرفت الحضارة تقدما هائلا عندما عقد الناس عزمهم على أن يصنعوا استنباطاتهم في نفس المستوى مع شهادة حواسهم ، وعلى أن يعبروا من النظام الامومي الى النظام الابوي — وتمثيل ما قبل التاريخ التي تصور كائنا بشريا أصفر يجلس فوق رأس شخص أكبر ترمز للخط السلالي الابوي ، والالهة أثينا لم يكن لها أم ، ولكنها خرجت من

الموت • ولكن كحلقة انتقال ملائمة سوف أبدا أولا بتناول خاصية للايمان بالخرافة عند مريضنا سبق أن أثرت اليها (ص ٤٧١) ، ولا بد وأنها قد أثارت الحيرة عند أكثر من واحد من قرائي •

وانى أعنى بذلك القدرة المطلقة التى كان ينسبها لافكاره ومشاعره ، ولرغباته سيان كانت خيرة أم شريرة • ويتحتم على أن أعترف بأن هناك ما يعزى ولا شك بالقول بان الامر هنا يتعلق بهذاء ، وبأنه يتخطى حدود العصاب القهرى • وعلى أى حال ، فانى قد التقيت بنفس هذا الايمان بالقدرة المطلقة عند عصابى قهرى آخر ، شفى منذ وقت طويل ، ويعيش الآن حياة سوية • والواقع هو أن كل العصابين القهرين يتصرفون وكأنهم يشاركون فى هذا الايمان بالقدرة المطلقة • وسيكون علينا أن نلقى بعض الضوء على ما لدى هؤلاء المرضى من تقدير زائد لقدراتهم • ولنسلم على الفور ودون تلكؤ بأن هذا الايمان بالقدرة المطلقة ينطوى على جانب كبير من الميجالومانيا (هوس العظمة) الطفلية ، ولنشرع فى مسألة مريضنا عن الاساس الذى يستند اليه ايمانه هذا • وقد أجاب يحكى واقعتين من حياته • فعندما عاد للمرة الثانية الى مصحة العلاج بالمياه حيث سبق أن تحسنت حالته للمرة الاولى والوحيدة ، أبدى رغبته فى أن ينزل بنفس غرفته السابقة التى يسرت له بفضل موقعها علاقته باحدى ممرضاته • أخبروه بأن الغرفة مشغولة بالفعل من جانب أستاذ عجوز • هذا الخبر قلل الى حد كبير ما كان يأمل فيه من علاج ناجح ، فاستجاب له بهذه الكلمات غير الودودة : « آه ، فليمت بالسكته ! » وبعد أسبوعين من ذلك استيقظ من نومه تفزعته فكرة جثة • وفى الصباح سمع أن الاستاذ انتابته سكتة مخية فى الواقع ، وأنهم حملوه الى غرفته ، وذلك فى نفس الوقت تقريبا الذى استيقظ فيه مريضنا فزعا

=

راس جويتير • والشاهد الذى يشهد على شىء فى محكمة يسمى بالالمانية
31.96 (وتعنى حرفيا والد منجب) ، استنادا الى دور الذكر فى
عملية الانجاب ، وكذلك أيضا فى الهيروغليفية كان يجرى تمثيل الشاهد
فى صورة عضو الانسال الذكرى •

من نومه • أما الواقعة التالية فكانت تتعلق بأنسة متقدمة في السن • وان كانت تتوق بشدة الى الحب ، كانت قد أولته قدرا كبيرا من اهتمامها ، بل وطلبت اليه مرة في صراحة ما ان كان بوسعه أن يحبها • وقد أجابها اجابة مراوغة وبعد ذلك بأيام قليلة سمع أنها أَلقت بنفسها من النافذة • عندئذ بدأ يُؤنب نفسه ، وقال لنفسه بأنه كان بوسعه أن ينفذ حياتها ، لو منحها حبه • وبهذه الطريقة تأدى الى الاقتناع بالقدرة المطلقة لحبه وكراهيته • ودون انكار منا للقدرة المطلقة للحب ، ينبغي أن نشير الى أن هاتين الواقعتين قد انتهيتا الى الموت، ومن حقا أن نتبنى هذا التفسير الواضح الذى مؤداه أن مريضنا ، كغيره من العصابين القهريين ، كان يتحتم عليه أن يغالى فيما لكراهيته من آثار على العالم الخارجى ، لانه كان يجهل شعوريا جانبا كبيرا من الآثار الداخلية ، النفسية ، لهذه الكراهية كان حبه ، أو بالحرى كراهيته ، طاغية في الواقع ، وكانا على وجه التحديد هما اللذان ولدا الافكار القهرية ، هذه التى لم يكن يستطيع أن يتبين أصلها ، والتي ناضل عبثا ليحمى نفسه ضدها (١) •

وكان لمريضنا اتجاه غريب تماما من مسألة الموت • كان يبدى أعمق التعاطف كلما مات أحد ، ويشترك بكل خشوع في الجنازات ، حتى اشتهر بين أشقائه وشقيقاته باسم « غراب البين » (٢) • وكان في خياله أيضا لا يتوقف عن قتل الناس كيما يتمكن من ابداء تعاطفه القلبى العميق مع أقارب الفقيد • ان موت شقيقته التى تكبره ، وهو ما بين الثالثة والرابعة من العمر ، قد لعب دورا كبيرا في أخاييله • وهذا الموت قد تكشف وثيق الصلة بالسيئات الصغيرة القليلة في تلك

(١) (ملحوظة اضافية عام ١٩٢٣) — ان القدرة المطلقة للانكار ، أو بعبارة أدق ، للرغبات ، قد تكشفت منذ ذلك الوقت عنصرا رئيسيا في الحياة النفسية للشعوب البدائية • انظر كتابى (الطوتم والتابو) •

(٢) (في الاصل الالمانى Leichenvogel ، وتعنى حرفيا « طائر الجثث » من هامش الترجمة الانجليزية) •

الفترة من حياته • هذا الى أننا نعرف في أى وقت باكر شغلت ذهنه الافكار عن موت أبيه ، وبوسعنا أن ننظر الى مرضه ذاته بحسابه استجابة لذلك الموت الذى رغب فيه بشكل قهرى قبل ذلك بخمسة عشر عاما • ولم يكن الامتداد العجيب لمخاوفه القهرية الى « العالم الآخر » الا تعويضا عن تلك الرغبات فى موت أبيه • ظهر ذلك بعد موت أبيه بعام ونصف ، فى وقت ابتعث فيه حزنه على فقد أبيه ، وكان ذلك يستهدف - فى تحد للواقع ، وفى اذعان للرغبة التى كانت من قبل قد تبدت فى الأخييل من كل نوع - محو واقعة موت أبيه • ولقد تعلمنا فى عدة مواضع (أنظر ص ٤٢٨ وص ٤٣٢) أن نترجم عبارة « فى العالم الآخر » بالكلمات : « لو كان أبى ما يزال حيا » • ولكن سلوك العصابين القهرين الآخرين لا يختلف كثيرا عن سلوك مريضنا ، وحتى وان لم يكن من نصيبهم أن يجابها ظاهرة الموت وجها لوجه فى مثل هذه السن الباكرة • فهم دائما مشغولون بطول عمر الآخرين واحتمال موتهم ونزعاتهم الى الايمان بالخرافة لا تنطوى ، بادىء ذى بدء ، الا على نفس هذا المضمون ، وربما لا يكون لها على الاطلاق أى مصدر آخر • ولكن هؤلاء العصابين القهرين يحتاجون ، قبل كل شئ ، الى العون الذى تنطوى عليه امكانية الموت ، لانه يمكن أن ينزل حلا لصراعاتهم التى تركوها بغير حل • فخاصيتهم الرئيسية هى عجزهم عن البت وخاصة فى أمور الحب ، فهم يحاولون تأجيل كل بت ، وهم اذ يترددون فى صالح من يكون البت ، وفى أية اجراءات ينبغى اتخاذها ضد شخص ما • يجدون أنفسهم مضطرين الى أن يتخذوا أنموذجهم من المحاكم الالمانية القديمة ، التى كانت تنتهى قضاياها ، قبل الحكم فيها ، بموت الجانبين المتخاصمين • وهكذا فانهم فى كل صراع يدخل حياتهم يتطلعون الى موت أحد ذى أهمية بالنسبة اليهم ، وعادة ما يكون موضع حبههم - وذلك من قبيل أحد أبويهم ، أو منافس ، أو واحد من موضوعات حبههم التى تتأرجح بينها ميولهم • ولكن عند هذه النقطة يبدأ نقاشنا لعقدة الموت فى الاعصبة القهرية يلمس مشكلة الحياة الغريزية عند العصابين القهرين • فلنتحول الان الى هذه المشكلة •

(ج) الحياة الغريزية للعصابيين القهريين

ومصدر القهر والشك عندهم

إذا أردنا أن نتبين القوى النفسية التي أقام تفاعلها صرح هذا العصاب ، فإنه يتحتم علينا أن نرجع الى الوراثة ، الى ما سبق أن عرفناه من مريضنا عن الاسباب المباشرة لموضعه في سن الرشد وفي الطفولة تفجر عنده المرض عندما كان عليه بعد العشرين أن يواجه غواية الزواج من امرأة أخرى غير تلك التي كان يجبها منذ وقت طويل ، وقد تجنب البت في هذا الصراع بتأجيله كل الاجراءات التي كان من شأنها أن تهيبء الحل . وقد أمده عصابه بوسائل هذا التجنب . ان تردده بين السيدة الشابة التي كان يجبها والفتاة الاخرى يمكن ارجاعه الى صراع بين تأثير أبيه وحبه لسيدته الشابة ، أو بعبارة أخرى ، الى صراع اختيار بين أبيه وموضوعه الجنسي ، على نحو ما كان قائما (استنادا الى ذكرياته وأفكاره القهرية في طفولته الباكرة . هذا الى أن مريضنا كان بكل تأكيد ، طوال حياته كلها ، فريسة صراع بين الحب والكراهية ، سواء بالنسبة الى سيدته الشابة أو بالنسبة الى أبيه . فأخايبه الانتقامية ، وقهوره ، من قبيل قهر الفهم عنده ، وتصرفه ازاء الحجر في الطريق ، تقوم شاهدا على تناقض مشاعره ، وكان تناقضها هذا الى حد ما معقولا وطبيعيًا ، ذلك أن السيدة الشابة برفضها الزواج منه أولا ، ثم بفتورها بعد ذلك قد هيأت بعض العذر لكراهيته لها ولكن علاقته بأبيه كان يحكمها أيضا تناقض عاطفي مماثل ، على نحو ما رأينا من استجلاننا لافكاره القهرية ، وأبوه هو الآخر لا بد وأن يكون قد أمده ببعض العذر لكراهيته أثناء الطفولة ، على نحو ما تمكنا في الواقع من تبيينه بشكل يكاد يعلو على الشك . وكان اتجاهه من سيدته الشابة — وهو مزاج من الحب والكراهية — يدخل الى حد كبير ضمن نطاق معرفته الشعورية ، وأقصى ما استطاع أن يخدع نفسه فيه اقتصر على درجة وشدة مشاعرة السالبة . أما عن كراهيته تجاه أبيه فانها

على العكس ، على الرغم من أنه عاشها شعوريا مرة وبشكل حاد ،
قد اختفت منذ ذلك الوقت بعيدة عن ادراكه ، ولم يكن من الممكن
جلبها الى الشعور الا عبر مقاومة أقصى ما تكون شدة • ونستطيع
أن نعتبر كبت كراهيته الطفلية ازاء أبيه بحسبانه العملية التي رفعت
الى اطار العصاب بكل صراعاته اللاحقة •

ان الصراعات الوجدانية عند مريضنا ، وهي التي عدناها
منفصلة ، لم تكن في الواقع مستقلة بعضها عن بعض ، بل كانت
مترابطة في أزواج ، فكراهيته لسيدته الشابة تتزوج بالضرورة مع
حبه لابيه ، والعكس صحيح ، بمعنى أن كراهيته لابيه تتزوج
بالضرورة مع حبه لسيدته الشابة • ولكن هذين التيارين من الصراع
اللذين ينضمان من هذا التبسيط — وهما على التحديد تعارض علاقته
بأبيه مع علاقته بسيدته الشابة ، والتناقض بين حبه وكراهيته داخل
كل من هاتين العلاقتين ليس بينهما أى ارتباط على الاطلاق ، سيان
من حيث مضمونها أو من حيث أصلهما • والصراع الاول من هذين
الصراعين يناظر التآرجح الطبيعي بين الرجل والمرأة من حيث هما
موضوعات للحب وهذا الصراع يفرضه أولا على انتباه الطفل
بالسؤال التقليدي : « أيهما تحب أكثر ، بابا أم ماما ؟ » ثم يلزمه
بعد ذلك طول حياته ، كائنة ما كانت الشدة النسبية لمشاعره ازاء
الجنسين ، أو كائنا ما كان الهدف الجنسي الذي يعدو في نهاية الامر
مثبتا عليه • ولكن في الحالات العادية لا يلبث هذا التعارض حتى
يفقد طابعه كتناقض صارم ، وتناوب لا سبيل الى الافلات منه ،
بمعنى اما الواحد واما الاخر • فثمة مجال لاشباع المطالب غير
المتكافئة للجانبين كليهما ، وان كان — عند الشخص السوى ذاته —
دائما ما يدين التقدير الاعلى لاحد الجنسين ببروز لتقدير أدنى
للجنس الآخر •

وأما الصراع الثانى ، ونعنى التناقض بين الحب والكراهية ،
فيشير دهشتنا بشكل أعظم • فنحن نعرف أن الحب في بدايته كثيرا
ما يكون ادراكه بحسبانه كراهية ، وأن الحب ، حين يحرم الاشباع ،

يمكن أن يتحول في يسر وبصورة جزئية الى كراهية • ويحدثنا الشعراء عن أنه في المراحل المشبوبة من الحب يمكن للعاطفتين المتناقضتين أن تتعايشا برهه جنباً الى جنب وكأنهما في تنافس أحدهما مع الأخرى • وأما التعايش المزمّن بين الحب والكراهية ، في اتجاههما معا الى نفس الشخص ، وبأعظم شدة لهما ، فلا يمكن الا أن يثير دهشتنا • كنا نتوقع أن يكون الحب المشبوب قد اجتاحت الكراهية ، أو اجتاحت الكراهية العرمة منذ زمن طويل والواقع هو أن البقاء الطويل الامد للنقيضين معا لا يمكن أن يتحقق الا تحت ظروف سيكولوجية خاصة تماما ، والا بتعاون الاوضاع القائمة في اللاشعور • فالحب لم ينجح في اطفاء الكراهية ، بل نجح فحسب في دفعها أى كبتها في اللاشعور، وفي اللاشعور ، حيث الكراهية في مأمن من أن تدمرها العمليات الشعورية ، يكون بوسعها أن تستمر في البقاء ، بل وأن تنمو في مثل هذه الظروف ، وكقاعدة عامة ، يبلغ الحب الشعوري ، من قبيل رد الفعل ، درجة عالية من الشدة بشكل خاص ، حتى يكون من القوة بحيث يتمكن من الاضطلاع بمهمته الدائمة في الابقاء على خصمه (الكراهية) تحت الكبت • والشرط الضروري لحدوث مثل هذا الوضع الغريب في الحياة الشبقية لشخص ما ، هو على ما يبدو ، أن تتشطر عنده ، في سن جد باكرة من طفولته ، في وقت ما من الفترة قبل التاريخية من طفولته ان جاز القول ، العاطفتان المتناقضتان ، وأن تعاني احدهما - عادة الكراهية - الكبت (١) •

لو تفحصنا عددا من تحليلات العصابين القهريين ، فلن يكون بوسعنا أن نتقاضي الانطباع بأن علاقة بين الحب والكراهية ، كهذه التي وجدناها عند مريضنا الحالي ، هي خاصة من أكثر الخصائص تواترا وبروزا ، وربما بالتالى من أكثرها أهمية في العصاب القهري • ولكن كائنا ما كان الاغراء الذى ينطوى عليه ارجاع مشكلة « اختيار العصاب » الى الحياة الغريزية ، فان لدينا من الاسباب ما يكفى لتجنب هذا الاغراء • ذلك أننا في كل الاعصبة نلتقى بنفس الغرائز مكبوتة

(١) قارن المناقشة حول هذه النقطة في إحدى الجلسات الاولى (ص ٢٥) - « ملحوظة اضافية عام ١٩٢٣ » - لهذا الوضع الانفعالى

وراء الاعراض . وهكذا فان الكراهية التى تبقى بفعل الحب حبيسة فى اللاشعور نلعب أيضا دورا كبيرا فى توليد المرض فى حالتى الهستيريا والبرانويا . ونحن لا نعرف الا النذر اليسير عن طبيعة الحب بحيث يمكننا هنا البلوغ الى أية نتيجة حاسمة ، وبصفة خاصة ، فان العلاقة بين العامل السالب (١) فى الحب والعناصر السادية من الليبيدو ما تزال غامضة تماما . ومن ثم فلا ينبغى النظر الى ما يلى على أنه يزيد على تفسير مؤقت . عندئذ يكون لنا أن نفترض فى حالة الكراهية اللاشعورية التى نحن بصدها ، أن العناصر السادية من الحب ، لاسباب جبلية ، كانت نامية بشكل غير عادى ، ومن ثم عانت بعد ذلك انكباحا مسرفا فى تبكيهه وفى شدته . من ذلك نخلص الى أن الظواهر العصابية التى لاحظناها تتشأمن ناحية من الحب الشعورى الذى غدا مسرفا من قبيل رد الفعل ، ومن ناحية أخرى من السادية التى ما تزال قائمة فى اللاشعور فى صورة كراهية .

ولكن كائنا ما كان التفسير الذى نقدمه عن هذه العلاقة العجيبة بين الحب والكراهية ، فان واقعيته حقيقة ترتفع ، بفضل ما لاحظناه فى هذه الحالة ، على كل امكانية للشك ، ومما يبعثنا على الرضا أن نتبين مبلغ اليسر الذى نستطيع به الآن أن نفهم الظواهر المحيرة فى العصاب القهرى متى أرجعناها الى هذا العامل وحده . فاذا كان هناك حب شديد تعارضه كراهية مساوية فى الشدة تقريبا ، وكان هذا الحب فى نفس الوقت يرتبط بتلك الكراهية ارتباطا لا ينفصم ،

الفريب استحدثت بلوبلر فيما بعد مصطلح « ثنائية الوجدان » . انظر أيضا مزيدا من التطوير لهذا التصور فى مقالى « الاستعداد السابق للعصاب القهرى » ١٩١٣ .

Die Predisposition zur Zwangsnevrose.

The Predisposition to Obsessional Neurosis, Collected Papers,
Vol. II.

(١) يقول السيبياديس عن سقراط فى محاوره « المأدبة » : « كثيرا ما تمنيت أن يموت . ومع ذلك فانى أعرف بانى ساكون أسفا أكثر بكثير منى فرحا لو أنه مات . وهكذا أجدنى عديم الحيلة » .

فان النتيجة المباشرة والاكيدة هي شك جزئى للارادة ، وعجز عن البت بقرار فى أى من هذه الافعال التى ينبغى أن تجد فى الحب قوتها الدافعة . ولكن هذا « اللابت » لن يستمر طويلا فى اقتصاره على صنف واحد بعينه من الافعال . وذلك لانه فى المقام الاول : ما عساها أن تكون تلك الافعال التى تصدر عن عاشق ولا تكون لها علاقة بدافعه الرئيسى ؟ وثانيا ، لان اتجاه الفرد من الامور الجنسية ينطوى على قوة الانموذج ، بحيث تنزع الى مسايرته بقية استجاباته . وثالثا ، لانها خاصة فى صميم سيكولوجية كل عصابى قهرى أن يستخدم ميكانيزم النقل أقصى استخدام ممكن . ومن هنا فان شك قدرته على البت يمتد بالتدريج الى كل أنشطة المريض .

وهكذا تتشيد هيمنة القهر والشك على نحو ما نلتقى بهما فى الحياة النفسية للعصابيين القهريين . فالشك يناظر ما لدى المريض من ادراك داخلى عن « عجزه عن البت » ، هذا العجز الذى ، نتيجة الكف الذى نزل بحبه من جانب الكراهية ، يستولى عليه فى مواجهة أى فعل ينتويه . فالشك فى واقع الامر هو شك ينصب على حبه — هذا الذى ينبغى أن يكون أكثر الأشياء يقينية فى حياته النفسية كلها، ثم يمتد هذا الشك الى كل شىء آخر ، وهو بصفة خاصة قابل لان ينقل الى أتفه التفاصيل (١) . فالفرد الذى يشك فى حبه يمكن أن يشك أو بالحرى ينبغى أن يشك فى كل الأشياء الاخرى التى هى أقل قيمة من الحب (١) .

(١) قارن استخدام « التمثيل بشىء تافه » كوسيلة لصنع النكات . Freud, Der Witz (1905). (فرويد ، النكات ، ١٩٠٥ ، الطبعة الرابعة

الالمانية ، ص ٦٥) .

(١) ذلك ما نتيبئه فى الابيات التى يوجهها هاملت الى أوفيليا :

« فلتشكى فى أن تكون النجوم من اللهب ،

ولتشكى فى أن الشمس تدور ،

ولتشكى فى أن الحقيقة تكذب ،

ولكن لا تشكى أبدا فى حبى »

هذا الشك نفسه هو الذى يتأدى بالمريض الى عدم التيقن من اجراءاته الدفاعية ، والى تكراره الدائب لهذه الاجراءات حتى يتخلص من عدم تيقنه ، وهذا الشك نفسه أيضا هو الذى يتأدى فى النهاية الى أن تصبح اجراءات المريض الدفاعية ذاتها مستحيلة التنفيذ ، شأنها شأن قراره الاصلى المكفوف فيما يتصل بحبه • وكنت فى بداية أبحاثى قد وجدتنى مضطرا الى القول بأصل آخر أكثر عمومية لعدم التيقن عند العصابين القهريين ، وهو أصل يبدو أقرب الى الحياة العادية • فعلى سبيل المثال ، اذا راح أحد يقاطعنى بالاسئلة وأنا أكتب خطابا ، فانى أشعر بعد ذلك بعدم تيقن مشروع تماما مما يكون قد فاتتى أن أكتبه بتأثير المقاطعة ، وكيفا أتأكد ، يتحتم على أن أقرأ الخطاب من جديد بعد أن أفرغ منه وبنفس الطريقة يمكننى أن أفترض أن عدم تيقن العصابين القهريين ، وهم يؤدون الصلاة مثلا ، يرجع الى أخاييل لا شعورية تندس بلا انقطاع فى صلواتهم ، فتربكهم وهذا الافتراض صحيح ، ولكن يمكن فى يسر مصالحته مع رأينا الذى أوردناه قبلا • صحيح أن عدم تيقن المريض مما ان كان قد أنجز اجراء دفاعيا يرجع الى التأثير المربك لاخاييله اللاشعورية ، ولكن مضمون هذه الاخاييل هو على التحديد الحفزة المضادة — هذه التى كانت الصلاة تستهدف طردها بالذات • ولقد اتضح هذا بشكل بارز عند مريضنا فى احدى المناسبات ، اذ أن العامل المربك لم يبق لا شعوريا بل برز واضحا على نحو صريح • كانت الكلمات التى يريد أن ينطق بها فى صلاته هى : « يحفظها الله » ، ولكن انطلقت فجأة من لا شعوره الكلمة العدوانية « لا » فاندست فى كلماته ، وقد فهم أن ذلك انما كان محاولة للعنها (ص ٣٥٩) • ولو أن كلمة « لا » بقيت خرساء لكان يجد نفسه فى حالة من عدم التيقن ، ولاستمر يسترسل فى صلواته الى غير نهاية • أما وأن كلمة « لا » غدت منطوقة فقد كان بوسعه بالتالى أن يتوقف عن الصلاة • ولكنه قبل أن يفعل ذلك على أية حال ، حاول بكل وسيلة ، شأنه شأن غيره من العصابين القهريين ، أن يمنع العاطفة المضادة من أن تندس • ومن ذلك مثلا أنه كان يختصر صلواته أو يتلوها بسرعة • وبالمثل يناضل قهريون آخرون « لعزل » اجراءاتهم الدفاعية ، التى من هذا القبيل ، عن كل ما عداها • ولكن

ما من واحدة من هذه الوسائل تجدى فتبلا مع الوقت • فاذا ما
أحرزت حفزة حب أى نجاح فى نقل نفسها على أى فعل تافه ، فان
حفزة كراهية تنطلق لاحقة بها على أرضها الجديدة ، فتشرع من جديد
فى محو كل ما فعلته •

وعندما يكتشف المريض القهرى نقطة الضعف فى أمن حياتنا
النفسية — وهى عدم يقينية الذاكرة بحيث لا يمكن التعويل عليها —
فان هذا الكشف يمكنه من أن يمتد بشكك الى كل شىء ، حتى الى
الافعال التى تم بالفعل انجازها والتى لم تكن لها حتى الآن أية علاقة
بعقدة الحب — الكراهية ، والى الماضى برمته • وهنا أذكر بمثل
الزوجة التى فرغت لتوها من شراء مشط لابنتها فى متجر ، والتى ،
وقد استولى عليها الشك فى زوجها ، شرعت تشك فيما ان لم يكن لديها
هذا المشط فى واقع الامر منذ وقت طويل : ألم تكن هذه الزوجة
تقول فى صراحة تامة : « ما دام بوسعى أن أشك فى حبك » (ولم
يكن ذلك غير اسقاط لشكها فى حبها هى له) « فبوسعى عندئذ أن
أشك فى هذا المشط ، وأن أشك فى كل شىء » — وبذلك تكشف لنا عن
الدلالة الخبيثة للشك العصابى ؟

أما القهر فهو ، على العكس ، محاولة للتعويض عن الشك ،
ولتصحيح تلك الظروف غير المحتملة من الكف ، هذه التى يشهد الشك
عليها • فاذا ما نجح المريض آخر الامر ، بفضل النقل ، فى أن يبلغ
بأحد مقاصده المكفوفة الى قرار ، فعندئذ يتحتم عليه تنفيذ هذا
المقصد • صحيح أن هذا المقصد ليس هو مقصده الاصلى ، ولكن
الطاقة الحبسية فى هذا الاخير لا يمكن أن تسمح بأن تقوت على
نفسها فرصة عثورها على مخرج للافراغ فى الفعل البديل • وهكذا
فان هذه الطاقة الحبسية يعيشها المريض أحيانا أوامر وأحيانا نواهى،
تبعاً لما ان كانت حفزة الحب أو حفزة الكراهية هى التى انتزعت
السيطرة على طريق الافراغ • فلو حدث أن أمراً قهريا استحك
تنفيذه ، فان التوتر يغدو غير محتمل ، ويعيشه المريض فى صورة
قلق بالغ ولكن الطريق المؤدية الى فعل بديل ، حتى حين تكون النقل
على فعل تافه ، تكون موضوع تنازع مرير ، بحيث أن مثل هذا الفعل
البديل لا يمكن — كقاعدة عامة — انجازها الا فى صورة اجراء دفاعى

وثيق الارتباط بنفس تلك الحفزة التي كان يستهدف هذا الاجراء في الاصل طردها .

وأكثر من ذلك ، وبفضل نوع من النكوص ، فان الافعال التمهيدية تصبح بدائل عن القرار النهائي ، فيحل التفكير محل الفعل ، وبدلاً من الفعل البديل فان فكرة ما من الافكار الممهدة لهذا الفعل تؤكد نفسها بكل ما للقهر من قوة . وتبعاً لما يكون عليه هذا النكوص — من الفعل الى التفكير — من درجة البروز تكشف حالة العصاب القهري عن خصائص التفكير القهري (أى عن خصائص الافكار القهرية) أو عن خصائص الفعل القهري بالمعنى الاضيق للكلمة . ومع ذلك فان الافعال القهرية بمعنى الكلمة من هذا القبيل لا تغدو ممكنة الا لأنها تمثل ضرباً من المصالحة في صورة تكوين ائتلافى من الحفزتين المتضادتين كليهما . ذلك أن الافعال القهرية تنزع الى أن تقترب أكثر فأكثر — وكلما طال عمر المرض غدا ذلك أوضح — من الافعال الجنسية الطفلية ذات الطابع الاستمنائى . وهكذا ففى هذا النوع من العصاب يتم انجاز أفعال جب على الرغم من كل شىء ، ولكن ذلك فقط بفضل نوع جديد من النكوص ، وذلك لان أفعال الحب من هذا القبيل لم تعد تتعلق بشخص آخر موضوع حب وكراهية ، بل هى أفعال شبقية ذاتية على نحو ما يحدث في الطفولة .

والنوع الاول من النكوص ، ونعنى النكوص من الفعل الى التفكير ، يعين عليه عامل آخر يدخل في توليد العصاب . فتواريخ العصابيين القهريين تكاد تكشف دائماً أبداً عن ازدهار باكر وكبت سابق لاوائه للغريزة الجنسية النظرية (السكوبتوفيلية) والاستطلاعية (الابسقيموفيلية) ، وجانب من النشاط الجنسى الطفلى لمريضنا الحالى كانت تحكمه ، كما نعلم ، هذه الغريزة (١) .

فقد سبق أن نبهنا الى الدور الهام الذى تلعبه العناصر الغريزية السادية في نشأة الاعصبة القهرية . فحيث تكون الغريزة الجنسية الاستطلاعية (الايستموفيلية) غالبة في جبلة العصابى القهري ،

(١) ان المستوى جد المرتفع للقدرة العقلية عند العصابيين القهريين ربما يرتبط أيضاً بهذه الواقعة .

يصبح الاجترار الفكرى العرض الرئيسى للعصاب • فعلمية التفكير نفسها تصبح مشبعة (مصطبغة بالجنسية) ، وذلك لان اللذة الجنسية ، التى عادة ما ترتبط بمضمون التفكير ، تراح على عملية التفكير ذاتها ، ومن ثم يعيش المريض الرضى المعرفى (الناتج من البلوغ الى نتيجة تلزم عن سلسلة من التفكير) بحسبانه اثسباعا جنسيا •

وفى الاشكال المختلفة من العصاب القهرى التى تلعب فيها الغريزة الجنسية الاستطلاعية (الايستيموفيلية) دورا ، فان علاقة هذه الغريزة بعمليات التفكير تجعلها مهياة بصفة خاصة لان تجتذب الطاقة التى نجاهد عبثا كيما تشق طريقها قدما الى الفعل ، فتصرفها الى مجال التفكير ، حيث تتوفر امكانية حصولها على اثسباع لاذ من نوع آخر وبهذه الطريقة ، ويفضل الغريزة الجنسية الاستطلاعية (الايستيموفيلية) يمكن للفعل البديل بدوره أن يخلى مكانه لافعال تمهيدية من التفكير • ولكن المماثلة فى الفعل لا تلبث حتى تخلى مكانها لتلكو فى التفكير ، ومن ثم تنتقل العملية كلها فى النهاية ، وبكل غرائبها ، الى أرض جديدة ، تماما كما يحدث فى أمريكا حين ينتقل أحيانا بيت برمته من مكان الى آخر •

وبوسعى الآن أن أجتريء ، استنادا الى هذه المناقشة الاخيرة ، فأحدد الخاصية السيكلوجية التى طال البحث عنها ، والتى تسبغ على نتائج العصاب القهرى طابعها « القهرى » • ان عملية التفكير تكون قهرية حين يجرى انجازها - نتيجة كف (ناجم عن صراع حفزتين متضادتين) ينال الطرف الحركى للجهاز النفسى - بانفاق من الطاقة هو (فيما يتصل بكمه وكيفه على السواء) مخصص فى العادة للافعال وحدها ، أو بتعبير آخر ، فان التفكير القهرى هو تفكير وظيفته أن يخل - بصورة نكوصية - لمحل فعل • وما من أحد ، فيما أعتمد ، يعترض على ما افترضه من أن عمليات التفكير عادة ما يجرى انجازها (لاسباب اقتصادية) بنقل طاقة أقل (ربما الى مستوى أعلى) من تلك التى تستنفدها الافعال فى افراغها لوجدان أو فى تعديلها للعالم الخارجى •

والتفكير القهري ، الذى يثيق طريقه الى الشعور بمثل هذا العنف المسرف • نتحتم بعد ذلك تأمينه ضد جهود التفكير الشعورى التى تنتزع الى فضه • وكما سبق أن رأينا فان هذا التأمين يتحقق بفضل التحريف الذى عاناه التفكير القهري قبل أن يصبح شعوريا • ولكن تلك ليست هى الوسيلة الوحيدة المستخدمة • فبالإضافة الى ذلك فان كل فكرة قهرية على حدة تنتزع دائما ابدا تقريبا من سياق الموقف الذى نشأت فيه ، والذى على الرغم من تحريفها ، يمكن ضمنه فهمها بمنتهى السهولة • ولتحقيق هذه الغاية ، ففى المقام الاول يندس فاصل زمنى بين الموقف المولد للمرض والقهر الذى تولد منه ، بحيث يضل أى تفكير شعورى فى تقصيه عن العلاقة السببية ، وفى المقام الثانى فان مضمون القهر يتم ابعاده عن سياقه الخاص عن طريق تعميمه •

و « قهر الفهم » عند مريضنا هو مثال على ذلك (انظر ص ٣٩٣) ولكن مثلا آخر ، ربما كان أفضل ، تزودنا به مريضة أخرى • كانت امرأة حرمت على نفسها أن تنتزىن بأى نوع من الحلى ، ولو أن السبب المباشر لهذا التحريم كان ينصب فقط على قطعة واحدة وبعينها من الحلى : كانت قد حسدت أمها على امتلاكها لهذه القطعة من الحلى ، وتمنت أن يأتى يوم ترثها منها • وأخيرا ، وإذا ما حرصنا على التمييز بين التحريف اللفظى وتحريف المضمون ، فثمة مع ذلك وسيلة أخرى يبلغ بها القهر الى تأمين نفسه ضد المحاولات التى تستهدف فضه من جانب التفكير الشعورى • وهذه الوسيلة هى اختيار منطوق (نص لفظى للقهر) غير محدد أو غامض • وهذا المنطوق ، بعدما يتعرض لاساءة الفهم من جانب المريض يكون بوسعه أن يثيق طريقه الى « شبه هذاءته » ، وكيفما كانت عمليات التطوير أو الابدال التى يعانيتها قهره بعد ذلك ، فانها تستند جميعا عندئذ الى اساءة الفهم • ولبس الى المعنى الحقيقى للمنطوق • وسوف تكشف الملاحظة مع ذلك عن أن « شبه الهذاءات » هذه عند المريض تنتزع دائما الى عقد روابط جديدة أبدا بهذا الجانب ، من مضمون ومنطوق القهر ، الذى لم يبلغ الى الشعور •

وبودى أن أعود من جديد الى الحياة الغريزية عند الغصابيين

القهرين ، فأضيف عنها ملحوظة واحدة . فقد تكشف أن مريضنا ، بالإضافة الى كل خصائصه الأخرى ، كان شميا (أو شهوى الشم) . وبحسب ما قاله ، فإنه كان في طفولته يعرف كل شخص برائحته ، شأنه شأن الكلب . وحتى حين كبر ، ظلت حساسيته الشمية تزيد على ما هي عليه عند معظم الناس (١) . وقد ألتقيت بنفس هذه الخاصية عند عصابين آخرين ، سيان من الهستيريين أو من القهرين وقد أنتهى بي الامر الى أن أتبين أن نزعة من الشهوية الشمية ، خمدت منذ الطفولة ، يمكن أن تلعب دورا في توليد العصاب (٢) . وبودى هنا أن أتساءل بصورة عامة عما ان كان ضمور حاسة الشم (وهى نتيجة نم يكن منها مفر بالنظر الى الهيئة المنتضبة التى اتخذها البشر) ، وما ترتب عليه من كبت عضوى للشهوية الشمية، لم يلعب دورا هاما في تهيئة الكائن البشرى للمرض العصبى : ذلك يمكن أن يزودنا بشيء من التفسير عن العلة في أن الحياة الجنسية هى على وجه التحديد التى كان يتحتم عليها — مع تقدم الحضارة — أن تقع فريسة الكبت . فاننا نعرف منذ زمن طويل تلك الصلة الوثيقة ، فى الانتظام الحيوانى ، بين الغريزة الجنسية ووظيفة عضو الشم .

وفى ختام هذا المقال ، بودى أن أعبر عن أملى فى أن يكون فى بحثى هذا على الاقل ، رغم قصوره من كل ناحية ، ما يحفز باحثين آخرين على القاء مزيد من الضوء على العصاب القهرى بفضل مزيد من التعمق . ان ما يخص هذا العصاب ، وما يميزه عن الهستيريا ، لا يمكن العثور عليه — بحسب رأيى — فى الحياة الغريزية بل فى العلاقات السيكولوجية .

ولا يسعنى أن أغادر مريضى قبل أن أسجل انطباعى بأنه كان ، ان جاز القول ، منقسما الى ثلاث شخصيات . الى شخصية لا شعورية،

(١) واضيف أن المريض كان لديه فى طفولته نزعات قوية من الولع بالبراز (كوبروفيليا) . وفى هذا الصدد سبقت الإشارة الى شبقيته الشرجية (انظر ص ٥١٥) .

(٢) على سبيل المثال فى بعض الاشكال الفيتيشية .

وشخصيتين قبلشعوريتين بينهما يتأرجح شعوره • فشخصيته اللاشعورية كانت تشمل على تلك الحفزات التي عانت الكبت في سن باكرة ، والتي يمكن وصفها بانها حفزات مشبوبة وشريرة • كان مريضنا في شخصيته العادية طيبا ، مرحا ، مرهف الحس انسانا مثقفا ذكيا • بينما كان في انتظامه السيكولوجي الثالث يتكشف مؤمنا بالخرافة وزاهدا • ومن هنا كان بوسعه أن يكون له رأيان في نفس الموضوع ، وتصوران مختلفان عن الحياة • وهذه الشخصية القبلشعورية الثانية كانت تشمل أساسا على التكوينات الضدية ضد رغباته المكبوتة ، وكان من اليسير أن نتوقع ، لو أن المرض استمر مدة طويلة من ذلك بكثير ، أن هذه الشخصية كانت ستبتلع شخصيته العادية • وتتاح لي الآن فرصة معالجة سيدة مريضة تعاني من عصاب قهري خطير • وقد غدت هي الاخرى بالمثل منقسمة الى شخصية رضية مرحة وشخصية شديدة الكآبة وزاهدة • وهي تضع في الصدارة أولى هاتين الشخصيتين على أنها اناها الرسمية ، بينما هي في واقع الامر تحت هيمنة الشخصية الثانية • وكل من هذين الانتظامين النفسيين يفتح أمامه الطريق الى شعورها • ولكن من وراء شخصيتها الزاهدة نستطيع أن ننتبئ القسم اللاشعوري من كيانها — وهو قسم نجهله تماما ، ويتكون من حفزات نزاعة قديمة طال كبتها (١) •

(١) « ملحوظة اضافية عام ١٩٢٣ » — استرد المريض صحته النفسية عن طريق التحليل الذي أوردت تقريرا عنه في هذه الصفحات • ولكنه ككثرة كثيرة غيره من الشباب الممتاز الذين تعقد عليهم الآمال ، قتل في الحرب العالمية (الاولى) .

أقرأ للدكتور مخيمر

أستاذ الصحة النفسية بكلية التربية بجامعة عين شمس

- * سيكولوجية الموضة - الانجلو - ١٩٦٥
- * شائعات معركة يونيو ١٩٦٧ - الانجلو - ١٩٦٧
- * نحو نظرية ثورية في التربية - الانجلو - ١٩٦٨
- * تناول جديد للمراهقة - الانجلو - ١٩٦٩
- * نظرية الجشطلت وعلم النفس الاجتماعي - الانجلو - ١٩٦١
- * المدخل إلى الصحة النفسية - الانجلو - ١٩٧٢
- * الانماط الانفعالية للمكفوفين - الانجلو - ١٩٦١
- * تاريخ تأهيل المكفوفين - الانجلو - ١٩٦٠
- * المجال الفيزيائي والمهني للمكفوفين - الانجلو - ١٩٦٠
- * العمى «رعاية المكفوفين» للاب كارول - مؤسسة فرانكلين ١٩٦٩
- * في مجال الحياة الوجدانية الاجتماعية للمكفوفين - تحت الطبع
- * أقرأ للدكتور مخيمر والاستاذ عبده ميخائيل رزق

مؤلفات

- * سيكولوجية الشخصية - الانجلو - ١٩٦٨
- * المدخل إلى علم النفس الاجتماعي - الانجلو - ١٩٦١
- * المدخل إلى سيكولوجية التعلم - الانجلو - ١٩٧١
- * في الاثتراكية العربية ، ماركس يدحض الماركسية - الدار القومية - ١٩٦٤
- * دراسات في القومية مع هيكل نظرية تفسيرية - دار الفكر العربى - ١٩٦٢

مترجمات

- * علم نفس الجشطلت لبول جيوم - سلسلة الالف كتاب -
سجل العرب - ١٩٦٣
- * وحدة علم النفس - لدانيل لاجاش - الانجلو - الطبعة
الثانية - ١٩٦٥
- * سيكولوجية الاشاعة - لاولبورت وبوستمان - دار المعارف -
١٩٦٤
- * علم الاجتماع عند ماركس الشاب • لجريفتش - الانجلو -
١٩٦٤
- * الدعاية السياسية ، لدومنيك - الانجلو - ١٩٦٥
- * سيكولوجية المرأة ، للمارى بونابرت - الانجلو - الطبعة الثانية
- ١٩٦٣
- * سيكولوجية الشخصية ، لتوتكات - الانجلو - الطبعة الثانية
- ١٩٦٣
- * نظرية التحليل النفسى فى العصاب - أوتوفيلخل - ثلاثة أجزاء -
الانجلو - ١٩٦٩
- * الاناوميكانيزمات الدفاع - أنا فرويد - الانجلو - ١٩٧٢
- * مقدمة فى العلاج السلوكى عن ديفيد مارتن - الانجلو - تحت
الطبع

المحتويات

الصفحة

١	تقديم الكتاب بقلم دكتور مصطفى زيور
١	تصدير بقلم دكتور مصطفى زيور
٥	جزء من تحليل لحالة هيسيريا دورا (١٩٠٥) (١)
١٧	الوحدة الكينيكية (١)
٧٣	الحلم الأول (٢)
١١٣	الحلم الثاني (٣)
١٤١	تذييل
١٥٥	ثبت مصطلحات
١٦٣	تصدير بقلم دكتور مصطفى زيور
١٧٩	تحليل فوبيا عن صبي في الخامسة (هانز الصغير) (١)
٢٠١	تاريخ الحالة والتحليل (٣)
٣٠٩	تعليق (٣)
٣٥١	ملاحظات (٣)
٣٥٧	تذييل (٤)
٣٦٣	تصدير بقلم دكتور مصطفى زيور
٣٦٧	ملاحظات عن حالة عصاب قهرى (رجل الفيران)
٣٧٣	مقتطفات من تاريخ الحالة (١)
٤٣٩	اعتبارات نظرية

